

طرابلس الغرب

تحت حكم أسرة القرمانلي

رود لفوميكاكي

نقله للغة العربية
طه فوزي

دار الفرجاني

طرابلس - ليبيا

1940
Malaysia

طَرَابِلُسُ الْغَرْبِ

تحت حكم أسرة القرمانيلى



طَرَابِلُسُ الْغَرْبِ

تحت حكم أسرة القرطائبي

رود لفوميكاكي

نقله للغة العربية
طه فوزي

دار الفرجاني

طرابلس - ليبيا

موضوعات الكتاب

المصحة

- (١) تقديم هذه السلسلة : للأستاذ محمد شفيق غربال ... ز
- (٢) مقدمة تاريخية : كمال الدين الخربوطلي ح - ن
- (٣) مقدمة المؤلف : الأستاذ رودلفو ميكاكي ١ - ٤
- (٤) الفصل الأول : أحمد القرماني يصبح سيداً لطرابلس ٥ - ٣٤
- (٥) * الثاني : المنازعات بين أحمد القرماني والدول
الأوربية ٣٥ - ٦٣
- (٦) * الثالث : أيام أحمد القرماني الأخيرة ٦٤ - ٨٣
- (٧) * الرابع : حكم محمد القرماني ٨٤ - ٨٩
- (٨) * الخامس : حكم علي القرماني ٩٠ - ١١٩
- (٩) * السادس : علي يرغل يستولي على طرابلس
عودة القرمانيين وحكم أحمد الثاني ١٢٠ - ١٣٠
- (١٠) * السابع : السنوات الأولى من حكم يوسف ١٣١ - ١٧٠
القرماني ١٣١ - ١٧٠
- (١١) * الثامن : الدول الأوربية في مقاومة المغامرين ١٧١ - ١٩٩
- (١٢) * التاسع : السنوات الأخيرة من حكم يوسف
القرماني ٢٠٠ - ٢٣٩
- (١٣) * العاشر : حكم علي القرماني وسقوط الأسرة ٢٤٠ - ٢٦٤
- (١٤) المراجع ٢٦٥ - ٢٧٢
- (١٥) ملحق الوثائق التاريخية ١ - ٩٤

تقديم

والكتاب الذى أتشرف بتقديمه للقراء ، يتناول موضوع حكم بيت
الفرمانلى فى طرابلس الغرب الذى امتد من سنة ١٧١١ إلى سنة ١٨٣٥ وقد
اعتمد فيه مؤلفه على الوثائق الرسمية الأوربية والتركية والعربية ، وما يزيد
فى فائدة الكتاب مجموعة الوثائق التى اختارها الحروبولى وتوضح جوانب
مختلفة من تاريخ طرابلس فى ذلك العهد .

وأتمنى هذه الفرصة لأشكر السيد المترجم طه فوزى والسيد
المراجعين على ما بذلوا فى ترجمة الكتاب وإعداده للنشر .

محمد شفيق عزبال

مقدمة تاريخية للاستاذ كمال الدين الخرنوبلي

طرابلس الغرب على العهد القرمانلي

(١٧١١ - ١٨٣٥)

شهد القرن الثامن عشر تنافساً استعمارياً طاحناً بين الدول الأوروبية الكبرى في القارة الأوروبية وفيما وراء البحار ، كان من مظاهره ذلك الصراع العنيف بين الإنجليز والفرنسيين في الهند وأمريكا الشمالية والذي انتهى باستقرار الأمر للإنجليز فيها ، ثم ثار الأمريكيون لينتزعوا حقهم في الحياة الحرة ، وتمكنوا بكفاحهم من أن يعلنوا استقلالهم في ٤ يوليو سنة ١٧٧٦ .

وفي أواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر ، اندلعت الثورة الفرنسية مبشرة بمبادئ جديدة ، زلزلت دعائم النظم الاستبدادية وحاولت فرنسا التأثير أن تسود كل أوروبا ، وامتد نفوذها عبر البحر المتوسط إلى مالطة ومصر ، ولكن مبعضا عاد لينطفيء عندما تمت هزيمة نابليون في موقعة واترلو وكان مصيره التقي إلى جزيرة سانت هيلانة ، ثم اجتمعت الدول المنتصرة لتعيد تخطيط أوروبا من جديد متجاهلة ما أنتجت الثورة من مبادئ لا تزول بزوال الأشخاص ، كما أخذت تنفرغ لمشا كل كانت تقض مضجعها ولكنها كانت بمنأى عنها بسبب تفرغها لذلك التعاطن المرر ومشاكلها الخاصة الداخلية ، ومن أم تلك المشكلات المخاطر البحرية .

أما الدولة العثمانية فقد أخذت تزداد ضعفاً ، واستغلت روسيا ذلك الضعف لتصل إلى منافذ على بحار مفتوحة على حساب ذلك الرجل المريض ، وأدى ضعف رقابة الحكومة المركزية إلى اضطراب الحكم في الولايات العثمانية البعيدة ، فكثرت تغيير الولاة ، وتعدد ظهور المغامرين الذين يحسنون الاستفادة من الفرص المواتية ، وتمكن بعضهم من أن ينشئ كياناً خاصاً للولاية التي استأثر بالسلطة فيها داخل نطاق الكيان العثماني العام ، ومن بين هؤلاء أحد القراءات في طرابلس سنة ١٧١١ .

والأسرة القرمانلية أسرة تركية الأصل موطنها الأصلي مدينة قرمان ببلاد الأناضول ، وقد مصطفى الجدة الأكبر لأحد إلى طرابلس وكان بحاراً صغيراً وامتلك بعض المزارع والنخل في حي المنشية واندمج أبناؤه وأحفاده بأهل البلاد وصاهروهم ، ووصل يوسف والد أحمد إلى مرتبة باش أغا قرمان الساحل والمنشية في عهد الوالي خليل باشا وخلفه في هذا المنصب ابنه أحمد الذي استطاع أن يكون له ولايته ملكاً وراثياً مستغلاً بالفعل غاضعاً بالإسم للدولة العثمانية استمر قرناً وربعاً من الزمان من أواخر يوليو سنة ١٧١١ إلى أوائل يونيو سنة ١٨٣٥ حيث عاد الحكم العثماني المباشر نتيجة ضعف حكام هذه الأسرة وتنازع أفرادها ، وتدخل الدول ، وقضائها على نشاط البحرية الليبية ، الذي كان يمثل أهم موردين إيراداتها الاقتصادية .

انجبت طرابلس الغرب في هذا العهد نحو البحر تجدد فيه رزقه ، وتؤمن الطريق لسفنها ، وتجاهد سفن الدول الأوروبية التي كانت مشغولة بالتنافس الاستعماري ، وهنصرة إلى مشاكلها الخاصة ، فاضطرت أمام تحدى الأمراء للقرمانليين لها ، وتعرض بحريتهم لسفنها إلى عقد معاهدات لتنظيم العلاقات البحرية والتجارية فيما بينها وبين نيابة طرابلس الغرب لتؤمن سفنها وتعهدت لها بدفع إتاوات سنوية وهدايا قصلية عند تعيين كل قنصل جديد ، وهبات أخرى عند تجديد المعاهدات ، ومن بين هذه

الدول انجلترا وفرنسا وأسبانيا وهولندا والسويد والجمهوريات الإيطالية .

ومع حرص هذه الدول جميعاً على إرضاء القرمانيين ، فإن هؤلاء لم يستنكفوا من المطالبة بزيادة هذه الاتاوات والهبات كلما أعوزتهم الحاجة إلى المال ، بل كانوا يكثرّون من إرسال مبعوثيهم إلى تلك الدول للمطالبة بهذه الأمور وبغيرها ، حتى ضجت الدول من كثرتهم ، وأخذت تعمل على تفادي إرسالهم بالأسراع بدفع ما يطلبه القرمانيون ، ومع كل ذلك فقد كانت معاملتهم للقناصل حازمة ، تقوم على وجوب مراعاة حرمه البلاد وتقاليدها ومظاهر الخضوع لحكامها ، فإذا خرج أحد القناصل على هذا السّنن ، عومل معاملة قاسية وطرد من البلاد .

ومن أبرز مظاهر العلاقات الدبلوماسية في ذلك العهد محاولة روسيا بعد حصولها على حق حرية المرور في البحر الأسود في معاهدة كنارجي سنة ١٧٧٤ الحصول على إمتياز إستخراج الملح من ملاحات بوكاش ، وإقامة حصن بها ، وعرضها شراء مدينة بومبا شرق درنه ولكن هذه المشروعات لم تتم لمعارضة السلطان .

أما فرنسا الثائرة فقد سادت بينها وبين يوسف القرماني صلات مودة حتى سنة ١٨٠٥ ، ولذلك ساهم يوسف أثناء الاحتلال الفرنسي لمصر في تموين ماله وتسجيل تبادل البريد بين الفرنسيين في مصر وبلادهم عن طريق طرابلس الغرب ، ورفض الاستجابة لرغبات السلطان في اعتقال الرعايا الفرنسيين ومهاجمة مصر من ناحية الغرب منذرعا بحسره المال وعدم كفاية قواته العسكرية ، ولكن هذه العلاقات أخذت تنفصم عند انتهاء النزاع بين طرابلس الغرب والولايات المتحدة الأمريكية .

بدأ ذلك النزاع في سنة ١٨٠١ عندما طالب يوسف بزيادة الاتاوة التي كانت تدفعها الولايات المتحدة ورفض السكونجرس الموافقة على هذه الزيادة وثار الشعب الأمريكي منادياً بإتفاق الملايين على الدفاع وعدم دفع

سنت واحد بحرية ، واستعانت الولايات المتحدة في هذا الصراع الحربي بأحمد أخ يوسف الذي كان لاجئاً بمصر للزول بدرنه والمجور على طرابلس برا ، وقد استمر هذا النزاع حتى سنة ١٨٠٥ تعددت أثناءه المصادمات بين سفن طرابلس الغرب والسفن الأمريكية التي كانت تأتي لحصار الشواطئ وضرب المدينة ، وقد فقدت الولايات المتحدة في هذا النزاع أشهر سفنها في ذلك الوقت ، فيلادلفيا ، وعددا من بحارها لم تمثر على أماكن دفنهم إلا سنة ١٩٤٩ ، ثم انتهى ذلك النزاع بعقد معاهدة تم فيها إعفاء الولايات المتحدة من الاتالة السنوية وإطلاق سراح بحارة السفينة « فيلادلفيا » بعد دفع ٦٠ ألف دولار . كان هذا النزاع بداية سوء الطالع الذي حالف طرابلس الغرب ، وبدأ نشاط بحريتها يضحل ، حتى تمكن Exmouth القائد الإنجليزي من عقد معاهدته المشهورة مع نيابات الغرب في ٢٩ إبريل سنة ١٨١٦ والتي تعهدت فيها تلك النيابات بالكف عن المغامرات البحرية واسترقاق الأسرى وفقدت طرابلس بذلك أهم مواردها المالية ، فأخذت تزداد ضعفا .

أما علاقة طرابلس الغرب بحيراتها العرب في ذلك الوقت ، فكانت طيبة بوجه عام ، وإن اعتورها بعض الغزاة أحيانا ، عندما كانت تتعارض مصالح الحكام الشخصية ، مثل ما حدث بين طرابلس وتونس بسبب النزاع حول جزيرة جربة ، واستعداد يوسف القرماني لرد قوات محمد علي عندما سمع عن نبأ اتفاقه مع الفرنسيين لغزو الجزائر ، أما ما عدا ذلك فقد كانت الرابطة قوية بدت في أروع صورها في ذلك التعاون البحري بين سفن النيابات المغربية الثلاث - طرابلس وتونس والجزائر ، ولذلك حاولت الدول الأوروبية في معاهداتها مع طرابلس أن تبث الفرقة بين هذه النيابات وتقضي على هذا التعاون . وكانت تونس ومصر نجيران كل من بلجأ إليها من حكام طرابلس الغرب أو مواطنيها كلما أملت بهم ضائقة ، أو اشتد بهم أمر ، وقد لجأ على القرماني الأول وأبناؤه إلى تونس عندما طردهم المغامر « علي

سنت واحد كجزية ، واستعانت الولايات المتحدة في هذا الصراع الحربى بأحد أخ يوسف الذى كان لاجئاً بهصر للزول بدرنه والمهجوم على طرابلس برا ، وقد استمر هذا النزاع حتى سنة ١٨٠٥ تعددت أثناء المصادمات بين سفن طرابلس الغرب والسفن الأمريكية التى كانت تأتى لحصار الشواطىء وضرب المدينة ، وقد فقدت الولايات المتحدة في هذا النزاع أشهر سفنها في ذلك الوقت ، فيلادلفيا ، وعددا من بحارتها لم تعثر على أماكن دفنهم إلا سنة ١٩٤٩ ، ثم انتهى ذلك النزاع بعقد معاهدة ثم فيها إعفاء الولايات المتحدة من الاتاة السنوية وإطلاق سراح بحارة السفينة ، فيلادلفيا ، بعد دفع ٦٠ ألف دولار . كان هذا النزاع بداية سوء الطالع الذى حالف طرابلس الغرب ، فبدأ نشاط بحريتها يضمحل ، حتى تمكن Exmouth القائد الإنجليزي من عقد معاهدته المشهورة مع نيابات الغرب في ٢٩ إبريل سنة ١٨١٦ ، التى تعهدت فيها تلك النيابات بالكف عن المغامرات البحرية واسترقاق الأسرى وفقدت طرابلس بذلك أهم مواردها المالية ، فأخذت تزداد ضعفا .

أما علاقة طرابلس الغرب بحيراتها العرب في ذلك الوقت ، فكانت طيبة بوجه عام ، وإن اعتورها بعض الضعف أحيانا ، عندما كانت تتعارض مصالح الحكام الشخصية ، مثل ما حدث بين طرابلس وتونس بسبب النزاع حول جزيرة جربة ، واستعداد يوسف القرماني لرد قوات محمد على عندما سمع عن نبأ اتفاقه مع الفرنسيين لغزو الجزائر ، أما ما عدا ذلك فقد كانت الرابطة قوية بدت في أروع صورها في ذلك التعاون البحرى بين سفن النيابات المغرية الثلاث — طرابلس وتونس والجزائر ، ولذلك حاولت الدول الأوربية في معاهداتها مع طرابلس أن تبت الفرقة بين هذه النيابات وتقضى على هذا التعاون . وكانت تونس ومصر تحيران كل من يلجأ إليها من حكام طرابلس الغرب أو مواطنيها كلما أملت بهم ضائقة ، أو اشتد بهم أمر ، وقد لجأ على القرماني الأول وأبنائه إلى تونس عندما طردهم المغامر . على

برغل ، من طرابلس واغتصب الحكم لنفسه في الفترة من مايو سنة ١٧٩٣ إلى ١٩ يناير سنة ١٧٩٥ ، وقد تمكن القرمانليون بمساعدة التوانسة من استعادة حكمهم . أما مصر ، فقد أاجرت الكثير من مواطني طرابلس الغرب وأفراد أسرهم الحاكمة ومن بينهم أحمد أخ يوسف الذي احتفى بمحمد الألفي إثر زواجه مع أخيه وتزوج سيدة من أسرة للموم وتوفي بمصر في ديسمبر سنة ١٨١١ وعثمان بن يوسف الذي لجأ إلى الاسكندرية وتوفي بها ، كما هاجرت قبائل الجوازي والقوائد من برقة ، وانسحبت قبيلة أولاد علي إلى شرق السوم (إثراغارة يوسف عليها وما زالت تقيم في الصحراء الغربية إلى اليوم .

ونجحت علاقات الود مع مراکش في إعانة مولاي محمد لطرابلس الغرب أثناء القحط الذي أصابها سنة ١٧٨٤ بامدادات مالة وبالغلال وقد فضل بك تونس مثل ذلك أيضاً - هذا فضلاً عن أن طرابلس كانت طريق مرور للحجاج المغاربة الذين كانوا يمرون بها في طريقهم البري مولين وجوهم شطر البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج .

ازدهرت بحرية طرابلس الغرب في ذلك العهد وأعد الأمراء القرمانليون تنظيماً دقيقاً للبحرية الرسمية والشعبية ، وظهر عدد من رؤساء البحر المغاربة ، كانت لهم صولات وجولات موفقة ضد سفن الأعداء يخرجون مجاهدين ، ويعردون غانمين ، وفي ذهابهم وعودتهم يودعهم أفراد الشعب بالأهازيج الحماسية ومواكب الدعاء والنصر .

وكان لرئيس البحرية مكانة عظيمة أهلته لمصاهرة الحاكم ، فقد تزوج رئيس بحرية على الأول القرمانلي من صغرى بناته ، كاتزوج مصطفى قورجي رئيس بحرية يوسف من إحدى بناته ، وأتفق بعض ماله في بناء مسجده المشهور بمدينة طرابلس سنة ١٨٣٤ .

كان القرمانليون يستعينون في بناء سفنهم بالفنيين من أوروبا فاستقدم يوسف القرمانلي سنة ١٧٩٧ مهندساً متخصصاً في بناء السفن من أسبانيا وبعض العمال الفنيين .

وكان إزال السفن الجديدة إلى البحر يتم باحتفال عام تنظمه الدولة وتدعو إليه ، وتنزل السفينة وعلى ظهرها خروف ناصع البياض مزيت بالزهور ينحر عند ما تبدأ السفينة في السير وسط تحية الأعلام وطلقات مدافع الشاطئ والسفن الراسية في الميناء .

وامتلأت خزائن القرمانيين بالأموال ، كما غصت حماماتهم بالأسرى ، وتزوج الحكام من كثير من الأسيرات الأوريبات اللاتي كن يعتنقن الإسلام وينسبن إلى أب روحى باسم عبد الله .

وإلى جانب موارد هذه المغامرات البحرية ازدهرت تجارة القوافل إلى السودان وغيب إفريقيا ، غير أن الدول الأروبية الاستثمارية خاصة انجلترا وفرنسا أخذت توجه اهتمامها لانتخاذ مدينة طرابلس والمدن الساحلية قواعد للكشف الجغرافي في أواسط إفريقيا ، وكان الرحالة الأروبيون يخفون أغراضهم الرئيسية متذرعين بالكشف عن بعض النباتات الطيبة ، أو دراسة المناطق الأثرية ، أو اشباع روح المخاطرة ، وقد فرض القنصل البريطاني وارتجتون نفسه على يوسف باشا ليساعد الرحالة الانجليز ويؤمن أسفارهم الداخلية ، وكان وارتجتون يستفيد من هذه الرحلات ليقوم بدور كبير من الجاسوسية لحساب بلاده .

كان كثير من هؤلاء الرحالة ينتظرون مواسم قيام القوافل لمصاحبتها ، ويتظاهرون بممارسة العبادات الإسلامية أمام رجالها ، وقد أدى تنافس فرنسا وانجلترا في هذا الميدان إلى قيام النزاع السافر المستمر بين القنصلين البريطاني والفرنسي في طرابلس وتبادلها الاتهامات ، وكان لهذا التنافس أثره في الأحوال الداخلية للبلاد ، إذ استغل القنصلان الأقسام اداخلي بين أفراد الأسرة الحاكمة وانقسام المواطنين بينهم ، وتدخل كل منها ليؤازر فريقا من المتنازعين ، وكان لهما دور في تأجيج تلك الحرب الأهلية التي سادت طرابلس من سنة ١٨٣٢ حتى انتهت بعودة الحكم العثماني المباشر .

كانت حياة القرمانيين الخاصة حياة بذخ وإسراف وملذات ومعاشرة للنساء ، وإدمان الشراب حتى كان بعضهم يقطر المشروبات الروحية لاستعماله الخاص ، وبدأت مظاهر العظمة في أثاث بلاطهم ، وملابس نسائهم وغادماهم وقد كلفتهم هذه الحياة أموالا طائلة لم يحسوا بها في أوج عظمتهم بحريتهم ، واستغلوا بعض هذه الأموال في إقامة المنشآت وأشهرها مسجد أحمد باشا في مدينة طرابلس ، وفي إصلاح القلاع والأسوار .

وبعد أن ضعف أمر هذه البحرية ، قلت موارد القرمانيين المالية ، فلجأ يوسف إلى وسائل مختلفة لحصل على ما يريد من مال كييع الحاصلات مقدما والاستدانة من الرعايا البريطانيين والفرنسيين ، وانتقال كاهل الطائفة اليهودية بالضرائب واضطر آخر الأمر إلى ضرب مسكوكات نحاسية لم تقبل شيئا ، واستغل الفرنسيون فرصة ذلك العصر المالي وطالبوا بسداد ديون رعاياهم واتخذوا ذلك ذريعة لتحديد نشاط البحرية القرمانية تحديدا نهائيا سنة ١٨٣٠ بمنعها من تجديد أو بناء سفن جديدة ، وتبعهم البريطانيون ، فلجأ يوسف إلى إرهاب رعاياه من سكان المنشية بالضرائب ، حتى ضج الناس وجأروا بالشكوى ، واشتعلت الثورة ضده وثارَت العصابات الحلبية بزعامة عبد الجليل سيف النصر وغومه المحمودي وعثمان الأدغم وغيرهم ، وانتهى الأمر بنزول يوسف عن العرش لابنه علي الثاني في أغسطس سنة ١٨٣٢ ، فأنهه محمد القرماني وانقسمت البلاد بين الأميرين المتنازعين ، وتدخل القنصلان الفرنسي والانجليزي فأرر القنصل الفرنسي علي الثاني ، واتجه القنصل الانجليزي ومحمد بيت المال زعيم المنشية الذي كان بمثابة رئيس للوزراء في عهد يوسف لمؤازرة محمد ، وعندما صدر فرمان السلطان بتأييد علي الثاني صديق الفرنسيين ، اتجه الانجليزي لتحريض العثمانيين على استعادة الحكم المباشر في طرابلس الغرب وتم ذلك على يد القائد البحري العثماني نجيب باشا في يونيو سنة ١٨٣٥ وعادت طرابلس ولاية عثمانية وانتهى عهد الأسرة القرمانية .

وقد حفرتني الاستقبال الحسن الذي أستقبل به الباحثون في الثنون الاستعمارية هذا الكتاب المختصر على الاستمرار في التحري والبحث ، كما أن حادثا عرضيا وقع في سنة ١٩١٩ وكان من شأنه أن جعلني أعثر على الوثائق التي كانت محفوظة في أرشيف قنصليات سردينيا و نابولي وتوسكانا في طرابلس وأن أنقذها من تدمير محقق ، واستخرجت من بينها كل ما له أهمية لتاريخ المحلى ، وبعد سنة ١٩٣٦ وسعت دائرة أبحاثي وتحرياتي حتى شملت ميادين أخرى من ميادين البحث بأن جمعت بطريق مباشر بنفسى أو بواسطة بعض أصدقائى المنفضلين ، صورا ومستخرجات من الوثائق المحفوظة في تلك المدينة من محفوظات قنصليات فرنسا وبريطانيا العظمى ، كما جمعت بعض الأخبار التي ضمنها سجلات المحكمة الشرعية ، كما تفضل السيد باولو توسكى ووضع تحت تصرفى سلسلة من الوثائق الخاصة بولاية طرابلس الغرب كان قد قام بنسخها في باريس من محفوظات وزارة الخارجية الفرنسية .

وتشير هذه المادة الضخمة كلها ، في جانب كبير منها ، إلى القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر ، وتلقى ضوءا خاصا على الفترة التي كانت فيها طرابلس الغرب تحت حكم القرمانيين دولة مستقلة بالفعل ، ولو أنها كانت تابعة إخميا للباب العالي . ولقد كان لتاريخ هذه الفترة أهمية كبرى سواء بالنسبة لطريقة استيلاء أسرة القرمانيين على السلطة في البلاد التي بقيت تحكمها مدة تزيد على قرن من الزمان ، أو بسبب الخلاقات التي قامت إذ ذاك بين طرابلس وبعض الدول الكبرى الأوروبية أو بسبب الأحداث التي توالفت فيها والتي عادت طرابلس بسببها للخضوع لحكم العثمانيين المباشر ، مما حدا بي أن أجعلها موضوع بحث خاص ، وهو البحث الذي أنشر نتائجه في هذا الكتاب .

ولى وطيد الأمل في ألا يكون عمل هذا عديم النفع ، بالرغم من أنه قد نشرت في العشرين سنة الأخيرة كتب وضمها كل من أ. برنارد ول. ش. فيرو بعنوان « حوليات طرابلس » وهو كتاب واسع النطاق وعظيم

وقد حفرتي الاستقبال الحسن الذي أستقبل به الباحثون في الفنون الاستعمارية هذا الكتاب المختصر على الاستمرار في التحري والبحث ، كما أن حادثا عرضيا وقع في سنة ١٩١٩ وكان من شأنه أن جعلني أعثر على الوثائق التي كانت مخفية في أرشيف قنصليات سردينيا و نابولي وتوسكانا في طرابلس وأن أنقذها من تدمير محقق ، واستخرجت من بينها كل ما له أهمية للتاريخ المحلي ، وبعد سنة ١٩٢٦ وسعت دائرة أبحاثي وتحرياتي حتى شملت ميادين أخرى من ميادين البحث بأن جمعت بطريق مباشر بنفسى أو بواسطة بعض أصدقائي المتفضلين ، صورا ومستخرجات من الوثائق المخفية في تلك المدينة من مخفوقات قنصليات فرنسا وبريطانيا العظمى ، كما جمعت بعض الأخبار التي ضمتها سجلات المحكمة الشرعية ، كما تفضل السيد باولو توسكى ووضع تحت تصرفى سلسلة من الوثائق الخاصة بولاية طرابلس الغرب كان قد قام بنسخها في باريس من محفوظات وزارة الخارجية الفرنسية .

وتشير هذه المادة الضخمة كلها ، في جانب كبير منها ، إلى القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر ، وتلقى ضوءا خاصا على الفترة التي كانت فيها طرابلس الغرب تحت حكم القرمانليين دولة مستقلة بالفعل ، ولو أنها كانت تابعة لإخميا للباب العالي . ولقد كان لتاريخ هذه الفترة أهمية كبرى سواء بالنسبة لطريقة استيلاء أسرة القرمانلي على السلطة في البلاد التي بقيت تحكمها مدة تزيد على قرن من الزمان ، أو بسبب الخلافات التي قامت إذ ذاك بين طرابلس وبعض الدول الكبرى الأوروبية أو بسبب الأحداث التي توالى فيها والتي عادت طرابلس بسببها للتخضوع لحكم العثمانيين المباشر ، مما حدا بي أن أجعلها موضوع بحث خاص ، وهو البحث الذي أنشر نتائجه في هذا الكتاب .

ولى ولجيد الأمل في ألا يكون عمل هذا عديم النفع ، بالرغم من أنه قد نشرت في العشرين سنة الأخيرة كتب وضعا كل من أ. برنارد ول. ش. فيرو بعنوان « حوليات طرابلس » وهو كتاب واسع النطاق وعظيم

الأممية ، كما أن هناك كثيرين من كبار المهتمين بالتاريخ الاستعماري قد
اعتمدوا بهذا الموضوع ويستحق الذكر من بين الإيطاليين منهم « الأب برينا
Bergna ، و « السيد / كالي (١) ، و « دي أجوسطيني De Agostine ،
و « روسي Rossi ، ومن غير الإيطاليين « شارل روي Charles Roux
و « سيريز Serres ، و « فـدـالا Vadala . »

وفي الواقع لم يوضح الجانب الأكبر من الكتب التي نشرت والتي
وضعها الباحثون الذين أشرت إليهم فيما سبق إلا بعض فقرات من تاريخ
ذلك العصر ، كما أن الكتابين المستفيضة وهما كتاب « طرابلس من
عام ١٥١٠ إلى عام ١٨٥٠ ، الذي وضعه « الأب كـ . برينا ، وكتاب
« حوليات طرابلس Annales tripolitaines ، الذي وضعه لـ شـ . فيرو
يروي أن أخبارا عن أحداث يجب أن نأخذها بمنتهى الحذر والحيلة ، لأنها
مستخرجة من وثائق من جانب واحد ، ولأنهما كانت مقبولة ومهما استند
إليها ، فهي وثائق مشكوك في صحتها وقابلة للنقاش .

أما هذا الكتاب فإنه مستقى من مصادر متعددة جرى بحثها بمخاطوبلا ،
وتمت المقابلة بينها ، ومراجعتها بمنتهى الدقة والعناية - ولما كانت الأخبار
المبلغة في رسائل القناصل الأوروبيين في طرابلس ، إلى حكوماتهم ، تعطى
وصفا خاصا للحوادث ، إلا أن هذا الوصف لا يمكن قبوله والنسليم به ، لأنني
حتى إذا سللت بأن بعض هؤلاء القناصل كانت لهم معرفة بلغة البلاد وعاداتها ،
وعرفوا اتجاهات سياسة حكومة نيابة طرابلس الغرب المتقلبة ، فإن أكثرهم قد
استقروا معلوماتهم وأخبارهم دون تدقيق من مصادر لم تكن دائما وثيقة ،
ولم يتمتعوا بالتالي بمعرفة الأسباب التي دعت إلى تغيير تلك السياسة ، ومن

(١) ذكر المؤلف اسم اسماعيل كالي على أنه إيطالي رغم أنه لبي ولد في طرابلس سنة
١٨٨٢ ، وعمل مجازا بقلم الكتونجية في العهد الثاني ثم عمل بالدرجة في العهد الإيطالي ،
وتولى لإدارة الأوقاف حيث كان له الفضل في تعيين حل المدارس التركية . وقد حصل على
الجنسية الإيطالية وتوفي في ٢٢ أبريل سنة ١٩٢٦ م . (الترجم)

جهة أخرى فقد كانوا جميعاً يمثلين أكثر مما كانوا نظارة للحوادث المحلية، وقد حكموا دون وعى على الرجال وعلى الأشياء طبقاً لموقفهم من الدولة التى يمثلونها، وكانوا كلما زاد نشاطهم وذكاءهم زاد عملهم لخدمة مصالح دولهم وامتيازاتها .

ومن هنا جاء عملهم ناقصاً، وما يدل على ذلك بوجه خاص أنهم تركوا صوراً ناقصة ومشوهة للباشاوات الذين آووا على حكم البلاد ، وكانوا معاصرين لهم أثناء عملهم وحكموا عليهم أحكاماً خاطئة .

ومن الممكن أن يعتقد الإنسان أنه من المستحسن فيما يخص بالتاريخ المحلى الرجوع إلى المصادر العربية ، المنسوبة للأشخاص العارفين ببواطن الأمور الذين يمكنهم أن يروا الأشياء كما هى من الداخل .

ولكن مثل هذه المصادر فى أغلب الأحيان كانت متحيزة أكثر مما يجب، أو مشوبة بالنقصان ، وغير كافية لإعطاء معلومات دقيقة عن الحوادث ، ومع هذا فقد كان لها قاذبتها العظيمة ، فى إعطاء تفصيلات عن الحوادث والأشخاص وعلى الأخص ما تلقى من ضوء على المنازعات الحزبية ، وعن أحوال القبائل ومبشيتها ، وبالاختصار عن حياة السكان الداخلية .

من هذه المصادر أو تلك التى قت بالرجوع إليها ، بكل ما أمكننى من حيطة ، جاء هذا الكتاب الذى يمكن القول عنه ، بأنه تحليلى أكثر مما يجب ، لأننى تمسكت بنصوص الوثائق ، ولم أحدع عنها قيد شعرة ، ونقلت محتوياتها بمنتهى الدقة ، وربما كانت قراءته لهذا السبب جافة وغير مشوقة ، ولكن إذا كان هذا مخالفاً للغرض الذى رميت إليه من وضع هذا الكتاب ، فإنه مما يعزبنى ويسرى عن نفسى اعتقادى بأنه فى أى أسلوب ظهر هذا الكتاب ، فإنه لا يخلو من الفائدة لمن يرغب معرفة تاريخ طرابلس الغرب .



الفَصِيلُ الْأَوَّلُ

أحمد القرمانلي يُصِجُّ سِيدَ طَرَابُلُسَ

كانت طرابلس تتمتع في بداية القرن الثامن عشر بشهرة لرخائها وقوتها،
التي تفوق كثيراً قيمة الموارد الاقتصادية المتواضعة لهذا الإقليم والقوات
العسكرية الضعيفة التي كانت تحت سيطرته .

إن الاعتقاد بوجود أرض غنية خصبة في أواحات الممتدة على طول
الشاطئ. سرعان ما يقبّد ويذول عند من تناح الفرصة له لرؤية سهل الجفارا
الذي استحال جانب كبير منه إلى مروج ، هي مرعى عظيم لعدد غير كبير
من الماشية ، وليس فيها سوى مساحات صغيرة مزروعة بالشعير والقمح ،
وفضلاً عن هذا تنمو أشجار الزيتون في بعض الأماكن على طول منحدرات
تلال مسلاته وسفوح جبل غريان وهي بقايا الغابات التي كان يتكون منها
في القرون الأولى من تاريخنا المصدر الرئيسي من مصادر ثروة هذا الإقليم ،
ويمكن القول بوجه عام بأن هذه البلاد تبدو عليها مظاهر الخراب والدمار
والإهمال ، وقد اقتصرَت منتجات الصادرات على كميات ضئيلة من الصوف
وعلى عدد محدود من الماشية ، وكمية من البلح وقليل من الزعفران ، وكان
سكان حكومة هذه النوبة من حضر وبدو ، في حالة بؤس شديد ،
يستلكون النذر اليسير من المصنوعات البدوية المستوردة من البلاد
الأجنبية .

على أن طرابلس كانت في جميع العصور ، بسبب موقعها الجغرافي
مركزاً مهماً للقوافل القادمة والراحلة التي تنحرك من الشاطئ إلى فزان

في الداخل ، خاصة « بورتو » ، « بورنو » ، أو « تيسني » ، « Tibesti » ، قاصدة إفريقيا
بحيرة « تشاد » ، وكانت تزخر بنشاط بعيد ، استفادت منه التجارة البحرية
مع الموانئ الإيطالية ومع ميناء مرسيليا ، تلك التجارة التي ولو أنها لم تستطع
منافسة تجارة الجزائر وتونس إلا أنها كانت تعطى ميناء طرابلس
أهمية كبيرة .

وكان هناك في طرابلس فضلا عن التجارة ، « صدر أهم من مصادره
ازدهارها وإثراء الباشا وبلاطه فيها ، وهذا المصدر هو المغامرات والغزوات
البحرية فقد اضطرت أعمال الغزو التي قام بها المغامرون الطرابلسيون
الدول الكبرى إلى أن ترسل سفناً حربية إلى طرابلس للحصول على تعويض
عن الأضرار التي وقعت لسفنها التجارية ، وكانت تلك الحملات في بعض
الأحيان مجرد مظاهرات عسكرية بسيطة لإظهار القوة وتضطر في أحيان
أخرى إلى ضرب المدينة بالقتال لكي تفرض عليها إبرام معاهدات صلح ،
تضمن حرية الملاحة والتجارة وتأمين إقامة رعاياها ، وتعيين قناصل لها
في البلاد ، وهكذا بدأ الباشوات والدايات تدريجياً في إبرام معاهدات
خاصة مع الدول الأوروبية منفصلة عن المعاهدات التي عقدتها هذه الدول
مع الباب العالي - تلك المعاهدات رغم أنها كلها من وقت لآخر وضعت حداً
لأعمال المغامرين الطرابلسيين وهكذا نشأت علاقات مستمرة بين حكومة
نائب السلطان والدول الأوروبية ، وكانت تمر بهذه العلاقات أزمات ،
كما كانت تواجه الحكومة المؤتمرات وأعمال التمرد التي كانت تتبعها وتشغل
بالها ، والتي زادت بكثرة غير معتادة حتى أواخر القرن السابع عشر
وبداية القرن الثامن عشر .

بدأت فترة اضطرابات خطيرة في الشهور الأخيرة من سنة ١٧٠٩ ضد حكومة
نائب السلطان ، فإن خليل باشا^(١) الذي خلف في أكتوبر سنة ١٧٠٩ والد

(١) حصل خليل داي في سنة ١٧٠٨ من السلطان أحمد الثالث على أمر تعيينه باشا
طرابلس ، وحل هذا القبط (من خطابات القنصل بولارد المؤرخة في ١٦ أغسطس و ١٢
سبتمبر سنة ١٧٠٨) .

زوجته محمد شبيب العن بعد أن مات بالطاعون أبعد عنه قلوب الشعب وعلى الأخص جماعات وطوائف القبولوغية في الساحل وفي المنشية^(١) بسبب شدته وجشمه في جمع المال فديرت ضده مؤامرة في الأشهر الأولى من سنة ١٧٠٩ ولكنها اكتشفت وأعدم رؤساء الحركة ومدبروها. وازداد مركز الباشا خطورة بسبب فقد سفينتين خرجنا للغزو تحت إمرة الرئيس على الأرناؤوطي^(٢) إذ قاجأتها في جنوب البحر الادرياتيكي سفن تابعة لحكومة مالطة "ordine di Malta" واضرمت فيها النيران بعد صراع عنيف، واستطاع فقط نحو أربعين من السبعين رجل الذين كانوا يركبونهما وهم خيرة قوات خليل باشا النجاة بأنفسهم من النيران، وأخذوا أسرى إلى جزيرة مالطة^(٣). وكان تضايق الطرابلسيين عظيما عند ما بلغتهم أنباء هذه الهزيمة وفكر الأسرى المسيحيون الذين كان قد سلّحهم الباشا للدفاع عنه، في الاستفادة من هذا الظرف وانتهاز الفرصة للقيام والاستيلاء على القلعة عنوة، ولكن هذا المشروع لم ينفذ بسبب تدخل القنصل الفرنسي بوللارد^(٤). ولم يمض وقت طويل على ذلك حتى هبت الثورة في ٢١ أكتوبر

(١) أطلق اسم قولوغلي على الأبناء الذين كانوا نتيجة زواج الاكتشافية من النساء الخليليات، ولقد تكونت جماعات كبيرة من القولوغية في المنشية والساحل في طرابلس وفي مصراتة والزاوية. وأجبروا على الخدمة العسكرية، وكانوا يتمتعون بامتيازات كبيرة وبعض الإعفاءات. وفي عهد الأسرة القرمانلية أطلق الاسم للدلالة على كل أولئك الذين كانوا يؤدون الخدمة العسكرية.

(٢) الرئيس على الثاني بالأرناؤوطي أي الألباني (انظر سجلات محكمة طرابلس الشرعية رقم ٣ ص ٤٠٤) هو مؤسس السجدة السنية جامع الأرناؤوط في حي بوعاشور الذي بنى ناقما.

(٣) من بين مؤلفي الرئيس محمد القرمانلي الأول الذي أشير إليه في الخطاب المرسل في أبريل سنة ١٧١٤ من أحد القرمانلي إلى الرئيس الأول لفرسان مالطة والذي نشره أ. روسي في رسالة بين رؤساء فرسان القديس يوحنا في مالطة وبيكاوات طرابلس من سنة ١٧١٤ حتى سنة ١٧٧٨ في مجلة الدراسات القرمانية جزء ١٠ ص ٤١٥ وما يليها.

(٤) خطاب قنصل فرنسا بوللارد بتاريخ ١٣ يوليو سنة ١٧٠٩ Planet Eug في مراسلات بيكاوات تونس وتنازل فرنسا مع البلاط ١٥٥٧ - ١٨٣٥ باريس. الكان سنة ١٨٩٤ جزء ٢ ص ٤٤.

عند ما خرج خليل باشا على رأس قوة من الجنود لمحاربة بعض القبائل التي تقطن داخل البلاد بسبب استيلائها على قافلة من أغني القوافل الآتية من فزان ، فأعلن رئيسان من رؤساء السفن وهما إبراهيم وقره محمد عصيانها ونادى أحدهما بنفسه دايا ونادى الثاني بنفسه ييكا واستوليا على القلعة بعد أن دافع عنها حسين أغا^(١) دفاعاً قوياً طيلة تسعة أيام ، وأسرع خليل لاختاد الثورة ولكن لم تكن لديه الشجاعة لمهاجمة المدينة ، فاضطر إلى التقهقر بسبب نخلي معظم جنوده عنه واتجه إلى شرق طرابلس لجمع قوات جديدة ولكن قره محمد لحقه وهزمه فاضطر للهرب إلى مصر . وكان إبراهيم مديناً بانتصاره لقره محمد . ومع ذلك فقد عزله من القيادة بعد بضعة أشهر وطرده من الحكومة بدافع الغيرة ، وبسبب تحريض صهره محمد قائد البحرية : عاد قره محمد من جزيرة جربة التي كان لاجئاً بها إلى زواره ثم إلى غريان حيث جمع عدداً كبيراً من أنصاره وأزعج الحكومة ازعاجاً شديداً ، واقفلت بالها ، وكان يظن أنه يعمل بالاتفاق مع عثمان الذي كان دايا لطرابلس في سنة ١٧٠١ والذي نزل مع بضع مئات من الرجال الذين جمعهم من مدينة أزميز وخيوس إلى ميناء درنة وهزم من اعترض طريقه من الجند وتقدم غرباً ولكن قره محمد بعد مغادرته الجبل ، تقدم حتى قرب تاجورامو هزمه ثم هزيمة فاضطر للفرار وذبح كثيرون^(٢) من أنصاره . أصبح محمد بعد انتصاره ، سيد الحكومة الحقيقي فاستخدم مواهبه ، وعزل إبراهيم ونفاه وفي نوفمبر سنة ١٧١٠ ، وعين بدلا منه أول الأمر اسماعيل خوجه إمام مسجد الخروبة ثم عين بعد ذلك شخصا آخر اسمه الحاج رجب وأخيراً تولى هو نفسه الحكم .

ولقد كان الداي القولو غلو الجديد هو ومعاونوه القولو غلية لا يميل إليه المواطنون الأتراك وهو يخشى على حياته الشخصية منهم ، ولذلك لم يتخذ مقره في

(١) انظر ايضاً روسي « الأخبار العربية المارابسية لابن قديون » (القرن الثامن

عشر) ترجمة وتعليق بولونا . كابل ، ص ١٢٧ وما يليها .

(٢) خطاب القنصل في لارند تاريخ ٢٨ سبتمبر ١٧١٠ .

القلعة، ولكنه استقر في بيته في المنشية حيث كان يحكم البلاد بيد من حديد ، ولقد هبت ثورتان عليه ولكنهما سرعان ما أخدنا في شيء كثير من القسوة، تلك القسوة التي خلعت قلبه لقب ابن الجن^(١). وبعد أن تخلص الداي محمد بن الجن من قره محمد الذي تخلى عنه أعوانه حتى اضطر إلى الفرار ، ومن عثمان الذي انهزم وقتل في بني وليد ، وبعد أن أعدم عددا كبيرا من كبار المواطنين ذوى النفوذ الذين اشتبه في عداوتهم له ، بعد أن تم له كل ذلك انتقل إلى القلعة حيث وقع في ليلة انتقاله نفسها، فريسة في يد أحد موظفيه وأصفياه الخازن دار محمود أبو موسى الذي أعلن نفسه دايًا^(٢).

ولما كان سكان طرابلس قد تعبوا من حكومة ظالمة غير شرعية ، فاسم صفقوا للقاتل رغم تلك الإشاعة التي ربما أذيعت عن قصد ، من أن أبامويس قد ارتكب هذه الجريمة لمصلحة خليل باشا لأنه كان يعمل سكرتيرا خاصا له وكان محل ثقته^(٣). ولقد اضطر القولوغلية وبعض انصار القنيل إلى الصمت مؤقتا انتظارا ليجري الأحداث ، على أن بعضهم لم يخف استياءه مثل أحد القرماني وهو أحد الأعيان ، وسليل إحدى الأسر التركية وكان قائدا للمنشية في عهد خليل باشا .

ويروي لنا المؤرخ ابن غلبون^(٤) أن الداي الجديد كان يخشى تجمع القرماني وكفائه فأراد التخلص منه ، ولما كان لا يجزئ على مصادره علانية وخاصة لأنه كان يخشى الشعبية التي كان يتمتع بها ذلك الرجل ، فإنه أرسله

(١) انظر خطاب الفصل مولاد للؤرخ في ١٥ يوليو ١٧١١ الذي ذكر فيه اسمه مصحوبا بـ ابن الجن كما وصفه ابن غلبون في سجل محكمة طرابلس الصربية رقم ١٢ من ١٦٦ حيث ذكر اسمه مصحوبا بـ لقب ابن الجن .

(٢) هناك مصادر أخرى تطلق عليه اسم محمد أبو أميس . انظر R. Vadafa ، و . فادالا في مقاله المتنون : رسالة من تاريخ القرمانيين باشاوات طرابلس الغرب : من سنة ١٧١٤ إلى سنة ١٨٣٥ التي نشر في مجلة المستعمرات الفرنسية عدد ٧ سنة ١٩١٩ ص ١٨٠ وانظر كذلك Plantet ، بلاتيه في الكتاب المصنف المذكور جز ٢ ص ٦٦ .

(٣) خطاب الفصل مولاد للؤرخ في ١٥ يوليو ١٧١١ .

(٤) انظر روسي ابوتوي الأخبار البرية الطرابلسية . الخ المصنف المذكور ص ١٠٨ .

إلى غريان بقصد قتله بواسطة الجنود المقيمين في تلك البلدة ، ولكن حاصراً
النبا تسرب إلى أعضاء الديوان والرؤساء العسكريين وأعيان المدينة ، أرسلوه
إلى القرماني حتى يعود إلى طرابلس للاعتراف به رئيساً وزعيماً ، وتلقى القرماني في
هذه الدعوة ، وعاد إلى المدينة في يوم الثلاثاء الموافق ٢ جمادى الثانية
سنة ١١٢٣ هجرية (٢٨ يوليو ١٧١١ م) ودخل السوق ، ونادى به سكان
الساحل والمنشبة الذين كانوا موجودين إذ ذاك وأعضاء الديوان - أميراً على
البلاد دون أية معارضة .

ويمكن سرد الأحداث التي أدت إلى تولي أحد القرماني السلطة في البلاد
صلتنا الرواية ابن غلبون ومصادر أخرى فيما يلي :

كان رؤساء القولوغلية المقيمون في الساحل والمنشبة ، وأولئك الأعيان
الطرابلسيون الذين كانوا قد قرروا طرد خليل باشا في سنة ١٧٠٩ ، على
حق كلهم في خوفهم من محمود داي أبو موسى الذي كان من صنائع خليل باشا ،
وكان يعد العدة لعودته ، وعند ما ذاع الخبر عن قرب عودة خليل باشا على
رأس قوة عسكرية كبيرة من الأتراك المسلمين ، قرروا إخلع الداي وتولية
القرماني مكانه حتى يمنعوا استعادة خليل باشا للسلطة وما يقبها من أعمال
الانتقام وثاروا في ١٧ يوليو بعد أن اتفقوا مع معظم المواطنين ومن بينهم
التاجر الغني الكبير الحاج يوسف المكنتي ، وبعض العناصر التركية ومن بينهم
الحاج يوسف بيك زوج والددة القرماني ، وبعد أن تأكدوا من تأييد عرب
والرقيعات ، لهم .

وعندما تخلى الجميع عن محمود ، ولم يشأ الوقوع في يدي منافسه ، شنق
نفسه ، وفي اليوم التالي نودي بأحمد القرماني واليا واعترف به الجميع (٣) .

(١) فيها يعلق هؤلاء ويطلق سكان طرابلس الغرب الذين ذكروا أثناء هذه الرواية
اغتر كتاب دى اجوستينو افريكو لىس وأهل طرابلس الغرب - أخبار جنسة وتاريخية
المطوع على غفة حكومة طرابلس الغرب - للكتب السياسي العسكري سنة ١٩١٩ .
(٢) خطاب الفتح لولارد للزورخ في أول أغسطس سنة ١٧١١ وبلاتيه في كتابه
السائب المذكور ص ٦٧ .



مقبرة القرمانليين في شارع السط

كانت أسرة القرماني أسرة تركية من قرمان بآسيا الصغرى استقر مؤسسها وجدها الأكبر في طرابلس الغرب على عهد محمد خيو . وأول القرمانيين الذين توجد معلومات أكيدة عنهم هو محمود الذى كان ضابطاً فى انكشارية عثمان باشا^(١) الساقولى ومنهم يوسف الذى لا يعلم عنه شئ . إلا أنه مات فى ريعان شبابه تاركاً ابنه أحمد فى سن الطفولة^(٢) ، ولقد تزوجت أرملته يوسف القرماني من الحاج يوسف الذى كان يعمل لقب بك فى عهد محمد باشا شاب العين ، والذى قام بتربية أحمد الصغير كما لو كان ابنه ، وكان أحمد القرماني يكن أعظم احترام لزوج والدته كما يبدو من اسم الأب المحترم ، الذى كان يخلمه عليه فى الوثائق الرسمية^(٣) ، كما يبدو أيضاً أنه ترك له وظيفة الداي ولو اسماً ، مع لقب شرف هو ، دولتو ، وهو لقب يعادل اللقب المستعمل الآن وهو ، صاحب السعادة . واحتفظ الحاج يوسف بهذا اللقب إلى يوم وفاته فى سنة ١٧٢٣م - ١٧٢٤م . ولقد كان أحمد القرماني يعز كل الإعزاز أخاه من أمه ورفيق صباه الحاج شعبان الذى أنجبته والدته من زوجها الحاج يوسف .

(١) يقال بأنه مدفون فى إحدى مقابر القرمانيين بشارع الشط .

(٢) انظر حاشية نسب القرماني فى حجب وقت الأسرة التى أوقفه أحمد القرماني وبيت فيها أن أباه يوسف كان قائداً ، ولم يكن باشاً كما كتب فى 'Feraud' ولا ما لـ كما يؤكد ابن غايون .

(٣) انظر بهذه المناسبة ما كتب فى معاهدة الصلح المؤرخة فى يوم ٩ شعبان سنة ١١٢٨هـ (٣٠ يوليو سنة ١٧١٦) المؤدعة بقلم محفوظات القنصلية الإنجليزية بطرابلس ، وبعد وفاة الحاج يوسف التفت وظيفة الداي نهائياً ولم يحمل أحمد القرماني وجب حقه لقب الداي مطافاً وكان يذكر فى أوامر توليته التى كانت تأتيمهم من السلطان اسم 'برهان أو ييلاريك' (وهذه العبارات معناها أمير الأمراء) وكان من حقهم أن يحملوا لقب آلباشا . وقد حلوا فى حجب المحكمة لدرعية لقب 'أمير' وحل أحمد القرماني فى مبدأ الأمر لقب 'بك' ، وذلك فى المعاهدة المؤرخة فى سنة ١٧١٦ السالفة الذكر ولقب بالمر لواء (أى قائد الجيوش البرية) ولكن عندما وصل إليه أمر التولية من السلطنة ، عند ذلك فقط حل لقب الباشوية ، ومنع لقب البيكوية إلى أخيه من أمه الحاج شعبان الذى كان حتى ذلك الوقت رئيساً للبحرية (انظر سجل محكمة طرابلس الصربية رقم ٣ ص ٦٢) .

كان أحد القرماني سنة ١٧١١ شابا يبلغ من العمر ما يقرب من خمسة وعشرين عاما^(١) يخفى تحت رقة أخلاقه وحسن معاملته ارادة قوية وحزما وعزيمة لا تعرفان التردد، وهناك رواية حملت عليها كاتبة انجليزية منذ بضع عشرات السنين، كانت لها معرفة كبيرة بالبلاد وسكانها^(٢)، تقول بأن القرماني عندما استولى على السلطة أقام في بيته الرقيق حفلة أنيقة دعا إليها عددا كبيرا من الضباط الأتراك، ولقي ثلاثمائة منهم حنظفهم فيها، وكان لا يزال يوجد حتى النصف الثاني من القرن الماضي ثل صغير بالقرب من ضريح سيدي الهاني تبدو فيه أطلال هذا المنزل الذي تمت فيه المجزرة، ويعتبر مكانا لعينا مخيفا لا يجرؤ أحد من السكان على الاقتراب منه بعد أن يرغى الليل سدوله^(٣) ولاشك في أن لهذه الرواية أصلا تاريخيا، فهي تكشف بوضوح كبير عن العلاقات المعاصرة، وعن شخصية أول أمير من أمراء الأسرة القرمانية، وتجعلنا نفهم كيف استطاع أن ينجح في التغلب على العقبات التي كانت تقف في وجهه في ذلك الوقت، وكيف استطاع الاحتفاظ بالسلطة والتربع على العرش، وأن يثبت عليه ويورثه لأبنائه وسلالته. وكان هذا المشروع جريئا إلى أبعد حد، فإن الثورات المختلفة أوقعت الخراب والدمار الاقتصادي بحكومة الولاية وتحوات مدينة طرابلس إلى وكر للاشرار والغنلة، ورفضت قبائل البلاد الداخلية المنتمدة دفع الجزية المعتادة، كما زادت الصعوبات مع الدول الأوروبية وعلى الأخص مع فرنسا التي استنكرت الاعتداء على قنصلها في منزله، ونقصت قوات البلاد البحرية والبرية^(٤).

(١) خطاب القنصل بولارد للورخ في أول أغسطس سنة ١٧١١.

(٢) تولى ريتشارد في كتابه «قصة إقامة عشر سنوات في طرابلس بأفريقيا» من الدراسة الأصلية لهذه تولى ريتشارد القنصل البريطاني سندن سنة ١٨١٧ ترجمة مك كالوني. باسم «رحلة طرابلس» أو تقرير عن إقامة عشر سنوات في أفريقيا. — مارس مطبعة مويج ابنه سنة ١٨١٩ ص ٧٣ وما يليها.

(٣) ل. ش. فبو: «حواليات طرابلس المنشور مع مقصدة وتعليقات بلغم اجوسين برنارد — تونس، تورنيه، باريس، فوييت» سنة ١٩٢٧ ص ٢١٣ — ٢١٤.

(٤) خطاب القنصل «أكسيلي Expilli» للورخ في ٢٠ سبتمبر سنة ١٧١١.

ولا يدعشنا أن نرى بعض المراقبين غير السطحين ، مثل قناصل الدول الأوروبية المختلفة ، الذين كانوا موجودين إذ ذاك في طرابلس ، يتوقعون قرب نهاية البك الشاب ما عدا القنصل الفرنسي بوللارد الذي كان الشخص الوحيد الذي لاحظ^(١) أن القرماني قد وصل إلى السلطة بتأييد عرب الجبل ، وأن هذا الأمر يعتبر حدثا جديدا في تاريخ الولاية . حكومة نيابة الغرب .

ولكنه لاحظ أن أحمد القرماني لم يستجد بسكان الجبل لتثبيت دعائم عرشه ، بل أنه استطاع ذلك بفضل طوائف القولوغاية التي كانت كفتها راجحة في المنشبة والساحل الطرابلسي والتي أعانت على معارضيه . وقد جاء أول تهديد للقرماني من خليل باشا .

فإن هذا الرجل الذي لجأ إلى القسطنطينية ، نجح في اقناع الباب العالي بأن الشعب الطرابلسي على استعداد لاستقباله كمحرر بعد أن أنعبته تلك الغوضى الدامية التي تسود البلاد منذ عدة سنوات والتي تستنزف مواردها ، وحصل على أمر بأن ترافقه حملة بحرية تركية إلى طرابلس .

وصلت هذه الحملة إلى ليد في يوم ٥ أغسطس سنة ١٧١١ وانتشر خبر وصولها في طرابلس ، وأحدث اضطرابا كبيرا .

لم يفقد أحمد القرماني شجاعته وأعد المدينة للدفاع ، وعسكر بجنوده بين أسوار المدينة والمنشبة وبقي في انتظار الأحداث .

وفي اليوم السادس من ذلك الشهر ، ألقت سفينة الاميراليه وثلاث سفن أخرى مراسيها أمام القلعة ، ونزل سكرتير القائد إلى البر وتوجه إلى معسكر البك ، وأبلغه أمر السلطان باستقبال خليل باشا بصفته باشا طرابلس الغرب وفي اليوم الثاني ، اجتمع في القلعة أمام الديوان كل أفراد الطائفة^(٢)

(١) خطاب القنصل بوللارد Poullard ، للزوج في ١٢ أغسطس سنة ١٧١١ .

(٢) كلمة « مائة » معناها المرقى عامة أو جمية أو حزب وهي كلمة شائعة الاستعمال

وقد استعملها مؤرخو أفريقيا الحديثة للدلالة على طوائف رؤساء السفن .

والرؤساء العسكريون بحضور مندوب السلطان الذى أعلن الأمر السلطاني وأقسم بأن خليل باشا سيدخل المدينة بالقوة في حالة حدوث أية مقاومة .

أما ما حدث بعد ذلك فغير واضح ، إذ على أثر تبادل كثير من الرسائل بين القرماني والاميرال التركي والمندوب ، أقلمت الحملة التركية فجأة في عصر اليوم الحادى عشر من أغسطس نحو الغرب . فاعتقد الناس جميعا أن خليل باشا انتهى أمره من الآن فصاعدا ، وانتشرت إشاعة لتعجيل سلوك الاميرال والمندوب ، تقول بأن الأمر بإعادة خليل باشا إلى السلطة كان قد صدر من رئيس الوزراء وليس من السلطان ، وأن مثل هذا الأمر لا يبيح على أية حال استعمال القوة . ولم يكن القرماني متأكدا من خلاصه من الخطر ، ولذلك فإنه أمر سفينتين طرابلسيتين بتتبع السفن التركية وانفلاء أثرها ، وأمرها بأن لا يجعلها تنهب عن نظرها ، وأن توافيا بخبر أية محاولة تصدر منها للرسو في أى مكان ، ثم أرسل فرقة من الفرسان إلى صبراته^(١) لمنهها من ذلك .

وفي صباح اليوم الثانى عشر علم أحمد القرماني أن السفن قد ألقت مراسيا أمام زواره . وأن خليل باشا نزل إلى البر ومعه حوالى مائتين من أنصاره ومئتمائة رجل من رجال السفن بقيادة مندوب الباب العالي . وأنه حفر الخنادق واعتصم بها في مواقع معينة على مقربة من صبراته .

وفي يوم ٢٢ أغسطس أبدت السفن التركية التى كانت تسير بحذاء الشاطئ ، ما يدل على رغبتها في مساعدة القوات التى نزلت إلى البر ، فرفعت علم القتال ، وأطلقت بعض طلقات المدافع على كتيبة الفرسان الطرابلسية . لم يكن كل ذلك إلا مظاهرة لا جدوى منها ، واستمراضا لا فائدة فيه ، لأن قوات القرماني عندما جاءت في يوم ٢٧ أغسطس لمواجهة الغازي ، ترك رجال السفن التركية خليل باشا الذى قتل بعد أن تشدت شمل أنصاره

(١) خطاب الاتصال بوالارد للأورخ في ١٧ أغسطس سنة ١٧١١ .

وقتل معظمهم ، ورفعت رأسه فوق إحدى الحراب وحملت إلى طرابلس ، وبعد أن عرضت لسخرية الجمهور دفنت في مقبرة سيدى حمودة ، وأبحر رجال السفن التركية ونحسوا بحياتهم ، وأفلتت السفن الحربية إلى القسطنطينية^(١) .

لم يضع الانتصار على خليل باشا نهاية لمصاعب أحمد القرماني ومتاعبه ، فقد كان البؤس والفقر منتشرين في كل مكان في ظل الحكومة ، في حين أن سكان البلاد الداخلية كانوا يرفضون دفع الجزية المعتادة ، أما سكان المدن فقد تظاهروا وأحدثوا كثيراً من أعمال الشغب ، وأبدوا لملهم معرفة الأخبار الجديدة كما لو كانوا يستطيعون تغيير الحاكم الحصول على علاج لآلامهم ومصائبهم . ولما كان القرماني معوزة النقود ، ولا يوجد تحت تصرفه إلا قوات عسكرية ضئيلة ، إذ كان لا يزيد كل ما لديه منها على أربعة آلاف رجل بين مشاة وفرسان ، وسفيلتين تحمل كل منهما خمسين مدناً وخمسة مراكب (غلايين) ، لذلك بدا للجميع أنه لا بد ملاق مصير من سبقوه من الحكام^(٢) ، وكان هذا رأى الكثيرين وهو الرأى الذى رددته القناصل الأوروبية في رسائلهم إلى حكوماتهم أنه لن يبقى قابضاً على زمام السلطة زمناً طويلاً ولكن رغم كل ما كان يتوقعه الجميع ، فإن ذكاء اليك الشاب ، وما كان يتصف به من حاسة ومقدرة ودهاء ، قد مكّنه من التغلب على جميع العقبات والصعوبات ، فأخذ كل محاولة لاثارة الفتن والنرد ، فكان يعدم كل من يرتكب الإجرام ، أو يكون موضع شبهة مهما كان شأنه ومن يتأمر ضده^(٣) ، وكان يسعى للحصول على اعتراف السلطان به ، رغبة منه

(١) خطاب القنصل بولنارد للأورخ في ٣٠ أغسطس سنة ١٧١١ ، وتقول الروايات المحلية التي يرويها سكان زواره وصبراته أن خليل باشا قد دفن على مقبرة من هذه البلدة الأخيرة ، وما يثبت أن هذه الرواية أصدق من رواية سكان طرابلس أنه عندما هدمت مقبرة سيدى حمودة في سنة ١٩٣٢ ونقلت المقبرة التي قيل عنها أنها مقبرة خليل باشا إلى مسجد سيدى درغوث لوسط أنها تحتوي على هيكل عظمي كاد وليس على حجمة .

(٢) خطاب قنصل فرنسا اكيبلى للأورخ في ٢٠ سبتمبر سنة ١٧١١ .

(٣) خطاب القنصل « اكيبلى Expilli » للأورخ في ٢٩ يوليو سنة ١٧١٢ .

في وضع أساس متين لحكومته وزيادة في توطيد سلطته، ولذلك أرسل وفدا رسمياً إلى القسطنطينية لتبرير مقتل خليل باشا الذي قال عنه أنه وقع فريسة لكرهية سكان الإقليم له وطالب بالاعتراف به واليا على طرابلس وكان لإعلانه الولاء للسلطان مصحوباً بارسال كمية من الهدايا الثمينة، وبمظاهرات علنية كالمهرجانات الكبرى التي أقامها في ١٢ يناير سنة ١٧١٢م بمناسبة وصول أخبار الانتصارات التي أحرزها رئيس الوزراء منذ ستة أشهر عندما صد الجيش الروسي، الذي أرسله بطرس الأكبر، في معركة «بروث Pruth» وهزمه^(١).

وبدا أن مشروعه قدر له النشل أول الأمر على الأقل، إذ وصل في يوم ٢٨ يوليو سنة ١٧١٢ إلى طرابلس محمد باشا المعروف باسم جاتم خوجه. وكان كبير القباطنة وقال أنه يحمل أمراً من السلطان بالاستيلاء على الحكومة وصرح بأن أسطولاً تركياً على أهبة الاستعداد للابحار من القسطنطينية في طريقه إلى طرابلس إذا ما وجد معارضة له، فأظهر القرماني أنه يخضع لأمر السلطان، ودعاه للنزول إلى البر للاستيلاء على القلعة، ولكن بمجرد أن وافق ذلك الرجل على الدعوة ودخل المدينة، وضعه القرماني في منزل خاص بعد أن ترك لخدمته عشرة رجال من حاشيته فقط، ووزع الآخرين على جهات مختلفة، ثم وضعه تحت المراقبة والحراسة، بعد أن منعه من كل اتصال بأي مواطن، ولقد منع القنصل الفرنسي اكسبلي من الاتصال به وكان السفير الفرنسي في القسطنطينية قد أرسل إليه تلميحات باستقبال محمد باشا استقبالا ودياً، وكذلك صدر أمر بحجز جميع السفن التي كانت موجودة في الميناء عن السفر، لمنع وصول أي خبر عما حدث إلى القسطنطينية^(٢).

وقد حدثت سلسلة من الظروف الحسنة أدت إلى ازدياد قوة القرماني وزيادة هيئته ومكانته، فقد قدم قائد إحدى سفن جنوه باسم جمهوريته

(١) خطاب القنصل اكسبلي المؤرخ في ٢٤ يناير سنة ١٧١٢

(٢) خطاب القنصل اكسبلي المؤرخ في ١٢ أغسطس سنة ١٧١٢.

مقترحات بعقد الصلح في شهر أغسطس من تلك السنة وأعلن القرماني استعداده لقبولها إذا دفعت له جنوا مبلغ أربعة آلاف زكيني في كل سنة ، و سلمت إليه سفينة بها ستة وخمسون مدفعاً فضلاً عن كيات من البارود والذخائر^(١) .

وفي أوائل شهر سبتمبر بينما كان أحمد القرماني يستعد للتحرك على رأس خمسة آلاف رجل من أتباعه لإخضاع القبائل المقيمة في داخل البلاد التي رفضت الاعتراف بسلطته ، وصلت إلى مياه طرابلس ثلاث سفن هولندية بقيادة نائب الأميرال ديترسن Petersen ، الذي كان مكلفاً بتجديد المعاهدة المبرمة بين هولندا وطرابلس في سنة ١٦٨٣ ، وقدم كثيراً من الهدايا الثمينة وأربعة مدافع من البرونز وخمسة قناطير من البارود^(٢) .

وقد تمكن القرماني في معركته ضد المتمردين من صدم وإعادة الهدوء والطمأنينة في الأقاليم القريبة من طرابلس ، وأعدم كل من كان يشتبه في أنهم من أنصار المطالب بالعرش^(٣) لكي يمنع احتمال وقوع أية مؤامرة ضده .

وأثارت مجاعة الشتاء التالي اضطرابات جديدة ، فتقدمت جماعة من الفرسان الثوار في شهر مايو حتى وصلت قرب أسوار المدينة ، على أمل أن يشور المواطنون لمناصرة محمد باشا ، ولكن القرماني أحاط بحيلوشه المنزل الذي كن موضوعاً تحت الحراسة ، وأخطر محمد باشا بأنه أمر بإعادة رجاله الذين لا يقومون بتجديده المباشرة إلى سفنهم ، ولكنهم في الواقع سبقوا إلى سفينة القيادة ، وعندما وصل قائدوها إلى أعالي البحار أعدتهم جميعاً زولاً على التعليمات التي تلقاها ، بحجة أنهم حاولوا التمرد والعصيان^(٤) ثم أبعده محمد باشا من البلاد للقضاء على كل حجة للتمرد والعصيان ، وعندما أرسل الباب

(١) خطابات القنصل اكسبلي المؤرخة في ١٠ و ٢٠ أغسطس سنة ١٧١٢ .

(٢) خطاب القنصل اكسبلي المؤرخ في ١٢ سبتمبر سنة ١٧١٢ . بلاتليه - الكتائب السالف الذكر ص ١٣ .

(٣) خطاب القنصل اكسبلي المؤرخ في ١٠ ديسمبر سنة ١٧١٢ .

(٤) خطاب القنصل اكسبلي المؤرخ في ٢٤ مايو سنة ١٧١٣ .

العالى من يحل محله ، ووصل « بشير باشا » إلى طرابلس ففتح القرمانيلى نزوله إلى البر^(١)

وعندما استولى أحد القرمانيلى من سيطرته على المدينة من الآن فصاعداً ، استطاع فرض سلطته حتى على سكان البلاد الداخلية :

وفى شهر يوليو هاجم فجأة سكان ناجوراء واضطرم لدفع جزية قيمتها ٨٠٠٠٠ قرش^(٢) .

ولم يكن أخوه الحاج شعبان يك محظوظاً مثله ، حين هاجم على رأس فرقة من القرمانيلى ، بعض المتمردين^(٣) .

وبما زاد الموقف سوءاً وقوع بعض الحوادث العادية مع الدول الأوربية بسبب أعمال بعض غزاة البحر من الطرابلسيين ، فقد أسر رئيس سفينة من سفن المغامرين سفينة فرنسية محملة بالزيت وقادها إلى ميناء طرابلس . فطالب فتصل فرنسا برد تلك السفينة ، وعندما لم يجب إلى طلبه صدر الأمر إلى القبطان « ابرام كويزن دى مونييه Abramo da Quesne — Monnier » قائد البارجة الفرنسية لا ديامان Le Diamant ، بالنزوح إلى طرابلس للبطالة بالسفينة وحولتها وعقاب « الرئيس » المذنب^(٤) .

وفى ٢١ يوليو سنة ١٧١٤ وصل القائد الفرنسى إلى ميناء طرابلس وانصل بالقرمانيلى ، وأبلغه الأوامر التى تلقاها ، فأعلن القرمانيلى أنه مستعد لإرضاء ملك فرنسا ، وذكر أن أحوال الحكومة تحول فى الوقت الحاضر دون

(١) وائد هول شى هذه اللامعة فى سنة ١٧١٦ مندوب آخر موقد من قبيل الباب للعالى يدعى محمد مكر باشا .

(٢) خطاب الفصل ا كسبلى المؤرخ فى ١٠ يوليو سنة ١٧١٣ وعندما يشجع الاتصال بالأوربيون فى مراسلاتهم إلى مبالغ بالفروش أو القروش الكبيرة لما يقصدون القروش الإسبانية التى يطلق عليها أيضاً اسم يوزو قرونيه أو يوزو دورو Peso Fuerte أو Peso Duro فى المرفق التجارى وهو يساوى ٤٣ رة ليرة إيطالية من ليرات ما قبل الحرب .

(٣) خطاب الفصل ا كسبلى المؤرخ فى ٢٨ أغسطس سنة ١٧١٣ .

(٤) ٩ . بلائيه السالف الذكر من ٨١ — ٨٢ .

دفع أى مبلغ من المال ، ولو كان زهيداً ، ودعا القبطان دى كوزن مونييه Du Queane-Monnier إلى أن يتحقق بنفسه من ذلك بمشاهدة حال البلد ، وبعد أن طالب دى كوزن Du Queane بعض الرهائن وأخذهم إلى البارجة ، نزل مع بعض ضباطه إلى البر وتوجه إلى القلعة حيث استقبله البيك ووعده بدفع قيمة حمولة السفينة التى سلبت حسب التقدير الذى عمل بها فى مرسيليا ، كما وعد بإرسال أحد أعضاء الديوان كسفير إلى باريس ليقدم للملك فرنسا جواداً وحيوانات من حيوانات البلاد كالغزلان والنعام وكلاب الصيد (السلوق) .

اضطر دى كوزن مونييه للاكتفاء بهذه الوعود ، وأقلع بإرجته نحو ميناء طولون فى يوم ٢١ يوليو .

وفى يوم ١٧ أكتوبر سافر مندوب البيك بدوره إلى فرنسا حيث استقبل استقبالاً حافلاً ، إذ استقبله فى القصر الملكى لويس الرابع عشر ملك فرنسا العجوز ، وعاد إلى طرابلس فى شهر يونيه التالى ، يحمل هدايا ثمينة إلى سيده^(١)

وكذلك كان الحال بالنسبة للسلطان أحمد الثالث ، الذى سر من إعلان الاخلاص والولاء ، وأكثر من ذلك من الهدايا الثمينة التى أرسلت إليه ، فقبل الاعتراف بالقرماني ، وأرسل إليه بارجتين بكامل أطقمهما ومعدانتهما ، كانت الأولى تحمل ثلاثين مدفعاً أخذت من فرسان مالطة ، والثانية أربعين مدفعاً أخذت من حكومة البندقية ، ووصلت هذه الهدية فى الوقت المناسب لأن القوات البحرية التى كانت تحت تصرف البيك كانت قد تضاءلت إلى حد كبير بسبب سوء حالة السفن وعدم كفاية استعدادها^(٢) .

(١) انظر ر. ميكاكى — العلاقات بين مملكة فرنسا وبابية طرابلس الغرب فى النصف الأول من القرن الثامن عشر — مجلة المستعمرات الإيطالية سنة ١٩٣٤ عدد ٢ ص ٧٠-٧١ .

(٢) خطاب القنصل اكبلى المؤرخ فى ١٥ أكتوبر سنة ١٧١٤ .

مرت مهارة القرماني وعناده بتجربة شديدة في ذلك الوقت، إذ هبت ثورة في سنة ١٧١٢ تزعمها علي بن عبد الله بن عبد النبي الملقب بأبي قبله Abu Gilah^(١) وكان من أصل مراكشي أقام منذ آمد طويل في طرابلس، واجتاز الإقليم الشرقي حتى هضبة برقة بعد أن تلقب باسم المهدي وجمع حوله كثيرين من الأنصار وأثار حركة ذات خطر كبير، انتشرت انتشاراً واسعاً، حتى أن القرماني رأى أنه من اللازم أن يقوم هو بنفسه على رأس جيوشه لإخماد هذه الثورة، وفي سرت، على مسافات غير بعيدة من مرسى الزعفران، استطاع أن يباغت ليلًا خيام المتمردين الثائرين، واستطاع قتلون ومنهم المهدي المزعوم، المهرب بعد أن تركوا غنائم كبيرة بين يدي المنتصر.

وقد شجعت هذه الثورة التي وصلت أخبارها إلى أقصى البلاد الداخلية في طرابلس سلطان فزان، محمد ناصر، لكي يعلن انفصاله عن تبعيته لباشا طرابلس، ويرفض دفع الجزية الباهظة التي كان عليه أن يدفعها.

ولم يشأ القرماني عندئذ أن يضع شيئاً من الوقت، فترك حكومة طرابلس في يد شقيقه لأمه الحاج شعبان، ودخل الميدان مع جنوده الذين كانوا مئتين شجاعة وحاسة من الانتصار الأخير، وسرعان ما تم له احتلال فزان وحوصرت مدينة مرزق، واضطر محمد ناصر إلى التماس الصلح بعد أن تعهد بدفع الجزية، وظهر أحمد القرماني بمظهر الرحيم وقبل ما قدمه له، ثم عاد إلى طرابلس^(٢) في نوفمبر سنة ١٧١٦.

شعر أحمد القرماني منذ ذلك الوقت بتوطيد دعائم عرشه فبدأ بيب

(١) انظر ر. دادالي كتابه المذكور ص ١٨٢ أ. روسي والأخبار العربية الطرابلسية. الخ السائب المذكور ص ١٦١.

(٢) ذكر ملخص عن الحوادث التي وقعت في فزان أثناء حكم أحمد القرماني — في كتاب موجز أخبار طرابلس الغرب Histoire abrégée de Tripolis de Barbarie مستخرج من محفوظات حكومة ولاية التراب ترجمة «أ. س. فرومان دي شاب لا جورد». فصل فرنسا في هذا البلد سنة ١٧٩٤ — ١١٣ مكتبة مائعة.

تنظيم الدولة . وأظهر صلابة بالنسبة للدول الأوروبية وقدم بعض مطالب جديدة ، وكان قد طلب من قنصل هولندا قبل ذلك في أغسطس سنة ١٧١٤ مبلغاً يزيد على المبلغ الذي كان أسلافه يدفعونه عند استلام مهام وظائفهم كقناصل في طرابلس ، وعندما وصلت بعد ذلك في يولييه سنة ١٧١٦ إلى مياه طرابلس حملة بحرية بريطانية بقيادة نائب الأميرال . بيكر Baker ، المكلف بتأييد معاهدة الصلح المعقودة بين إنجلترا والحكومة^(١) . طلب القرماني أن تسلم إليه الهدايا المعتادة ، ولما استنكر ذلك الطلب ، منع إمداد الأسطول بالمؤن ، واكتفى فقط بتقديم ما يلزم من المياه الصالحة للشرب^(٢) .

ولم يذهب هذا التصرف هباء ، إذ وصلت في العام التالي فرقاطة إنجليزية تحمل إليه الهدايا التي كان ينتظرها ، وكانت هذه الهدايا تشتمل على ٨٠ برميلا من البارود وكمية من الساعات والأفنة القيمة ... إلخ^(٣) .
وفضلاً عن ذلك فإن أحمد القرماني عرف كيف يستفيد دائماً من التنافس الذي كان سائداً بين قناصل الدول الأوروبية ، ولو بطريقة غير سافرة ، إذ كان يبنى بعضهم بالوعود ، ويحسن معاملة هذا ساعة ، والآخر ساعة أخرى ، حسب الفائدة التي كان يستطيع الحصول عليها من ذلك . ولم يكن نطاق نشاطه السياسي في الواقع يبدو مخالفاً للنشاط السياسي الذي كان يمارسه الأمراء الشرقيون الآخرون ، ويمكن القول في الحقيقة - أنه بفضل سعة أفقه وأبعيته عرف كيف يتخذ المسلك الأكثر ملاءمة ، فكان يظهر مرة صلباً وأخرى متساهلاً ومرة بخيلاً وأخرى كريماً . وعندما كانت تحدث منه أية مخالفة لمعاهدات الصلح ، كان يرد على احتجاجات القناصل بتفسيرات ومبررات ماهرة للمعاهدات نفسها لم تكن لتخطر بالبال

(١) هذه المعاهدة هي معاهدة ٩ شعبان ١١٢٨ هجرية (الوافق ٣٠ يولييه سنة ١٧١٦)

الشار إليها في الصفحة ١١ حاشية ٣ .

(٢) خطاب القنصل اكسبلي المؤرخ في ٢٥ أغسطس ١٧١٦

(٣) خطاب القنصل اكسبلي المؤرخ في أول يولييه سنة ١٧١٧ .

وكان يبرر مسامكة هذا بالاستناد إلى قرارات الديوان ، وبعد بمعاينة المذنبين وإعادة الغنائم محاولاً قبل كل شيء المهادلة واكتساب الوقت ، كذلك كان ماهراً في التوجيه إذ كان يضل كل قنصل من القناصل ، وبرمه بأنه موال لدولته ، ولكنه مهما يكن الشيء الذي يفكر فيه هؤلاء ، ويكتبه كل منهم إلى حكومته ، فإن القرماني كان يمينهم بالوعد ، وكان يتحيز لهم فقط فيما كان يتفق مع أغراضه وحدها .

وكان سيموني ترافرسو Simon Traverso مستشار القرماني الذي يثق به ويستمتع لنصائحه في ذلك الوقت رجلاً إيطالياً من مدينة جنوا استقر في طرابلس ، وأقام بها بسبب أعماله التجارية . وقد أثار هذا الرجل بحصوله على جوازات سفر من القنصل الإنجليزى لسفن جنوا والبندقية ، التي كانت تأتي لشحن الملح الحجري من غرب ، زواره ، احتجاجات قنصل فرنسا ، الذي كان يدعى أنه بمقتضى إتفاقية سنة ١٦٩٩ كان يجب على جميع الكاثوليك المقيمين في أرض حكومات نيابة الغرب ، أن يضعوا أنفسهم تحت حماية الملك المسيحي «الصميم»^(١) . ولكن البيك أى القرماني - رد على طلبات القنصل - بعد أخذ رأى الديوان أيضاً - بالإعتراف للكاثوليك بحق وضع أنفسهم تحت حماية الذين يوافقون على أن يكونوا تحت حمايته^(٢) . فقام القنصل اكسبلى بعمل حازم ، إذ أزل العلم ، وأمر السفن الفرنسية بعدم شحن بضائع تجار الحكومة . وأذاع خبر استعداد أسطول بحرى في طولون للحضور إلى طرابلس ، لتجديد معاهدة الصلح ، الأمر الذى جعل القرماني يبتو أكثر مسالمة . وعندما جاء الخبر بأن السفينة « سان بير » Saint Pierre ، التي شحنها التجار الطرابلسيون قد وقعت غنيمة في قبضة قارب مسلح من قوارب مدينة نابولى ، وافقت إلى « ريجيو Reggio » ، نشبت في مدينة طرابلس اضطرابات خطيرة ،

(١) بقصد ملك فرنسا (الراجع)

(٢) خطاب القنصل اكسبلى المؤرخ في ١٨ يناير سنة ١٧١٧

وكاد القنصل اكيبلى يذهب ضحية غضب الشعب لو لم يتداركه
البيك بالحماية .

وكانت الأحوال في البلاد أثناء ذلك قد أخذت في التحسن ، إذ جاءت
بضع سنوات كانت المحاصيل الزراعية فيها طيبة ، كما أن حاكم فزان قام بدفع
الجزية عن السنة الحالية والسنوات السابقة ، تلك الجزية التي كانت تعد
مبلغاً كبيراً ، الأمر الذي جعل القرمانلى في حالة تسمح له بمواجهة
التهديدات^(١) التي تعهد بها على نفسه - وأخيراً تم اعتراف السلطان سلطته
في الحكومة ومنحه لقب الباشوية^(٢) .

ومع هذا فإن الهدوء والاستقرار لم يدوما في البلاد طويلاً ، إذ أن
الباشا اضطر في عام ١٧١٩ للقيام بحملة جديدة على فزان ، فقد توفي
محمد ناصر الدين وخلفه ابنه أحمد ورفض دفع الجزية . ولم تنجح هذه الحملة
التي كانت تتألف من قوات غير كافية في التغلب على الدفاع الذي أعده
الحاكم المتمرد^(٣) .

وفي تلك السنة تارك كل من إبراهيم الترياقى وعلى بن خليل الأدغم من
رؤساء قوات الجند المرسلة إلى ولاية برقة ، وحاولا الاستيلاء على السلطة
بالقوات التي كانت تحت قيادتهما ، وتحركا من مدينة درنة نحو الغرب وألحقا
القبائل بالاشتراك معهما ، وانحازت طوائف القبولوغية في مصراته والتي
كان ينتسب إليها على بن خليل الأدغم ، إلى جانب الثائرين .

وهكذا قوى الثائران ، وزحفا على طول الشاطئ نحو طرابلس ،
ولكنهما انهزما بالقرب من تاجوراء شر هزيمة على يد فرسان الباشا^(٤) .

وفي الوقت نفسه تقريباً نزل إلى البر في برقة ، محمد باشا (غانوم خوجه)
الذي كان شديد الرغبة في الانتقام من تلك الإهانة التي لحقت في طرابلس

(١) خطاب القنصل اكيبلى المؤرخ ١٨ يونيو سنة ١٧١٨

(٢) خطاب القنصل اكيبلى المؤرخ ٥ مارس سنة ١٧١٨

(٣) خطاب القنصل اكيبلى المؤرخ ٢ يونيو سنة ١٧١٩

(٤) أ . روسي وأخبار العربية .. الخ السالفة الذكر ص ١٦٣ و ١٦٤

عام ١٧١٢ ، ونجح في إثارة أهالي بنغازي ودرنة ، وامتدت الثورة إلى مصراته^(١) .

ولما كان الباشا يفهم أنه يجب عليه أن يوجه كل قواته لإخماد تلك الثورة حاول أن يتي على العلاقات الودية والسلام مع الدول الأوروبية الكبرى ، وعلى الأخص فرنسا .

ولما كانت علاقاته مع القنصل اكسبيللي قد توترت ، وأخذت تزداد سوءاً يوماً بعد يوم ، وكان الفرمانلي يرى فيه عائقاً لاستقبال السلام ، فقد طلب بواسطة سفيره محمد خوجه أفندي الذي كان قد أرسله إلى فرنسا في شهر يونيه سنة ١٧١٩ لتجديد معاهدة سنة ١٦٩٣ ، استدعاء هذا القنصل وقد قوبل السفير الطرابلسي بمقابلة حسنة في فرنسا ، واستقبل في البلاط ، واجتمع بأعضاء مجلس البحرية ، وفي نهاية مارس سنة ١٧٢٠ عاد إلى طرابلس يحمل خطاباً من الملك ، وخطاباً آخر من مجلس البحرية إلى الباشا^(٢) . وظهرت آثار هذه السفارة سريعاً ، إذ أنه قبل أن يعود محمد خوجه إلى طرابلس وصل خبر مؤداه أن التجار الطرابلسيين الذين أسروا واقتيدوا إلى مدينة رجيو Reggio على أثر الاستيلاء على السفينة (سان بيير Saint Pierre) قد أخرج عنهم ، وأن ديونيجي دوسولت Dionigi Dusault الذي كان مفوضاً في صلح سنة ١٦٩٣ سيأتي لتجديد المعاهدة .

ووصل دوسولت إلى طرابلس في ٢٦ مايو سنة ١٧٢٠ واستقبله الفرمانلي هو وكبار موظفي حكومته في اليوم التالي لوصوله باحتفال عظيم . ولم تبدأ المفاوضات في الحال ، واستفاد القنصل اكسبيللي من ذلك ، وقدم مذكرتين إلى دوسولت ، إحداهما خاصة بالمبالغ التي كان الباشا مديناً

(١) خطاب القنصل اكسبيللي المؤرخ في ١٨ يناير سنة ١٧٢٠

(٢) خطاب القنصل اكسبيللي المؤرخ في ١ مارس سنة ١٧٢٠ ومذكرات عن رحلة محمد أفندي مندوب طرابلس سنة ١٧١٢ (المجلد الرابع) من الرسائل القنصلية لطرابلس الغرب والودعة في محفوظات وزارة الخارجية في باريس (انظر للراجع)

بها لملك فرنسا والرايا الفرنسيين والتي أخذت بدون مبرر، والثانية يقترح فيها القنصل لإدخال بعض تعديلات على معاهدة سنة ١٦٩٣، ولكن دوسولت لم يمر المذكرتين أى اهتمام، وليس هذا لحسب بل انه أيضاً لم يشرك القنصل في المفاوضات التي جرت مباشرة بينه وبين الباشا، وأبدى دوسولت تسامحاً كبيراً، إذ تنازل عن المطالبة بما كان القرماني قد وعد به أكثر من مرة.

وهكذا فإنه بعد جلستين اثنتين دون غيرهما، تم إبرام المعاهدة الجديدة التي كانت - في جوهرها - صورة من المعاهدة السابقة، بعد إضافة بعض التدابير مثل النص بأن الرهبان السكابوسان Cappuccini وبقية رجال الإرساليات الدينية في طرابلس يجب الاعتراف بهم ومعاملتهم منذ الآن فصاعداً كرايا ملك فرنسا الذين يشملهم بحمايته.

وتم إبرام المعاهدة حسب المراسيم والاحتفالات المعتادة في يوم ٤ يولي، ولكن الطرفين لم يوقعوا عليها. ولما عاد دوسولت في اليوم التالي إلى القلعة ليحضر حفل التوقيع، أخبره الباشا أنه لن يوقع على هذه الاتفاقية إذا لم تشمل على نص آخر يتضمن تحمل ملك فرنسا المسؤولية عما يقع في المستقبل للتجار الطرابلسيين الذين يبحرون على السفن الفرنسية، بسبب خطأ سفن دول حلفاء فرنسا، أو الدول التي على وفاق معها.

وعندئذ اضطر دوسولت لقبول شرط الباشا ووافق على إضافة مادة جديدة تفيد قبوله الاقتراح، وتنص على أن الباشا بدوره والديوان يتحملان نفس المسؤولية عن التجار الفرنسيين الذين يبحرون على السفن الطرابلسية، والذين تقع عليهم أضرار بسبب خطأ السفن التابعة للدول التي ترتبط مع الحكومة بمعاهدات صلح^(١).

(١) فيما يتعلق بالمفاوضات التي قام بها دوسولت وعن موقفه من القنصل اكييلي راجع أ. مكاي العلاقات ... الخ السالفة الذكر ص ٧٥-٧٧

وفي يوم ٣١ يوليو سافر دوسولت من طرابلس بعد أن تمت مهمته ، أما القنصل اكسبيللي الذي شعر بالاحترار والمهانة من معاملة دوسولت وعدم الأخذ بنصائحه ، فقد حاول الانتقام لنفسه بإضعاف الثقة بعمل دوسولت ، ذاكرًا أن المعاهدة عقدت لصالح الباشا رحمه^(١) .

وعلى كل حال فقد وافقت الحكومة الفرنسية على معاهدة ٤ يوليو سنة ١٧٢٠ التي أبرمها دوسولت^(٢) . وأرسلت في شهر سبتمبر من السنة ذاتها حملة بقيادة ماركيز دلافارين La Varenne لضمان تنفيذها ، ووصلت السفن إلى مياه طرابلس في يوم ١٤ سبتمبر ، وجرت تحتها حسب ما نصت عليه المعاهدة ، بإطلاق ٢٩ طلقة مدفع من القلعة ومن الحصون ، وحصل القومندان على أمر بأنه يجب إطلاق سراح السفن الفرنسية الموجودة في الميناء في الحال ، بمجرد تسليم الباشا كمية البارود التي وعده بها دوسولت ، وبعد أربعة أيام فقط أقفل القومندان بسفنه^(٣) .

وفي السنوات التي تلت الصلح المبرم في ٤ يوليو سنة ١٧٢٠ ، بقيت العلاقات بين الحكومة والدول الأوروبية على خير ما يرام ، فقد وقعت بعض الحوادث ، ولكن عمل القناصل كان كافياً لاحترام مصالح وكرامة الحكومات التي كانوا يمثلونها .

وفي شهر فبراير من عام ١٧٢١ ذاعت إشاعة مؤداها أن بعض الأسرى الطرابلسيين الذين كانوا موجودين في ميناء « المدينة القديمة بروما » ومن بينهم أحد القضاة الشرعيين قد أدينوا وضربوا بالعصى ، فغضب أهالي طرابلس وثاروا على قساوسة الإرساليات الدنيئة الذين سجنوا في الزرف السفلى الموجودة تحت بناء القلعة ، ولكن سرعان ما أطلق سراحهم ، وحصلوا على أمر بممارسة نشاطهم الديني في الكنيسة التي كان قد تم إغلاقها ، وذلك

(١) خطابا التتمل اكسبيللي الأورغان في ٣٠ يوليو و ١١ أغسطس سنة ١٧٢٠

(٢) نشرت في كتاب « معاهدات فرنسا مع بلاد شمال أفريقية » باريس ، بيدون ،

سنة ١٩٠٦ ص ٢٥٥ وما يليها لمؤاخذة Rouard de Card

(٣) خطابا القنصل اكسبيللي الأورغان في ١٧ سبتمبر و ١٤ أكتوبر سنة ١٧٢٠

بفضل تدخل القنصل اكسبلى ، واستطاع أحمد القرماني نتيجة توقيفه في سياسته الخارجية أن يتفرغ لتوجيه قواته ضد أعدائه في داخل البلاد ، فأرسل في مايو سنة ١٧٢١ جيشاً قوامه ١٥٠٠ رجل من الفرسان وألف جندي من المشاة إلى شرق طرابلس الغرب تحت قيادة رجل يوناني اعتنق الإسلام^(١) لمقاتلة أنصار محمد باشا ، ولما كان هذا الأخير يعتقد بأنه لا يستطيع الانتقاد على أنصاره في برقة ، فقد اندفع بزورق كبير وأربع سفن حتى قرب من زواره ، على أمل أن ينضم إليه جميع الساخطين على القرماني ، ولكنه بعد أن بقي ثمانية أيام في هذا المرسى تبددت آماله ، ورحل خوفاً من أن تفاجئه قوات الباشا^(٢) .

ومع هذا فإن الهدوء لم يستتب ، إذ قتل الرئيس أحمد الحاج شعبان بك أخا القرماني شر قتلة ، وتأثر الباشا كثيراً لمقتل أخيه ولم يهدئ من روعه وصول سفينة مسلحة بثمانية وأربعين مدفعاً أرسلها إليه السلطان هدية مع الاعتراف بحكومته ، والولاية^(٣) ، ولم تعد إليه طمأنينته إلا بعد أن قبض على القاتل الرئيس أحمد بن الرئيس وعذبه عذاباً شديداً^(٤) .

وكان من الأسباب الأخرى لسرور الباشا وارتياحه نقل القنصل اكسبلى من طرابلس ، ذلك النقل الذي كان قد أصر على طلبه كثيراً من الحكومة الفرنسية والذي تم ونفذ في أوائل سنة ١٧٢٢^(٥) .

(١) خطاب القنصل اكسبلى المؤرخ في ٢٠ مايو سنة ١٧٢١ (ترجمة أ. روسي « الأخبار العربية الطرابلسية » ... إلخ السالف الذكر ص ١٦٥) وقد ذكر ابن غلبون اسم إبراهيم على أنه قائد الحملة ، وربما كان هو الحاج إبراهيم أوزون (الطويل) المذكور في سجل المحكمة الشرعية بطرابلس رقم ٣ ص ٢٢٠ .

(٢) خطاب القنصل اكسبلى المؤرخ في ٢٦ يوليو سنة ١٧٢١ .

(٣) خطاب القنصل اكسبلى المؤرخ في ٢٦ نوفمبر سنة ١٧٢١ .

(٤) خطاب القنصل اكسبلى المؤرخ في أول أبريل سنة ١٧٢٢ .

(٥) نقل القنصل اكسبلى إلى مدينة صيدا (سوريا) وحل محله القنصل مارفان ، وكان قد عهد بإدارة الفصاية إلى مأمورها « بروش Broche » مؤقلاً انتظار خطاب القنصل اكسبلى من مالطة المؤرخ في ٩ أكتوبر سنة ١٧٢٢ .

استطاع أحمد القرماني أن يعتبر نفسه آمناً على عرشه في ذلك الوقت، وساعد الحظ شجاعته وجرائه، ونجح في أن يحصل من السلطان على الاعتراف له بالسلطة على البلاد التي كانت في الواقع خارجة عن سلطة الباب العالي .

ولما كان الباشا يعتمد منذ البداية على قوة أهالي المثنية والساحل ، الذين ظلوا ما يزيد على قرن من الزمان أقوى دعامة للأسرة القرمانية ، والذين أغفوا من الضرائب والعوائد والتكاليف ، ولم يكن عليهم أي التزام آخر سوى تقديم الجيوش التي كان الباشا يطلبها منهم ، فإنه قام بعمل من أعمال العنف الذي هداه إليه تفكيره وهو قتل طوائف الانكشارية ، وهدم بذلك التشكيلات الوحيدة التي كان في استطاعتها أن تمنعه من إنشاء الدولة الجديدة التي كانت مستقلة عن الباب العالي بالفعل لا بالاسم . ولما كان الباشا يقدر ضرورة وجود القوات المسلحة لفرض سلطته على القبائل الضاربة في داخل البلاد ، لذلك أنشأ جيشاً من طوائف القولوغلية والعرب كان يتألف عادة من ألف وخمسة مائة فارس وستة آلاف من المشاة ، وكان يمكن زيادتها عند الضرورة زيادة كبيرة وذلك خلافاً لحرسه الخاص .

وقد استطاع الباشا بهذه القوات أن يفرض حكمه على قبائل الدواخل وأن يبق فزان تابعة له تدفع الجزية ، وأن يخذ الثورات وأعمال التمرد والعصيان التي تعددت في الأيام الأولى من حكمه . تلك الثورات التي تناقصت وأصبحت نادرة وأقل خطراً مع مضي الزمن .

ومن جهة أخرى فإن الباشا لم يعرف فقط كيف يستفيد بمهارة من الخصومات التي كانت تفرق بين القبائل ، بل إنه قد نجح بإنشائه الدولة الجديدة في إلهام الجميع أنه قد أنشأ حكومة مستقلة فعلاً عن أي نفوذ أجنبي ، ولقد حاول أيضاً بقدر ما سمحت له الظروف وأحوال البلاد أن يهض بالأحوال الاقتصادية في الولاية ، إذ شجع الأهالي على زراعة الأراضي كما شجع التجارة .

كذلك تشجع الأجانب أيضاً على الإقامة في طرابلس ، وعلى إدخال بعض الصناعات فيها ، وهكذا نشأت بعض الصناعات البدوية كصناعة نسج الأقمشة الصوفية ودهج الجلود وصباغتها وجملة القول إذا كان قد أثار بعض المخاوف بين الرعايا ، إلا أنه لقي تأييداً منهم ، واستطاع دون صعوبة أن يجعل السلطة وراثية في أسرته .

وقد أنشأ الباشا حكومة استبدادية مطلقة وذلك لأن الديوان^(١) الذي كانت موافقته ضرورية على القرارات في الشؤون الهامة في الماضي وخاصة كل ما يتعلق بالعلاقات مع السلطان ومع الدول الأوروبية والصلح والحرب والمعاهدات ، فقد كل أهميته بعد أن أعطيت للقواد أوامر وسلطات حكومية لمنح الضمانات والرخص وجوازات سفر - وأصبح لا يدعى إلا عندما يرى الباشا لزوماً لذلك ، إذ أن إرادة ذلك الباشا صارت القانون الأوحد في الدولة .

وكان ، البيك ، في المرتبة الأولى من رجال الدولة وهو رئيس كل القوات العسكرية ، ويقع على عاتقه أمر استتباب الأمن والنظام في البلاد ، وتحصيل الضرائب ، ولقد شغل القرمانلي منصب البيك بمجرد استيلائه على السلطة ، ثم منح هذا المنصب لأخيه من أمه الحاج شعبان ، ثم منحه بعد ذلك لابنه بالوراثة .

وكان يتبع الباشا مختلف الأغاوات ، والرؤساء العسكريين الذين كان على رأسهم في الأهمية أغا الإنكشارية^(٢) .

وكان على رأس الأسطول ، ريس البحرية أو قبطان الميناء ، وكان من واجبه تجهيز واعداد السفن التي كانت تخرج من الميناء للغزو وحفظ النظام في كل ما يتعلق بإبحار السفن ورسوها في الميناء ، وشحن البضائع

(١) كان الديوان يتألف من الوزراء وكبار موظفي الدولة ومن كل من كانوا مسغراء لدى الملك الأوردية ومن ضباط الجيش ورؤساء البحرية .

(٢) في أيام الدولة القرمانلية كان يقصد بالإنكشارية جماعة مؤلفة من القبولغلية كان يتألف منهم الحرس الخاص في أيام السلم وفرقة الفرسان أثناء الحروب .

وتفريغها وتحصيل الضرائب الجركية ، وكان يتبعه الرؤساء الذين كانوا يتولون قيادة سفن المغامرة .

وكان الأول في المرتبة والسلطة من بين الموظفين المدنيين « الكيخيا الكبير » وهو مستشار الباشا الخاص ، والقاضي الذي يفصل فيما يقع من خصومات بين القبائل وكان من واجبه العمل على إطاعة وقبول قوانين الباشا وأوامره ومعاقبة مخالفيها ، وفي حالة عدم وجود الكيخيا أو وجود ما يمنعه من القيام بعمله ، كان يوجد « الكيخيا الصغير » الذي يحل محله وهو ناظر القلعة وقائد حرس الباشا ، وكان يوكل إليه أيضاً أمر تربية « البيك » وتعليمه .

أما الشؤون المالية فكان يشرف عليها ويتولى تصريفها الخازن دار أو أمين الخزانة الذي كان من اختصاصه العناية بإرسال الرسائل الرسمية والإشراف على عماليك الباشا ، وكانت حكومة النواحي المختلفة والقبائل موكولة إلى « القائد » .

وكان يوجد في مدينة طرابلس موظف قضائي كبير لحفظ النظام وإدارة القضاء ، وهو « الشيخ » وكان يعين في وظيفة « قائد » بعض الموظفين القضائيين الخصوصيين الذين يترأسون بعض السلاطات والأجناس المعينة ، أو بعض طوائف النشاط الاقتصادي .

وكان يحل للباشا أن يفصل بنفسه في الخصومات بين رعاياه . وعند ذلك كان يساعده المفتي والقاضي ، وكان هذا الأخير هو رئيس القضاء الشرعي^(١) .

وكان لأمته الباشا (الخوجات) أهمية خاصة ، إذ كان يختار من بينهم غالباً السفراء لدى الدول العظمى .

(١) كان قضاء طرابلس أثناء حكم أحمد الفرمانلي وابنه ٤٤ من الأتراك الحفية ، وكان حسن بن الحاج سليمان التوغار الذي عينه على الفرمانلي سنة ١٧٦٨ أول قاضي طرابلس وإن كان من أصل تركي وحسن للذهب .

أما المصادر الرئيسية للدخل فقد كانت الضرائب على الواردات والصادرات وضريبة الرأس على بعض الأشخاص مثل اليهود. والجزية التي كانت تدفعها القبائل العربية بالداخل في طرابلس وفزان ، وه المبلغ السنوي الذي كانت تدفعه البندقية لاستغلال الملاحات في « بوكاش » . وإنه لمن الصعب كثيراً ، بل من المستحيل علينا ، أن نذكر حساباً ولو تقريبياً لمقدار هذا الدخل ، نظراً لعدم استقرار التجارة وتغير الإنتاج في البلاد بين سنة وأخرى ، وميل الأهالي للتخلص من دفع الضرائب . ومن الممكن أن نعتقد أن طرابلس نظراً لموقعها ومينائها ، كانت لها تجارة بحرية واسعة ، وكانت هذه التجارة مثيلة جداً في الواقع وكانت تقوم بها السفن الأوربية دون غيرها ، وأغلبها من السفن الفرنسية أو سفن « راجوزا Ragusa » .

ولم تكن السفن التي كانت ترسو أمام طرابلس تزيد على مائة سفينة في العام وكانت طرابلس تستورد من مرسيليا الأقمشة ومواد البويات ، (التلون) والحديد ، والسكر والنبذ والشربات ، ومن مدينة ليفورنو ، الأقمشة الحريرية والصوفية والدمقس والورق والأسلحة النارية ، ومن البندقية الحرير والتيل والمعدات الحربية والزجاج وقضبان الحديد والصلب ، ومن مالطة أنبذة صفلية ومن نابولي قضبان الفضة ، ومن تونس الزيت النقي والجلود والبلح والطواق الحراء . ومن مراكش والجزائر في أيام الجفاف القمح والأرز ، وكانت طرابلس تصدر بعض المنتجات المحلية كالصوف والجلود الخام والبلح والنطرون (كبريت الصودا) والملح^(١) ، وما تحمله القوافل من داخل إفريقية كالصمغ والتبر وريش النعام والعاج والرقيق .

(١) كان الملح يؤخذ من ملاح « البرغة » ومن ملاح « بوشمة » التي يطلق عليها في الوقت الحاضر اسم « بوكاش » . وكانت سفن البندقية تأتي منذ القرن اثنى عشر لشحنه من مرساة البرغة ، وهي خليج واسع حصين في الدبال من رأس « الحيز » ، وكان البنادقة يسون هنا للكلان باسم « ملاح زواره » نسبة إلى مدينة زواره ، وهي مركز هام على الشاطئ على مسافة تقدر بحوالى أربعين كيلو متراً من رأس الحيز .

وكانت للقوافل الكبرى المراكشية والجزائرية أهمية تسحق الذكر بالنسبة للتجارة ، تلك القوافل التي تنقل الحجاج إلى مكة ، والتي تتوقف سواء في ذهابها أو عودتها ، عدة أيام في طرابلس ، لا تحصل على المأوى وحدها ، بل تشتري أيضاً الحرير الدمقسى الإيطالى ، وللصنوعات الزجاجية الواردة من البندقية ، وكانت تحضر من الشرق خيوط القطن والبن والمعاقير .

كان الباشا يحصل على دخل من غزوات المغامرين أكثر مما كان يحصل عليه من الضرائب المباشرة أو الضرائب الاستثنائية أو من التجارة . وكان أسطولُه يتألف عادة من عدد معين من السفن والمراكب والزوارق المهداة من السلطان ، أو المشتراة أو التي تم الإستيلاء عليها واغتنامها ، ومن عدد كبير من الزوارق والسفن الصغيرة المسلحة بالمجانيق ، يبلغ طاقم كل منها ثلاثين أو أربعين رجلاً ، وكانت تؤدي خدمات أكثر نفعاً من السفن الكبيرة لأنها صالحة للصلاح بالأسرعة أو بالمجاديف ، ومن السهل تحويلها إلى أى اتجاه وتسييرها أو هربها بسرعة أمام القوات التي تفوق عليها .

وكانت هذه السفن إذا ما خرجت من طرابلس ، تتجه عادة إلى مالطة أو سواحل صقلية ، وتسير من هناك بمحاذاة شواطئ كالابريا ، وتدخل في البحر الإيوني وتتوغل في البحر الأدرياتيكي . ثم تقتفل إلى بحر إيجة ، وهي تسيّر دائماً على مقربة من الشواطئ ، ثم تأخذ طريقها إلى طرابلس مارة بشواطئ سوريا ومصر .

وقد حدثت معاهدات الصلح المعقودة مع الدول الأوروبية الكبرى من ميدان عمل المغامرين الطرابلسيين ، وبالتالي أُنقِصت الغنائم الشرعية نقصاناً كبيراً .

== انظر ك . أ . تالينو « البندقية ومغاسق في القرن الثامن عشر في العهد العثماني ، لوف ميخائيل أماري (مؤلف كتاب تاريخ السلطن في صقلية) بالرمو . فرزي سنة ١٩١٠ جزء أول ص ٢٤٤ - ٣٥٢ .

وهذا يفسر لنا السبب في مهاجمة سفن الدول التي ارتبطت معها طرابلس بمعايدات صلح ، وفي حالة احتياج الدول التي كان يصيبها الضرر ، كان الباشا على أتم الاستعداد للتدخل من عمل رؤساء بحريته واستكباره ، والوعد بدفع التعويضات التي كان يماطل في دفعها بمختلف المعاذير ، كما كان يعطى الضمانات بعدم وقوع أى عمل عدائى في المستقبل ^(١) .

وفي الحقيقة كانت تظهر أيضاً في أحمد القرماني ، الذى كان دون شك خيراً أمراً الأسرة القرمانية ، تلك الفضائل السلبية التي كانت أكثر ظهوراً في خلفائه ، وهى الطمع الذى كان يجعله طاغية ما دام يأمن عدم العقوبة ، وغريزة المحافظة على حياته التي كانت تجعله يسلم تحت التهديد بمخطر عاجل ، ونية خيثة معنادة كانت تجعله يتعهد بتعهدات ، وهو يضرع في نفسه عدم الوفاء بها .

(١) عن كل ما قبل حول الحكومة والأحوال الاقتصادية والحكومة « نياية الغرب »
 واجم (تعليقات عن مكتب التتبع الإنجليزى في طرابلس وأخبار عن دولة طرابلس حوالى
 سنة ١٧٦٨ ، التى أملاها « أنتونى نيكس Antony Knecht » مأمور التتبع الإنجليزية
 في طرابلس من ١٧ نوفمبر سنة ١٧٦٤ الى ١٧ مارس سنة ١٧٦٦ . وفيها يشلق بالتتبع
 ادولرد باركر في كتاب توسكى « وثائق لم تنشر عن تاريخ طرابلس الغرب » الجزء الثانى «
 في حوليات للهدد الملكى الشرقى بنابلى ، سبتمبر سنة ١٩٢٠ جزء ٨ المجلد الثالث ص ٣٨٨
 وما يليها .

أعلام طرابلس الغرب في القرن الثامن عشر



٢ - علم الجزائر وتونس وطرابلس .
كله أحمر .

٢ - علم طرابلس
أحمر ذو ثلاث أهلة
بيضاء .

١ - علم طرابلس
من ٩ . أشربة أوقية :
أخضر - أصفر برتقالي -
أحمر - أبيض مائل
أخضر - أصفر برتقالي -
أحمر - أبيض مائل
أخضر .

الفصل الثاني

المنازعات بين أحمد القرماني والدولة الأوربية

عندما أعلنت النمسا التي كانت حليفة للبندقية (في ١٣ أبريل سنة ١٧١٦) الحرب على تركيا ، أخذ المغامرون في طرابلس ، مثل مغامري الجزائر وتونس بمهاجمة سفن نايلي ، فضلا عن سفن جنوا وتوسكانا والبندقية التي كانت تقوم بالملاحة بمد معاهدة أوترخت تحت علم النمسا . وكانت الأساطيل الإيطالية التجارية طامعا سائدا المغامرين ، وكانت الخسائر التي تتحملها هذه السفن تدفع كغدية للسفن الفرنسية^(١) .

وتتضمن خطابات القناصل الفرنسيين في طرابلس أخبارا كثيرة عن سفن الدول الإيطالية التي غنمها المغامرون الطرابلسيون ، وسفن البندقية وجنوا التي لم تسلم هي الأخرى من مهاجمتهم وكذلك الحال بالنسبة لميناء « مرساة البريقة » التي كانت تعتبر دائما منطقة حرة لجميع السفن التي كانت تأتي إليها لشحن الملح^(٢) .

وعندما أصبحت النمسا بسبب ممتلكاتها الإيطالية إحدى دول البحر المتوسط كان لا بد لها أن تهتم بهذا الموقف ، ولذلك دار البحث في مسألة الغزوات التي يمارسها سكان شمال أفريقية في المؤتمر الذي عقد في باسارووتز Passarowitz والذي أراد الأمير أوجينيو Eugenio قبول مندوبين عن البندقية فيه .

(١) راندال : سفارة فرنسية في أيام لويس الخامس عشر ، بنة الركيز فيلنيف Villeneuve (سنة ١٧٢٨ — ١٧٤١ ، باريس ، يوليو سنة ١٨٨٧ ص ٩٢) .
(٢) خطابات القنصل اكسبيلي المؤرخة في « مايو سنة ١٧١٨ ، الخاصة بأسر الباغرة « l'Annunziata » التابعة لحكومة البندقية . وفي ١٢ أكتوبر سنة ١٧١٩ و ١٥ أبريل سنة ١٧٢٠ و ١٥ مايو سنة ١٧٢٠) .

وفي معاهدة ٢١ يوليو ١٧١٨ وضعت مادة تنص على تعهد الباب العالي بإلزام كل من الجزائر وتونس وطرابلس بإبرام صلح مع النمسا وجمهورية البندقية. وكانت فرنسا ترى أن عقد هذا الصلح سيكون خطراً على تجارتها في البحر المتوسط، وكانت تحاول إبقاء العدواة بين الولايات الثلاث ضد امبراطورية النمسا والبندقية^(١).

وفي السنوات التي تلت صلح باساروفتز مباشرة، قام المغامرون الافريقيون بتوسيع مدى حركاتهم. ولم تنج من هجماتهم السفن التابعة للدول التي كانت طرابلس قد عقدت معاهدات صلح معها.

ففي نوفمبر من عام ١٧٢٢ أسر المغامرون الطرابلسيون سفينة فرنسية محملة ببالات من الحرير يقودها القبطان أوليه دي مارسيليا Ollier di Marsiglia وبالرغم من مطالبة بروش القائم بأعمال القنصلية الفرنسية بعد سفر القنصل اكسيللي بإرجاعها، قرر الباشا أن أسر السفينة كان غنيمة قانونية، مدعياً بأنها كانت من سفن جنوا وليست فرنسية، ولم تؤد مساعي القنصل الفرنسي الجديد مارتان Martin الذي وصل إلى طرابلس في فبراير من السنة التالية إلى أية نتيجة. وكان من الواجب في هذا الوقت معاينة المغامرين الطرابلسيين لوضع حد لتبجحهم.

وفي يوم ٢٢ أبريل، أفلعت سفينة القيادة الطرابلسية التي كانت تحمل ثمان وأربعين مدفعاً وأربعة عشر منجانيقاً، والتي كان السلطان قد أهداها إلى الباشا، من ميناء طرابلس متجهة إلى سواحل صقلية. فصادتها الفرقاطة سان فنسنزو San Vincenzo من أسطول جماعة فرسان مالطة تحت قيادة دي شامبري De Chambray في مياه جزيرة بانتيليريا Pantelleria وطاردتها، وعندما لحقت بها نشب بينها قتال دام

(١) بلانتبه: في كتابه سالف الذكر جزء ٢ ص ١٤٢.

(٢) خطاب القائم بأعمال القنصلية بروش Broche، المؤرخ في ٣ أكتوبر

أربع ساعات فقد رجال سفينة طرابلس على أثره ثلث عدد رجالهم ، واضطروا للاستسلام^(١).

وقد أثر ضياع أكبر وأحسن سفن الباشا فيه تأثيراً كبيراً ، فصمم على الانتقام من جميع السفن التجارية لمختلف الدول ، ورفض أن يقبل احتجاجات الدول صاحبة الشأن . وانكر عليها أية ترصية .

وعند ما حمل قابوجى باشى إليه في ٢٣ أكتوبر أمر السلطان بمقتضى الصلح مع الامبراطورية النمساوية وجمهورية البندقية ، راوغه ، مؤكداً أن مثل ذلك الصلح يجعله في حالة لا تسمح له أن يعيش نظراً لقلة موارد حكومة نيابة الغرب ثم صرح للتدوب السلطاني بأن هناك مفاوضات تجري مع البنادقة لإبرام صلح معهم بطريق مباشر . ولكنه ينتظر فقط مرافقة مجلس شيوخ البندقية على طلباته ، أما الصلح مع الامبراطورية النمساوية فيسكون معناه نهاية حرب الغزو وأن المغامرين من طرابلس يعملون خاصة بمحاذاة مملكة نابلي وصقلية ، وأنه ليس في استطاعته التنازل عن هذه الأعمال إلا إذا دفع له السلطان مرتبات جنوده^(٢).

ولقد سافر قابوجى باشى من طرابلس في شهر نوفمبر وهو يحمل هذا الرد ، وعاد في مايو من السنة التالية حاملاً للقرعة التي مع الباشوية أوامر جديدة حول الصلح . وأمر بإعادة الرعايا النمساويين المعتقلين كأسرى في طرابلس . وفي هذه المرة اكتفى الباشا بالتصريح بأنه لا بد أن يتفارض مباشرة مع النمسا .

وفي شهر مايو من عام ١٧٢٤ وصل إلى مياه طرابلس أسطول فرنسي كان يحمل إلى القسطنطينية سفير الملك المسيحي للصم^(٣) الفيكونت

(١) تقرير عن أمر القرعاه (سان فلنزو) التابعة لمدينة القديسة الأورشلية (فرسان القديس يوحنا) لخدمة القيادة الطرابلسية ، بواسطة الفيلان الفارس دى شامبرى في يوم ١٣ مايو سنة ١٧٢٣ - في جنوا . جيو . بانستا . كازامارا - المصايح الخمسة ، بأمر من الرؤساء .

(٢) خطاب القنصل الفرنسي مارتن المؤرخ في ٢٨ أكتوبر سنة ١٧٢٣ .

(للراجع)

(٣) بقصد ملك فرنسا .

دى اندرزل d'Andrezel وحاول قائد الأسطول ، يقولوا دى جراندبرى Nicla de Grandpre أن يحصل من الباشا على ترصية عن أسر سفينة القبطان أوليه ولكنه اضطر إلى الرجول دون أن يحصل على شئ^(١).

ورغم المسلك العنيف الذى وقفه القرماتلى ، وظهر فيه بأنه لا يتحدى الدول المسيحية فحسب ، بل يتحدى سيده السلطان أيضاً ، إلا أنه كان يفهم ضرورة عدم التحدى فى إغضاب السلطان وأمبسة منع فرنسا من القيام بتوجيه حملة تأديبية على حكومته ، تلك الحملة التى كان يعد لها الفرنسيون سفناً من الأسطول فى طولون والتى وصلت أخبارها إلى طرابلس وتحدث عنها الجميع .

وبينما كان يعمل للصلح مع الإمبراطورية النمساوية وجمهورية البندقية بأن أرسل محمد خوجه كسفير له فى فيينا وكلفه أيضاً المفاوضة بمدينة البندقية ، لتجديد اتفاقية استغلال ملاحات « بوكاش »^(٢) ، أخذ يحاول إقناع الحكومة الفرنسية ويؤكد لها بأنه على استعداد لبذل الترضيات اللازمة .

والكن هذه الحكومة قررت على أثر تصريح الباشا والأخبار التى أبلغها إليها القنصل « مارتان Martin » ، أن ترسل أسطولاً إلى طرابلس فى الربيع النالى لحل مختلف المسائل المعلقة .

وأثناء ذلك استوفت بعض الاضطرابات الداخلية ، فإن ابن الباشا الذى كان أهالى درنة قد اعترفوا به أخيراً « يكا »^(٣) كاد يقع فريسة لمؤامرة جريئة دبرها ضده رجل يرجع أصله إلى مدينة قرمان ولجأ إلى طرابلس بعد أن طرد من الجزائر وأصبح أحد رجال البلاط ومحمل ثقة القرماتلى ولكن المؤامرة اكتشفت فى الوقت المناسب وأعدم المشترون فيها جميعاً^(٤).

(١) اضطر مذكرة البكوفت اندرزل المؤرخة فى مايو سنة ١٧٢٤ فى الجزء الخامس مراسلات قنصلية طرابلس الغرب للودعة فى محفوظات وزارة الخارجية بباريس (انظر المرجع)

(٢) اضطر مذكرة البكوفت داندروزل السالفة الذكر .

(٣) خطاب القنصل مارتان المؤرخ فى ٣٠ يناير سنة ١٧٢٥ :

(٤) خطاباً للقنصل مارتان المؤرخ فى ١٠ يوليو و ٢ أغسطس سنة ١٧٢٥ .

وفي يوم ٢٢ يوليو سنة ١٧٢٥ وصل إلى طرابلس أسطول فرنسي بقيادة القاضي دى فانتان De Vattan ، وتمكن بوساطة القنصل مارتان من الوصول إلى اتفاق مع الباشا مؤداه أنه في حالة عدم وجود أموال لدى الباشا يعطى لفرنسا قحاً وزيئاً بالقبضة المساوية للسفن التي تم الاستيلاء عليها بطريقة غير قانونية ، كما تعهد بإعدام الرئيس المتهم ببيع طاقم سفينة فرنسية ، ولكن بمجرد أن ابتعد الأسطول الفرنسي ، ظهر بوضوح سوء نية الباشا ، لأن الرئيس لم يعدم ، وأخذ الباشا يماطل ويسوف في دفع التعويضات ، ومع ذلك فقد رأى القنصل الفرنسي بأنه يجب عليه أن ينتظر بعض الوقت لإزاء مبررات الباشا وما أبداه من الأعذار . وعندما ظهر في طرابلس بعض ييكاوات القاهرة الذين فروا من مصر ، نزل مارتان على إرادة الباشا ، واتجه إلى السفير الفرنسي داندريزل بالقسطنطينية حتى يحصل على عفو من السلطان عن محمد شركس أكبر هؤلاء المهابيك نفوذاً والسماح له بالعودة إلى وطنه^(١).

وأثناء ذلك ، أصدر السلطان أمراً بما له من سلطة ، في يوم ٣٠ يونيو سنة ١٧٢٦ بإرسال قابوچى باشى^(٢) إلى طرابلس لتنفيذ معاهدة الصلح التي تم الإتفاق عليها في شهر أبريل بين سفير صاحب الجلالة القبطرية بالقسطنطينية أى سفير النمسا ، و د قبطان باشا ، الذي كان يتفاوض بأمر السلطان ومصالحة د باشا ، طرابلس .

وكان يلزم لإبرام مثل هذه المعاهدة وإتمامها الكف عن أعمال العدوان بين الحكومة في طرابلس والامبراطورية ، وتأمين الملاحة بصفة تامة ودائمة ، وتأمين الرسو في أملاك هذا الطرف أو ذاك لرعايا حكومة طرابلس ورعايا

(١) خطاب القنصل مارتان المؤرخ في ٢٤ أبريل سنة ١٧٢٦ و أ . روسي الأخبار

العربية الطرابلسية ... الخ السالف الذكر ص ١٦٦ و ١٦٧ .

(٢) ذكر فيرو أن كبير البايوران اسماعيل هو الذي حضر على رأس أسطول قوي يحمل أمراً من السلطان موجهاً إلى داي الجزائر و دايك ، تونس و داي باشا طرابلس و دايك . فيرو . الكتاب السالف الذكر ص ٢٢٦ .

الامبراطورية بما فهم الألمان والمولنديون والصقليون والتابليون والكلابريون وأعلى ميناقي فبوى وترستا ، وبالجملة جميع رعايا الامبراطورية والممتلكات النماوية . وكان على المغامرين الطرابلسيين أن يمتنعوا عن مهاجمة السفن التي يخفق فوقها العلم النمساوى ، كما كان يجب رد الغنائم التي أخذت بعد إبرام الإتفاقية ، وتعيين قنصل امبراطورى فى طرابلس تكون له فيها الأسبقية المطلقة على القناصل الآخرين^(١) . وإذا كان الباشا قد أظهر رغبته فى الخضوع لأمر السلطان إلا أنه سرعان ما أقام الاعتراضات بشأن رد الغنائم التي أخذت فى الفترة الواقعة بين إبرام المعاهدة وإبلاغها إليه^(٢)

وعلى كل حال فإنه أرسل سفيره محمد خوجه رأساً إلى نابلى وفيينا يحمل إلى صاحب الجلالة القيصرية بعض خبرات البلد وحيواناته كهدايا ولتفاوض فى إطلاق سراح بعض الأسرى التابليين والكلابريين الذين أخذوا السفن الثلاث التي جرى اغتنامها بعد إبرام الصلح^(٣) .

وفى يناير سنة ١٧٢٧ أمر الباشا نجاة بخنق صهره الذى ظل ييكالقدرة مدة عامين ثم عاد منها منذ وقت قريب وشغل منصبه القديم كرئيس للبحرية . وقبل تبريراً لذلك إن هذا اليبك كان يتآمر لخلع الباشا ولكن الرأى السائد هو أن الباشا أمر بإعدامه للاستيلاء على ثروته .

وكان من بين شروط الصلح الذى فرضه السلطان أن يتمتع المغامرون الطرابلسيون عن مهاجمة وسلب سفن البندقية والبلاد الخاضعة للنمسا ، ولما لم يعد فى استطاعتهم مخالفة ذلك عاودوا مهاجمة السفن الفرنسية .

ولكى تضع الحكومة الفرنسية حداً لذلك النشاط الموجه ضد بحريتها وتجارها ، قررت فى سنة ١٧٢٧ إعطاء درس قاس للمغامرين بواسطة عمل تشترك فيه أساطيل شرق فرنسا وغربها ، فخرجت ست بوارج من

(١) خطاب القنصل مارتنان المؤرخ فى ٨ يوليو سنة ١٧٢٦ .

(٢) خطاب القنصل مارتنان المؤرخ فى ٨ يوليو سنة ١٧٢٦ .

(٣) خطاب القنصل مارتنان المؤرخ فى ١٢ سبتمبر سنة ١٧٢٦ .

ميناء « برست » لتنظيم في مياه « فورميتيرا Formentera » إلى خمس بوارج خرجت من ميناء طولون بقيادة قائد الأسطول « دي مونس De Mons » ولكن هذا المشروع قد باء بالفشل ، بسبب جرأة المغامرين التونسيين الذين جاءوا في شهر أبريل إلى جزائر « هيرس Hyeres » واتجهوا منها إلى سواحل إقليم « بروفانس » ولم ينسحبوا إلا بعد أن أحضرت إحدى بوارج أسطول دي مونس زورقاً مسلحاً بثمانية وثلاثين مدفعاً ، ثم أفلح دي مونس بسفنه نحو طرابلس حيث كانت قد ذاعت أخبار ورودت من إيطاليا عن أعمال التسلح والاستعدادات التي تمت في طولون وعن احتمال ضرب مدينة طرابلس بالقنابل ، وقد وصل دي مونس إلى تلك المياه في صباح يوم ٨ يونيو .

ورغم أن القنصل مارتان أسرع بالتوجه في الحال إلى سفينة القائد ، إلا أنه كان لا يتوقع أن يستطيع الحصول على أية ترصية إلا باستعمال القوة فإن القائد أثر اختيار طريق المفاوضة ، وأنزل إلى البر طيبب الأسطول ، لتقديم التحية إلى الباشا ، وطلب الترضية عن الأعمال التي ارتكبت ضد العلم الفرنسي ، وعلى الأخص أسر زورق القبطان « أوليه Ollier » . وحاول الباشا تأجيل المفاوضة ، ولكنه عندما علم أنه ستأتي بعض القوات البحرية الأخرى لتأييد الأسطول الذي يقوده « دي مونس » أكد بأنه سيعمل كل ما يمكنه لدفع ثمن السفينة والحوالة التي أخذت من أوليه نقداً أو ما يوازيها من المنتجات المحلية .

واكتفى دي مونس بهذه التأكيدات وأفلح في ليلة ١٢ - ١٣ متجهاً إلى تونس حيث لم يصادف نجاحاً وتوقفاً أكثر مما صادفه في طرابلس وعند ما لحقت به الحملة البحرية القادمة من ميناء « برست » ، قام بمظاهرة أمام مدينة الجزائر كان نصيبها الفشل مثل سابقتها التي حدثت أمام طرابلس . وقد دفع لإصرار فرنسا على طلب الترضية وتكرار إرسال سفنها الحربية لالباشا ليفكر في إعداد المدينة لتكون في حالة دفاع ضد أي هجوم عليها



قلعة طرابلس حوالى منتصف القرن التاسع عشر

Da Ludwig Salvator (Erzherzog) : yacht - Reise in den
Syrtten 1873. Prag. Mercy , 1874.



القضاء الرئيسي لقلمة طرابلس مع مجموعة من مباني طراز
القرن الثامن عشر

من البحر أو ضربها بالقنابل ، أو لإزالة جنود إليها ، وبدأ الباشا بتجديد أسوارها وتقويتها . وكانت المدينة محاطة بأسوار عالية متينة ، ومحصنة بستة أبراج ، ولها بابان أحدهما في الجهة الجنوبية ناحية المنشية ، والثاني في الجهة الغربية ناحية الميناء ، وكانت القلعة مبنى واسعاً غير منتظم ، يقع في الزاوية الجنوبية من المدينة ، مربعة الشكل ، لها بابان نحو المدينة ، وبابان خلفيان ، أحدهما تجاه الميناء والآخر تجاه الأراضي الزراعية ، وكانت محصنة بمدافع من البرونز لم يكن لها أى تأثير ، ولا تصلح للدفاع ضد السفن الحربية ، ولكنها كانت عظيمة الفائدة لصد أى هجوم يأتي من جهة البر .

وكانت هناك ثلاثة حصون تحمي المدينة من جهة البحر ، وكانت سعة الميناء تسمح بوجود عشرات من السفن التجارية ، وكان عمقه كافياً لرسو البوارج المسلحة ، ويحميه من الجهة الشمالية الغربية ثلاثة صخور ، كانت تبدو على شكل قوس دائرة يغلط الميناء وكانت السفن التجارية ترسو تحت أسوار المدينة ، أما السفن الحربية فكانت ترسو أمام الحصن الجنوبي الذي كان يحمي يتاييس ، والحديدة ، وكان الناس يطلقون عليه عادة إسم « الحصن الإنجليزي »^(١) .

ولم يكنف الباشا بإصلاح (برج المتدريك) الذي كان يحمي الميناء من الجهة الشمالية الغربية ، ولكنه بدأ في تشييد حصن جديد مسلح بمشيرة إلى اثني عشر مدفعاً فوق صخرة تقع على بعد مائة ذراع من سور المدينة الشمالية

(١) راجع عن كل ذلك تناثر مأمور التفتيش « كنفث Knecht » السالف الذكر والذى ف . س . أوريجما Ourigemma « تحصينات مدينة طرابلس » في التلويحات الأثرية التي تصدرها وزارة المستعمرات جزء ٢ ص ٢١٩ وما يليها ، و« تحصينات مدينة طرابلس في القلعة القديمة التي يرجع مهندسا إلى القرنين السابع عشر والثامن عشر في مجلة للمستعمرات الإيطالية جزء ٣ ص ١١٠٤ - ١١٢٨ و ١٢١٧ - ١٢٣٧ . وفيما يتعلق بتاريخ تحصينات طرابلس انظر المراجع السابقة جزء ٣ ص ٤٦٠ وما يليها وقلعة طرابلس القرب في كتاب ج . فولى « بئر طرابلس القرب » ، ميلانو ، مونادورى سنة ١٩٢٦ ، ص ٢٥ - ص ٦٤ .

أمام برج التراب تقريباً . وكان المارشال « دى استرى d'Estrees » قد وضع عليها إحدى البطاريات أثناء إغارة سنة ١٦٨٥ .

وقد عنى الباشا عناية كبيرة بتشييد هذا الحصن الذى أطلق عليه فيما بعد اسم الحصن الفرنسى (برج الفرنسيس)^(١) .

ولما كان تسليح الحصون بمدافع قديمة مصنوعة من الحديد ومدافع من البرونز يتراوح عددها من ثمانية عشر إلى عشرين مدفعاً ، غير كاف لإعدادها لصد نيران السفن الحربية وللدمرات بنجاح . فقد أرسل الباشا نفوداً إلى القسطنطينية لشراء مدافع ذات عيار كبير ، وأخطر القنصل مارتان وزارة البحرية الفرنسية بذلك ، كما أخطر سفير فرنسا فى القسطنطينية الفيكونت داندريدزل حتى يمنع السفن الفرنسية من حمل هذه المدافع إلى طرابلس^(٢) .

وأثناء ذلك ، أراد الباشا أن يستأنف أعمال المغامرة علنا ضد السفن الفرنسية إما لأنه كان يعتقد بعدم إمكان رد عدوانه أو أن الحاجة دفعته إلى المغامرة والمخاطرة ، ولكنه عدل عن ذلك بسبب عدم موافقة الديوان على إثارة غضب ملك قوى عليه مثل ملك فرنسا^(٣) .

وذاقت الأخبار عن وجود استعدادات بحرية وأعمال تسليح كبيرة فى ميناء طولون ، وحاول الباشا أن يعرف عنها أخباراً أكيدة فكان يتصل بأسمرار بليك تونس الذى كان هو الآخر يخشى قيام فرنسا بحملة تأديبية ضده^(٤) .

على أن هذا القلق وانشغال البال لم يمنع الباشا من أن يزحف على بعض قبائل الجبل التى كانت ترفض دفع الجزية ، ولكن هذه الحملة التى بدأت بداية موفقة انتهت بالفشل^(٥) .

(١) خطاباً القنصل مارتان للأورخان فى ٦ يوليو و ٢٦ سبتمبر سنة ١٧٢٧

(٢) خطاب القنصل مارتان للأورخان فى ٣ نوفمبر سنة ١٧٢٧

(٣) * * * * *

(٤) خطاباً القنصل مارتان للأورخان فى ٦ يناير وأول فبراير سنة ١٧٢٨

(٥) خطاباً القنصل مارتان للأورخان فى ٢٤ فبراير سنة ١٧٢٨

وهكذا عاد الباشا في شهر فبراير إلى طرابلس حيث بقى فيها خوفاً من حصول حملة فرنسية^(١) ، ذلك الخوف الذي كان له ما يبرره .

وربما كانت رغبته في منع أية محاولة للثورة ضده إذا ما قامت فرنسا بعمل عدواني ، أو ما كان يؤكد الرأي العام عن حاجته إلى النقود ، هو الذي جعله يحاول قتل أحد أبناء أعمامه وهو محمد بو شاكور الذي كان عائداً بعد الحج من مكة ولكن ابن عمه هذا استطاع الهرب والاحتباء بالجل . وعندما أفلتت من يده هذه الغنيمة أمر بخنق أغني تاجر في المدينة بحجة أنه قام بتهيب الحارب ، واستولى على جميع أملاكه^(٢) .

وأثناء ذلك كان الباشا يصرع في بناء الحصن الجديد الذي كان مسلحاً بستة مدافع وهي المدافع البعيدة المرمى التي كانت لديه ، وما كاد يتم استعداداته الدفاعية حتى وصل خبر مؤذاه أن الأسطول الفرنسي وصل إلى تونس ويستعد للانجاء إلى طرابلس ، وكان هذا الأسطول يتكون من بارجتين وأربع فرقاطات وثلاث مدمرات وزورقين وسفيتين صغيرتين ، أي أنه كان في مجموعه مكوناً من ثلاث عشرة وحدة مسلحة بمدافع يبلغ عددها ٣٩٨ وبطاقم يبلغ عدد رجاله ٣٦٠٠ تحت إمرة قبطان الأسطول ، نيقولا دي جراند بريه *Nicola de Grandpré* ، وقد أبحر هذا الأسطول من طولون في يوم ٦ يوليو سنة ١٧٢٨ ، وكانت الأوامر التي تلقاها تقتضي أن يتوجه القبطان إلى تونس وطرابلس ويطلب منها ترصية في الحال عن كل إهانة لحقت بالعلم الفرنسي ، وإلا قام بضرب المدينتين بالقنابل عقاباً لهما ، وأن يأخذ منهما وعداً صريحاً ألا ينتهكا معاهدات الصلح ، وأن يقوموا بعمل علني يدل على خضوعهما لفرنسا .

وبمجرد أن وصل الأسطول أمام حلق الوادي في تونس أسرع بك تونس بقبول الشروط التي فرضت عليه ، وعندئذ أقبل القبطان الفرنسي

(١) خطاب التصل مارتن المؤرخ في ٢٣ فبراير سنة ١٧٢٨

(٢) خطاب التصل مارتن المؤرخ في ١٥ أبريل سنة ١٧٢٨ .

فيولا دي جراند بريه متجها إلى طرابلس ووصلها في يوم ١٦ يوليو سنة ١٧٢٨^(١).

وقد توجه القنصل مارتان في الحال إلى الباشا مع سيموني ترافرسو من مواليد جنوا والذي عاد إلى طرابلس وكان محل الرعاية والاحترام، وذكر للباشا أن الأسطول جاء لجديد معاهدة الصلح، وليحصل على وعد بالوفاء بالتعهدات التي سبق للباشا أن تعهدها، ولكن القبطان كان يريد الإفراج عن السفن الفرنسية التي كانت قد حجزت في الميناء منذ أكثر من شهر بمختلف الحجج والمعاذير والتي أخذت منها قواربها بمجرد ظهور الأسطول.

وفي اليوم التالي لوصول الأسطول قبل أن تبدأ المفاوضات أرسل الباشا الكخياء ليقدم النجدة بالنيابة عنه للقائد، ولكن القائد لم يقم بردهذه الزيارة. وعندما أظهر الباشا دهشته من ذلك، أفهمه القنصل أن دي ريكورت Mr. d'Hericourt القوميسير العام سينزل إلى البر إذا ما أرسلت بعض الرهائن إلى سفينته، فوافق الباشا على إرسال ابنه كرهينة، ولكن عندما أصر القنصل على إرسال أربعة أو خمسة من أعيان المدينة شعر الباشا بالإهانة التي وجهت إليه بالإفلال من أهمية الكهينة التي اقترحها، وسحب العرض الذي قدمه. ومع ذلك فقد استمرت المفاوضات بواسطة القنصل مارتان الذي طالب باسم حكومته برد الغنيمة التي أخذت من القبطان، وأوليه، والتي قدرت بمبلغ ٥٠٠.٠٠٠ قرش وإطلاق سراح اثني عشر أسير، ودفع تعويض عن الإهانات التي ألحقها المغامرون الطرابلسيون بالعالم الفرنسي وإبرام معاهدة صلح جديدة.

(١) ر. نادال في الكتاب السالف الذكر ص ١٨٤، ش. ل. فيرو في كتابه السالف الذكر ص ٢٢٨ وما يليها، والأب س. برنا Bergna في كتابه طرابلس سنة ١٥١٠ - ١٨٥٠، وطرابلس، الفنون التخطيطية سنة ١٩٢٥ ص ٢٢٧ وما يليها، ويوميات ما حدث في طرابلس الغرب عند وصول أسطول الملك بقيادة المسيو دي جراند بريه حتى يوم ٢٩ أغسطس سنة ١٧٢٨ التي نشرها ميكاك في المجلات .. إلخ السالف الذكر. حاشية ١ ص ١٦٩ وما يليها، وأ. بلانليه الكتاب السالف الذكر ص ٢١٣ وما يليها.



فناء القرماتيين والمقصورة العليا بقاعة طرابلس

• الباب الموجود في الداخل هو باب الصلاة الكبرى للاحتفالات والاجتماعات
وهي ذات أهمية خاصة .•

وقد صرح الباشا بأن المبالغ المطلوب كتمويض مبالغ فيه لا يتفق مع أمر قارب القبطان ، أوليه ، واقترح أن يردها أخذه منه فعلا ، وأصر على الدخول في مفاوضات مباشرة مع دى ريكورت ، وجدد الاقتراحات التي سبق أن اقترحت بإرسال رهائن ، وعندما ذكر القنصل أن دى ريكورت لن ينزل إلى البر وأن المفاوضات يجب أن تتم بواسطة هو ، استنكر الباشا ذلك كل الاستنكار ، وقرر أنه إذا هذه الحالة يفضل المغامرة بالعداوة للدخول في الحرب .

وفي صبيحة اليوم التاسع عشر ، بينما اتخذت المدمرات مواقعها أمام التحصينات واستعدت للقتال ، استمرت المناقشات حول قيمة السفينة والحولة التي أخذت من القبطان أوليه Ollier ، وقرر الباشا في حضور قناصل هولند ، وانجلترا والمستشار ترافرسو Traverso أنه لم يأخذ من القيمة ما قيمته خمسون ألف قرش بل أخذ ثلاثة عشر ألف قرش ، وقرر أنه على استعداد لأن يدفع سبعة آلاف قرش بدلا منها .

وعندما توجه القنصل إلى سفينة القائد لإبلاغ اقتراحات الباشا ، استبقى فيها ورما كان ذلك بناء على طلبه ، وأرسل ائذار نهائي إلى الباشا عن طريق بروش الغانم بأعمال التفصيلية لدفع خمسين ألف قرش في الجبال تعويضا عن الخسائر والغانم التي أخذت من الاثنتي عشرة سفينة تجارية ، وإطلاق سراح الأسرى المسيحيين ، وتجديد معاهدات الصلح المبرمة في عام ١٦٨٥ وعام ١٧٢ وأعطى الباشا مهلة لقبول هذه الطلبات حتى ظهر اليوم التالي .

وعندما اجتمع الديوان في صباح اليوم التالي ، عرض الباشا كل ما حدث بعد وصول الأسطول وعرض أمر الإنذار النهائي ، وطلب رأى الأعضاء المجتمعين . فأجمعوا على أنه لا ينبغي دفع مبلغ أكثر مما عرضه الباشا ، حتى ولو وصل الأمر إلى تدمير المدينة وانتهى الاجتماع بعد أن أقسموا اليمين على أنهم مستعدون للتضحية بحياتهم وأموالهم في سبيل خدمته .

ولقد تشجع الباشا على المفاوضة ، ورد على الإذار التهاى بتوله ، فقد
جمعت ديوانى ، وقد تسامل جميع أعضائه ، وجميع القواد وأعيان المدينة
وكبرائها عما إذا كان صديقنا امبراطور فرنسا قد أرسل هؤلاء الناس
لإعلان الحرب فى هذه الساعة المبكرة ؟ ولكن إذا كان إرسالهم لعقد
صلح فيجب عليكم أن تنزلوا بعض رجالكم إلى البر ، لإبلاغنا برغبة
الامبراطور ولنعلم إجاباتنا ، لأن عقد الصلح معنا معناه عقد صلح
حقيق . أما فيما يتعلق بدفع النقود فإنه ليس هناك من يقبل دفعها ، وليس
هناك من يدفعها ، ويجب أن تكونوا متأكدين من ذلك . أما القابل فإنا
لا نخشاهم ، وفى استطاعتكم أن تطلقوا علينا منها ما تصاوون ، ولكن
يجب أن تعلموا أنه إذا ما حدث ذلك فلن نعقد معكم صلحاً أبداً .
وعندما تسلم القومندان دى جراند برييه de Grandpré هذه الإجابة
وهو على السفينة سانت سبرى Saint Esprit قرر مجلس الحرب البدء
فى الأعمال العدوانية .

وعندما تمت استعدادات الأسطول ، واتخذت المدمرات أماكنها ،
واعتقد الجميع أنها على وشك العمل وإطلاق النيران ، ولجأ قنصل إنجلترا
وقنصل هولندا ورؤساء الإرساليات الدينية إلى أحد منازل المنشية الذى كان
الباشا قد أعده لهم ، كما لجأ إليه بروش القائم بأعمال القنصلية الفرنسية لأن
الباشا لم يسمح له بالعودة إلى سفينة القيادة ، وقد لجأ أيضاً إلى المنشية
معظم سكان المدينة وهم يحملون ما لديهم من الأشياء النفيسة والأمتعة حتى
أبواب ونوافذ مساكنهم .

وفى الساعة الثامنة والربع مساء أطلقت المدمرات نيرانها ، واستمرت
تضرب المدينة بالقنابل حتى الساعة الرابعة من صباح اليوم اتالى ، وقد
قاومتها القلاع مدة من الزمن ولكن دون أن يكون لها أى تأثير .

ولقد سقطت أولى قنابل الأسطول الفرنسى على القلعة ، واضطرت
الباشا إلى مغادرتها ، ليعسكر خارج أسوار المدينة ، كما سقطت قنبلتان

فوق قنصلية فرنسا التي نهبت ، ثم بدأ إطلاق القنابل ثانية في مساء يوم ٢١ يوليو وقد أصيبت الحمامات^(١) وأصبح من الضروري إخراج الأسرى ونقلهم منها ، فسيقوا والقيود في أرجلهم إلى خارج المدينة .

واستمر قذف المدينة بالقنابل بعنف وشدة في مساء أيام ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ يوليو وفي صباح يوم ٢٥ يوليو أرسل قومندان الأسطول الفرنسي إلى الباشا خطابا يحثه فيه على الصلح . وتكرر ذلك عدة مرات يوم ٢٦ يوليو .

وعندئذ جمع الباشا الديوان . ورأت الأغلبية العظمى عدم المفاوضة وذلك رغم الخطبة القوية المؤثرة التي ألقاها القاراباغلي أغا الإنكشارية مؤيذاً فيها عقد الصلح .

ولذلك رد الباشا رسائل قائد الأسطول الفرنسي إليه دون فتحها وذكر أنه في استطاعتهم الاستمرار في ضرب المدينة بالقنابل ، ولكنهم لن يضطروه إلى مفاوضاتهم .

وكان قد تم تدمير أكثر من ثلث المدينة التي ألقى عليها ما يزيد على ١٨٠٠ قنبلة ، وحتى مسكن الباشا نفسه لم يسلم من هذه القنابل ، إذ أصابه أكثر من أربعين قنبلة .

وإذا كانت الضحايا في الأرواح قليلة ، فإن الخسائر والأضرار الأخرى كانت كبيرة ، ومع هذا فإن الباشا لم يكن يشير أية إشارة إلى الخضوع . وعندما نفذت كميات القنابل التي كانت لدى جراندي برى قائد الأسطول الفرنسي وخشي تغير الجو اضطر إلى الانسحاب .

وفي عصر يوم ٢٩ يوليو حلّ القائد أسرع سفنه استعداداً للرجيل بأفلق من الميناء . وما كاد يحلّ المساء حتى كانت سفنه قد غابت عن الأنظار^(٢) بسبب صفاء الجو وملاءمته .

(١) كان يطلق اسم حمام على الأماكن التي كان يتم فيها الأسرى (الرابع)

(٢) وبعد أن توقف الأسطول فترة في تونس ، وصل إلى طولون في ٨ سبتمبر .

وفي اليوم التالي عاد الباشا إلى القلعة واستأنفت المدينة حياتها العادية. وبينما كانت الحرب دائرة كانت تسرع سفن أخرى لاستئناف أعمال الغزو. وقد أعيد رفع سارية العلم الفرنسي على القنصلية الفرنسية في طرابلس بقصد اجتذاب السفن الفرنسية التي كانت تمر قرب المدينة إلى الميناء، وهي تجمل تدهور السلام.

وبما يستحق الذكر أيضاً أن القائم بأعمال القنصلية المسيو بروش والفرنسيين الآخرين الذين وضعهم الباشا تحت حمايته الخاصة كانوا يتمتعون بالحرية في طرابلس ولم يتعرضوا لأي خطر، أما الأسرى الآخرون الذين كانوا مسجونين في الحمامات ومرصين لأسوأ المعاملات وللتهديدات المستمرة فقد كانوا في فرع من الوقوع ضحايا سخط الجماهير وحقها وحدث هذا عندما ظهرت سفن حربية على مرأى من المدينة في ١٨ سبتمبر، ولكن لحسن الحظ أذيع في الحال أن هذه السفن ما هي إلا أسطول هولاندي حيث حضر الأميرال الهولاندي بارون دي جريف Barone de Graeve على رأس أسطول مكون من سبع سفن حربية وثلاث من سفن النقل للتصديق على الإنفاقيات السابقة. وجرت المفاوضات بسرعة.

وفي يوم ٢ أكتوبر نشرت المعاهدة الجديدة، وتناقى الباشا على سبيل الهدية نقوداً ومدافع وكتبات من البارود^(١).

وأثناء ذلك كان الغزاة الطرابلسيون قد خرجوا لاقتناص السفن الفرنسية، وأسروا في أيام قليلة خساً منها أقيدت إلى طرابلس وبيعت، وأسرى رجالها بطريقة لا تخلو من القسوة، وسجنوا في الحمامات.

ومنذ ذلك الوقت فصاعداً، لم تكن السفن الفرنسية لتجرؤ على الإقتراب من جنوب مالطة، وكانت تسعى إلى ضمان سلامتها بسيرها جماعات، وفي بعض الأحيان كانت تستطيع النجاة بنفسها بفضل ما تبديه

(١) خطاب القائم بأعمال القنصلية مؤرخ في ٢٩ سبتمبر سنة ١٧٢٨

من جرأة يائسة . كما حدث عندما قام القبطان جرونيار Grognaud بحمل سفينتين من سفن المغامرین الطرابلسيين على الفرار وكانا قد أسرا سفينة فرنسية بالقرب من كورونا Corona^(١) .

ومع ذلك لم تسلّم السفن التي كانت ترفع أعلام الدول الأخرى ولم تنج من الاعتداء .

فلم تكن التجربة التي مر بها القنصل الإمبراطوري جوزيبي مير بالهبة فإنه بعد أن وصل من القسطنطينية إلى مالطة على ظهر سفينة فرنسية ركب إحدى مراكب نابولي لكي يصل إلى طرابلس .

وفي ٦ أغسطس شوهد المركب على بعد عشرين ميلاً من مدينة طرابلس وقد تعرضت له سفينتان من سفن المغامرین ، وأمر رئيس إحدى هاتين السفينتين القنصل بالانتقال إلى سفينته دون أن يراعى منصبه ومركزه وأوراق الاعتماد الرسمية التي كان يحملها من الباب العالي ، وقد حجزه لديه بينما قام رجاله الذين صعدوا إلى مركب القنصل بنهبه ولم تنج من ذلك حقايب القنصل نفسها .

أما الباشا فإنه بمجرد أن تلقى خبراً بما حدث خشي أن يؤدي هذا الحادث إلى ارتباكات خطيرة ، فأمرع بإرسال اثنين من كبار الضباط لكي يردا للقنصل ما أخذ منه . ثم أمر بمنزل الرئيس وعاقب بعض رجاله بالشنق . وعندما نزل القنصل مير Meyer إلى البر في اليوم الثامن ، أمر الباشا بأن تؤدي له التحيات المعتادة ، وأعد القنصلية الفرنسية لتكون مسكناً له ، وكانت نوافذ القنصلية المطلّة على البحر قد أصيبت بأضرار بسبب ضرب المدينة بالقنابل .

(١) تقرير عن معركة وقعت أمام كورونا Corona في يوم ٥ سبتمبر سنة ١٧٢٨ في الجزء الخامس من المجلدات القنصلية بطرابلس المرب لودعة في محفوظات وزارة الخارجية بباريس .

وفي سبتمبر وأكتوبر اشتد نشاط المتمردين الطراباسيين رغم ضآلة القوات التي كانت لديهم ، إذ أن معظم سفنهم لم تكن قادرة على الإبقاء طويلاً في البحر ، وليس لديها العدة للقيام بأعمال الغزو لافتقارها إلى الرجال .

وعندما انتهى شهر أكتوبر كان رجال الباشا قد استولوا على سبعة عشر سفينة فرنسية بما في ذلك السفن التي كانت موجودة في موانئ الحكومة عند بداية الحصار^(١) .

كما استولوا على ثلاث سفن أخرى في أوائل أيام شهر نوفمبر .

ومع هذا فإن الباشا لم يكن في استطاعته أن يبدأ ، وكان يشعر أن التهديد الفرنسي يلاحقه دائماً ، ويخشى أن يستفيد من ذلك قريه محمود باشا كور الذي أخذ يحاول إثارة الأهالي بعد انتجائه إلى الجبل ، وقد دفعه ذلك الخوف إلى عقد الديوان حتى يتأكد من إخلاص أعيان المدينة ووجهائها ، وعرف كيف يؤثر ببلاغته على رجال الديوان ويحصل منهم على قسم بتقديم حياتهم وأمرالهم في سبيل خدمته ، كما وصلته تأكيدات الولاء والإخلاص من المحاميد .

ولم يضطر أنصاره للوفاء بما عاهدوه عليه ، إذ أنهم هاجموا خصومه وجعلوا ينحون عليهم باللائمة ، حتى أن محمود باشا كور فقد شجاعته بسبب قلة أنصاره وانفضاضهم من حوله . ولذلك طلب من الباشا أن يسمح له بالانسحاب دون قيد إلى فزان أو إلى الإسكندرية^(٢) ، على أن بعض الثوار وصلوا أبواب مدينة طرابلس ، ومنعوا تموينها ، ولكن لحسن الحظ وصلت حملة من الشعير مرسله من باي تونس .

وكان استئناف هذه الاضطرابات دافعاً لباشا لمجافاة خصومه الحقيقيين أو المزعومين ، فأمر بشتق عبد العزيز بن مروان من سكان تاجوراء ،

(١) العلاقات : السابعة الذكر

(٢) خطاب الدائم بأعمال القنصلية المؤرخ في يوم ٢ نوفمبر ١٧٢٨ .

وأحد كبار رجال الشريعة بها، إما لأنه كان يشك في تأمره مع بوشا كور^(١) أو لأنه كان يريد الاستيلاء على أمواله في لحظة كان يستدفعها لدفع عشرة آلاف قرش إلى « فابوجي باشا » مندوب السلطان الذي كان قد وصل في يوم ٣٠ أكتوبر.

وأثناء ذلك كانت الحكومة الفرنسية التي لم تستطع الاقتناع بالنتائج التي وصل إليها « دي جراند بريه » قد أخذت في الاستعداد للقيام بعمل حاسم بسبب الاعتداء على كرامتها وشرفها وسمعتها ولتأمين الملاحة الفرنسية في البحر المتوسط. وكان الكونت « دي موريا de Maurepas » وكيل وزارة البحرية يريد أن ينهي الأمر دفعة واحدة مع المغامرين الطرابلسيين، وقدّم إليه رايو Reynaud الذي كان قد اشترك في حملة أسطول « دي جراند بريه » مذكرة يرى فيها ضرورة الاستيلاء على طرابلس وقلعتها، أو على الأقل تدميرها وتدمير تحصيناتها وسفن المغامرين، فإذا صعب تنفيذ ذلك نصح بمطاردة سفن المغامرين الطرابلسيين بالقرارب الخفيفة وأراد « دي موريا » أن يعرف رأي « دي جاي تروان Du Guay Trouin » القائد العام للبحرية البحرى لحكومة صاحب الجلالة الذي كان أشهر وأجل وأعظم رجال البحار الفرنسيين^(٢).

وبعد أن تلقى « دي جاي تروان » معلومات مستفيدة عن الموقف من نائب الفرقة التجارية بمرسيليا، وعن أحوال الحكومة في طرابلس من القنصل مارتان Martin وصل هو أيضاً إلى أنه ليس من الممكن تأمين الملاحة في البحر المتوسط دون الاستيلاء على طرابلس وهدم ذلك الوكر الذي يلجأ إليه المغامرون، وإلقاء الرعب بمثل هذا العمل في قلب تونس والجزائر واقترح مشروعاً لحملة يكون قائداً لها^(٣).

(١) انظر روسي — الأخبار العربية الطرابلسية السالف الذكر ص ١٧٠

(٢) الملاحظات — الكتاب سالف الذكر ص ٢٥٩ وما يليها، وكان رايو هذا قد قدم في سبتمبر سنة ١٧٣٧ مشروعاً بضرب تونس بالقنابل والزول فيها. انظر Plantet الكتاب المذكور سابقاً ص ١٨٦ وما يليها

(٣) الملاحظات — السالف الذكر — الماشية انظر ص ٢٦٦ وما يليها.

ووفقاً لمشروعه هذا كان جيش الحملة يتألف من ١١٠٠٠ رجل يحرون فوق ثلاثين أو أربعين سفينة في مجموعتين يحرسها أسطول قوى ، ويتجه هذا الجيش نحو طرابلس ، ورسو على مقربة من المدينة التي يجب أن تغزها في نفس اوقت البوارج الكبيرة والمدمرات بالقابل . وعندما ينزل الجنود إلى البر يعدون معسكراً تحيط به الخنادق أمام المدينة . وحالما يتم تدمير الحصون والبطاريات ، وفزع ثغرات في أسوارها بعد ضربها بالقنابل تندفع الجيوش للهجوم على المدينة بالاشتراك مع رجال البحرية الذين يندفعون إليها من الميناء .

وكان الكونت موريا يؤيد رأى دى جواى كما أن الكردينال فليرى Fleury كان يعترف بملامة توجيه حملة لاحتلال طرابلس . وتدمير مينائها وجعله غير صالح للاستعمال . وأعطيت الأوامر اللازمة فعلاً ، وسرعان ما بدأت الاستعدادات في ميناء طولون لتسليح أسطول جديد أقوى من الأسطول السابق وجمع الغلات والمؤن والذخائر . وإعداد كل ما هو لازم للمشروع .

وأثارت أخبار هذه الاستعدادات الكبيرة وغير المعتادة وما شاع بين السكان بأنها موجهة ضد طرابلس الشبهات والشكوك لدى الباب العالي ، الذى كان يحتفظ لنفسه لدى الدول الأوروبية بالحق في اتخاذ الاجراءات ضد ولائه ، الذين كان يهمه إيقاظهم عند حدهم ، ولم يكن على استعداد لأن يسمح بأن تحتل أية دولة من الدول الكبرى مساحة ما من الساحل الأفريقى ، أو تقوم بتدمير المدن التابعة للباب العالي ، وقد طلب القابودان باشا تفسيرات من السفير الفرنسى المركزى دى فلفيف de Villeneuve عن هذه الاستعدادات فحاول السفير تهدئة قلق الباب العالي ، وفي نفس الوقت الحصول على اعتراف يعطى لفرنسا حق تأديب حكومة طرابلس بالوسائل التى تراها أكثر ملاءمة . وإزاء احتمال وقوع سوء تفاهم مع تركيا التى قد تستطيع نتيجة لذلك ، إثارة التعصب الشعبى ضد التجار ورجال الدين

الفرنسيين وإلحاق أضرار بهم لا يمكن إصلاحها بالنفوذ الفرنسي، الذي كان حتى ذلك الوقت سائداً في الشرق، فقد ترددت الحكومة الفرنسية، وأرسلت تعليمات إلى المركز دي فلافيف لإقناع الحكومة التركية، بأنه إذا اضطرت المالك لاستخدام العنف ضد الطرليسيين أو غيرهم، بتأديبهم بضرب الغنابل، فإن هذا يكون دائماً أمراً مؤسفاً وليس الغرض منه إنقاص سلطة جلالة السلطان، أو زيادة سلطة الملك وأهله إذا قامت فرنسا ببعض الأعمال العدوانية ضد المدن والسواحل الإفريقية فلا يمكن أن يتهما أحدهما بغاية استعمارية أو غرض الفتح والتوسيع أو التدمير والتخريب ولكن ذلك يحدث بقصد إلزام المغاربة بأن يسلكوا نحو فرنسا المسلك الواجب.

وقد نفذ السفير هذه التعليمات بمنتهى المهارة ونجح في الحصول على وعد بالأبواب العالية إلى عمل مفاجئ. ويبقى في انتظار الأحداث.

وأثناء ذلك صدرت الأوامر بقيام عدد من السفن السريعة المسلحة تسليحاً قوياً والبدء في حملة نشيطة ضد المغاربة الطراباسيين، ووصل قبطان البارجة دي جوايون de Gouyon مع فرقاطتين وقاربين في يناير سنة ١٨٣٩ أمام ميناء طرابلس ثم لحقت به خمس فرقاطات تم تجهيزها في طولون وبرست الأمر الذي أوقف نشاط المغاربة الطراباسيين وألحق ضرراً كبيراً بالبasha، فبدأ يميل أخيراً إلى التفكير في الصلح وإلى إرسال سفارة إلى فرنسا طبعاً لتسوية نائب القنصلية الفرنسية بروش وقنصل فرنسا في تونس المدعو بينون Pignon. ودفعه إلى ذلك التفكير أيضاً، وصول مرزوقتين كبيرين من موظفي الباب العالي أرسلهما السلطان إليه بأوامر لعقد الصلح مع الامبراطورية النمساوية ومع فرنسا، ولكن الديوان الذي انعقد لبحث هذا الأمر عارض إرسال مبعوث إلى فرنسا وقرر على العكس من ذلك إرسال سفير إلى القسطنطينية ليطلب من السلطان التدخل لتأييد حكومة طرابلس، كما قرر بأن يبدأ في الحال في إصلاح وتقوية أسوار المدينة بمنتهى السرعة ابتداء من الجهة المقابلة للبناء التي كانت في حالة سيئة.

وأجاب الديوان عن مسألة الغنائم المأخوذة من رعايا إمبراطور النمسا بعد معاهدة الصلح ، بأن التأخير مدة عامين في إرسال القناصل كان يبعث على الاعتقاد بأن المعاهدة ليس لها أى أثر ، وأن الغنائم لا يمكن إعادتها لأنها وزعت بين الطوائف^(١) .

وبالرغم من القرارات التى اتخذها الديوان فإن الباشا استأنف مشروعه يطلب الصلح لما كان يتوقعه من اجراءات شديدة يتخذها ملك فرنسا ضده ولخوفه من استغلال محمود بوشا كور لهذا الموقف فيجمع أنصاراً جديداً ويصبح أكثر خطراً ، وأرسل مندوبه إلى تونس ليسهل لهم فصل فرنسا يمينيون السفر إلى طولون^(٢) .

وأثناء ذلك ، ولكي يظهر الباشا إخلاص أغراضه ونواياه ، لم يكف بإعفاء رؤساء السفن الفرنسيين الأسرى من الأشغال الشاقة فقط ، بل فعل ما هو أهم من ذلك ، إذ أصدر الأوامر إلى المظاهرين من رجاله بعدم الاعتداء على السفن الفرنسية ، وقرر بأن هذه السفن تستطيع من الآن فصاعداً الدخول إلى الموانئ التابعة لحكومة طرابلس دون أن يقع عليها أى اعتداء ، وأرسل سفيره محمد خوجه إلى فرنسا مزوداً بكافة السلطات لإبرام الصلح وحل جميع المسائل المعلقة ، مثل دفع ما اغتصب من القبطان أوليه Ollier وإطلاق سراح الفرنسيين الأسرى^(٣) .

وأدى العمل الحارم الذى قام به الباشا ضد العصاء ، إلى جعل محمود بوشا كور يترك الميدان ، ويرحل بعيداً عن أراضي حكومة طرابلس ويتوجه إلى الاسكندرية مما جعل الجميع يلتفتون حول الباشا بما فيهم أعوان الثائر الذين كانوا يخشون انتقامه بعد النصر^(٤) .

(١) انظر ما قبله

(٢) خطاب النائم بأعمال القنصلية بروش للأورخ في ١٠ فبراير سنة ١٧٢٩

(٣) خطاب النائم بأعمال القنصلية بروش للأورخ في ٢٥ فبراير سنة ١٧٢٩

(٤) انظر المراجع السابقة

وفي يوم ١٦ فبراير سنة ١٧٢٩ سافر سفراء الباشا إلى القسطنطينية ،
وفي يوم ٦ مارس أبحر محمد خوجه إلى تونس ومعه مصطفى أغا وعلى أغا ،
على ظهر سفينة أتطبت إلى قبطان فرنسي بدلا من سفينة التي سبق اغتنامها
منه ^(١) .

وفي خطاب طويل إلى « الكونت دي موريبا » حاول الباشا تبرير
مسلكه وسرد الحوادث بطريقة بارعة ، وعبر عن رغبته الشديدة في إبرام
الصلح ^(٢) .

وأثناء ذلك لم تبق السفن الفرنسية المتجمعة دون عمل ، فقد التقى
الفارس دي جويون de Gouyon في يوم ١٦ فبراير بزورق تابع لمملكة
نابلي ، كان يحرق عليه عدد من التجار الطرابلسيين ببضائعهم ، وأستولى على
الحولة وأسر التجار وترك السفينة . وفي اليوم التالي استرد سفينة فرنسية
كان المغامرون الطرابلسيون قد استولوا عليها وأرسلها إلى طولون ، وكانت
تحمل الم الامبراطوري وتقل السفراء الموقدين إلى القسطنطينية و ٢٨
تاجراً طرابلسياً ومعهم ١٦٨ عبداً وبضائع كثيرة ، واضطربت طرابلس
اضطراباً شديداً عندما وصلها النبأ في يوم ٢٣ مارس عن طريق إحدى
السفن المالطية الموالية الأمر الذي أحزن الباشا وأفزعه كثيراً ، فحاول تهدئة
ثورة الأهالي بأن أعدّ في الحال سفينة أخرى لإرسال سفراء آخرين إلى
القسطنطينية وأخطر في نفس الوقت القنصل بذيون بكل ما حدث واتخذ
الإجراءات اللازمة حتى لا يعتدى أحد على الفرنسيين ^(٣) .

وفي تلك الأيام بالذات سافر إلى الاسكندرية أحمد بوشا كور هو
وزوجته وأولاده ، مع قافلة مراكش والجزائر المسافرة إلى مكة بعد مرافقة

(١) خطاب من القائم بالأعمال بروش بتاريخ ٢ مارس سنة ١٧٢٩

(٢) خطاب أحمد باشا إلى صاحب السعادة الكونت دي موريبا المؤرخ و ٦ مارس
سنة ١٧٢٩ . الجزء الخامس من المراسلات القنصلية من طرابلس الغرب للودعة في عيوانات
وزارة الخارجية بباريس .

(٣) خطاب القائم بالأعمال بروش المؤرخ و ٢٧ مارس سنة ١٧٢٩

الباشا على سفرهم معها، وفر كثيرون من أعوانه خوفاً من اكتشاف أمرهم^(١) وأخيراً وجد الباشا نفسه حراً طليقاً من كل قلق أو اشتباه .

وحوالى منتصف شهر مارس اقتربت من ميناء طرابلس سفيتان حريتان فرنسيتان ، هما زفيرو وفلورا Zeffiro , Flora وبعد أن طلب القائد دى بانديفل de Bandeville إرسال سفراء إلى فرنسا لطلب الصلح ، وافق في يوم ١٣ مارس على إيقاف أعمال العدوان . وبعد أن أرسل القائد السفينة فلورا لإبلاغ ذلك الخبر إلى سفن الحملة الأخرى ، أقلع بالسفينة زفيرو عائداً إلى طولون حيث وصلها في يوم ٢٨ مارس قبل وصول مندوبى الباشا بيوم واحد ، وواصل مندوبو الباشا سفرهم إلى باريس وطلبوا المفاوضة في الصلح بصفتهم مفوضين في ذلك ، ولكن الفسكونت دى موريبا رفض أن يتفاوض معهم لأنه كان يعتقد بأن المفاوضات أمام طرابلس تاتى بنتائج أفضل حيث تستطيع مدافع الأسطول تقوية العمل الدبلوماسى . ولذلك فإنه أعطى التعليمات المناسبة إلى الفارس دى جويون ، ومع ذلك أمر بإبقاء مندوبى الباشا في باريس عند حضورهم لما كان يتوقعه من نفع كبير . أما الفارس دى جويون الذى كان قد أذعه نحو شرق البحر المتوسط لإبلاغ الأوامر بوقف الأعمال العدوانية في تلك الجهات ، فقد عاد إلى ماطة في يوم ٢٢ مايو وتلقى التعليمات الموجهة إليه ، ثم أقلع إلى طرابلس مع معظم قرائه .

وعندما وصل طرابلس في يوم ٣١ مايو أرسل إلى الباشا لإبلاغه بالأمر الذى يحمله اقتصل فرنسا في تونس بنبون الذى كان قد بدأ منذ عدة أيام المفاوضات مع الباشا لإبرام الصلح^(٢) . وقد صحح بنبون في الاتفاق مع الباشا بكل سهولة إذ تعهد أن يدفع في الحال ٢٠٠٠ قرش ويسترد الأمرى وقبل جميع الشروط الأخرى .

(١) خطاب التام بالأعمال بروش المؤرخ ٢٦ مارس سنة ١٧٢٩

(٢) بلائقيه السكنايات الثالث الذكر جزء ٢ ص ٢١٠ - ٢١٢

وفي يوم ٩ يونيو تم التوقيع على معاهدة الصلح وأصرح الفارس
دى جويون طبقاً للتعليمات التي تلقاها بحمل المعاهدة إلى باريس من
نسختين إحداها باللغة الفرنسية والأخرى باللغة التركية تحمل توقيعات
الباشا وكبار الموظفين الآخرين^(١).

وبعد جولة قصيرة عاد دى جويون بالأسطول أمام طرابلس ينتظر
التعليمات^(٢).

وعرضت المعاهدة في باريس على المندوبين دى لاكروا ،
Mr. Petit de la Croix مترجم الملك والخير في اللغات الشرقية لجنتها
فأكتشف وجود خلافات كبيرة بين النسخة الفرنسية والنسخة التركية ،
إذ حذفت في النسخة التركية قيمة التعويض الذي كان يجب على الحكومة
الترابلية دفعه ، كما ظهر فيها التلصص من النصوص المينة في طلب العفو .
وقد استدعى الكونت دى موريس المندوبين الترابليين إليه ، وصرح
لهم بأن غضب الملك بلغ أشده ، وأنه لا يريد أن يحتمل وجود ممثلي شعب
لا عهد له ولا وفاء في عاصمته وأبدهم إلى شالون Châlons فندب الرعب في
قلوب محمد خوجه وزمليه ، وخشوا حدوث ما هو أسوأ فكتبوا إلى الباشا
يتضرعون إليه ويبتسمون منه قبول كل مطالب فرنسا ، إذ أنه بغير هذه
الطريقة لا يمكن إبرام الصلح مطلقاً .

أما الكونت دى موريس الذي كان يريد الضغط على الباشا فإنه
اكتفى برسالة مندوبي الباشا إليه ، ولم يتحدث أحد بعد ذلك عن مسألة

(١) ومنها فنصل فرنسا في طرابلس De Guyon ومعهما تونس Pignon
من الجانب الفرنسي ومنها من الجانب الليبي أحمد القرماتلي وشبان وروس من أحمد مير لواء
وحسن كاتردار ورمضان أما الاسكندرية وحسين بك عمود القبطان ومصلح بن الحاج شهبان
قبطان الميناء ومحمد بطرونة وعثمان خردهار « مراجع »

« سجلات التصلية الفرنسية بمدينة طرابلس »

(٢) انظر فيما يتعلق بحمل الفارس دى جويون س. ماكين الدلائل ... الخ (السالف
الذكر) حاشية ٦ ص ٢٧٤ وما يليها

نفيهم ، ثم أرسل نبي دى لاكروا معاهدة أخرى حررها باللغة التركية إلى دى جويون ، لكي يرضها على الباشا لتوقيع عليها دون أن يسمح له بمناقشتها ، واضطر أحمد القرمانلي للإذعان واحتمال هذا الذل . وتم التوقيع على المعاهدة في صورتها الجديدة والنهائية ، وكلف الباشا المندوبين الطرابلسيين بتقديم طلب بالعفو إلى الملك . فاستقبلهم الملك لويس الخامس عشر في غرفته وإلى جانبه الكاردينال فلوري Fleury والكونت دى موريا والوزراء وجمهور من كبار الموظفين وأعيان البلاد . وردد السفراء الصيغة المنفق عليها وكانت تترجم فقرة بعد فقرة ، ثم استقبلتهم الملكة بعد ذلك .

وفي تلك الليلة ذاتها سافروا إلى مارسيليا ، وبمجرد التوقيع على المعاهدة الجديدة^(١) وقع حادث غريب فإن القنصل النمساوي ف . ج . ماير الذي كان قد أقام مؤقتاً بدار القنصلية الفرنسية التي كان قد تهدم جزء منها ، وكانت بعض غرفها في حالة جيدة ، رفض أن يرد المبنى إلى ملاكه القدامى ليقيم فيه القنصل الفرنسي الجديد « دى رايموندى de Raimondis » وظل العلم النمساوي يخفق على مبنى القنصلية الفرنسية ، ولذلك فإن دى جويون أعلن أنه لن ينزل إلى البر إلا إذا رأى العلم الفرنسي يرفع مكانه فوق القنصلية وبعد أن تؤدي له التحية من مدعية الأسطول والميدان .

وأخيراً وضع الباشا حداً لهذا النزاع المضحك فأمر قواصيه بنقل القنصل النمساوي ماير إلى مكان آخر ، وهكذا رفع العلم الفرنسي من جديد في يوم ٢٤ يونيو سنة ١٧٢٩ ، فوق القنصلية الفرنسية ، وبعد أن قامت المدفعية بتأدية التحية استطاع القنصل الفرنسي دى رايموندى أن يضع يده على القنصلية ويأمر عمله .

(١) نشرت في كتاب أ . روارد دى كلرد « E. Rouard de Card » الباب

الذكر من ٢٦٣ وما يليها

وبعد ثلاثة أشهر أعادت فرقاطة فرنسية بقيادة الفارس دي سابران de Sabran إلى طرابلس جميع رعايا الباشا الذين كانوا قد أخذوا من السفن الطرابلسية وحجزوا في طولون .

وأقيمت احتفالات كبرى بهذه المناسبة في طرابلس . وازدادت هذه الاحتفالات والمهرجانات زيادة كبيرة عند ما عاد دي سابران ثانية إلى طرابلس ومعه السفراء الذين كان الباشا قد أوفدهم لعقد الصلح . وقد امتدح هؤلاء السفراء المعاملة الحسنة التي وجدوها في فرنسا، ولم يمض غير قليل حتى عاد في ١٩ سبتمبر السفراء الذين كنن الباشا قد أوفدهم إلى إنجلترا ، وقد حملتهم إلى طرابلس بارجة حربية قدم قائدها إلى الباشا ١٥٠٠ قنطاراً من البارود ووعد به بأن يحمل إليه هدايا خاصة في الربيع التالي^(١) .

(١) خطاب قنصل فرنسا de Raimondis المؤرخ في ٢٤ مارس سنة ١٧٢٩

الفصل الثالث

أيام لحمد القرماني الأخيرة

بعد أن أصبح أحمد القرماني سيداً للحكومة في طرابلس، لم يعد يرسل إلى الباب العالي المشرة في المائة من قيمة الغنائم التي كان يفتنمها مغامروه، فأرسل السلطان أحد كبار رجاله إليه لتحصيل المبالغ المستحقة عليه من هذه الغنائم، وجاء هذا الطلب في وقت غير مناسب، لأن الباشا كان مضطراً عندئذ لدفع المبلغ الذي طلبته فرنسا، ولأن أحمد ناصر حاكم قران كان قد رفض دفع الجزية التي كان قد تعهد بدفعها.

ويذكر أن عاد مندوب السلطان بوعود مبهمه، أعد الباشا حملة قران وطلب من الحكومة الفرنسية مدفعين، فأسرت يار سالهما إليه^(١) وذلك لأنه كان لا يزال يذكر الصعوبات التي صادفها في المرات السابقة.

وبينما كانت الاستعدادات تتم لهذه الحملة، وصل في يوم ١٠ أبريل سنة ١٧٣٠ أسطول إنجليزي يتألف من أربعة بوارج بقيادة الأميرال كافنديش Cavendish وفي يوم ١٢ أبريل تمت الموافقة على معاهدة الصلح. وفي يوم ٥ أقالم الأسطول متجهاً نحو الغرب.

ومن جهة أخرى فإن نائب ملك نالي، دفع لأحد باشا ١٤٠.٠٠٠ دوكية، ويضاً عن الزورق الذي أخذه دى جويون في فبراير سنة ١٧٢٩ فضلاً عن ٧٠.٠٠٠ دوكية أخرى، وأرسل إليه الإمبراطور هناديا ثمانية آنية من الفضة وأقشة وأساحة تبلغ قيمتها حوالي ٣٠.٠٠٠ قرش^(٢)

(١) خطاب الفصل دى وايوندى المؤرخ في ٢٤ مارس سنة ١٧٣٠

(٢) خطابات الفصل دى وايوندى المؤرخة في ١٩ أبريل سنة ١٧٣٠ و ٥ يناير و ٣٠

وفي ١٣ يوليو سنة ١٧٣١ وصل إلى ميناء طرابلس أسطول فرنسي يتألف من أربع بوارج بقيادة « دى جوى تروا Du Guay Trouin » وكان قد غادر هذا الأسطول طولون في يوم ٣ يونيو ووصل في يوم ١٧ أمام مدينة الجزائر حيث أرغم « الداي » على قبول قنصل فرنسي، ثم توجه بعد ذلك إلى تونس للتوسط في إطلاق سراح بعض الأسرى الفرنسيين، ووصل بعد ذلك إلى طرابلس لكي يتأكد من اتجاه حكومة طرابلس لإزاء فرنسا، ونزل قومندان البارجة « الماركيز دانتان d'Antin » مع حاشية كبيرة لزيارة الباشا الذي استقبله بحفاوة كبيرة كما استقبله السكان الذين كانوا قد تأثروا هم أيضاً كثيراً من ضرب مدينتهم والقنابل في يوم ١٨ يونيو^(١) استقبالا حافلا . .

وعلى عكس ذلك، أثار وصول البارجتين النمساويتين إلى ميناء طرابلس في ٢٤ أغسطس كثيراً من الخلاف والاصطدام بين القنصل الامبراطوري والباشا، سواء بسبب عدد طلقات المدافع التي كان على مدفعية الميدان أن تطلقها لتحيتهما، أو لأن قومندان الأسطول كان يطالب بإطلاق سراح الألمان والنابليين والصقليين الذين كانوا قد أخذوا أسرى^(٢).

وفي خريف تلك السنة نفسها غادرت طرابلس الحملة الموجهة ضد فزان بقيادة محمد بك ثاني أبناء الباشا، وكانت هذه الولاية الصغيرة التابعة لباشا طرابلس تضم في ذلك الوقت ثلاث مدن وخمس قرى وعدداً كبيراً من غنيمات البدو، وبعد أن غزا محمد بك المراكز المأهولة والواحات - حاصر مدينة مرزق أهم مدن فزان، وسمت المدينة بعد أن وصلته الامدادات من أخيه محمد ومن خليل بن خليل قائد مسلاته .

وعرض أحدنا صرحاً كم فزان أن تبقى سيادته على الاقليم بشرط أن يدفع نفقات الحرب والجزية المتأخرة^(٣)، ولكن الباشا لم يوافق وصمم على إعطائه درس

(١) خطاب التصل دى رايغوندى المؤرخ ٢٠ يوليو سنة ١٧٣١ المؤلف الذكر

(٢) خطاب القنصل دى رايغوندى المؤرخ ٣١ أغسطس سنة ١٧٣١

(٣) انظر ما قبله وانظر أيضاً موجز تاريخ المغاربة - المؤلف الذكر

يمنع تكرار أعمال التمرد التي تقوم بها فزان من آن لآخر ، فأصدر أوامره لتجلبه باستمرار الأعمال الحربية حتى يستلم أحمد ناصر .
وعندئذ عاد محمد بك لمحاورة فزان وقبض على السلطان المتمرّد وسأله إلى طرابلس .

كان الباشا يريد أن يحكم على سلطان فزان بالإعدام ، ولكنه نزل بعد ذلك على إلحاح ابنه ووافق على إبدال العقوبة . وعندما اجتمع الديوان عرض الباشا السلطان أحمد ناصر وابنه للبيع بالمزاد بوصفها من العبيد ، فأشترهما محمد بيك بمئتين صغيرتين من النحاس ، وهذه العملية المهيّنة أعيدت إلى أحمد ناصر جميع سلطاته وتولى ثانية حكم فزان بلقب « شيخ » وعاد إلى مدينة مرزق مع حرسه ، مكون من عدد كبير من الجنود ليهدم أسوار تلك المدينة ^(١)

وأثناء الحملة على فزان ، اجتاحت مدينة طرابلس والريف طاعون شديد ، كان من بين ضحاياه القنصل الفرنسي وابناه والقائم بأعمال القنصلية والقنصل النمساوي وكثير من الأوروبيين الأحرار والأسرى .

وقد ظلت أرملة القنصل راييموندي Raimondis تدير القنصلية بنشاط لم يكن معهوداً في النساء ثم أنابت دى جيربانت De Gerbant قنصل هولندا في رعاية مصالح مواطنيها بمقام بذلك العمل حتى وصل المسير بنبون Pignon الذي كان من قبل قنصلاً لفرنسا في تونس ^(٢) ، وكلفته حكومته بإعادة تنظيم القنصلية ثم بشراء خيول من بنغازي ودرنه فرغب في زيارة المدينة المتحجرة (أي الموبوءة) وحصل من الباشا على كل مساعدة ممكنة لتحقيق غرضه .
وقد تمتعت البلاد في هذه الفترة بضع سنوات من الهدوء والاستقرار ، والازدهار الاقتصادي ، وعمل أحمد القرماني على تجميل المدينة بإزالة كل أثر من آثار ضربها سنة ١٧٢٨ بالقنابل

(١) وقد بنيت ثانية بعد ذلك سنة ١٧٤٦ أثناء حكم محمد باشا الترماني لطرابلس

(٢) خطابات المسير دى جيربانت المؤرخة في ٣ و ١٢ يوليو سنة ١٧٢٢

(٣) خطاب المسير بنبون بتاريخ ٣ أغسطس ١٧٢٢



مدينة طرابلس - مسجد أحمد باشا - يلاحظ الرواق الطويل ذو البوابة لسوق
للشهر - والقبعة الكبرى إلى يسار الضريح .



الباب الرئيسى لمسجد أحمد باشا في ناحية الغرب



مدخل بياني من الغرب لمسجد أحمد باشا والرواق ذو البوابة



القنّاء الدّاخِل لمسجد أحمد باشا



فناء مدخل مسجد أحمد باشا من جهة سوق المشير



الأنشطة الموجودة بمسجد أحمد باشا وقد دفن بها أحمد القرماني



الأندرحة الموجودة بمسجد أحمد باشا وضريح أحمد باشا هو
أعلاما في آخرها على اليمين.



محراب مسجد احمد پاشا



مبَـلَـغَةُ مَسْجِدِ أَحْمَد بَاشَا الَّتِي تَعْلُو الْمَدْخَلَ الْعَامِي



نقوش کتابیہ تعلق واجہہ باب مسجد احمد پاشا
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله .

روضہ زہراجنہ ذات بردونسم
وجہا کوثر ونوار وشمس
حیا لها ابن ملک فاخرت زہر النجوم
کی تواری بعد عمر اکبریم بن اکبریم
وتقیہ من جہیم وسموم وجم
أن ترد نارینہا هذا زاد النعم

سنہ ۱۱۲۹ھ



نقوش كتابية على واجهة الباب الرئيسى لمسجد أحمد باشا
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

يا رب أكرم من بنى هذا السبيل	وأتمم له الإنعام والخير الجزيل
هو أحمد الباشا له منك الرضا	واجعل له فى جنة المأوى مقيل
واغفر له ولوالديه وبنوه	وأدم مآثره الحميدة باجليل
يا واردا أدع الإله له وقل	تاريخه يقيه طيب السلسيل



نقوش كتابية على باب مسجد أحمد باشا من جهة سوق المشير
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه .

المجد لله على نعم	مُجِّلت بطلعة حاكم متفضل
هو أحمد الباشا الذي أجرى لنا	ماء يسيل إلى سيل منهل
وبنى لنا برجا وأسس جامعاً	في الحسن جاء من الطراز الأول
ياربنا وأتمم له الحسن التي	نرجى لميم الملك في المستقبل
واجعل جوازا لاذ دعوت مؤرخا	قل قال في الفردوس أحضى منهل

وفي سنة ١٧٣١ - ١٧٣٧ شيد أحمد القرماني المسجد المعروف الآن باسمه في المكان الذي كانت تقوم فيه مساكن الإنكشارية ومكان اجتماعهم والمسجد الذي كان يطلق عليه اسم مسجد الديوان - ويعد هذا المسجد الذي شيد القرماني أجل المساجد في طرابلس وقد أوقف عليه الباشا وقفا يدر ريعاً كبيراً ، وشيد على مقربة منه المقبرة الأنيقة التي أعدها لمتواريه الأخير هو وأعضاء أسرته الآخرين ، وزخرفها زخرفة بديعة^(١)

وقد وقعت في جزيرة جربا Gerba القرية من طرابلس حوادث دامية لم يكن لها رد فعل في طرابلس فقد ثار سكان جربا ضد الشيخ موسى بن صالح الذي كان يريد على بن محمد بيك تونس فرضه عليهم بينما كانوا يفضلون الشيخ أحمد ، وأدى هذا النزاع إلى وقوع كثير من القتلى الذين قطعت رؤوسهم ، ونصلت عن أجسادهم وكسدت في كومة كبيرة^(٢).

وقد لجأ الشيخ أحمد إلى طرابلس ، وطلب من الباشا أن يتنازل له عن الجزيرة ، فرفض الباشا ذلك العرض حتى لا يدخل في نزاع مع بيك تونس. ثم استولى على بن محمد في سنة ١٧٣٥ على تونس وخلع عنه حسين بن علي عن العرش. وذهبت منذ ذلك الوقت علاقات حسن الجوار التقليدية التي كانت قائمة بين الدولتين المتجاورتين .

وكان القرماني يتبع في كثير من الشكوك سياسة بيك تونس الجديد ويخشى أن يفكر هذا الأخير في الهجوم على طرابلس ، ولذلك كان يحاول التودد إلى إبراهيم داي الجزائر حتى يحصل منه على المعونة في حالة وقوع حرب بين تونس وطرابلس ، ولهذا الغرض لم يتورع عن ارتكاب جريمة قتل شنيعة..

(١) Aurigemma S. : مسجد أحمد القرماني بطرابلس — * Dedalo * —
النبذة السابقة جزء ٨ . انظر حول نقاط أحمد باشا والباي التي شبهها — كتاب Rossi E.
الأخبار العربية الطرابلسية .. الخ المؤلف المذكر من ١٧٥ أطر العصور من ص ٦٧ — ص ٧٨
(٢) ش . مونيكورت Ch. Monchicourt * الحلة الأسبانية في سنة ١٥٦٠ —
شد جزيرة جربة * — باريس — ليرود — سنة ١٩١٣ صفحة ١٥٦

لما خفي إبراهيم بك صهره الحاج محمد ابن الداي السابق لما كان يتنعم به من شعبية . فذهب الحاج محمد إلى القاهرة وتمكن من جمع ثروات طائلة جعلته لا يشعر بألم من ذلك النقي ومن مركزه كواطن عادي . ولكنه كان شديد الرغبة في العودة إلى الجزائر للاستيلاء على السلطة التي كان صهره قد اغتصبها منه اغتصاباً ، وكان يشجعه بك تونس على تحقيق أطماعه ويعدّه بكل مساعدة ممكنة سواء بالمال أو بالسلاح للقيام بهذا المشروع . ولما نفذ صهره تحرك في نهاية أبريل سنة ١٧٤٢ من القاهرة نحو الغرب ، ومعه جيش يبلغ عدده نحو ستمائة من الرجال المسلحين .

ولم تكد أخبار هذه الاستعدادات تصل إلى باشا طرابلس حتى أبلغها إلى داي الجزائر وأمريك بنغازي بأن يعترض مرور الحملة ، ولكن الحاج محمد تفادى كل ما اعترضه وبعد أن قضى ٧٥ يوماً في سير سريع وصل إلى حدود طرابلس في يومه بونيوجيت كان يومه خطأ أنه سيحل ضيفاً كريماً فيها . وقد أرسل الباشا لمقابله أنه محمد وحسن أغا أحد وزرائه فقدموا له التحية وودعاه للتوجه إلى القلعة ، وقبل الحاج محمد هذه الدعوة بسرور ، وترك رجاله المسلحين عند أبواب المدينة ، وسار مع الضباط المكثفين بحراسته حون أن يساوره أي شك .

ولكن ما أن دخل القلعة حتى أحاط به بعض الإنكشارية وخنقوه بعد صراع قصير . واضطر رجال حرسه للتسليم لقوة تزيد عنهم عدداً ، أما الأسلحة والخيول والجمال وأموال المقتول وتبلغ قيمتها حوالي خمسمائة ألف زكيني فقد أصحبت غنيمة للباشا ^(١) .

وغضب بك تونس غضباً شديداً لهذه الجريمة الشنعاء ، وراحت إشاعة تدبيره لحملة عسكرية يقوم بها ضد الطرابلسيين ، حتى أن الباشا استعد للدفاع ^(٢) ، ولكن هذا التهديد كان وقتياً ، ولم يدم طويلاً ، إذ أن داي

(١) خطاب قسطنطين جوتييه Gautier المؤرخ في ٨ يونيو سنة ١٧٤٢

(٢) خطاب القسطنطين جوتييه المؤرخ في ٢٧ أكتوبر سنة ١٧٤٢

الجزائر رغبة منه في أن يسود الوئام بين الحكومات الثلاث ، اقترح أن تتحد في محالفة دفاعية وهجومية ، وأن يتضامن الأمراء الثلاث ، ويضمن كل منهم عرش الآخرين ضد أعدائه من الأجانب ومن سكان البلاد ، وقد قوبل هذا الاقتراح بارتياح وبقبول حسن .

واختيرت تونس مركزاً للمفاوضات . وأرسل إليها الباشا مندوباً عنه هو حسن أغا . ولقد وفر إقرار العلاقات الطيبة مع بك تونس على القرمانلي الشعور بأى قلق من جانب أسرة بوشاكور المطالب بالعرش والذي جاء من الاسكندرية إلى تونس ، وكان له حتى ذلك الوقت أنصار بين سكان الجبل^(١)

عاد نشاط المذمرين من جديد كنتيجة للحرب التي دارت بسبب ورائثة العرش المتناوى في شهر أكتوبر سنة ١٧٤٣ ، اتخذ الباشا من أسر سفينة طرابلس وبخارتها على سواحل كلابريا مبرراً لإعلان الحرب على ملك نابلي . ولم يكف بسجن رجال سفينتين تابعين للحكومة ، ملك نابولي كائناً في ميناء طرابلس ، بل أخرج غزاته انهاجم السفن التابعة للحكومة نابولي رغم تدخل الباب العالي لإعادة السلام .

وبينما لم يكن الباشا يعد حساباً للدول الصغرى كان يحاول أن يظل على الحياد بين فرنسا وانجلترا ، اللتين كانت سفنها قد بدأت في التقاتل قبل أن تعان الحرب رسمياً بينهما ، وكان للعمليات الحربية في البحر المتوسط رد فعل حتى في ميناء طرابلس .

ففي خريف سنة ١٧٤٤ أخذت سفينة انجليزية تتحرك أمام مدخل الميناء لمطاردة السفن الفرنسية ، ولما كان الباشا يخشى قوة البحرية الانجليزية فإنه لم يجرؤ على اتخاذ أية اجراءات لضمان حرية دخول السفن المطاردة ، كما لم يمنع قباطنة السفن الفرنسية التي كانت لاجئة في ميناء طرابلس من

(١) - كتاب القدس جونا المذبح في ٢٤ أكتوبر سنة ١٧٤٣

هياجة السفن الانجليزية ، وإرغامها على الفرار وكذلك بمنحها من أسر سفينة تجارية كان يرفرف عليها علم انجليزى .

ولما علم الفارس دى كايوس De Caylus الذى كان يسبح بالقرب من مالطة يخبر هذه الحوادث، أرسل إحدى بوارجه المسماة «ديامنت» Diamante ، بأمر الماركيز دى كوزن مانيفيل De Quesne Manneville فوصل أمام طرابلس فى يوم ١٤ أكتوبر .

وقد استقبله الباشا رغم مرضه استقبالا حافلا ، وقدم له امارات الاحترام والتبجيل وأكد له احترامه واخلاصه للملك ^(١) .

وكان لمهمة دى كوزن ما قبل أركير ، إذ تدخل الباشا فى وقت مبكر ضد خمسة من السراكة الذين كانوا يعرقون أعمال الملاحة على طول سواحل حكومة طرابلس .

وكذلك وصل إلى طرابلس فى ١٠ سبتمبر سنة ١٧٤٤ مندوب نابولى السنيور فوسكى Voschi لتجديد الصلح ^(٢) ونجح بعد بضعة أشهر انقضت فى مفاوضات عقبة ، فى الاتفاق مع الباشا بعد أن قدم له باسم مليكه فجا وشعيراً ، لتخفيف وطأة القحط الذى أصاب بلاد حكومة طرابلس . وفى يوم ١٢ ابريل أعلن ذلك الاتفاق فى احتفال كبير . وكان الاتفاق يقضى بأن يمنح ملك نابولى كبات كبيرة من القمح والشعير للباشا ، ويرد السفن التى سبق أسرها ، ويطلق سراح رجالها ويرسل هدايا الباشا ، ويقيم فوسكى رهينة حتى يتم التصديق على هذا الاتفاق . وسرعان ما تم تنفيذ كل ذلك إذ قامت فرقاطة تابعة لحكومة نابولى بحراسة حوالة الحبوب والسفينة وملاحيها ، وحصل الباشا على الهدايا الثمينة التى وعد بها - خلاف مبلغ ٤ آلاف زكىنى نقداً وعداً ^(٣) .

(١) خطاب الفئصل جوتييه المؤرخ فى ١٩ أكتوبر سنة ١٧٤٤

(٢) خطاب الفئصل جوتييه المؤرخ فى ٣٠ سبتمبر سنة ١٧٤٤

(٣) خطاب الفئصل جوتييه المؤرخ فى ١٢ أبريل سنة ١٧٤٥

كانت هذه هي آخر أعمال حكومة أحمد القرماني الذي كان منذ زمن قصير قد فقد بصره ومع ذلك نجح في إخفاء هذه العادة التي أصيب بها حتى لم يعلم بها أحد سوى قليل من أخصائه والمقربين إليه .

وعندما شعر بعمجه عن إدارة الدولة والسيطرة عليها في ذلك الوقت عهد بالعناية بأمور الدولة إلى ابنه محمد .

ولما كانت تأتي عليه نفسه أن يكون موضع عطف أولئك الذين كان يرضى عليهم إرادته حتى ذلك الوقت ، أثر الموت على الحياة ، وأطلق على نفسه رخصة من مهندس أصابته في الجزء الأسفل من بطنه ، وسرعان ما فارق الحياة^(١) في ٤ نوفمبر سنة ١٧٤٥ .

وهكذا مات أحمد القرماني في التاسعة والخمسين من عمره بعد أن استطاع بفضل صفاته الشخصية العظيمة . وعلى الأخص إرادته القوية ، وثباته الذي لا يعرف الخضوع ، أن يبقى على العرش ويستقر فيه بهذه الصورة وأن ينقله إلى ذريته من بعده ، وعرف كيف يقاوم بزعمة الدول العظمى نفسها مثل فرنسا وجعل الجميع يمتدحون له بالسلطان ، حتى أهالي الدولة الكثيرة الشعب والمقيمين في أقاصى مملكته .

(١) خطاب التتبع الفرنسي دي جاردان De Gardan المؤرخ في ٦ نوفمبر سنة ١٧٤٥

الفصل الرابع حكم محمد القرماني

ما كاد أحد القرماني يموت في ٤ نوفمبر سنة ١٧٤٥ حتى تم الاعتراف بابنه الثاني محمد خليفة له ، فقد تمت توليته للعرش دون أية صعوبة نظراً لنياب محمود بن أحمد البكر الذي وصله نبأ وفاة أبيه واعتلاء أخيه العرش في وقت واحد .

وكان هذا الأمير الشاب الذي اختاره والده ليكون خلفاً له يحظى بالرضاء العام ، ليس لمواهبه الشخصية فقط ، بل لأنه ابن زينب أرملة خليل باشا وابنة محمد باشا شائب العين ، وقد كانت سيدة محبوبة جداً ويقدرها الشعب الطرابلسي كل التقدير ، وقد توجه فواصل الدول العظمى الذين أتاحت لهم فرصة معرفته وتقديره في الفترة القصيرة التي أدار فيها الحكومة أثناء حياة والده ، انتهت بمناسبة لارتفاعه العرش ، كما قدم قائد البارجة السويدية التي حلت السفير الطرابلسي إلى طرابلس الهدايا التي كانت لأبيه ، وهي عبارة عن بلشونة (طير ملك الحزين) محلاة بالماس ، وفراء واقشة وغيرها وتبلغ قيمتها حوالي ١٨ ألف سكودي^(١) .

وقد وعد محمد القرماني القناصل باحترام المعاهدات كما أظهر للقائم بأعمال القنصلية الفرنسية عزمه على إرسال سفير إلى حكومة فرنسا ، ورجاه في أن يتوسط لدى السفير الفرنسي بالقسطنطينة ليعمل على تأييده لدى السلطان .

وكان من أول الأعمال التي قام بها إرسال بعثة إلى السلطان تحمل هدايا ثمينة وتطلب الاعتراف به بصفته باشا طرابلس .

(١) خطاب القنصل دي جاردان De Gardan المأرور في ٦ نوفمبر سنة ١٧٤٥

كما وجه بعد ذلك رسالة لملك فرنسا يبلغه فيها بوفاة والده ، ويتعينه خلفاً له ، وتسلمه زمام السلطة ، ويطلب منه أن يظل متمتعاً بما كان يتمتع به والده من رعاية فرنسا وصدقتها^(١) . وقد أظهر رغبته في الاحتفاظ بعلاقات طيبة مع فرنسا وذلك بحسن استقباله للفنصل كولىت Caulet الذى وصل إلى طرابلس ، وتسلم أعباء منصبه في شهر يونيو من تلك السنة . ولم يكن يرمى إلى غرض آخر من إرسال تلك السفارة إلى ملك فرنسا . وقد عين لهذه السفارة صهره أحمد بن حسن^(٢) كنيا الذى ينتمى إلى أمرتشفل جميع أفرادها أعلى المناصب منذ زمن بعيد ، وكان يتمتع بسلطة واسعة في الدولة ، ولكنه أتهم بغشاة هو ووالده في ٢١ فبراير سنة ١٧٤٥ بالتآمر للاستيلاء على الحكم ، وأعدما ، ولقى نفس المصير أحد اخوته الثلاث ، ونجح الثانى فى الإلتجاء إلى تونس ، أما الثالث وهو مصطفى الذى كان يعيش في درنة بصفته حاكماً لها ، فإنه اضطر إلى الهرب^(٣) بمجرد أن علم بخبر هذه الكارثة التى ألمت بأهله ، وبعد أن حاول عبثاً ودون جدوى إثارة أهالى ذلك الإقليم ، فعين الباشا مكانه أحماء محمود القرماتلى ييكاً على بنغازى^(٤) إذ كان وجوده في طرابلس موضع شك وقتلى لمحمد باشا .

وخوفاً من ترمد أنصاره وعصيانهم فقد أمر محمد باشا في سبتمبر سنة ١٧٤٦ بقتل اثنين من أشهر هؤلاء الأنصار وأعظمهم نفوذاً ، وهما رئيس البحرية وابنه ، رغم أن أولهما كان ابن عمه وصهره ، والثانى ابن أخته ، ولم يكن لهذا من أثر فإن محمود ييك ، ولو أنه تألم كثيراً لذلك العمل إلا أنه لم يظهر أى غضب أو سخط على أخيه .

(١) خطاب عهد القرماتلى المؤرخ في ٦ يناير سنة ١٧٤٦ لى ملك فرنسا

(٢) المقصود هو حسن كنيا بن ابراهيم كنيا فازداغلى المصهور باسم الصغير حتى لا يختلط بحسين كنيا على فازداغلى المصهور باسم ابراهيم الأحمر والد اللاطية زوجة على باشا . وقد تزوجت إحدى بناته المسماة فاطمة أرملة يوسف ، الابن الأكبر لأحد القرماتلى وانجبت من محمد باشا

(٣) خطابا الفنصل دى جاردان المؤرخان في ٢٤ نوفمبر سنة ١٧٤٥ و ٧ يوليو سنة ١٧٤٦

(٤) خطاب الفنصل دى جاردان المؤرخ في ١٧ يناير سنة ١٧٤٦

بقى الأهل ما كثرين وقدموا الدليل بعد ذلك على تعلقهم بالأسرة الحاكمة ، عندما استعد ابن الحسن كنياً المنعطفان للانتقام ، لغزو أراضي دولة طرابلس ، أحدهما من مصر بجيش قوامه خمسمائة رجل مسلح ، والثاني من تونس على أمل إثارة ثورة عامة في البلاد .

أما قوات الأول فهزمت بسهولة أثناء تقدمها في صحارى (سرت) وأما الثاني فقد منعه الحرب التي كانت قائمة بين تونس والجزائر من أن يجمع القوات اللازمة ، ولذلك لم يستطع أن يخوض المعركة في نفس الوقت الذي خاضها فيه أخوه ، ومع هذا فإن الآخرين نجحوا في الاتصال ببعضهما في جبل غريان ، حيث جمعا بعض الأنصار ، ولكنهم كانوا قليلين وغير كافيين للزحف على طرابلس ، وبعد زمن قليل تفرق الأنصار ، فلهذا الأخوان إلى تونس .

وأظهر محمد القرماني في أيام حكمه الأولى معارضته لأعمال الغزو والمغامرات ولكن الديوان الذي كان يحاول الاستفادة من تغيير الأمير لاستعادة جزء من سلطته المفقودة ، قرر أن أعمال المغامرة يجب أن تستأنف ضد سفن جميع الدول المسيحية ، واستطاع الباشا بعد معارضة شديدة الحصول على استثناء بسفن فرنسا وإنجلترا .

وبدا أنه لا بد من الحرب ضد ملكة نابولي^(١) ، واستمرت العلاقات متوترة مدة من الزمن . ولكن الطرفين وصلا بعد ذلك إلى اتفاق . وأثناء ذلك بلغت المغامرات الطرابلسية أعظم مداها ، واندفع المغامرون الطرابلسيون حتى شمال البحر المتوسط يهاجمون السفن الغير مسلحة ويغنمونها^(٢) .

وبطبيعة الحال تعددت الحوادث مع مختلف الدول ، واستمرت في الازدياد ، وكان على الباشا في أغلب الأحيان تقديم العرضيات عن الأضرار التي كان يحدثها رؤساء سفنه ، وأن يأمر أيضاً بإعادة السفن المستولى عليها .

(١) خطاب قسطنطين كولي Caulet المؤرخ في ٣٠ - ديسمبر سنة ١٧١٦

(٢) ق ١١ - الكتاب سالف الذكر ص ١٨٣

وحصلت عدة دول على الصلح بتقديم هدايا كبيرة ، وعقدت النمسا مع حكومة « طرابلس الغرب » اتفاق ٧ يناير سنة ١٧٤٩ ، واستطاعت الدانيمرك في فبراير سنة ١٧٤٩ إبرام معاهدة بعد أن وعدت بدفع ٢ ألف زكيني^(١) .

وحدثت مظاهرة بحرية كبيرة ، إذ أرسلت انجلترا أسطولاً بقيادة الأميرال اجستوكبل Augusto Keppel الذي ألزم الباشا بتجديد المعاهدات السابقة ، وبأن يتعهد صراحة باحترام السفن الإنجليزية (معاهدة ١٩ سبتمبر سنة ١٧٥١) .

وكانت فرنسا قد أرسلت في أغسطس سنة ١٧٤٨ أسطولاً بقيادة قبطان البارجة دي ريفست Du Revest وطلب لللازم الفارس دي جراس دي بار Cavaliere de Grasse Du Bar نيابة عن القائد مقابلة الباشا وطلب معاقبة المغامرين الذين شككت منهم فرنسا كترضية أولى .

وكان رفض الباشا سبباً في قطع المفاوضات رغم أن على أفندي سفير الباشا في فرنسا كان قد أكد لوزير البحرية المسيو دي روييه De Rouillé كونت دي جوي De Jouy أن المغامرين سوف يعاقبون وسوف يحرمون من الإمكانات التي تجعلهم يواصلون الغزو^(٢) .

وأرسل دي ريفست Du Rivest مرة ثانية إلى طرابلس حيث عقد في ٣ مايو سنة ١٧٥٢ مع الباشا الاتفاق التالي :

« إن المغامرين من طرابلس الذين لا يخضعون لنص المادة ، أي المادة التاسعة من معاهدة ٦ يونيو ١٧٢٩ والذين يطالبون من القباطنة وأصحاب السفن الفرنسية مؤناً ، أو أدوات أو ذخائر

(١) بلانبيه « الملاحظات إلى آخره » الكتاب الثالث الذكر من ٤٤٩

(٢) كان على أفندي قد صرح بأن الرئيس مراد « وهو رجل من أهالي مرسيليا كان اسمه Sicard واعتنق الإسلام » وأوقع أعظم الأسرار بأبناء وطنه الفرنسيين « لم يكن قد وصل لدمه بعد على أية سفينة طرابلسية .

أو غير ذلك ، والذين يعرفون سير الملاحه سواء بتأخير السفن أو بفرض الحجر الصحي عليها دون حاجة إلى ذلك - أو أولئك الذين يهينون العلم الفرنسي بأية طريقة كانت ، سوف يعاقبون بمتهى الشدة وبالإعدام أيضاً في حالة إساءة معاملتهم لهؤلاء القباطنة أو لأصحاب السفن الفرنسية أو لبحارتها - وسوف تكون لهذه الماده قوتها وتبقى سارية المفعول كما لو كانت قد أدمجت حرفياً في المعاهده المؤرخه في ٢ أغسطس سنة ١٧٢٩ إذ المفروض أنها جزء منها^(١) .

وقد غضب المغامرون ، وعلى الأخص الألبانيون منهم والأرناؤوط من مسلك الباشا وقاموا بتدمير مؤامرة لخلعه وإحلال أحد رؤسائهم محله .

وفي مساء ٣٠ يولية سنة ١٧٥٢ حوالى الساعة العاشرة بينما كان سكان المدينة يملأون المقاهى والأسواق بمناسبة حلول شهر رمضان ، اندفع المغامرون بأسلحتهم فى الشوارع ، وبعد أن قتلوا شيخ البلد وثلاثة أو أربعة من أعيان المدينة ، استولوا على جزء من أسوار مدينة طرابلس ووجهوا مدفعيتهم نحو القلعة وأخذوا فى إطلاق النيران .

وعندما شعر السكان بذلك ، ساروا فى جماعات كبيرة يهتفون باسم الباشا وعندما وجد الثائرون أن الأهالى لا يؤيدونهم ، استولى عليهم الرعب وولوا الأدبار . ودخل حوالى مائتين منهم بالقوة فى المبناء ، واستولوا على سفينة انجليزية كانت راسية وأقلعوا ، ونجوا بأنفسهم . أما الذين لم يتمكنوا من الهرب وكانوا حوالى ٥٠ شخصاً ومن بينهم بعض الرؤساء فقد قبض عليهم وأعدموا^(٢) .

(١) روارد دى كارد Rouard De Card الكتاب السالف الذكر ص ٢٧٤ -
لأن تاريخ ٢ أغسطس سنة ١٧٢٩ هو تاريخ التصديق على معاهدة ٩ يونيه السابق عقدها .
(٢) خطاب القنصل الفرنسي المتحرك سمت المؤرخ فى ٣١ يولية سنة ١٧٥٢ من الحادث نقلا
تولى من ماك كارتى - المراجع السالف الذكر - الباب الأول ص ٤٠ - ٤٢ .

وهدأت المدينة بعد إخماد هذه الفتنة ولكن أعمال النهب والسلب والاضطرابات اجتاحات بعض أقاليم الدولة .

وفي صيف سنة ١٧٥٣ ، اضطرب الباشا إلى إرسال الإمدادات إلى « يك »^(١) حدره الذي عجز عن إخضاع بعض القبائل الثائرة بقواته وحدها . وفي ربيع سنة ١٧٥٤ ثارت بعض قبائل غريان ، فأمر محمد باشا الذي حرمته ثورة سنة ١٧٥٢ وما تلاها من أعمال العصيان والتمرد من خيرة جنوده ، أسرع بتجنيد بعض مئات من الإنكشارية من مدينة أزمير . وقد استطاع البيك التغلب على الثوار بجنوده المحليين وإخماد ثورتهم وإخضاعهم وإلزامهم بدفع جزية كبيرة^(٢) .

استقر النظام بعد ذلك في كل مكان ، ولكن الباشا لم يستطع التمتع بهذا الاستقرار زمناً طويلاً ، إذ اعتلت صحته بسبب حياته المضطربة وخاصة بسبب إدمانه شرب التبغ والخمر^(٣) ، وتوفي ولم يبلغ من العمر سوى خمسة وأربعين عاماً . وكانت وفاته في يوم ٢٤ يولييه من تلك السنة^(٤) ، ودفن إلى جانب أبيه في مقبرة المسجد الذي شيده أبوه قبل وفاته .

(١) خطاب الفصل سميت المؤرخ في ٣١ أغسطس سنة ١٧٥٣

(٢) خطاب الفصل سميت المؤرخ في ١٦ أبريل سنة ١٧٥٤

(٣) خطاب الفصل سميت المؤرخان في ٢٥ يولييه و ١٦ أغسطس سنة ١٧٥٤ . راجع أيضاً ب. توسكي B. Toscki في كتابه وثائق لم تناصر من تاريخ طرابلس الغرب المألف الذكر من ٢٨ .

الفصل الخامس حكم على الفرمانلى

استطاع على الفرمانلى أن يخاف والده، محمد باشا دون أية معارضة وذلك بفضل الإجراءات التى اتخذها الانكشارية الذين كانوا يلتفون حوله .

وقد كان رئيس الدولة الجديد شاباً يبلغ من العمر ٢٣ عاماً ، جميل الصورة رقيق الطباع ، وكانت أخلاقه خليطاً من الحياة والفسوة ، والكرم والجشع ، كان عديم الخبرة وغير ميال إلى العمل ، وقد ترك الانكشارية يحكمون البلاد باسمه فتركزت في أيديهم أعلى مناصب الدولة ، وأصبحت لهم كل السيطرة ، وتغلبوا تماماً على إرادته الضعيفة ، وسيطروا عليه لمصلحتهم الخاصة - وكان ذلك في معظم الأحيان على حسابه وعلى حساب البلاد - وقد أبقوه منعزلاً في القلعة حتى يمنعوا أصوات الساخطين من الوصول إليه^(١) .

وبفضل سلطانهم على الباشا حلوه على أن يستأنف أعمال الغزو البحرى على نطاق واسع وأعطيت للانكشارى سبكار قيادة إحدى سفن الغزو بالرغم من التأكيدات التى أعطاها على أفندى سفير الباشا لوزير البحرية الفرنسية في باريس ، ورغم احتجاجات قنصل فرنسا في طرابلس .

وفي الوقت الذى أفسد استئناف حرب المفاخرات العلاقات الطيبة التى كانت تحتفظ بها حكومة نيابة طرابلس الغرب مع الدول الأوربية في السنوات

(١) أجمعت الممانيات على إرسالها التماسل الأوربيون كل منهم إلى حكومته في السنوات العشر الأولى من حكم على باشا ، على تأكيده صوب الأمير وعلى سيطرة الانكشارية وعلى السخط العام الذى ساد البلاد ، وعكس الرجوع بوجه عام إلى خطابات القنصلين الفرنسيين كويله وجاردان والقنصل الدانيلزكى سميت والقنصل الانجليزى تومرير .

العشر الأخيرة - كانت الاضطرابات والقلقل قد بدأت في داخلية البلاد إذ بذل الانكشارية جهدهم حتى جعلوا الباشا يشته في أمر وبشك في إخلاص كل من كان محل ثقة الشعب وجه ، بسبب حسبه أو نبيه ، أو المناصب التي تولوها ولو كان ينتمى لأسرة القرماني ذاتها . وكان هؤلاء يفقدون حياتهم بسبب أطماع وأخطاء قد تكون في أغلب الأحيان من نسج الخيال . وكان أول الضحايا ، أحد أعمام الباشا المدعو خليل الذي كان يشغل منصب « باي » درنه ، فإنه بعد بضعة أشهر من وصوله إلى طرابلس بعد ارتفاعه على القرماني العرش أنهم بمحاولة إثارة الفتنة وحكم عليه بالإعدام^(١) .

وبعد مدة تزيد على السنة ، اشتبه في أمر اثنين من أقارب الباشا ، كان يشغل أحدهما منصب الحازندار ، كما كان الثاني يشغل وظيفة « ريس » البحرية . فشنق الأول ونفى الثاني^(٢) .

كما كان هناك كثيرون آخرون ذهبوا ضحية غيرة الانكشارية وحسدهم كما سنرى فيما بعد .

كان على القرماني قد أرسل منذ شهر ديسمبر سنة ١٧٥٤ على خوجه سفيراً له في القسطنطينية ، لإبلاغ السلطان نبأ اعتلائه العرش . ولكن موت السلطان محمود الأول في تلك الأيام بالذات كان سبباً في تأخير منح الفرمان الخاص بتولية علي باشا حتى أرسله السلطان الجديد عثمان الثالث مع هدایا ثمينة في شهر أغسطس من السنة التالية^(٣) .

وعندما تسلّم علي باشا ، براءة الولاية على العرش من السلطان ، اقترح أن يرسل سفراء له إلى الدول الأوروبية التي كانت لها مصالح في البحر المتوسط لتأييد المعاهدات القائمة أو لعقد اتفاقيات جديدة ، ولم يكن من

(١) خطاب القنصل سميت بتاريخ ٢٥ أكتوبر سنة ١٧٥٤

(٢) خطاب القنصل سميت بتاريخ ٢٦ مارس سنة ١٧٥٦

(٣) خطاب القنصل سميت بتاريخ ١٦ سبتمبر سنة ١٧٥٥

الممكن تنفيذاً غراضه دائماً ، لأن معظم الدول التي كان لها قنصل في طرابلس كانت تحاول بواسطتهم منع إرسال مثل هؤلاء السفراء للحد من الإسراف وجشع الباشا المال ، ولم يكن ذلك لأنه كان يكلف كثيراً من النفقات فحسب ، بل لأنه كان يسبب الكثير من الحوادث المأولة .

ومع هذا تم إرسال السفراء إلى فيينا وهولندا والدانمارك وسويسرا . وأثناء ذلك كثرت الاستعدادات العسكرية للمغامرات البحرية بينا يعض السفن وتجنيد بعض البحارة الألبانيين ، بالرغم من التجربة الأليمة التي حدثت في سنة ١٧٥٢^(١) .

ولم تعد في شيء خسارة بعض السفن ، أو احتجاجات القناصل ، أو أوامر السلطان باحترام سفن الدول التي كانت في ونام مع الباب العالي ، ولم تنقص من نشاط المغامرين الطرابلسيين انذين أصبحوا مصدر تعب وقلق للتجارة في البحر المتوسط .

ولكن إذا كانت هذه المغامرات تزيد من ثروة الباشا بفضل الغنائم التي كانت تؤخذ من السفن المنصبة ، وكذلك ثروة إنكشاريته ، فإنها كانت تقضى تقريباً على التجارة البحرية ، وتزيد حالة البلاد سوءاً وكانت قد ساءت من قبل فظراً لقلة المحصول في سنوات متوالية .

وكان السخط عظيماً ، فإن الأهالي وبالأخص الفئة الممتازة بسبب غناها أو بسبب المناصب التي شغلها كانت مستاءة كل الاستياء من الإنكشارية بوجه عام ، وعلى الأخص من جورجيو اليوناني الذي كان يدعى حسين^(٢) ، والذي كان يسيطر سيطرة تامة على أفكار الباشا وقد حاول بورشاكور والذي كان يطالب بالعرش منذ مدة طويلة ، والذي كان يتتبع الحوادث وهو

(١) خطاب القنصل سميت بتاريخ ١٦ سبتمبر ١٧٥٥ (يقصد مؤامرة الألبانيين ضد محمد باشا)

(٢) ربما كان الرئيس حسين فوزجي المذكور في سجل محكمة طرابلس العمومية في عهد علي باشا



مسجد مسيدى عموره من الخارج - مدينة طرابلس

مقيم في تونس الاستفادة من الأحوال السائدة وعندما وصله خبر من أسرة المكشحي ومن مفتي طرابلس بأنه قد حانت اللحظة الملائمة للعمل ، عاد سراً إلى طرابلس الغرب في سبتمبر سنة ١٧٥٨ ، ولكن المؤامرة كشفت وافتضح أمرها .

وفي ليلة ٢٠ سبتمبر وأول أكتوبر بينما كان ينتظر في إحدى حدائق المنشية قام أنصاره بجمع القوات التي كانت تحت تصرفهم ، ووصل خبر ذلك إلى القلعة وإلى المدينة ، فتحركت جنود الباشا ضد المطالب بالعرش الذي تخلى عنه معظم رجاله وحاول النجاة بنفسه بالحرب مع قليل من أنصاره ، ولكن جنود الباشا لحقوا به حيث قتله القائد عموره^(١) وتلا ذلك فترة اضطرابات وهياج .

وفي أغسطس سنة ١٧٦٠ أمر الباشا بقتل أقاربه المشتبه في تأمرهم ضده^(٢) .

شغلت الأعمال البحرية التي وقعت بين فرنسا وانجلترا في حرب السنوات السبع انتباهاً ومجهوداً في غرب البحر المتوسط فشجعت المغامرين الطرابلسيين على مناجاة الغزو وأسروا سفناً عديدة تابعة للدول الصغرى ، وعلى الأخص سفن نالي ، ولم تسلم من شرهم السفن الفرنسية ذاتها . ورعب المغامرون الطرابلسيون في تعريض الحسائر التي لحقت بهم ، وعلى الأخص من جانب البنادقة يبناء سفن جديدة أو شراء سفن وتسليحها للقيام بأعمال الغزو^(٣) .

(١) دكان القائد عموره للقب بالانصار - خطاب القنصل سميت بتاريخ ٨ ديسمبر

سنة ١٧٥٨

(٢) خطاب القنصل سميت بتاريخ ٨ أكتوبر سنة ١٧٦٠

(٣) في أواخر سنة ١٧٦٠ بينما كانت ترسو في ميناء طرابلس سفينة حربية ، تم شراء سفينة مسلحة بستة وثلاثين مدفعاً من الأسكندرية وعليها ٢٥٠ ملاحاً أرتاوطياً ، كما تم شراء سفينة فرنسية من الإنجليز كانوا قد أسروها ، ومن سفينة بتيانية عسكر مدفعاً وبلغت بحارتها ٢١٦ رجلاً ووصفت تحت قيادة الانكشاري سبكارد (خطاب القنصل سميت بتاريخ

١٧ يناير سنة ١٧٦١)

ولكن عندما استقر السلام ثانية في عام ١٧١٢ م قامت كل من فرنسا وإنجلترا على أفراد يعمل حاسم لضمان الملاحة في البحر المتوسط حتى أصبح ميدان العمل أمام المغامرين الطرابلسيين محدوداً ، وزاد في تحديده أيضاً ذلك الصلح المبرم مع البنادقة في شهر أبريل سنة ١٧٦٤ م ، ذلك الصلح الذي أبعد المغامرون بمقتضاه عن البحر الأدرياتيكي ^(١) ، ومنذ تلك اللحظة تدهورت أحوال البحرية الطرابلسية وتناقصت قواتها وأصبحت مقصورة على ثلاث سفن ، كانت أقواها مسلحة بعشرين مدفعاً ، وعلى خمسة زوارق ^(٢) .

وقد أدى نقص الإيراد من المغامرة إلى جعل الباشا أكثر إلحاحاً على الدول التي كان يطلب منها الأموال والهبات عند تجديد المعاهدات ، وعند تعيين كل قنصل أو إبداله بغيره ، وكانت هذه الأموال والهبات تعتبر غير كافية مهما كانت كبيرة .

فقد تعهدت البندقية لإقرار السلام بدفع ٢٥٠٠ زكيني سنوياً ، فضلاً عن دفع زكينو واحد مقابل كل كيس من الملح ، وأرسلت أسطولاً بحرياً بقيادة القبطان بولتش Bulich إلى طرابلس لمراقبة قنصلها الجديد الكونت

(١) في يوم ٢ يولييه سنة ١٧٦٢ جدد الأميرال اوشوياند كلبلاند معاهدة الصلح بين إنجلترا ونبابة طرابلس العرب

(٢) حسابات القنصل سميت بدلوخ ٢٩ أكتوبر سنة ١٧٦٣ و ٢٤ يناير و ٣١ مارس و ١٧ أكتوبر سنة ١٧٦٤ — عقد الحاح عبد الرحمن أغا اللوند إلى البندقية في أكتوبر سنة ١٧٦٣ م. بروبروفالارانا Prospero Valmarana المعوض من قبل حكومة القنطرة ، اتفاقاً منحت البندقية بملغاه امتياز استئجار ملاحات بوكاشي بصدير ٢٥٠٠ كيس (٨٣٣٦ مكنولتر) من الملح سنوياً — وفي أبريل سنة ١٧٦٤ عقد اتفاق الصلح نس على ألا يسمح لسفن المغامرين الطرابلسيين بدخول خليج البندقية لأي سبب أو بأي عذر ، وأن تكون حدود عمل هذه السفن رأس سانت ماريا من جهة وسيلارا من جهة أخرى — الكونت ف . فارمسينيجو Mocenigo و « طرابلس والبنادقة » (قيادة هشة أركان الحرب — الإدارة التاريخية ، ومذكرات تاريخية عسكرية) جزء ١٠ لمدينة القلعة . اتحاد الدول النمساوية سنة ١٩١٤ م ٧٩ وما بعدها و من رومانين Romanin « تاريخ البندقية الوثائق » جزء ٨ — البندقية ، ماراتوفتش Narstovitch م ١٥٢

جوزيبي بالوفتش Giuseppe Bolloovich الذي قدم للبasha هدية ثمينة^(١) .
ومع هذا فإن هذه الهدايا لم ترض الباشا — كما لم ترضه أيضاً تلك الهدايا
التي حملتها إليه في يونيو من نفس السنة بارجة هولندية ، أو الهدايا التي أرسلتها
إليه إنجلترا بعد ذلك بضعة شهور بمناسبة تعيين قنصلها فيزرز^(٢) في طرابلس .
وفي سنة ١٧٦٥ ، أرسل الباشا سفيره أحمد أغا إلى إنجلترا ولكن ذهاب
هذا السفير إلى لندن لم يقد في حل بعض الخلافات الخاصة بدفع الديون
الانجليزية .

وأرسل القائد هاريسون Harrison قائد أسطول البحر المتوسط البريطاني
إلى طرابلس في مايو سنة ١٧٦٦ لتسوية هذه الديون وللحصول على إذن
السفينة بورت ماهون Port Mahon التي أمرها المغامرون الطرابلسيون .
فحصل على الترضيات الكاملة ووافق فصلاً جديداً يدعى ويلكي Willkie
ليحل محل الفصل فريزر Fraser الذي كان قد استدعى قبل ذلك بقليل
إلى بلاده لأنه كان قد أثار سلسلة من الحوادث الخطيرة مع قناصل
الدول الأخرى ، وعلى الأخص مع الفصل الامبراطوري النمساوي^(٣) .
وفي اليوم السابع من يوليو من ذلك العام وصل إلى ميناء طرابلس أسطول
فرنسي بقيادة بوفريمونت Bousfremonet أمير ليشينوا^(٤) Listenois . وبعد

١١) خطاب المجلد سميت بتاريخ ١٠ مايو سنة ١٧٦٦

١٢) في هذه المناسبة قام الضابط بونتش Bubitch معاونه الذي درس السكرى ألبيرزي
ميلانوفيتش Alvisie Milenovitch بجمع المدينة وإصلاح حصونها وسبلها و السكوكات
ف ناني مونتيجيو Mocenigo في (طرابلس والبادية) سالف الذكر ص ٨٢

١٣) خطابات القنصل سميت المؤرخة في ١٧ أكتوبر سنة ١٧٦٤ و ١٥ مايو
سنة ١٧٦٥

١٤) قادالا — الكتاب الثالث الف ٢٠ وما بينهما ، وخطاب القنصل سميت
في ١٠ و ٢١ مايو سنة ١٧٦٦

١٥) خطاب القنصل سميت في ٢٥ ديسمبر سنة ١٧٦٦ — ج لاكور جاك Lacour
Gayet في (بحرية فرنسا العسكرية في عهد لويس الخامس عشر — باريس ، شامبون ،
سنة ١٩١٠ م ٤٢٦ .

أن تلقى أمراً من حكومته بالقيام بحملة على موانئ الشرق . وعلى سواحل
القطار المغربية لتسوية المسائل الجارية وفرض احترام المعاهدات .

ولما كان الباشا يخشى ضرب المدينة بالقنابل من جديد ، فإنه أحاب على
المطالب التي قدمها إليه القبطان بروفس Broves باسم قائد الأسطول بالتعهد
صراحة بأنه من الآن فصاعداً سوف يهدم كل معاصر يقوم بأعمال العنف
ضد أية سفينة فرنسية ويعلق جسسه للعرض عبرة لغيره . وأكد الباشا بنفسه
فيما بعد تعهداته هذه في خطاب أرسله إلى وزير البحرية الدوق دي براسلان
De Praslin عبر فيه بعد عبارات الود التقليدية عن أسفه للأعمال التي
ارتكبتها المغامرون وأبلغه العقوبات التي وقّعها على بعضهم^(١) ، وقد وافق
فضلاً عن ذلك على إرسال أحد الضباط الفرنسيين لتخفيف بروز الشواطيء
وعلى الأخص في خليج «مرت الكبير»^(٢) .

وحد مدة ثقل عن الشهر ، أي في الرابع من أغسطس ظهر أمام ميناء
طرابلس أسطول تابع للبدقية يتألف من أربع فرقاطات وسفيتين بقيادة
جيسا كوموناني Giscome Nani الذي كانت لديه أوامر بالحصول على
الترضيات عن المخالفات المستمرة من جانب المغامرین الطرابلسيين الداعمة
والذين لم يقنعوا البحر الإدرياتيكي فقط ، بل أمروا بعض سفن البنادقة
في مياه بحر الأرخييل وموانئه .

وبعجده أن شوهد الأسطول وأصبح على مرأى من المدينة ، ساد
للقنابل الشديد في القلعة ، المدينة وأعدت الاستعدادات للدفاع ضد احتمال ضرب
المدينة بالقنابل ، وأرسل الباشا أمره إلى المنشية ، وحذا المواطنين حذوه ،
ولكن بعد مفاوضات دامت حصة أيام مع القنصل ، تم الوصول إلى اتفاق

(١) انظر الخطاب في « نبرو » الكتاب سالف الذكر ص ٢٥٨ وما يليها

(٢) أرسلت الفرقاطة ابروتديل L'Eirondelle بقيادة البعثن مركيز دي جابرث
كوجلين لهذا الغرض ، ووصلت إلى طرابلس في ٢ سبتمبر سنة ١٧٦٦ ، ولقد لقيت ترحيباً
من الباشا استقبالا مائلاً . راجع خطابات ١٠ وفبر سنة ١٧٦٦ الرسالة إلى قنصل فرنسا
دي لانس — ج لاكور جاييه سالف الذكر ص ٥٠٢ و ص ١٢٢ .

(٣ م — طرابلس الغرب)

أعد بمقتضاه تأكيد صلح سنة ١٧٦٤ ، وتم الاتفاق على ضرورة إعادة سفن البنادقة المسلوكة وإرسال سفن أخرى بدلا من السفن المفقودة .

وفي يوم ١٦ أغسطس نزل قائد الأسطول ، ناني Nani ، إلى البر ، وتوجهه تتبعه حاشية كبيرة لزيارة الباشا الذي استقبله استقبالا حافلا^(١) . ونجح ، ناني ، أيضا في التوفيق بين قنصل البندقية ، بالوفتش Ballovich ، وقنصل فرنسا دي لانسى اللذين كانا على خلاف بسبب حادث خطير أثاره هذا الأخير في يناير من نفس السنة^(٢) .

وحفز عدم قيام حكومة نيابة طرابلس الغرب بتنفيذ التعهدات التي تعهدت بها صراحة بعض الدول على إرسال بعض سفنها الحربية من جديد إلى مياه طرابلس فوصلت إليها فعلا في أغسطس سنة ١٧٦٨ م فرقاطة فرنسية ، كما وصلت في أكتوبر بارجتان من البندقية ووصلت في نوفمبر فرقاطة انجليزية ، فأكد الباشا في مقابلاته مع رؤساء وقواد هذه الأساطيل تأكيدات له معنادة^(٣) .

وكان عدم احترام الباشا للبعاهدات بهذه الطريقة المنظمة ، يرجع قبل كل شيء إلى سوء الأحوال في البلاد ، فضلا عن سوء النية التقليدية الذي امتازت به حكومات المغرب .

والواقع أنه حل بالبلاد في عام ١٧٦٧ قحط شديد أدى إلى هجرة كثير من السكان إلى مصر وتونس ، وإصابة الآخرين بأمراض كان بعضها معديا كالكوليرا ، هلك بسببها في مدينة طرابلس وحدها ما يزيد على خمسمائة شخص كما أدت الحروب التي نشبت بين قبائل أولاد سليمان والفرجان الداوون بترهونه إلى خراب البلاد .

(١) السكوت ف ثان مقشينو في (طرابلس والبنادقة) السات المذكور ص ٨٤ وما يليها . خطاب الفصل سميت بتاريخ ٢٥ سبتمبر ١٧٦٦

(٢) الأب ك برينا Bergna (لرسالية الفرنسيون في ليبيا) ، طرابلس ، اتحاد الفنون التخطيطية ، سنة ١٩٢٤ ، ص ٩٩ وما يليها

(٣) خطاب الفصل سميت في ٢ يناير سنة ١٧٦٩

وأرسل الباشا جيشاً صغيراً بقيادة الإنكشارى الصقلى عثمان أغا لإعادة النظام والاستقرار ، فلم يتقدم إلى أبعد من وادى الميجنين Megenin ومع ذلك فقد توسط أحد الشيوخ الصالحين المرابطين حتى أعلن أولاد سليمان خضوعهم كما هاجر جانب من قبائل فرجان الداوون إلى تونس .

وظهر انحطاط ويؤس حكومة نيابة طرابلس الغرب بشكل واضح عندما طلب الباب العالى بعد تدمير الأسطول العثمانى فى مرفقة تشيزميه Cestmé فى يولييه سنة ١٧٧٠ إمدادات من السفن من الدول التابعة له ، إذ أسرع كل من تونس والجزائر بإرسال عدة سفن بينها بحج الباشا بعد جهد بمساعدة الأعيان من المواطنين فى تسليح سفينتين صغيرتين وأربعة زوارق^(١) وقد أثارت الإشاعة التى راجت حول النقرود والهدايا الثمينة التى تسلمها السفير الذى أوفده الباشا إلى غلبوم الخامس ملك هولندا فى نفوس الإنكشارية الذين كانوا يسيطرون دائماً على السلطة - الرغبة فى تجربة حظ بعضهم كسفراء يرسلون إلى إنجلترا والسويد والنمسا ، أما السفير الذى أوفد إلى فرنسا فإنه لم يسمح له بأن يتعدى حدود مرسيليا حيث عومل معاملة المسافرين العاديين^(٢) .

وقد أدى هذا العمل مع منع السفن الفرنسية من نقل سفراء الباشا ، إلى مطالبة الباشا الحكومة الفرنسية باستدعاء القنصل دى لانسى ، ولكن طلب الباشا لم يحظ بالقبول ولم يلتفت إليه لأن هذا القنصل كان ينفذ التعليمات التى تلقاها من حكومته .

وحدثت أيضاً بعض الحوادث والخلافات مع القنصل الانجليزى فأرسل الباشا سفيره ابراهيم قورجى^(٣) إلى لندن لتسوية ذلك الخلاف .

(١) خطاب القنصل الدانماركى ل . ك لودر C. Lochner ، بتاريخ ١٨ أغسطس سنة ١٧٧١

(٢) انظر مثالا . الكتاب السالف الذكر ص ٢٨٩ وخداع القنصل دى لانسى التاريخ فى ١٨ مايو سنة ١٧٧٢

(٣) مثالا - الكتاب السالف الذكر ص ٢٠٠ - خطاب القنصل ل . ك لودر التاريخ فى ٢٧ ديسمبر سنة ١٧٧٤ . كان لبراهيم قورجى زبناً الرئيس حين مورس

وعندما اعتلى لويس السادس عرش فرنسا ، تم التصديق على المهادنات السابقة في اتفاقية ١٢ ديسمبر سنة ١٧٧٤ ، وأرسل الباشا وفداً يتألف من الحاج عبد الرحمن آغا وأحمد بك ابن أخيه وصهره لتقديم التهنئة للملك . وأرسل إليه أيضاً خبولا وجمالاً ونعاماً وصقوراً وغزلاناً وبعض عينات أخرى من الحيوانات المحللة ، واستقبل الوفد استقبالاً حسناً في فرساي ، ثم توجه بعد ذلك إلى رئيس للاشتراك في حفلة تنويع الملك — وبعد إقامة قصيرة في باريس ، أبحر الوفد من مرسيليا على ظهر فرقاطة فرنسية أقلته إلى ميناء ليفورنو ، ومنها توجه إلى البندقية ثم واصل الوفد سيره بعد ذلك إلى طرابلس ومعه على ظهر هذه السفينة القنصل بنزبه أرمني Peneset Armeny الذي خلف القنصل دي لانسى وكان يحمل معه هدايا مبنية إلى الباشا ^(١) .

أما السفيران اللذان أرسلتا إلى البندقية فقد لقيتا معاملة تختلف كل الاختلاف عن هذه المعاملة ، إذ أن حكومة تلك الجمهورية لم تعترف بهما كسفراء ، وبعد حوالى شهر من وصولهما وضعت تحت تصرفهما إحدى السفن لتنقلهما إلى وطنهما ، وتلا ذلك توتر في العلاقات انتهى في سنة ١٧٧٧ : بإرسال أسطول من أساطيل البنادقة بتغيير القنصل ، وفي أغسطس من السنة التالية ، وصل الأميرال انجلو إيمو Angelo Imo على رأس أسطول صغير ونجح في عقد الاتفاقية .

وأثناء ذلك كان المأمرون الطرابلسيون قد استأنفوا أعمالهم بمتمشي الشدة والعنف ، وساعدوا على ذلك تعيين الأمير حسن أكبر أنجال الباشا

(١) راجع فيها مختصر جهود الدعاية المطالعين الروس إلى نشر Pinatel القائم بأعمال

الدعوى الفرنسية في طرابلس للفرنسيين في ٣٠ مارس و ٢١ يونيو سنة ١٧٧٠

وعناني القنصل لـ . ك لوختر Lochner بتاريخ ١٨ يناير سنة ١٧٧٦ و ١٩

سبتمبر سنة ١٧٧٨

في منصب «باي» بتاريخ ٢٦ أغسطس سنة ١٧٧٣^(١)، فاستطاع أن يحصل على سلطة كبيرة في حكومة نيابة طرابلس الغرب^(٢).

كان حسن بك يعتبر الانكشارية الذين كانوا في ذلك اوقت يسيطرون على إرادة أبيه أعداء شخصيين له، وكان يرأى شؤما على البلاد، ويريد أن يحو سلطتهم أو على الأقل ينقصها إلى أقل الحدود، وكان يفهم حق الفهم أنه لا بد له من الحصول على موارد مالية كبيرة لكي يحتفظ بإخلاص أعوانه وزيادة عددهم، ولما لم تكن لديه موارد أخرى للدخل فقد رأى أنه يستطيع الحصول على هذه الموارد بما يحصل عليه من الغزو، فعمل على إعادة بناء أسطول له واشترى سفناً وبني غيرها، وجند البحارة اللازمين لها، وبدأت السفن التي قام بتسليحها عملها في البحر المتوسط، وأصاب سفن ملكة نابولي بأعظم الأضرار. ولم تعد سفن الدول الأخرى تشعر بأمان منها، حتى أرسلت إنجلترا في سنة ١٧٧٦ وفرنسا في السنة التالية سفناً حربية لحل الباشا على احترام المعاهدات احتراماً تاماً وتنفيذها بمقتضى الدقة^(٣).

وقد أدى استئناف الحرب بين إنجلترا وفرنسا على أثر تأييد فرنسا للمستعمرات الإنجليزية في أمريكا إلى امتداد تأثير تلك الحرب إلى داخل ميناء طرابلس، حيث حاولت سفن كل من المولتين نسطيح سفن المغامرين لمساعدتها^(٤) الأمر الذي أضحى ميدان العمل أمام المغامرين الطرابلسيين.

(١) خطاب المفضل لـ «ك. لوخر» Lochoer بتاريخ ٢٨ مايو سنة ١٧٧٣

(٢) كان شاباً طليطاً ثابت الجنان انصب منذ عهد عهد السلطنة الحفيفية من أبيه، وترك له طلباً ومطاميرها «هذا ما كتبه عنه تاجر البندق Morino Duxera» في أحد تقاريره عن الرحلة التي قام بها أندريا كوريري، Andrea Querini من سواحل المغرب، واجيم ف كودوني بمقتضى «تقرير بندق عن طرابلس في القرن الثامن عشر» «التيشور بمجلة للشميرات الإيطالية» المجلد الرابع سنة (١٩٣٠ - ٨) فترة ١٢، ص ١٠٩٦

(٣) الخطاب المرسل إلى مفضل فرنسا دي روش Du Rocher بتاريخ ٢٢ ديسمبر

سنة ١٧٧٧ والودع بمحفوظات القنصلية الإنجليزية بطرابلس سجل رقم ٢ من تلك السنة

(٤) محفوظات القنصلية الإنجليزية بطرابلس. السجل رقم ٣ بتاريخ ١٨٧٨

وعندئذ أرسلت فرنسا - رغبة في تأمين سلامة سفنها - فرقاطتين بقيادة دي فياليس Du Violis الذي اتفق مع الباشا في ٢٠ مايو سنة ١٧٨١ بواسطة القنصل دندريه على إضافة خمس مواد تأكدت بمقتضاها الأمور التالية :

المادة الأولى : أسبقية قنصل فرنسا .

المادة الثانية والثالثة : ضمان سلامة رعايا ملك فرنسا .

المادة الرابعة : الالتزام بحجر السفن الحربية الخاصة بالدول المعادية لفرنسا مدة ٤٨ ساعة بعد رحيل السفن التجارية الفرنسية .

المادة الخامسة : في حالة منع السفن من الإبحار ، لا يمكن حجب السفن الفرنسية أكثر من ثمانية أيام .

وفي تلك السنوات حدثت اضطرابات شديدة أقلقّت حكومة نيابة طرابلس الغرب إذ أنه في أواخر سنة ١٧٧٩ ظهر مطالب بالعرش كان يعمل لحساب مصطفى القرمانلي ابن عم الباشا ، ويك ، بنغازي سابقاً ، وكان يقول إنه هرب عند وقوع مذبحة سنة ١٧٦٠ . ووصل في شهر ديسمبر على رأس خمسمائة أو ستمائة رجل مسلح تحت أسوار مدينة طرابلس ، ووجد له أعواناً ولكنه لم يجرؤ على مهاجمة المدينة نظراً لقلة قوائمه وبقي بضعة أشهر أحدث فيها التخريب بالبلاد وضواحيها المحيطة بها ، وبعد الهجوم الأول الذي لم يكن لها أي تأثير ، نجح جنود الباشا في ضرب الثوار وهزيمتهم ، واضطر المطالب بالعرش أن يجد السلامة في الهرب^(١) والنحاة بنفسه .

توالى عدة سنوات قل فيها المحصول ، ونقصت الإيرادات من المغامرات البحرية ، وأصبح الباشا في حالة ضيق ، وكانت حاجته إلى

(١) خطابات فيل الهانديرك ج . ف . لوفتر بتاريخ ١٥ يناير و ١٠ أبريل و ١٢ أكتوبر سنة ١٧٨٠

المال قد اضطرته إلى صهر أوانيه الفضية وسكها نقوداً^(١) ، والالتجاء إلى أعمال التأديب والعنف التي كان من شأنها إحداث اضطرابات شديدة ، إذ صادر كمية من الزعفران كانت قد أرسلها الشيخ بن مخريق ، من قبيلة الحمديد ، إلى طرابلس لكي نعملها قافلة الحجاج الآتية من مكة إلى مراكش ، ثار الحمديد ، واستولوا على قافلة غريان ، بعد أن قتلوا حاميتها . وانضم الورشقاينيون الذين كانوا يقيمون في ززور للدفاع عن مدينة طرابلس من جهة الغرب إلى الثوار ، وامتدت الثورة إلى شرق طرابلس ، حيث هاجم الشيخ سيف النصر معسكر رمضان أغا الأدغم حاكم مصراته . ومع ذلك فإنه بفضل تدخل بعض رجال الدين المرابطين تم الوصول إلى صلح مؤقت . وحضر أحمد شيخ قبيلة النوائل أولاد بنى نور وعلى بن وشاح ابن أخ أبو القاسم كبير مشايخ الحمديد وابنه بالثبني - إلى طرابلس للتعمد بالصلح ، غير أن هذا الصلح لم يكن صلحاً دائماً ، إذ قامت حملة من النوائل ضد الورشقاينيين . لانتقام لأنفسهم من غزوة كان هؤلاء قد قاموا بها على أراضيهم ، وتدخل الحمديد حلفاء الورشقاينيين في الأمر ، ووقعت معركة حامية الوطيس على مقربة من ززور . سيطر سيف النصر تماماً على إقليم سرت بأكله بعد أن قتل رمضان أغا وتدخل أحد رجال الدين^(٢) هذه المرة أيضاً وتم الصلح ، وأرسل سيف النصر ابنه الشاب إلى الباشا فاستقبله بكل ترحاب وشفاعته ، وتصلح أغا مصراته الجديد الحاج سالم^(٣) ، أما على الحدود الغربية فقد استمرت المعارك بين القبائل وجماعات الوركما الذين جاؤوا لمهاجمة النوائل ، فردم هؤلاء بمعاونة الورشقاينيين إلى ماوراء الحدود .

جمع اليك حسن جيشاً قوياً لإقرار النظام ومنع الغزوات التي كانت

(١) حساب الفتح ج . ف . لوغز جايو ٦ مارس سنة ١٧٨٢

(٢) سيدي سعيد (المراد)

(٣) كان الحاج سالم إناً لرمضان أغا الأدغم ، رئيس طائفة القول أوغليه بمصراته وساكناً في الإقليم .

المستخدمين في استخراج الملح^(١).

وبعد عقد هذه الاتفاقيات أقام الأميرال على ظهر سفنه احتفالاً بالغ العظمة ، بقيت ذكراه زمناً طويلاً لكثرة من اشتركوا فيه^(٢).

وفي تلك السنة فاتها حاولت روسيا بعد أن حصلت بمقتضى معاهدة كينارجي Cairnargi على حرية المرور في البحر الأسود ، أن تجد لها قاعدة بحرية في البحر المتوسط وقدمت إلى الباشا اقتراحاً بالحصول على امتياز استخراج الملح من ملاحات « بوكاش » وإقامة حصن فيها . وبعد أن عرض الباشا الأمر على القيوان قرر أنه مستعد لعقد معاهدة صلح ولكنه لم يذكر شيئاً عن الامتياز المطلوب ، ولذلك لم تسفر المفاوضات عن أية نتيجة^(٣).

وفي سبتمبر سنة ١٧٨٦ وصل إلى ميناء طرابلس أسطول هولندي ، وقدم قائده هدايا ثمينة إلى الباشا حتى يعدل عن إرسال سفيره إلى مدينة لاهاي ، ولكنه لم ينجح في غرضه إذ رغم احتجاج القنصل الهولندي ، سافر السفير في آخر مارس سنة ١٧٨٨ ، وتأثر الباشا كثيراً بسبب الاستقبال الغير الودى الذى لقيه هذا السفير ، وأمر القنصل الهولندى بمغادرة البلاد . وقد غادر القنصل مدينة طرابلس بعد أن كلف قنصل البندقية بحماية مواطنيه من رعابا هولندا ، ولكنه استطاع العودة إلى طرابلس في السنة التالية (سنة ١٧٩٠) بعد أن أرسلت حكومته هدايا جديدة إلى الباشا^(٤).

ولقد كانت حاجة الباشا الشديدة إلى المال . وأمله في الحصول على

(١) وربما كان أحد الأسباب التى دعت الأميرال إلى التمسك إلى طرابلس ذلك الخبر الذى بأن على باشا إرسال « صاعق » مدافع عادية ومدافع هاون . انظر ك . أ . غالينو . في كتابه « البندقية وصفاتها في القرن الثامن عشر » السابق الإشارة إليه ص ٢٤٦

(٢) ر . تولى . ترجمة ماك كارتى السابق ذكره ص ١٥٩ ، ص ١٦٠

(٣) خطاب القنصل ج . ف . لوخز المؤرخ في ٢٦ يولييه سنة ١٧٨٤

(٤) خطاب القنصل ج . ف . لوخز بتاريخ ١٥ نوفمبر سنة ١٧٨٦ و ٣٠ مارس سنة ١٧٨٨ و ٥ يونيو و ٢٤ أكتوبر سنة ١٧٨٩ و ٢٨ نوفمبر سنة ١٧٩٠

نصيب منه هي السبب في إصراره على إرسال مندوبين غير مرغوب فيهم ولما كانت لا توجد لديه موارد أخرى للحصول على المال فقد كان لا يعتمد إلا على الهدايا التي تأتيه من الدول الأجنبية إما قسراً أو بصفة ودية

ولذلك كان يؤدي عدم إرسال هذه الهدايا أو تأخيرها إلى أسوأ النتائج فمثلاً كان الباشا يعتمد على هبات وينتظرها من ملك أسبانيا، ولكن التأخير في إرسال هذه الهدايا المنتظرة، وضعه في حانة ضيق شديد حتى أنه اضطر إلى رهنه بشوته^(١) المرصع بالماس عند قنصل فرنسا ضمناً للبايع التي كان قد اقترضها منه.

وكان القدر يخني أياماً أسوأ من هذه الأيام على القرماني.

ففي شهر مايو سنة ١٧٨٥ انتشر وباء الطاعون في بلاد الريف، ثم انتقل منها إلى مدينة طرابلس، وازداد عدد الموتي منذ شهر مايو حتى نهاية شهر يوليو، ولم يسلم من هذا الطاعون حتى من أحياء المدينة ولا أية طبقة من طبقات الشعب.

وترك لنا شاهد عيان^(٢) وصفاً مؤثراً عن المدينة عندما أصابها الطاعون وللقلعة التي كثر فيها عدد الموتي كثرة كبيرة، وربما كان ذلك بسبب كثرة من كانوا بداخلها.

وفي آخر يوليو عندما أخذ هذا الوباء يقل كان قد هلك من المدينة 'نخساً' أهلها المسلمين ونصف سكانها اليهود، وتسعة أعشار المسيحيين. ويمكن إحصاء عدد الموتي في المدينة والمنشبة بما لا يقل عن ٢٧٠٠٠ شخص^(٣)

(١) نوع من المحوهرات على شكل طائر يعرف باسم « مالك المزين » أو البلدون « المراجع »

(٢) ر. توفلي، ترجمة ماك كارتني، الكتاب السابع الذكر، جزء ١، ص ١٨٦-٢١٩

(٣) فقد الباشا بسبب هذا الطاعون الجنين، ولحد أخوته كما بلغ اليك الخوف من بانه. ولم ينح من وزراء الباشا القدامى سوى ثلاثة — راجع خطاب القنصل ج. ف. لوغز تاريخ ٢٠ أغسطس سنة ١٧٨٥ — وراجع فيها يحنس بالصحاح المسيحيين في طرابلس كتاب الأب ك. برينا « الإرسالية الفرنسية في ليبيا » السابع الذكر ص ١٠٣

وعندما خفت وطأة الطاعون استؤنفت العلاقات الدولية .
ففي شهر أغسطس وقع الباشا بعد المفاوضات التي أجراها فصيل أسبانيا
في طرابلس على الصلح مع ملك نابلي ، فرديناندو الرابع ، بنفس الشروط التي
تم الاتفاق عليها مع ملك أسبانيا ، وأرسل محمود ابن أخيه ^(١) سفيراً له
في بلاط نابلي . وأدى هذا الصلح إلى تحديد أعمال الغزو حيث تحولت سفن
المغامرات إلى سفن تجارية ، ومن حسن حظ الباشا أن الأسطول الأسباني وصل
في آخر سبتمبر حاملاً معه هدايا تقدر قيمتها بما يزيد على ٣٠.٠٠٠ زكيني ^(٢) .
وبعد ذلك بستين أرسل ملك نابلي أيضاً هدايا ونقوداً تقدر بنحو
٥٠.٠٠٠ قرش وسفناً مشحونة بالقمح والشعير ^(٣) .

وكان من أسباب قلق الباشا وصول أسطول تركي إلى طرابلس في أوائل
سنة ١٧٨٦ بقيادة قبودان باشا حسن الجزائرلي أحد أبطال معركة شيزي
والذي كان منذ أيام السلطان مصطفى الثالث يؤيد سياسة إعادة نفوذ
السلطان على الدول التابعة له . وكان معلوماً أن هذا الشخص من خصوم
القرماني وأن لديه أوامر لعزل علي باشا ولكن هذا الأميرال لم ينزل إلى
البر ، واقتصر على إرسال أحد مندوبيه إلى الباشا ليطالب تسليم بحار من الغزاة
لجأ إلى طرابلس ، ثم أفلح بأسطوله إلى تونس . وقد راجت إشاعة مؤداها
أنه أراد معاينة حالة التحصينات لكي يحاول مهاجمتها فيها بعد ، ولكن
الأسطول التركي بعد عودته من تونس مر أمام طرابلس دون أن يقف
بها ، ثم استؤنفت الحرب بين الدولة العثمانية والروسيا وانحسا فاستدعى
قبودان باشا إلى القسطنطينية على عجل .

ولم تكن أحوال الامبراطورية التركية تسمح بإخضاع الدولة المغربية
للمشاقبة ، فقد انتهت تلك الحرب التي أعلنها السلطان عبد الحميد الأول

(١) ر . توفلي ترجمة مالك كارني الكتاب المائل الذكر ص ١٥٧ - وفادلا الكتاب
المائل الذكر ٢٠١ وخضاب الفصل ج . ف . لوختر بتاريخ ١٥ فبراير سنة ١٧٨٦

(٢) خضاب الفصل ج . ف . لوختر الشار إليه لما سبق

(٣) ر . توفلي ، ترجمة مالك كارني ، الكتاب السابق الذكر ، جزء ١ ، ص ٢٠٨ ، ٢١٢

مضطراً بسبب إثارة روسيا خليفة النمسا له وانتهت هذه الحرب بمدة هزائم
لتركيا - أو بالأحرى بانتصار حاسم لروسيا رغم تخلى النمسا عنها ، وعندما
طلبت تركيا من حكومات نيابات الغرب الثلاث إمداد أسلحتها ببعض السفن
النزرو أرسلت تلك الحكومات إمدادات غير كافية .

وقد طلب من علي باشا إرسال خمس سفن ، ولكنه وجد من المستحيل
عليه إطاعة هذا الأمر ، فاكتمى بأن أصلح على نفقته السفن التي أرسلها
« ديك » تونس والتي لجأت إلى ميناء طرابلس بعد أن أتلقتها العواصف
تلهأ كبيراً^(١) .

ومن جهة أخرى فإنه عندما أخطر بإعلان الحرب ، قرر أن يلتزم
الحباد ولكنه أمر بإزالة العلم عن منزل القنصل الإمبراطوري النمساوي
بعد أن تلقى أمراً بذلك من قانوجي باشا ، وخوفاً من ثورة الرأي العام عليه
وحدوث اضطرابات نتيجة عدم طاعته^(٢) .

كانت أحوال حكومة نيابة طرابلس الغرب قد وصلت إلى حالة تستدعي
قيام حكومة تركيا بعمل حاسم ضدها .

وقد كتب نائب قنصل فرنسا فليبيير Vallière الذي حل في سنة ١٧٨٦
محل القنصل العام « داندريه d'André » ، مانعه « إن الباشا لا يحكم إلا رعابا
متمردين ومناطق جدهاء وأكداساً من الاطلال والخرائب ، وإن المدينة
التي يقيم فيها ليس فيها سوى الخراب والدمار ، كما أن قصره ينهار من جميع
جوانبه . أما أسوار المدينة فإنها بسبب تدهمها في كثير من أجزائها تجعل
أبواب المدينة عديمة الجدوى ولا قيمة لها - وأما الحصون والبطاريات
للعدة بمدافع قديمة وقاسدة فإنها تنداعى كلها أطلقت لتحية البوارج
الحربية التي تأتي لإلقاء مراسيها في الميناء - وأن سبع سنوات أو ثمان من

(١) خطاباً القنصل ج . ف . لوخر بتاريخ ٢ سبتمبر سنة ١٧٨٩ و ٢٥ مايو
سنة ١٧٩٠ .

(٢) خطاباً القنصل ج . ف . لوخر بتاريخ ٢٤ مايو و ٣ أغسطس سنة ١٧٨٨

القمح ضاعفت الموتي والمهاجرين ، وأخيراً تفشى الطاعون ، وزادت هذه الكوارث زيادة كبيرة ، وهكذا أصبحت طرابلس محرومة مفرقة - وكانت قبل هذه السنوات الشنيعة تصدر في كل عام مقادير كبيرة من القمح والشعير والزيوت ، كان الزارع غنياً وكانت الحكومة تبيع من رسوم التصدير ، وكان استهلاك الكماليات ذا أهمية عظيمة ، كما كانت فرنسا وإيطاليا وبلاد الشرق والاسكندرية تصدر هذه الكماليات ، وكانت تنقاضي ثمنها صوفاً وریش ناعم وسنامكي وتبراً ورقبقاً وعاجاً .. الخ .

وبعد أن حل القحط لم تكن تصل إلى طرابلس إلا سفن مشحونة بالمواد الغذائية وفي هذه الأوقات المصيبة كانت القوافل^(١) ترحل أرباحاً طائلة ، كما كان التجار يمنون أرباحاً كبيرة وكانت منتجات البلاد أقل بكثير من أن تصل إلى مقدار الواردات التي كان يجب دفع ثمنها نقداً . وقد أخفى عرب الدواخل أموالهم تحت الأرض ، وتحسروا ساكن المدينة منها ، فقد باع هذا وذاك ما كان لديهم من نقاش ومصوغات وحلى نسائهم ، وهبطت قيمة المصوغات الذهبية والفضية إلى عشرين أو خمسة وعشرين في المائة من قيمتها الفعلية في أوروبا^(٢) نتيجة لذلك البؤس والفقر المدقع . وفي عامي ١٧٨٣ ، ١٧٨٤ كان القحط شديداً جداً ، حتى أن الباشا استنجد بمولاي محمد سلطان مراکش الذي كانت تربطه بأمره القرمانليين علاقات ود وثيقة منذ أن مر بطرابلس وهو ذاهب إلى مكة لأداء فريضة الحج وعودته منها ، تلك الصداقة التي توثقت عراها بعد ذلك الاستقبال الذي لقيه ابنه مولاي يزيد عند ذهابه لأداء فريضة الحج في سنة ١٧٧٩ والسنوات التالية ، ولذلك أرسل سلطان مراکش مبالغ من المال وسفناً

(١) المراد بكلمة « قوافل » هو القوافل بين مختلف موانئ حكومة ولاية الغرب ومن هذه موانئ الشرق الخامسة المباشرة وكان هذا النقل يتم دائماً تحت العلم الفرنسي
(٢) ش ل - فبراير ، الكتاب الثالث الذكر ص ٢٧٣ - ٢٧٤

مشحونة بالغلل^(١) عدة مرات وحذا حذوه ، بيك ، تونس^(٢) .

وكانت تحفظ طرابلس ببعض الصلات التجارية مع مدينة ، ليفورتو ، وكان اليهود يحتكرون هذه التجارة ويستوردون كل عام من هذه الميناء الحرة التي كانوا يتمتعون فيها بحماية واسعة النطاق ، بضائع تبلغ قيمتها من أربعة إلى خمسة ملايين من الليرات ، وكانت التجارة مع البندقية ومالطة ومارسيليا تصبح في حكم العدم ، أما المنتجات التي كانت تصدر من طرابلس فقد كانت تشمل خلاف الملح المستخرج من بوكاش ، والصدرا المستخرجة من صبراته وزواره الحصير والزعفران والجلود والاسفنج . وكان التجار العرب الشركاء مع اليهود ، يحتفظون بعلاقات تجارية مع سوكنه وفزان وأغاديس . وكان عدد الأرقاء والرقائق الذين يؤخذون من هذه البلاد يبلغ حوالى الألف في العام .

لم يكن على القرماني في الواقع رجلاً يستطيع الصمود أمام مثل هذه المشاق ، فقد كان يامروينى ولكنه لم يكن مطاعاً . وكان سيداً لمناطق واسعة لا تدرك عليه أى شئ ، يعيش في بؤس وشقاء ، بينما كان في إمكان إدارة حكمة أن تمهد له طريق اليسر والرخاء ، وكان ملازماً لحريمه ، منغمساً في ملذاته وجه للنساء ، وعلى الأخص السوداوات ، مدمناً للشراب والخمر والمسكرات ، وبلغ به الأمر أنه كان يقوم بنقطير المشروبات الروحية لاستعماله الخاص ، ولم يكن يقيم المباني ولا يقوم بالإصلاحات ، بل كان يدع كل المباني تهار ، وكان يسيطر عليه كل من كان حوله من الإنكشارية الذين كانوا يتدلقونه لكي يكونوا أحراراً في العمل باسمه ، وكان أولاده لا يقيمون له وزناً أو يعملون له حساباً وحتى اليهود استطاعوا

(١) س ١ تولى ، ترجمة ماك كارتى ، الكتاب الثالث الذكر ، جز ١٠ ، ص ١٥٨ -

١٥٩ . وخطابات القنصل ح . ف . لودن بتاريخ ٢٤ مارس سنة ١٧٨٢ و ٥ مايو و ٢٨ يوليو سنة ١٧٨١ و ٣ مارس سنة ١٧٨٧

(٢) خطاب القنصل ح . ف . لودن بتاريخ ١٠ نوفمبر سنة ١٧٨١

حماية مصالحهم عن طريق إحصاء محظياته ، التي كان يطلق عليها اسم
المسكة . اسر .

أما أعيان المدينة الذين رأوا أثناء حكمه كل موارد الرخ في البلاد قد
نضت ، وكل خيراتها قد نفذت ، فإيهم أصبحوا شديدي الرغبة في
إحداث تغيير في الحكومة فضلاً عن أن الباشا الذي كان يسيطر عليه
القلق النفسي والتعب البدني قد انحطت قواه ، ونفذ صبره لأنه الأكرم حسن
بك الذي كان رجلاً عالى المهنة جم النشاط وأراد أن يخلقه ، وكان
يمارس الإدارة الحكومية لحصاه الخاص ، وكان الجميع يطيعونه ويخشونه .
أما أبناء الآخرين فقد كانوا يحكمون المناطق الخصبه ، إذ كان نجله الثاني قائداً
لزواره ، أما ابنه الثالث يوسف فكان قائداً لزور . ولم تكن علاقات
الصفاة تسود الأخوة الثلاث ، ولم تكن الغيرة التي تفرق بينهم غيرة سلب
أحد ، لأنها كانت تبدو بوضوح وجلاء في كل مناسبة . فعندما أصيب
الباشا في ديسمبر سنة ١٧٨٧ بداء الشلل ، وفقد كل قدرة على تحريك ذراعه
وساقه مدة من الزمن ، تحدث الناس عن احتمال تنازله عن العرش لصالح ابنه
حسن بك ، ولكن هذا الاقتراح اتى أشد معارضة من أبنيه الآخرين
والمقربين إليه ^(١) . غير أن شفاه الباشا السريع سرعان ما قضى على هذا المشروع
ولكنه لم يقض على الحقد الذي أثاره في نفس الآخرين ضد أخيه الأكبر
وخاصة الأخ الثالث يوسف . ففي أثناء حفلة من حفلات عيد الفطر ،
بينما كان القناصل في قاعة الاستقبال دخل الأمراء الثلاثة لجأه
مع ضباطهم وحرسهم مسلحين تسليحاً غير معتاد ، وكان كل واحد منهم
محاطاً بحرسه الخاص ، ودخل كل منهم على حدة ليقبل يد الباشا الذي
استقبلهم بمظاهر الخوف والاضطراب ، وكان الأمراء ثلاث بمجموعات
منفصلة ، وتحدثوا مع القناصل ورجال البلاط بكل حرية كما جرت بذلك
عادتهم ولكن دون أن يلتفت أحدهم للآخر ، وبعد وقت قصير انسحبوا

(١) حساب القنصل ج . ف . لوخر بتاريخ ٢٨ ديسمبر سنة ١٧٨٧

بنفس النظام كما دخلوا^(١١). وكانت والدتهم اللالا حلاومة تتألم كثيراً من سلوكهم وموقفهم إزاء بعضهم البعض ، وتعمل كل ما في وسعها لإعادة الثقة بينهم . وقد نزل حسن بك على إرادته ، وإصرارها وإلحاحها ، ولم يكن هذا هو حال أخويه حتى أنه مد أن قدم الدليل نلو الدليل على أناته وصبره ، دعاهما صراحة إلى ألا يجعلاه يضع صبره موضع تجربة قاسية^(١٢). ومن جهة أخرى فإنه لم يكن يؤمن بأن أخويه جديران بالوقوف في وجهه بالفعل ، وكانت نفسه تأبى أن يتخذ الاحتياطات منهما ، فكان يتحدث إليهما وإلى رجالهما دون خوف ، وكان ضباطه يشفقون عليه من ذلك إشفافاً كبيراً . وكان أشد إخوته عداماً له هو أخوه الأصغر يوسف الذي كان لا يخفى خصومته له ، فقد كان رغم صغر سنه شجاعاً ، قوى الشخصية شديد المراس ، قاسى القلب ، وكان ، البيك ، يعتذر أمام الأجانب عن هفوات أخيه وسلوكه ويبدى إعجابه بشجاعته ويدافع عنه أمام من يتهمون به ، ويطلق عليه اسم الشاب الجري^(١٣).

كان كل شيء يوحى بالخوف من أن يقوم الأخوان الصغيران عند موت الباشا بمنازعة البيك ، في وراثة العرش بكل وسيلة من الوسائل ، وقد بدأ ذلك واضحاً جلياً ، سواء أثناء مرض الباشا ، أو بعد أن تم شفاؤه ، عندما استطاع أحمد ويوسف أن يجعلاه يشك في أن البيك ، يريد خلعه عن العرش^(١٤) ، أو عندما رفض الأدميران في آخر الأمر الاشتراك تحت قيادة أخيه الأكبر في الحملة التي قادها في الشهور الأولى من سنة ١٧٨٩ ضد بعض القبائل المتمردة^(١٥).

(١١) و . تولي ، ترجمة ماك كارتى ، الكتاب السالف الذكر ، جزء ١ ص ١٧٣ - ١٧٦

(١٢) انظر المرجع السابق

(١٣) و . تولي ، ترجمة ماك كارتى ، الكتاب السالف الذكر ، جزء ١ ص ٣٠١

(١٤) خطاباً للتصديق ج . ف . لوفتر في ٢٨ ديسمبر سنة ١٧٨٧ و ٣ مارس سنة ١٧٨٨

(١٥) و . تولي ، ماك كارتى ، الكتاب السالف الذكر ، جزء ٢ ص ٥ .

وقد هزمت هذه القبائل التي ثارت بإيعاز من - ياف النصر هزيمة منكرة واضطرت للخضوع والاستسلام ^(١).

وعندما عاد اليك ، إلى طرابلس ، استقبله أبوه استقبالا حافلا وذهب الأميران في مظاهرة كبيرة إلى مسجد أحد باشا ^(٢).

هذا وأن الانتصار الذي أحرزه ، اليك ، لم يكن من شأنه إلا زيادة حقد أخويه اللذين كانا في الواقع على خلاف فيما بينهما ، ولكي يمنع الباشا أبناءه من الدخول في نزاع سافر ، أمر ابنه يوسف بالذهاب إلى منزله في الريف وأطاع الابن أمر أبيه وهو يخفي استيائه وحنقه ، واستند للتخلص من أخيه الأكبر والاستيلاء على السلطة . وكان وانقأ من تأييد عامة الأهالي له كما تأكد من تأييد خليل بن عون رئيس منطقة يفرن وأحد مشايخ الحاميد ودخل المدينة في يوم ٢٠ يوليو سنة ١٧٩٠ مع حاشية أكثر عدداً من الحاشية المعتادة ، وتوجه إلى القلعة بحجة زيارة والده - وأثناء لقائه لأمه صرح لها بأنه يريد الصلح مع أخيه ، ورجاها أن ترسل في طلبه حتى يتم التوفيق بينهما في حضرتها . ولما كانت الأم تتمنى سرعة إتمام هذا الوفاق فإنها أرسلت إلى اليك ترجوه في الحضور إليها ، فأجاب حسن دعوة أمه حيث قتله أخوه يوسف بين ذراعيها ، وبعد أن ارتكب يوسف هذه الجريمة أسرع بالخروج من مسكن أمه ، وعندما قابل الكنخيا الكبير طعنه بخنجر ، وخرج بعد ذلك من القلعة ولجأ إلى بينه الريني يتبعه رفاقه ^(٣).

(١) خطاب التصل ج . ف . لوخر ٣٠ يناير سنة ١٧٨٩

(٢) ر . نوال ، ترجمة ملك كاشي ، الكتاب السالف الذكر ، جزء ٢ ، ص ٥٦ - ٥٧
(٣) عند وصول يوسف إلى النصر توجه إلى مسكن أمه وصرح لها برغبته في الصلح مع أخيه الأكبر . وطلب منها أن ترسل في البحث عن « اليك » حتى يتم صلحها في حضورها ، ولما كانت لا حائلة تود أن يستتب الصلح بين أولادها أرسلت في الحال رسالة سرية إلى اليك لتضطره بأن أخاه « سيدي يوسف » موجود في هذه القلعة معها دون سلاح ويضطره لإتمام هذا الصلح معه ، وأنه لذا كان « اليك » يشعر نحوها ببعض الحب بذهب إليها في الحال دون سلاح .



حصن القرمانيين بقاعة طر البس



الصحن الآسياني بقلعة طرابلس



قلعة طرابلس - الحصن الأسباني

قنل يوسف القرماني أعياه حسن باي في إحدى حجرات هذا الحصن

وقد أثار خبر مقتل «البيك» في المدينة كثيراً من الاضطراب والارتباك والرعب ، ولم يكن هذا الخوف مقصوراً على أنصار القتيل الذين كانوا يخشون سوء المصير ، فإن أقاربه وأصدقاءه وكبار المواطنين ما كانوا يجرؤوا على التعبير عن ألمهم عندما دُفِنَ سيدهم في عصر ذلك اليوم ^(١) .

لم يفعل الباشا شيئاً للقتل ، واكتفى بأن أرسل في طلب ابنه الثاني أحمد الذي كان غائباً عن طرابلس ، وأصدر بياناً أكد فيه بعد أن ابتدل إلى الله بطلب الرحمة والسعادة في الحياة الآخرة لابنه الشهيد ، أنه لن يلقى أحد من عباد الله المؤمنين معاملة سيئة أو تقع عليه أية إهانة .

ولما رأته «لا حالومة» أن البيك عند حضوره إلى مسكنها يحمل سيفاً ورحته أن يضعه جانباً قبل البدء في الحديث ، وأكرمت له من جديد بأن أخاه لأب يعمل سلاحاً وعندئذ سلم «البيك» سيفه بسهولة إلى أمه فوضعت فوق إحدى الأرائك التي كانوا يقفون بالقرب منها . ولما كانت «لا حالومة» مقدمة كل الانتفاع ب«البيك» في توابله ومهدوذة كل الانخداع في توابله «سیدی یوسف» ، فقد دعتهما لتجلس على الأرائك وجلستا جنبهما مسكة بيد كل منهما في إحدى يديها . وبعد أن جلسوا حاول «البيك» أن يقيم أخاه بأنه ليس له أولاد ويترسى سيدي يوسف وسيدي حامد كأولاده ، وأنه عند اختلاله العرش سيعملها دائماً على هذا الاعتبار . وقد صرح سيدي يوسف بأنه «سرور یهنا التصريح» ولكنه لكي يجعل «لا حالومة» سيدة كل السعادة قال بأنه قد أن البيك أن يكون لديه أي اعتراض أن يتم هذا الصالح بحسب ما يحب الحقن على التفرق فأجابته البيك قائلاً «من صیقلی» فوقف سيدي يوسف بمحبة وطيب الرأى بصوت عال وأبعد ذلك طلب المدس من خصيانه ، فأخضروه له في الحال فأخذته وأعطته على أخيه الذي كان جالساً إلى جانب أمه فخرج بهما عندما مدت ذراعها لتحمي «البيك» الذي أصابه الرصاصة في جانبه فقام في الحال ، وتناول سيفه من على المنضدة ولمن به أخاه منحه لم تحرجه ولا يجرحاً عميقاً في وجهه ، وعندئذ أطلق عليه سيدي يوسف طقة ثانية من مسدسه فغدت من حسبه وعندما رأى سيدي يوسف أخاه يستطع صريعاً نادى عبيده وقال لهم حاضروا «البيك» أمه وأخيه فجيروا في الحال من المكان الذي كان لا يزال يردد فيه أغانيه وأطلق عليه كل منهم طقة من البارود «س» . تولى ، ترجمة ما ذكرني ، الكاتب السالف الذكر جره ٤ س ١٠٢ و«يايها» ، وتقول إحدى الروايات الخفية أن البيك حسن قد نزل في اليوم التالي على القنصل الاسباني بالقلمة .

(١) خطاب القنصل ج . ق . ل. لوخز بتاريخ ٢٠ يوليو سنة ١٧٩٠ ، دس «البيك» حسن في القنطرة المعلقة بمسجد أحمد باشا وكتب على قبره «الهم ادخل في جناتك حسن بك ابن علي بن محمد باشا ابن أحمد باشا انتماني الذي توفي شهيداً في شهر ذو القعدة سنة ١٢٠٤ هجرية .

وقد وصل أحمد في المساء إلى المدينة بحرس يبلغ عدده بضع مئات من الرجال المسلحين ، وعندما علم أن أباه دعا القاتل للترجى إلى القلعة وأرسل إليه مسبحته كدليل على الأمان ، ذهب إليه لكي يحتج على ذلك ، ولكي يطلب منه الاعتراف به ، ييكا ، فراوغ على باشا ، ثم صرح بأنه على استعداد للوفاق على هذا الطلب إذا ما وافق يوسف على ذلك . وبعد مقابلة بين الآخرين عين أحمد في منصب ييك في يوم ٣٠ يوليو^(١) . وكان يتحتم على يوسف أن ينتقل إلى مصراته حسب ما تم من اتفاقيات ، ولكن سكان هذا الإقليم صرحوا بأنهم لا يقبلونه ولا يريدونه قائداً عليهم ، وحذر سيف النصر الباشا بأنه لن يتساح في أى هجوم عليه ، وعندئذ دفع يوسف أباه إلى إرسال حملة بقيادة « الييك » ، حتى يعاقب أعداءه بهذه الوسيلة ويفرق بين أخيه وأنصاره ، وقد حاول أحمد الامتناع والدفاع عن نفسه ، ولكن كان يجب عليه أن يطيع والده ويتولى قيادة الحملة التي أدت إلى هزيمة أهالي مصراته وحليفهم سيف النصر وإرغامهم على الخضوع والتسليم .

لم يستمر الوفاق بين الآخرين طويلاً ، إذ انسحب يوسف إلى منزله في الريف وتحصن فيه وأخذ يجمع الرجال المسلحين .

وفي ليلة ٢٣ يونية سنة ١٧٩١ حاول يوسف الاستيلاء على مدينة طرابلس بالقوة ، ولكن أحداً كان قد سلك الأمان ، وتلقى مدداً من الرجال من مصراته ، واعتُبر يوسف نائراً ، وبدأت المدينة إذ ذاك كأنها في حصار ، وقام يوسف بمحاولات جديدة للاستيلاء عليها ولكن دون جدوى ، وبدأت عندئذ فترة من فترات الضيق الشديد للمواطنين الذين وقعوا بين الخوف الذي أثاره يوسف وبينهم وخوفهم من أولئك الرجال المسلحين الذين جاؤوا من الجبل للدفاع عن المدينة .

وفي بداية عام ١٧٩٢ كانت الحكومة تعاقب ارتباكات شديدة ، إذ انضم أهالي امسلاتة إلى يوسف وأخذوا في تقوية جيوشه ، حتى تعددت الهجمات

(١) خطاب النصح ج ف . لوختر بتاريخ ٢٠ أغسطس سنة ١٧٩٠

وتلاحقت المناوشات ، وعندئذ أعلن الباشا عن مكافأة لمن يأتيه برأس ابنه
الثائر المنمرد ، وطلب النجدة من بك تونس ، ولم يتحسن الموقف بعد
وصول صهره ، بك ، بنغازي ومعه النقود والمؤن والإمدادات التي كان
يقودها ، أغا ، مصراته .

وعندما اشتد سخط أعيان المدينة من طول الحصار ، ومن المخاوف
المسيطر على حياتهم ، ومن النقص الكبير في المؤن والأغذية ، أرسلوا
عرائض إلى القسطنطينية التمسوا فيها من السلطان أن يرسل جنوده لإقرار
النظام وإعادة الطمأنينة والأمان إلى البلاد^(١) .
وكان لابد من أن يلقى هذا الالتماس أذناً صاغية .

(١) خطاب من السيور • بلاتو Bellato • فنصل جمهورية البندقية واللائم بأعمال
الخدمة الداعمة بتاريخ ٣٠ يوليو سنة ١٧٩٤

الفصل السادس

على برغل يستولى على طرابلس عودة القرمانيين وحكمهم لبلاد الشام

عندما اعتلى السلطان سليم الثالث عرش الإمبراطورية التركية كان مصمماً كل التصميم على التوصل بتركيا من كبوتها ، وبعد عقد صلح ياسي Jassy عزم على تعديل مشروع الإصلاح الذى كلفه فيما بعد عرشه وحياته . وكان حسن باشا الجزائرلى عدو القرمانيين اللدود قد مات فى أواخر سنة ١٧٩٠ ، وذهب ضحية الاضطرابات التى قامت فى القسطنطينية على أثر إعلان سقوط مدينة اسماعيل ، فى أيدي الروس . ولكن برنامج الذى كان يرمى إلى إعادة سيطرة الباب العالى الفعلية على الدول التابعة له ، كان قد أصبح موضع تنفيذ وزراء سليم الثالث ، فقد وصلت مطالب أعيان طرابلس التى أرسلوها إلى الباب العالى فى الوقت المناسب ، وكان من اللازم لإعادة فتح طرابلس الغرب وطرز القرمانيين منها القيام ببذل مجهود حربي كبير ، وهذا ما جعل السلطان يتردد فى القيام بهذا العمل .

وقد خلصه من ترددده هذا مشروع وضعه رجل مغامر جري ، اسمه على أفدى وهو انكشارى من بلاد جورجيا أقام فى الجزائر حيث عمل بحاراً مغامراً ، ثم وصل إلى منصب رئيس البحرية ، وبعد أن فقد مركزه لجأ إلى القسطنطينية حيث أقام عند أخيه الذى كان نائباً لأميرال الأسطول العثمانى^(١) والذى شجعه على القيام باسترداد الولاية (طرابلس) وإعادة لإقرار النظام بها ، وتعدن بإعداد الحملة على نفقته الخاصة ، كما تعهد بأن يدفع للباب العالى الجزية السنوية بانتظام إذا نجح المشروع .

ولم تنشأ الحكومة التركية أن ترتبط بشيء بطريقة علنية ، ولكنها وافقت على أن يقوم بهذا المشروع لحسابه وتحت مسؤوليته .

ومع ذلك فقد استخدم «قبودان باشا» نفوذه للحصول على بعض السفن وما يلزمها من البحارة الذين كانوا يتألفون من مرتزقة من جميع البلاد وكلمهم رجال لأعمل لهم ، متعطشون إلى النهب والسلب^(١) . واجتمع الأسطول الصغير المكون من ثمانى سفن صغيرة فى ميناء مودونى Modone ، ثم أقبل منها إلى طرابلس .

وبينما كان يوسف يضاعف قوائمه لإخضاع مدينة طرابلس لسلطته ، ويزيد كل يوم فى قذفها بالقنابل والمهجوم عليها . ظهر فجأة فى يوم ٢٦ يولية سنة ١٧٩٣ أمام الميناء أسطول صغير يتألف من ست سفن صغيرة مسلحة تحمل العلم العثمانى ومن سفينتى نقل إحداهما من سفن البندقية والأخرى زورق أسباني .

وما أن ألقى الأسطول مراسيه حتى نزل منه قابوچى باشى ومعه حوالى ٤٠٠ رجل مسلح ، وتلا علناً مرسوماً سلطانياً (فرماناً) ، حقيقياً كان أم مزوراً ، أعلن فيه سقوط على القرماتلى وتولية على أفندى الذى عين بدلاً منه ودعا القرماتلى للخضوع لأمر السلطان وهدده بقرب وصول قبودان باشا على رأس أسطول كبير .

شعر الباشا عندئذ بشئ من همة الشباب وكان يود المقاومة ، ولكن الرعب استولى على قلوب جميع من كانوا حوله ، أما الأهالى الذين أنهكهم الحصار الطويل وكانوا يخافون الجوع إذا أغلق الأسطول التركى الميناء ، فقد أقنعهم شيخ البلد بجوب الخضوع والفسليم^(٢) .

(١) لقد أمدهونا أن الأتراك الذين كانوا على وشك الهوى " ليسوا من النسطاينيين ، وأنهم ليسوا بالمتأخرين ليس لهم أى غرض إلا نهب المدينة — وأن الأتراك الذين يجمعون بنا لا يمكن اعتبارهم بأى حال إلا جماعة من قطاع الطرق

انظر : د. تولى ، ترجمة ملك كارتى ، الكتاب المألف المذكور ، جزء ٢ ، ص ٣٢١ و ٣٤٠

(٢) خطاب القنصل « بلاتو Bellato » بتاريخ ٣٠ يوليو سنة ١٧٩٣

وبعد أن عقد على القرماني مجلساً مع وزرائه ، ورأى أن الجميع قد تغلوا عنه ، اضطر للهرب والنجاة بنفسه . وحوال منتصف الليل بينما كان البحارة الذين نزلوا إلى البر يحتلون الحصون دون مقاومة ، وبينما قدم كثيرون من الأعيان لتقديم التوجة للباشا الجديد ، غادر على القرماني هو وابنه أحمد وضباط البلاط القلعة وخرجوا من المدينة ومعهم حوال ٢٠٠ من أنصارهم المخلصين متجهين نحو تونس ، وبقيت زوجته « لالا حلومة » بمفردها مع بعض وصيفاتها في طرابلس لأن حالتها لم تكن تسمح لها بالسفر^(١).

وفي صباح اليوم التالي كان على أفندى - أو بالأحرى على برغل^(٢) وهو الاسم الذي خلعت عليه الرويات المحلية - يحتل مدينة طرابلس . وعندما دخل القلعة بين قصف المدافع ، أحل العلم الأحمر التركي ذا الهلال الذهبي محل علم القرمانيين ، وصرح للجامعين بأنه سيجعل هذه الدولة في درجة لا تقل عظمة عن دولة الجزائر ، وأنه سيقوم في الحال بإصلاح التحصينات وتسليح المغامرين وإحضار جنود عديدين من بلاد الشرق . ولم يخف عزمه على قطع العلاقات مع الدول الأوروبية الصغرى منها أولاً إذا لم تتعهد بدفع نفس الجزية التي تدفعها للجزائر . وقدم الدليل على غطرسته إن لم يكن على احتقار المسيحيين عند مقابلاته الأولى للقناصل إذ أنهم عندما طلبوا الاجتماع به لتثنته على توليه السلطة ، حدد لهم ساعة الاجتماع ، ولكن عندما حضر القنصل الانجليزي والقنصل النمساوي إلى القلعة أخبرهما بأنه يتحتم عليها ترك سيفيها ، وخلع حزاميها ليقبل الباشا الاجتماع بها وبأنه يتحتم عليهما أيضاً تقبيل يده ، وعندئذ قرر القنصلان عدم

(١) ر . نولى ، ترجمة ماك كارتى ، الكتاب السالف الذكر ، جزء ٢ ، ص ٢٢٦

وخطاب القنصل « بلانو » بتاريخ ٢٠ يوليو سنة ١٨٩٢

(٢) على أفندى هذا اللقب بالجزائري نظراً لطول مدة بقاءه في الجزائر فدلّبه أيضاً باسم بلغر أو برغل ، وكلمة برغل كلمة تركية معناها الدجج الملول - وقد أطلق هذا الاسم على على أفندى ، لأنه كان يهجم جنوده البرغل بدلاً من الأرز - وهذا ما يؤكد عند جميع الذين في ص ٨٠ من كتابه « تاريخ طرابلس » المكتوب باللغة التركية ترجمة ابن غلبون

استطاعتها الخضوع لهذه الإجراءات الجديدة إلا بعد رجوع كل منهما إلى حكمته، وصرح القناصل الآخرون بتصريحات ماثلة. ولقد أدى مصلك القناصل هذا ووصول أسطول انجليزى إلى الميناء إلى تخليه عن هذه المطالب. ومن جهة أخرى فإن مركز على برغل كان لا يزال مزعزعا - إذ بينما كان يوسف القرمانيلى يرأوغه ويعدّه بالتسليم استمر في حصار المدينة، وكان يرسل إلى أخيه يطلب منه أن يدع حقه جانبا، ويسرع مع أعوانه ويضم إليه ضد المفتصب.

وبعد أن صحب أحمد والده إلى مكان أمين، حضر مع عدد كبير من أتباعه ومع اثنين من أمراء المشية وشدّدوا الحصار على المدينة.

وسرعان ما زاد عذاب الجوع^(١) نتيجة ويلات الحرب، ومع هذا فإن أعيان طرابلس استماتوا في المقاومة خوفا من انتقام القرمانيلىين منهم إذا ما عادوا إلى الحكم، على أن عامة الشعب لم تكن لهم بما هو حادث ووقفت موقفاً فاتراً إزاء الباشا الجديد الذى عرف أنه لا يستطيع الإعتماد عليهم، وأسرع بإرسال سفينتين من سفنه إلى القسطنطينية وأمر لجنيد جيوش عديدة، وطلب من القناصل الحصول له على أسلحة ومؤن وذخائر ولكنه لم يحصل إلا على شيء قليل - ورغماً عن المدد البالغ عدده ٥٠٠ رجل الذى وصله من الشرق، فإنه لم يكن يعتمد إلا على ثمانمائة أو تسعمائة من الأتراك وألف من الأهالى وكلهم من المزرقة - وبعد أن استولى على كل ما كان يملكه على القرمانيلى وأسرنه، أمر بوضع القيود والأغلال في يدي الملكة إستر، وهددها بالإعدام إن لم تدفع له مائة ألف قرش^(٢) حتى يحصل بذلك على ما يريد من أموال.

(١) دفع بعض الأغوات القناصل الأوربيين إلى إرسال سفينة إلى مالطة للحصول على الحاجيات الضرورية. خدمات القناصل س. لوكاس بتاريخ ١٤ و ٢٢ سبتمبر و ٢٣ أكتوبر سنة ١٧٩٣. لم يذكر الأهالى الفقراء اعتناءً، أو جنوداً في الضرائب دون أسكنها. انظر أ. دي اوجوستى في بحثه «وثيقة لم تنشر عن على برغل في طرابلس» (سنة ١٧٩٣ - سنة ١٧٩٥) في الفترة الخريفية التي تصدعها حكومة طرابلس وبرقة بالهددين و ٦٥ يوليو - ديسمبر سنة ١٧٩٣ - ونابز - يوليو سنة ١٧٩٤ من ٢٥

(٢) خطاب القناصل «بلايو» بتاريخ ٨ أغسطس سنة ١٧٩٣

وقد أثار ، هذا العمل قلقاً شديداً بين يهود طرابلس الذين كان بينهم عدد كبير من الأعوان المخلصين للقرمانيين ، وحاول أحدهم وهو يوسف كوهين الذى كان يعلم سخط بعض المرتزقة الألبانيين إغراء قائدهم ليخون الباشا . ووعده بمبلغ كبير من المال مقابل أن يفتح أبواب المدينة في منتصف ليلة ١٨ -- ١٩ يناير لأحد ويوسف القرمانلى ورجالها ، ولكن القائد بعد أن تظاهر بقبول هذا الإقتراح أبلغ عن كوهين وشركائه فأودعوا السجن في صباح اليوم التاسع عشر - ووضع كوهين ويهودى آخر فوق كومة من الأخشاب وأشعلت فيهما النيران ، كما شنت إثنان وعشرون آخرون من الطرابلسيين ، وأودع كثيرون من أفراد الأسرة القرمانلية في السجن أو نفوا خارج البلاد بعد أن صودرت أموالهم .

ومنذ ذلك الوقت فصاعداً ، أصبح الأهالى يتوقعون ما هو أسوأ ، ولما كان التجار العرب واليهود يخافون على أموالهم أكثر مما كانوا يخشون على حياتهم ، فقد رحلوا عن المدينة أو اعتكفوا في منازلهم ، وأصبح منظر المدينة يدل على الكآبة والموت . وكان الواقع يفوق كل ما يمكن توقعه ، إذ أن حكومة على برغل كانت قاسية كل القسوة ، وكانت تستعمل العنف والتجريد من الأموال وتحكم بالإعدام لانتفه الأسباب ، كما ألزمت الطائفة اليهودية بدفع معونة مالية تبلغ مئتين ألف زكبنى ، وصاشرت أملاك الكثير من المسلمين ، وكان يحكم بالإعدام على كل من يشبه في أمره ، وبالجملة فقد كانت حكومة إرهابية بمعنى الكلمة ، وبقيت ذكراهما في نفوس الأهالى زمناً طويلاً^(١) .

(١) خطاب الاتصال س . لوكاس بتاريخ ٣٠ يناير سنة ١٩١٤

(٢) لم يمس يوم دون قتل رأس بني الأتراك والراشدين ممن يقيمون في البلاد ، ومن القاديين من المارج . وأصبحت الحكومة بالغة القسوة لدرجة أنها كانت تقطع رؤوس ثمانية أشخاص في بني الألام ، وعشرة في ألام أخرى . وكان هناك من يجرى خلفهم أو دقهم أحياء أو ياني بهم في النار . وكان يخرج على برغل نفسه في الليل يتجول متكرراً حتى في خارج المدينة ، وما كان يرجع إلى القلعة مطلقاً دون أن يلوث يديه بدم إنسان . كان وحلاً بربرياً قاسى القلب ، أسوأ من يهود وأشد قسوة منه — هذا ما كتبه الأب مارينو دا أوتانو =

في هذه الاثناء استمر أحد ويوسف القرماني مع سبعة أو ثمانية آلاف رجل يضيقون الحصار على المدينة، ولم يتغير الموقف بسبب وصول قابوحي باشا من القسطنطينية يحمل معه على برغل، (الفقطان) علامة توليه السلطة، وقرأ علينا مرسوم سلطاننا «فرمانا» يطلب فيه من الثائرين الخضوع في مدى خمسة أيام. وكذلك قدمت له سفينة مسلحة بثلاثين مدفعاً وعليها طاقم مكون من مائة وخمسين رجلاً كمساعدة فعالة، وقد استأنف الباشا بها وبغيرها من السفن أعمال الغزو للحصول على طعام للمدينة^(١).

بدأت المفاوضات أيضاً مع أغامصراته الذي كان عدواً صريحاً ليوسف القرماني، وحصل على برغل منه على وعد بإرسال الأغذية والإمدادات العسكرية، وعندئذ تحول يوسف ضد أهل مصراته وأخصهم، وحاول المحاصرون فك الحصار والخروج من المدينة، ولكن أغامصرات ردهم على أعقابهم^(٢). ولكن يبدو أن الحظ كان قد تحلى نهائياً عن القرمانيين، فإن الباشا استمال إلى جانبه سكان زنזור بالمال، وأرسل جزءاً من جيوشه بحراً لكي تعسكر في تلك الجهة، فالتحقهم يوسف، ولكنه منى بالهزيمة بعد قتال طويل وعندئذ تحلى منه منظم رجاله، اضطر إلى الدخول عن القتال، ولجأ هو وأخوه إلى تونس^(٣).

وفي يوم أول سبتمبر نودي بالمتحضر على برغل في جميع الأسواق الوطنية باشا لطرابلس^(٤).

== البعث الرسول لإرسالية القرماني سكان لطرابلس، في مجلس مذكرات الإرسالية في لطرابلس الغرب — مع حاشية تتضمن بعض الأخبار التاريخية عن هذه الإرسالية التي قصدها أ. في أموستيني، جنوا وبنيفة لم تنشر — الترجمة السالف الذكر ص ٢٦

(١) خطاب القنصل س. لوكاس المؤرخ في ١٢ فبراير سنة ١٧٩٤ (حاشية في أبريل)

وخطاب قنصل البندقية «بلانو» المؤرخ في ٢٢ يوليو سنة ١٧٩٤

(٢) خطاب قنصل البندقية «بلانو» المؤرخ في ١٠ أغسطس سنة ١٧٩٤

(٣) خطاب القنصل س. لوكاس المؤرخ في ١٠ سبتمبر سنة ١٧٩٤

(٤) ١٢ أكتوبر سنة ١٧٩٤

بقى على برغل سيداً لطرابلس دون منازع ، ولكن سلطته لم تكن تتعدى أسوار المدينة . وفي هذا المحيط الضيق ، كان أنصاره قليلين وغير مخلصين ، وكان يعيش بمفرده في رعب وقلق ، ولم تقف غطرسته في علاقته مع فاصل الدول الأوروبية عند حد بعد الانتصار الذي أحرزه على القرمانيين في الوقت الذي كان مصير المدينة لا يزال مجهولاً ، فقد أعلن أنه لن يراعى الاتفاقيات التي عقدها أسلافه ، وقدم مطالب جديدة مبالغاً فيها لإقرار السلام .

وحاولت الحكومة الأسبانية وحكومة نابلي رغبة منهما في إقامة علاقات طيبة معه - لتجنب الأضرار الناشئة عن استئناف أعمال الغزو حاولنا إرضاءه فقدمنا له المهات اللازمة والعمال لإصلاح سفنه وتسليحها ، كما قدمنا له كميات كبيرة من الحبوب أثناء الحصار وبعده^(١) .

أما الحكومات الأخرى فقد بقيت في انتظار ما تأتى به الحوادث .

وعندما وصل القنصل الانجليزي ، على أثر نزول على برغل إلى البر مباشرة ، لم ير من المناسب أن يقدم إليه المهات المعتادة ، أما القنصل الفرنسي الذي لم تؤيده حكومته فإنه اضطر لاتباع سياسة حازمة فقدم احتجاجات على الأعمال المخالفة للاتفاقيات المعقودة مثل مسأله حماية الباشا لآباء الإرساليات الدينية الذين رفضوا الاعتراف بحماية أمة حكمت الكبدية بحرماتها ، وذلك بعد إعلان الجمهورية في فرنسا .

وكان على برغل يشعر بحقد شديد على رئيسي الحكومتين الآخرين^(٢) المجاورتين في إفريقية وعلى الأخص على بيك تونس ، سواء بسبب استضافته لآل القرماني ، أو لأنه كان يخشى تدخلهما في الشؤون الطرابلسية .

وقد دل على ما كان يشعر به من حقد أسره إحدى سفن اللغامة التونسية المسلحة بثمانية وعشرين مدفعاً وعليها طاقم مؤلف من مائتي رجل .

(١) خطاب القنصل س . لوكلز المؤرخ في ٢٠ أكتوبر سنة ١٧٩٤

(٢) يقصد تونس والجزائر

وكانت هذه السفينة قد اضطرت بسبب العواصف إلى الانجاء بميناء طرابلس^(١) وقرر علناً بأنه يريد أن ينزع منليك تونس صفاقس وسوسة وموناستير والحمامات فضلاً عن جزيرة جربة . وعندما شعر على برغل بالقوة والانتعاش بسبب الانتصار الذي أحرزه أخذ في الاستعداد لتنفيذ مشروعه .

وفي يوم ٢٤ سبتمبر أفلعت سبع سفن مسلحة من طرابلس متجهة نحو جزيرة جربة تحمل حوالى الألف رجل بقيادة قره محمد الذى كان فيما مضى خازن داراً بالجزائر ، بينما تحرك حوالى أثنين من النواقل برأى نحو نفس الاتجاه^(٢) وقد نجحت الحملة تماماً ، إذ بينما كان الأسطول الصغير يستبدل فى مرسى رامبا Marsa Ramba انتهى النواقل فرصة جزر البحر ، وعبروا القنال الذى يفصل الجزيرة عن البر ، ولم يستطع أهالى الجزيرة الذين أخذوا على غرة المقاومة ، وتمكن قائدهم من الهرب وقد استمرت أعمال النهب والسلب حتى اقتضى الأمر وجود خمس سفن لنقل الأسلاب^(٣) .

وعندما علم ليك تونس محمود باشا بنجر احتلال جزيرة جربة استعد للانتقام من هذه الإهانة ، فإنه إذا كان قد استقبل على القرمانلى وأولاده بكل ترحاب ، فإنه لم يكن يريد قط بأية حال التدخل فى شئون الحكومة المجاورة ، فجمع باشا تونس قوات كبيرة لاسترداد الجزيرة ولإعادة القرمانليين إلى الحكم .

وفي يوم ٢ نوفمبر سنة ١٧٩٤ بينما كان الأسطول التونسى يقطع تجاه

(١) خطاب القنصل م . لوكلان المؤرخ فى ١٢ فبراير سنة ١٧٩٤

(٢) كان النواقل أعمدة لاهالى جربة منذ القدم ، ومن المحتمل أن يكون على برغل قد ضممهم إلى جانبه يومه لاهم باشتراكهم فى الحملة على الجزيرة . خطاب القنصل م . ف لوخنر من ليفورنو Livorno - المؤرخ فى ٣١ أكتوبر سنة ١٧٩٦

(٣) خطاب القنصل ج . ف . لوخنر السالف الذكر - خطاب القنصل م . لوكلان المؤرخ فى ٢٠ أكتوبر سنة ١٧٩٤

جربه كانت تتحرك أيضاً حملة البيك وقوامها نحو عشرين ألف رجل بما فيهم أحمد وبورسف القرماني بقيادة مصطفى خوجه . وبعد استرداد جزيرة جربه التي أخلاها قره محمد عند اقترابهم منها ، اخترقت القوات التونسية الحدود وتقدمت في الأراضي الطرابلسية وعسكرت على طول طريق الرؤساء للموالين للأسرة الحاكمة المعزولة .

وقد وصل جيش التحرير الذي ازداد عدده حتى بلغ ثلاثين ألف رجل إلى قرب المدينة في يوم ١٦ يناير سنة ١٧٩٥ ، واحتل المنشبة والساحل وتاجوراء أثناء الليل .

وفي صبيحة اليوم الثامن عشر حاولت القوات التي استطاع على برغل جمعها فك الحصار والقيام بهجوم مضاد ، ولكن بعد مناوشات قصيرة المدى عادت الهجمات إلى المدينة ثانية وزحف الغزاه وبدموا هجومهم بقصف المدينة بالمدمعية وضربها بالقنابل .

وعندما رأى على برغل أنه من المستحيل عليه أن يستمر في المقاومة ، وشعر أن الجميع قد نخلوا عنه ، لم يسكر إلا في الحرب ، واستعد للرحيل من حيث أتى كأحد المغامرين . وكان قد أمر بترحيل ثلاث سفن مشحونة بالبنواكه والمؤن .

وفي ليلة ١٨ / ١٩ يناير ملا على برغل سفينتين بما سلبه من القلعة ، وبعد أن ارتكب آخر عمل من أعمال الفسوة بذبح الرهائن والأسرى ، أبحر مع رجاله ورفع شراعه متجها نحو مصر^(١) .

(١) خطاب الفصل ج . ف . لوخر من ليغورنو للوزيرين في ٢٢ ديسمبر سنة ١٧٩٤ و ١٣ فبراير سنة ١٧٩٥ وخطاب الفصل س . لوكاس المؤرخ في ٦ فبراير سنة ١٧٩٥ . واجم فضلا عن ذلك فيما يتعلق بحكم على برغل ل . فيرو (الكتاب السالف الذكر ص ٨٩ و ٩١ و ر . توالي الكتاب السالف الذكر ، مجلد ٢ ، صفحة ٣٧٦ وما يليها ، ج . مدينا Medina » القرمانيون في طرابلس الغرب واحتلال على برغل للوقت لطرابلس » . في مجلة تونس ، عدد ١٤ ، سنة ١٩٠٢ ، صفحة ٢١ وما يليها و ب . روى » وثائق عن حملة طرابلس في سنة ١٢٠٩ هجرية » (١٧٩٥ م) في مجلة تونس ، عدد ١٣ ، سنة ١٩٠٦ ، صفحة ٢٨٣ وما يليها ، ر . دي اجوسيني » وثيقة لم ينشر » السالف ذكرها .

وما أن ذاع نبأ حرب المغنصب في صبيحة اليوم التاسع عشر بين المحاصرين في المدينة حتى بدأ هؤلاء في النزاح على أبوابها، ولكن الأهالي الذين كانوا يحشون خروج عدد كبير من الجنود عن حدودهم وتمنعهم إلى السلب والنهب، رفضوا فتح أبوابها واستعدوا للدفاع، ومع هذا فقد كانت المقاومة أمراً مستحيلاً، وكان النهب أمراً لا بد منه لو لم يقم أحد ويوسف القرماتلي يجعل مصطفى خوجه يعلن الأمان للمدينة نظير دفع مائة ألف محبوب. (أى ما يقدر بنحو ٤٥٠ ألف قرش).

وفي اليوم التالي دخل أحمد ويوسف المدينة دخول الفاتحين في احتفال مهيب، واستقبلهما الأهالي بمظاهرات الفرح والسرور، ونودي بأولهما الذي تنازل له أبوه على باشا عن العرش باسم أحمد الثاني^(١). تلقى الباشا الجديد تحيات القناصل، كما تقبل بالنبطة تلك الهدية التي لم يسلبها القنصل الانجليزي لعل برغل وذلك في اللحظة التي اشتدت فيها حاجته.

وفي يوم ٢٦ يناير عادت الحملة التونسية ثم عاد على قرماتلي باشا إلى طرابلس على ظهر سفينة حربية انجليزية^(٢) بعد حوالي شهر. ولم يكن من الممكن لأحمد القرماتلي الاحتفاظ بالسلطة طويلاً إذ بينما كان ينظر التولية من السلطان الذي كان قد اتجه إليه منذ ٣١ يناير، وعرض عليه حالة حكومة على برغل السيئة، وطلب منه للوافقة على توليته باشا لطرابلس، وهي المدينة التي كان يتوارثها آل القرماتلي، ورغم ذلك، كان الباشا الجديد يهمل شئون الحكومة ويهتم في المسرات، كالمو كان يريد أن يحد في اللذات وعلى الآخر في التيز ما ينسب الأيام الحرة التي قضاه في اللتي. وقد عرف كيف يستفيد من سف النطموح العديد من السخط العام

(١) صحائف القنصل ج. ف. لوختر من ليوناردو للأورخ في ١٣ فبراير و ٣ أبريل سنة ١٧٩٥ وخطاب القنصل س. لوكار للأورخ في ٦ فبراير سنة ١٧٩٥
(٢) خطاب القنصل س. لوكار للأورخ في ٢٨ فبراير سنة ١٧٩٥
(٣) نفس الخطاب السابق

على مسلك أخيه ، فقد أبدى هذا الرجل الشجاع الذى لا ضمير له ، والذى كانت لاتعوزه الصفات اللازمة للحصول على محبة الشعب فى لد مثل طرابلس ، أبدى عدم رضائه على ترك كل شئون الحكومة وإعمالها ، وجعل الناس يفهمون أن فى إمكانه إنفاذ "بلاد من الحراب إذا حل محل أخيه . وكان هناك كثيرون من الناس يتقون فيه وبرغبيون فى أن يتولى مقاليد الحكم .

وكان أحد محتاطاً لنفسه ، فلم يكن يخرج من أسوار المدينة دون أن يأخذ يوسف معه خوفاً من أن يقوم فى غيابه بعمل انقلاب مفاجئ ، ولكن هذا أيضاً لم يجد نفعاً ، إذ أنهما عندما كانا معاً فى المشية فى الفترة من ١ إلى ١١ يونية حدث شجار بينهما ، فجرى يوسف إلى المدينة وأمر أتباعه بإغلاق أبوابها فى وجه السكير الكبير . وسرعان ما نادى به أعوانه رئيساً لدولة نيابة طرابلس الغرب ، وأيده أبوه فى اعتلائه العرش الذى اغتصبه من أخيه (١)

وقد طلب أعيان المدينة من بيك تونس أن يتفضل بالتدخل لدى السلطان حتى يوافق على تولية يوسف ، ورجا قنصل فرنسا فى طرابلس السفير الفرنسى فى القسطنطينية أن يعمل لهذا الغرض ويهتم بهذا الأمر .

وقد منح يوسف أخاه المعزول منصب بيك بنغازى ودرته (٢) ، وقبل أحمد هذا المنصب وأبحر إلى بنغازى ، واضطرت عاصفة هوجاء إلى الالتجاء إلى جزيرة مالطة فلم يواصل السفر ثم انسحب إلى تونس رافضاً للمنصب الجديد (٣) .

(١) س . تولى ، نشر ماك كارثى السالف ذكره ، المجلد ٢ ، صفحات ٢٨٣ - ٢٨٤ -

خطاب القنصل س . لوكلان فى ٢٠ يونية سنة ١٧٩٥

(٢) خطاب القنصل لوكلان للوزير فى ٢٠ يونية سنة ١٧٩٥

(٣) ٢٠ يوليو سنة ١٧٩٥

الفصل السابع

التسوية الأولى

من حكم يوسف القرماني

« إنه ليحزني من أجل سيدى يوسف ومن أجل الطرابلسيين أن يحتفظ هذا الأمير بالعرش ، لاني أخشى أن يزيد أيضاً في عدد جرائمه ويجعل حالة بلاده تزداد سوءاً ،

هذا ما عبرت به سيدة إنجليزية ، كانت شاهدة عيان للأحداث التي وقعت في العشرينات الأخيرة ، وكانت تعرف التفاصيل الكاملة لأوضاع البلاط مرفة جيدة^(١) .

إلا أن الحوادث كذبت هذه التنبؤات ، لأن يوسف عندما نجح في الوصول لمآربه واعتلى العرش ، ظهر بظهور يخالف كل المخالفة المظهر الذي كان يبدو به حتى هذه اللحظة .

فلم تعد توجد القسود هي سمة أعمال حياته السابقة ، بل امتاز بصرامة عادلة كانت تشوبها في بعض الأحيان كباسة لم يكن ينتظر توافرها في أمير إفريقي .
« لقد حُكمت البلاد بطريقة أقل استبداداً بكثير عما كان معتقداً ، لا سيما في عهد الباشا الحال سيدى يوسف بن علي ، الذي كان أميراً عادلاً ، متحرراً ، مسلماً ، حتى ليمكن القول بأنه لم تكن هناك حكومة من حكومات التبايعات المغربية تستطيع أن تتحدى حكومة مراكش أو تنافسها في أعمال التقدير أو في الإنكار التحررية . »

هذا هو رأى قنصل أوروبا عاش مدة طويلة في البلاد أثناء حكم يوسف القرماني^(٢) .

(١) تولى - ترجمة ماك كارثي في الجزء الثاني ، صفحة ٢٨٦ .

(٢) جرابرج دي همسو Graberg de Hemsö في بحثه بيان عن تجارة طرابلس الأثرية وعلاقتها بتجارة لمطالبا للشعور في مجلة Antologia سنة ١٩٢٧ ، عدد ٢١ ، صفحة ٧٩ وما يليها .

وقد قدم لنا الأسباني دومينجو بادياي ليبلوك Domingo Badiay Lebluck الذي تظاهر بأنه أمير مسلم والذي قام برحلة استغرقت مدة طويلة من الزمن في إفريقية وآسيا وأقام طرابلس من شتاء سنة ١٨٠٥ إلى سنة ١٨٠٦^(١) قدم لنا عن يوسف باشا الصورة التالية :

« سيدى يوسف رجل حسن المظهر يبلغ من العمر حوالى ٤٠ عاماً لا يخلو من الذكاء وحضور البديهة، يتحدث الإيطالية بدرجة جيدة، يحب الآلة والنخفخة، ويحفظ بالوقار والحشمة دون أن يعمل المجاملة والكياسة. واقد انقضت عشر سنوات ونصف وهو مترج على العرش والشعب راض كل الرضا عنه^(٢) .

وفي الحقيقة مهما كانت آراء المداشرين وحكمهم على أعماله فإن قتله لأخيه، وتمرده على أبيه، وطريقة ذلله لأخيه أحمد، والحرب التي شنها على القبائل الداخلية، ومنازعته مع الدول الأوروبية، كل هذا يجعله الأمير القرماني الوحيد الذي بسبب طموحه الذي لا حد له، وإرادته القوية الصلبة وعدم ترده يمكن اعتباره مؤسس الأسرة .

وكان سيدى يوسف ماهراً في دس الدسائس، على استعداد للتخلص من تعمداته عند كانت مصلحته تتطلب ذلك، وكان قادراً على استخدام جميع الوسائل للحصول على المال، يمثل الطراز الأول للبلوك المغاربة الصغار الذين أنزلوا الرعب مدة طويلة من الزمن بسفن الدول الأوروبية

(١) ر - مكي Micaochi R. القامحات الثرية التي قام بها دومينجو بادياي ليبلوك، وزيارته في طرابلس الغرب في شتاء سنة ١٨٠٥ - سنة ١٨٠٦ ، في عهدة الاستعمار الإيطالية سنة ١٩٢٣ ، عدد ٨ - ٩ .

(٢) رحلات على بك الصلي في أفريقية وآسيا من سنة ١٨٠٣ حتى نهاية سنة ١٨٠٧ ترجمه الدكتور ستييفانو تيكوزي Stefano Ticozzi ، ميلانو ، سونزو سونزو Sonzogno سنة ١٩١٦ جزء ٢ ص ١٨٥ .

وعندما استولى على السلطة ، كانت أحوال البلاد وعلى الأخص مدينة طرابلس في أسوأ حال . وكانت القلعة قد نهبت نهباً تاماً ، فاضطر للالتجاء للقنصل الأوروبيين واستجدائهم^(١) حتى يؤثثوا بالأثاث الضروري لها . كانت مالية البلاد خالية ، فطلب من الدول أن تدفع عدايا وهبات فوق العادة أو أن ترسل إليه مقدماً الهبات المعتادة ؛ فأرسلت أسبانيا إليه في الحال ١٢ ألف قرش ، فقبلها الباشا على شرط أن تدفع إليه مبلغاً أكبر عند تجديد معاهدة الصلح^(٢) .

كما أرسلت إليه البندقية أسطولاً بقيادة كوندولير Condulmer الذي حل إلى الباشا قسطين سنو من الجزية الخاصة واحتكار ملاحات بوكاش وهدية لتأييد المعاهدة السابقة^(٣) .

وقد وافقت دول أخرى على طلبات يوسف باشا وحصل بذلك في أقل من ثلاث سنوات على ما يقرب من ٣٢٠ ألف قرش .

كانت تسود البلاد فوضى شاملة فقد كانت ترتكب أعمال قطع الطرق والسرقات في كل مكان . وعمل يوسف بكل حمة على إعادة إقرار النظام ، فأمر بأن يحكم بالإعدام على كل من يرتكب أى عمل من أعمال الاعتداء وكان لشدة أحسن الآثار في القضاء على السرقة . وقد أظهر تسامحاً كبيراً نحو اليهود ، الذين تمنعوا بفضل حمايته بالهدوء والطمأنينة والنجاح

(١) أرسلت فرنسا ١٢ صندوقاً من الأثاث ، سجاجيد ، وعصافير ومهايا . . الخ كانت قد زرعت من أصول اللوك السابق . خطاب القنصل لوكاس الأزخ في ٢٨ يولي سنة ١٧٩٥ ، وكان في استطاعة يوسف الفرمان وحاشيته أن ينضموا بنجاح أناتهم وأمتهم وساعاتهم . ف شارل رو Charles Roux F. في أعمال البراءة فوق العادة المرسلة إلى بلاد القرب . باريس ، جمعية تاريخ المستعمرات الفرنسية ، ص ١٦٨ .

(٢) خطاب القنصل لوكاس ، الأزخ في ٣٠ يولي سنة ١٧٩٥ .

(٣) خطاب القنصل لوكاس ، للأزخ في ٢٨ يولي سنة ١٧٩٥ السالف الذكر .

الذي لم يحدث من قبل^(١) ، حتى أن كثيرين من يهود البلاد الأخرى جاؤوا للإقامة في طرابلس^(٢).

وقد دفعه حبه لمظاهر العظمة إلى إحاطة نفسه بملابس بجاكي بلاط الأمراء ، كما دلت على ذلك الملابس الفخمة التي كانت ترتديها نسائه وخادماة والمفروشات التي كان يملأ بها قصوره^(٣).

شيد يوسف كثيراً من المباني في المدينة ، كما بدأ بإصلاح الأسوار مبتدئاً بالأسوار المواجهة للبحر الذي نصب عليه سبعين مدفعاً معظمها من البرونز^(٤) ، ولم يحتفظ بحيوش ثابتة عدا حرسه الخاص ، وجماعات القبولوغية الذين كان يستطيع استخدامهم في الخدمة العسكرية عند الضرورة ، وعين عدد الجنود الذين كان على كل رئيس إرسالهم إليه عند طلبه ، بحيث يستطيع

(١) وقد أتى اليهود الذين كان لهم في طرابلس ثلاثة معابد ، معمله خيراً من العامة التي لا تها في صراكس وكان يبلغ عددهم نحو ألفين ، يرتدون ملابس المسلمين غير أن قسما منهم وأغلبهم كانت سوداء ، وكان يلبس العامة الزرقاء منهم ثلاث أسر من الأسر بواسطة الزاء .

أما الآخرون فهم من الصناعات أو من الصياغة . . الخ . وكانت التجارة الأوربية تتركز كلها في أيديهم ، وكانوا على اتصال دائم مع مارسيليا وليون وباريس وتريستا والبندقية ، من رحلة على بك المباشي « السالفة الذكر » جزء ٢ ، ص ١٦٥ .

(٢) جاء إلى طرابلس في سنة ١٨٠٢ اليهود المصاروني من تونس بسبب الاضطرابات التي وقعت بها .

وفي سنة ١٨٠٥ وصل عدد كبير من الجزائر بسبب الاضطرابات الشديدة التي وقعت فيها كما حاصر إلى طرابلس يهود أوروبا ، وعلى الأخص الإيطاليين لتخليص من الأموال التي نأت نتيجة لحروب نابليون ، واستقروا فيها بعد أن تبرأوا من بني دينهم الذين أسرم الظلمون .

(٣) لم يكن لسيدي يوسف سوى زوجتين شرعيتين ، أحدهما ابنة عمه وهي بضاء وقد أحببت منه ثلاثة ذكور وثلاث إناث ، وأما الأخرى فكانت زنجياً وكان له منها ذكر وابنتان . وكان لديه كثير من الجوارى السوداوات ولم تكن يثنين واحدة يضاء .

ويؤيد لنا حجة القضاة والشرطة ، ما كان يبدو في ملابس نسائه وفي مفروشات مساكنهن (أنظر رحلات علي بك المباشي سالفة الذكر ، جزء ٢ ، ص ١٥٨)

(٤) خطاب القنصل لوكاس بتاريخ ٢٦ يوليو سنة ١٧٩٦ .

تأليف جيش يتكون من عشرة آلاف فارس وأربعين ألفاً المشاة (١). وقد أعاد الباشا تنظيم بحريته (٢) وولى قيادتها انجليزيا اسمه بيترليل Peter Lyle اعتنق الإسلام وتسمى باسمه «مراد رئيس» وزوجه من إحدى قريباته، وشجع أعمال الغزو وقواها، مستغلا الفوضى التي كانت سائدة في البحر المتوسط.

وبذلك أصبحت طرابلس مستودعا كبيرا للفنائم والأسرى المسيحيين وكان يحصل على نصيب الأسد منها.

تمتع يوسف بثقة رعاياه، ولم يكن لديه ما يحشاه من جانب أيه الذي اعتكف وسكن إلى حياته الخاصة، وتوفي بعد ذلك بقليل في طرابلس في يوم ٢٣ بولية سنة ١٧٩٦ (٣)، كما لم يكن يخشى أخاه الذي خلعه، والذي رحل إلى تونس وابتعد عن جميع الدسائس، ووجه كل عنايته لتقوية بلاده حتى لا تكون أقل من البلاد المجاورة - أي تونس والجزائر.

١٩١ لا يجب أن نغفل أن عددا الجيوش المنهكة في ثورة الخوارج الطغرافية. وقد وصف لنا الدكتور باولو دالاسا الذي عمل كمعلم عسكري في حملة عسكرية أرسلها يوسف ضد برقة التي كانت قد ثارت ضده بعد ذلك بعدة سنوات وصف جيش الباشا حيث قال «لم يكن هناك أي نظام في المعركة أو زى عسكري موحد - أما من جهة التسليح فلم يكن يظهر على الجيوش سوى روح الفوضى وعدم السكينة، التي التي كل سائلا بين الجيوش وكانت الشدائد مسلحا ببنادق وبنادق وعصاين أردا» ويريدى مطلقا منهلا من الصفوف ويابس الجيوش بدلا من الأحرار فاضدين من جلود الخيل المنهكة في الشمس، والريشة حول أقدامهم بالحال، وكان على الحدى أن يدير طائفة ومعداته على حساب الخاسر، وهم ذلك كان يسر لمرءاه هذا الذي وانخرط في جيش الباشا، إذ كان يعيش على حساب الأهالي الذين يمر ببلادهم، ونهب من هاء ومن هناك كل ما يقع تحت يده» واجم الدكتور ب. دالاسا (رحلة من طرابلس عبرت إلى حدود مصر العربية) الطيبة الثالثة سنة ١٨١٩ - قيادة هذه أركان حرب الإدارة التاريخية - مدينة القلعة ١٩٦٢ م، ص ١٣.

(٢) كان أسطول الباشا قد انخبط إلى غس أو ست سفن سفينة التسليح عند توليته وكان ثابا في سنة ١٨٠٥ من قرطاجين، لاندماها مسلحة ببنادق ودهور، مدفا والأخرى ستة عشر مدفا ومن سبع سفن أقل تسليحا بها ٩٩ مدفا، فضلا عن ست سفن تجساسة كانت تسبح في زمن الحرب «من رحلات على ملك القبايى» سالفة الذكر جرد ٢، ص ١٦٠.

(٣) خطاب الفضل ج. ف. لورخم في ١٥ بولية سنة ١٧٩٦.

وبعد أن حصل يوسف القرمانلي من السلطان سليم الثالث على أمر التولية (الفرمان) وتأكد من استقراره على العرش، اتخذ مسلكاً معادياً نحو تلك الدول الصغرى، التي لم تقبل مطالبه لدفع الجزية والهبات، وعلى الأخص هولندا والدانمارك وسويسرا، وأمر رجاله من المغامرین بمهاجمة سفنها، وسرعان ما تم أسر عدد من السفن الدانيمركية والسويدية التي أخذت إلى طرابلس.

وكذلك لم تنج سفن الدول الأخرى.

ففي شهر سبتمبر سنة ١٧٩٦، تم أسر سفينتين تابعتين للولايات المتحدة الأميركية فضلاً عن سفينة تابعة للبنديقية، وأخرى روسية؛ وكانت إحدى السفن التابعة للولايات المتحدة تحمل جواز سفر من «داي الجزائر»، ومعها الجزية والهبات طبقاً للصلح الذي تم إبرامه أخيراً بينهما، وقد أطلق سراح هذه السفينة في الحال، أما السفينة الأميركية الأخرى فقد أمر الباشا بتسليمها للقيام بأعمال الغزو^(١) وقد عادت السفينة الأميركية التي أطلق سراحها في يوم أول نوفمبر، إذ تغلوص قبطانها أوبريان O'Brien بمساعدة قنصل أسبانيا مع الباشا، واستطاع إبرام الصلح الذي نشر في اليوم الرابع وتم الوصول إلى هذه النتيجة بسرعة بفضل توسط داي الجزائر الذي كتب إلى يوسف، حتى يقنع بمبلغ أربعين ألف قرش تدفع مقدماً^(٢).

وفي تلك الأيام بالذات، وصلت فرقاطة دنماركية بقيادة القبطان فيشر Fischer الذي كان مكلفاً من حكومته بإبرام الصلح. ولكن مطالب الباشا الباهظة أدت إلى فشل المفاوضات، فأمر فيشر القنصل الدنماركي بإزالة العلم، ولم يستطع منع أحد المغامرین الطرابلسيين من سحب سفينتين دانمركيتين وأسرهما، ثم أخذ القنصل معه ورحل^(٣).

(١) خطابات القنصل لوكاس بتاريخ ٢٣ ديسمبر سنة ١٧٩٦ و ١٧ أبريل سنة ١٧٩٧

وخطابات القنصل ج. ف. لوختر ٢١ سبتمبر و ١٢ نوفمبر سنة ١٧٩٦

(٢) خطاب القنصل ج. ف. لوختر بتاريخ ١٢ نوفمبر سنة ١٧٩٦

(٣) خطاب القنصل لوكاس المؤرخ ل ١٤ يناير سنة ١٧٩٧

وفي مايو التالي ، حضر أسطول دانماركي صغير أمام طرابلس ، واشتبك في معركة عنيفة مع خمس من سفن الغزو واضطرها إلى العودة إلى الميناء بعد أن كبدها خسارة في الأرواح وبعض الأضرار ، وعندئذ أبدى الباشا ميله لمعد الصلح ، وأخيراً تم إبرام الاتفاق الذي تعهدت فيه الدانمارك بدفع مبلغ ٧٥٠٠٠ قرش في الحال ودفع مبلغ سبعة آلاف كل ثلاث سنوات (١) .

وكانت السويد قد حصلت على هدنة بعد تدخل الباب العالي ولكن تلك الهدنة كانت قصيرة الأجل ، واستأنف المغامرون الطرابلسيون مهاجمة السفن السويدية وأسروا منها سبعاً في أشهر قليلة .

وفي شهر يونيو سنة ١٧٩٨ تم مع ذلك الوصول إلى اتفاق حصل الباشا بمقتضاه على مبلغ ٧٧ قرش دفعة واحدة ، على أن يدفع له مبلغ ١٠٠٠٠ قرش كل ثلاث سنوات ، فضلاً عن سفينة محملة بالذخائر الحربية وهدايا ثمينة من المجوهرات وأقمشة وساعات . الخ .

أصبحت تعتبر حكومة نيابة طرابلس الغرب منذ ذلك الوقت بفضل همة وحزم رئيسها ، وزيادة سفن الغزو لديها في مرتبة لا تقل عن مرتبة الجزائر وتونس - كما كانت الدول الكبرى تبذل كل ما في وسعها لتوثيق علاقاتها الطيبة بها (٢) . أما أسبانيا التي كانت تقابل بالترحاب دائماً مطالب يوسف ، فإنها أرسلت إليه في سنة ١٧٩٧ مهندساً متخصصاً في بناء السفن ومعه بعض العمال الإخصائين ، ووافقت على أن يقوم المغامرون الطرابلسيون بإصلاح سفنهم في ترسانة قرطاجنة بأسبانيا (٣) - كما سلت إليه انجلترا هدايا ثمينة .

(١) خطابا الفصل ج . ف . لوختر بتاريخ ٢٨ فبراير و ٣٠ مايو سنة ١٧٩٢

(٢) خطاب الأصل ج . ف . لوختر تاريخ ٦ ديسبر سنة ١٧٩٧ و خطاب الفصل لوكلان بتاريخ ٧ أبريل سنة ١٧٩٧

(٣) خطاب الفصل ج . ف . لوختر بتاريخ ١٠ أكتوبر سنة ١٧٩٧ و ٢٦ يوليو سنة ١٧٩٨

حاولت فرنسا بعد ذلك توثيق صداقتها مع يوسف - لاسبب سياستها التقليدية إزاء الغرمانيين ، بل وأيضاً لأن الحرب بينها وبين إنجلترا التي استولت على جزيرة كورسيكا كانت تزيد من أهمية نيابات الغرب في نظرها ، بما فيها نيابة طرابلس الغرب . لأن تلك النيابات للغربية كانت تستطيع السفن الفرنسية أن تجد ملجأ لها في موانئها ، وأن تحون فرنسا في أوقات الشدة بالحروب والأطمعة .

وفي يوليو سنة ١٧٩٦ وقع حادث خطير إذ هاجمت فصيلة من الجنود المحليين قنصلية فرنسا ، وانتهكت حصانها الدبلوماسية ، لإطلاق سراح جندي كان قد دخلها عنوة ، وأسره فيها خدم القنصل جوى Guys ، ولكن هذه المشكلة تمت تسويتها بسرعة عند ما قام الباشا بجميع الترضيات المطلوبة . ولم تتغير سياسة الباشا الودية نحو فرنسا ، كما لاحظ ذلك القائد دالوا دركوله d'Allois d'Herculeis المعتمد العام للجمهورية الفرنسية ومندوبها الخاص الذي وصل إلى طرابلس في أبريل من السنة التالية (٢) .

وكانت حكومة فرنسا قد كلفت دالوا دركوله في أكتوبر سنة ١٧٩٤ ، بمهمة تسوية كل خلاف مع رؤساء حكومات نيابات الغرب وتوثيق عرى الصداقة المتينة معهم ، حسب تعليمات ذكرت خلاصتها في مذكرة عامة خاصة بتلك البلاد ، وفي ثلاث مذكرات منفصلة تختص كل واحدة منها بإقليم من الأقاليم الثلاث (تونس والجزائر وطرابلس) وكانت المذكرة الخاصة بطرابلس ، التي كانت إذ ذاك تحت حكم « علي برغل » تلفت نظر المندوب إلى مشروع القنصل « جوى » ، الذي يرى إلى تنازل الباشا عن قلعة « لا كال La Calle » التي كانت من ممتلكات « الشركة الأفريقية »

(١) خطاب القنصل ج . ف . لوختر بتاريخ ٢٥ يوليو سنة ١٧٨٩

(٢) خطاب القنصل ج . ف . لوختر المؤرخ في ٢٥ يوليو سنة ١٧٩٦ - راجع

دي ايجوستيني ، في « وثيقة لم تظهر ... الخ » السالف الذكر ، من ٨١ - ٨٢

(٣) راجع فيها بدلي بتسمية « دالوا دركوله » والعمل الذي قام به في الجزائر وتونس وطرابلس كتب « ف . شارل دو Charles-Roux أعمال دركوله » السالف الذكر .

على سواحل الجزائر^(١)، وذلك مقابل ميناء « بومبا Bomba » التي كانت روسيا تريد وضع يدها عليه، وكانت المفاوضات قد بدأت بين الروسيا وعلى باشا القرماني بشأنها أثناء إقامته هذا الأخير في تونس، كما تلفت المذكرة النظر إلى النزاع الذي قام في طرابلس بين القنصل « جوى » والاباء الفرنسيين الذين كانوا يرفضون البقاء تحت حماية فرنسا بعد أن تحولت حكومتها إلى جمهورية.

وبعد أن أقام « دالوار كولي » مدة طويلة في تونس والجزائر جاء أخيراً إلى طرابلس، حاملاً هدايا ثمينة للباشا الذي استقبله استقبالا حافلا، ولكنه لم يستطع إتمام المفاوضات، إذ عزله حكومة الإدارة الفرنسية من منصبه ومن كل سلطة وذلك بعد خمسة عشر يوماً من وصوله إلى طرابلس.

وقد أكد دركولي بعد أن هذا الإجراء قد أصابه في الوقت الذي نجح فيه في الحصول من الباشا على التنازل عن ميناء « بومبا » وكان على وشك عقد معاهدة عظيمة القائدة لفرنسا^(٢).

ولاندري إذا كان « دالوا » صادقا أو كاذبا فيما قاله فما لاشك فيه أن يوسف لم يكن يخفي في تلك الأيام صداقته مع فرنسا. سواء بدافع مصالحه الخاصة، أو سبب ما كان يشعر به من الخوف، ولم يغير من مسلكه معارضة التنصل « جوى » الصريحة لما ادعاه يوسف من أن الجمهورية الفرنسية أصبحت بعد معاهدة كيو فورميو Campoformio مسيطرة على جزر البحر الأيوني وأنها يجب أن تستمر على دفع الضريبة السنوية التي كانت البندقية قد التزمت بدفعها في مقابل استئجار ملاحات بوكاش^(٣).

(١) التي حلت محل « لنتركة الملكية بأفريقية »

(٢) ف. د. شال دو - أعمال دركولي، المجلد الذكر، ص ٢٢.

(٣) خطاب القنصل ج. ك. لوشنر المؤرخ في ٤ يونيو ١٧٩٨ « كانت لدى الباشا معلومات عن مساعدة كيو فورميو في ديسمبر سنة ١٧٩٧ وسرعان ما أنزل صاري علم البندقية ومصادر مقولات القنصلية بحجة أنه كان يدين الجمهورية التي سقطت - خطاب القنصل ج. ك. لوشنر بتاريخ ١٥ يناير سنة ١٧٩٨ »

نقل القنصل «جوى» إلى عكا وأبحر على سفينة فرنسية للوصول إلى مقر عمله الجديد فأمر الانجليز السفينة وافتادوها إلى ميناء طرابلس ، وتدخل يوسف بحزم وحصل على أمر بإطلاق سراحه (١) .

ومعلا شك فيه أن يوسف اتخذ هذا المسلك بسبب قلقه - هو وبك تونس - من ذلك الخبر القائل بأن الفرنسيين احتلوا جزيرة مالطه ، فقد وصلت الحملة التي كان يقودها بونايرت والتي غادرت ميناء طولون في ١٩ مايو - إلى مالطه في يوم ١٣ يونيه - وبعد أن استقبلت عاصمة الجزيرة ترك فيها بونايرت حامية صغيرة بقيادة الجنرال «فوبوا Vaubois» وألحق إلى الاسكندرية . وبقي هدف الحملة - كما هو معلوم - في طي الكتمان .

وفي أوائل يونيه أرسل تاليران Talleyrand وزير الخارجية الفرنسية خطاباً إلى القنصل الفرنسي في طرابلس وصله بعد رسالة جاءته من بونايرت يطلب فيها إبلاغ الباشا باستيلائه على مالطه ، وأن المغاربة والأتراك الذين كانوا حتى ذلك الوقت أسرى في سفن البندقية سوف يعتبرون أسرى حرب ، وسوف يطلق سراحهم بمجرد أن يطلق رؤساء نيابلس الغرب سراح الأسرى الفرنسيين أو الماطليين الموجودين تحت أيديهم (٢) .

والآن وبعد احتلال مالطه ، أصبحت طرابلس ذات أهمية بالنسبة للفرنسيين الذين كانوا يأملون في أن يحصلوا منها على مؤونة للجزيرة ، وأن تكون لهم مواصلات مع مصر عبر طرابلس الغرب .

= وينضج من حجة حاضرة من محكمة طرابلس الشرعية بتاريخ آخر محرم ١٢١١ هجرية (٦ أغسطس سنة ١٧٩٦) أن اقرار الوجود في « دلة القري » على مقربة من مسجد درغوث باشا والتي كانت مقر فصيلة البندقية ، كانت ملكا للسيدة ٧٧ حلومه - التي كانت قد باعها منذ سبع سنوات لابنها يوسف - وس الخليل أن يكون قد أمر بتحرير هذه الحجة كقرينة لإثبات أنها قبل وفاتها . وبينما كان على باشا وإبناء أحمد ويوسف قد جلبوا إلى تونس على أثر الغصاب على برغل للحكم ، كانت ٧٧ حلومه قد وهبت مجوهراتها وعلقتها إلى أولاد ابنتها حسن بك التيتلي وليهم دون أن تذكر شيئاً لأحد أو ليوسف .

(١) خطاب القنصل ج . ك . لوفتر بتاريخ ٢٧ أغسطس سنة ١٧٩٣ وخطاب القنصل الفرنسي «بوسيه Beausse» بتاريخ ١٣ مراكشور السنة السادسة (سبتمبر ١٧٩٨)

(٢) ف . شارل وو . في «بونايرت وطرابلس الغرب» باريس - المجلة الجغرافية البحرية والاستعمارية سنة ١٩٢٩ - ص ١٦ وما يليها

ومن جهة أخرى سرعان ما أدرك يوسف الفوائد التي يستطيع الحصول عليها من هذا الموقف، إذا ما قام هو بنفسه أو بواسطة الغير بنور يد ما يُطلب منه من حبوب أو علف أو ماشية.

وبدأ في تبادل المراسلات والهدايا مع الجباله قويا . . قبل أن يدفعه إلى ذلك القنصل جوى الذى عاد إلى طرابلس بعد أن غاب عنها مدة من الزمن . واطلع على خطائى بونايرت وتاليران وأخضعه لوفى تعليقاتهما . غير أن خبر نزول الفرنسيين فى الإسكندرية لم يقع من نفس الباشا موقفاً حسناً ، إذ أثار فى نفسه الخوف من أن احتلال دولة مسيحية لمصر قد يكون له عواقب وخيمة على نيابة طرابلس الغرب . وزادت مخاوفه ، ولم تجد تأكيدات القنصل « جوى » البارعة فى تبديد ما بسبب وصول السفن الحربية الإنجليزية ، وانقطاع وصول الأخبار من مالطه .

وفى أوائل أكتوبر وصل إلى طرابلس بونايتورا بوسيه Bonna Ventura Bousseaux القنصل الذى خلف جوى والذى كان من قبل قنصلا فرنسا فى تونس ، وكانت قد مضت حوالى ثلاثة أشهر لم تصل فى أثناءها أخبار من جزيرة مالطه . وراجت إشاعات بأن أمالى مالطه ثاروا على الفرنسيين وأن الجنرال فوبوا قد أمر بمنع السفن الموجودة فى موانى مالطه من مغادرتها (١) .

وعلم الباشا أخيراً أن مالطه حاصرها أسطول برتغالى يعمل فى خدمة انجلترا ، وكان لهذا النبأ فى نفس الباشا وقع أسوأ من وقع نبأ الانتصار الذى أحرزه الانجليز فى أبى قير . إذ جعله يخشى عدم إمكان تحقيق المشروع الاقتصادى الذى كان يعلق عليه أكبر الآمال .

ومع هذا ورغم وصول أمر سلطانى (فرمان) بإعلان الحرب بين الباب العالى وفرنسا ، وأوامر بحجز الفرنسيين المقيمين فى طرابلس بصفة

(١) - حساب القنصل بوسيه « بتاريخ ٣٠ فيبرال السنة السابعة (١٦ أكتوبر سنة ١٧٩٨) .

رهائن وإرسال قوات بحسرية لمعاونة فرودان باشا ، فإن يوسف باشا استجاب لرغبة القنصل ، بوسيه ، وأرسل إلى مالطه شحنة أخرى من العجول^(١) على ظهر سفينة فرنسية صغيرة وإذا كانت الظروف قد جعلت من الصعب تموين مالطه بالرغم من رغبة الباشا في الريح ، فإن مشروع إيجاد مواصلات بين مصر وفرنسا عبر أراضي نيابة طرابلس - ذلك المشروع الذى حاول الفرنسيون تنفيذه قبل هزيمة أبي قير - قد أصبح لا يمكن تنفيذه فعلا بعد أن أصبحت جيوشهم أسرى في مصر .

وعندما وصل الحجاج الطرابلسيين العائدون من مكة إلى مدينة القاهرة ، كانوا على رعاية خاصة وبدأت المفاوضات مع زعيمهم الشيخ أبي القاسم الذى تعهد بإيصال ثلاث من رجاله يريد على ظهور الجبال يحملون إلى قنصل فرنسا في طرابلس رسائل مع بعض أخبار مصر ، كما تعهد بأن يعمل على إيصال أخبار فرنسا بهذه الطريقة إلى مصر كل عشرة أيام على الأقل .

وانقضى وقت طويل دون أن يصل أى خبر عن رجال البريد هؤلاء ، ونفذ صبر بونايرت ، وأرسل أحد مترجمي أركان حربه المدعو ، Arnoult فأبحر من الاسكندرية إلى طرابلس على أن يعود منها بطريق البحر إلى درنة ثم يسلك بعد ذلك طريق البر إلى مصر .

وفي يوم ١٣ أكتوبر وصل إلى الباشا خبر مؤده أن قافلة الحجاج قد وصلت إلى بنغازى . وفي يوم ٢٤ - أى بعد ٧٢ يوما بدلا من ٣٠ يوما وصلت رسائل بونايرت إلى بوسيه^(٢) الذى أسرع في الحال ، نزولا على التعليمات التى تلقاها بإرسال رسول إلى مصر وأتبعه بآخر في شهر فبراير من السنة التالية بعد وصول القائد البحرى الفرنسى ، فابرو Fabbro ، الذى وصل على إحدى السفن من الاسكندرية إلى مصراته ، ومنها بطريق البر إلى

(١) خطاب القنصل بوسيه ، المؤرخ في ٣٥ فندويل السنة الثانية (١٦ أكتوبر

سنة ١٧٩٨)

(٢) خطابات القنصل بوسيه المؤرخة ، و ٣٦ ديمال و ٢٩ برومبال السنة الرابعة

(١٧ أكتوبر ٢٩ نوفمبر سنة ١٧٩٨) .

طرابلس وأخيراً وصله أرنو، في ٢١ فبراير على ظهر السفينة «لودى» Loude،

وإذا كان مندوبو برنابرت الثلاث استطاعوا الوصول في مدى ستة أشهر إلى طرابلس، فإن أولئك الذين قاموا من طرابلس لم يكن لهم مثل هذا الحظ - ومن بينهم المترجم «أرنو» الذي اضطر إلى النزول إلى البر في مصراته بسبب سوء معاملة قائد السفينة «لودى»، وأن يسلك طريق البر في عودته إلى مصر، وقد اعتقله رجال الشيخ سيف النصر، وعندما أمر الباشا بإطلاق سراحه توجه إلى طرابلس ثم قتل^(١).

وحدث محاولة جديدة تقوّن مالطه في أوائل شهر يناير سنة ١٧٩٩ إذ وصل إلى طرابلس مندوب من قبل الجنرال فوبوا لشراء مواد تموينية. وقد أمر هذا المندوب بأهداء الزورق الذي حضره إلى الباشا لضمان رضائه كما أمر بإرسال هدايا أخرى لكبار رجال بلاط الباشا، ومع هذا فلم يكن من الصعب الوصول إلى إرسال بعض الشحنات من الأغذية إلى مالطه^(٢). وكانت مجاملة الباشا لفرنسا علناً بسبب مصالحه الشخصية وليس طبقاً لسياسة مرسومة تعرضه لأخطار كانت لا تخفى عليه.

ففي منتصف شهر مايو جاءته أخبار بأن مندوباً من قبل الباب العالي في طريقه إلى طرابلس بعد أن حمل أوامر من السلطان إلى «داي» الجزائر وإلى «يك» تونس وتأكد من تنفيذهما لها. فأخطر الباشا القنصل بوسيديه، حتى يسرع بنقل المؤن المخصصة لجزيرة مالطه، وتظاهر بأنه يقوم ببعض الأعمال العدائية ضد المرينيين^(٣)، وبعد وصول قابوجي باشي أمر بإزالة العلم الذي كان مرفوعاً فوق مقر قنصلية فرنسا واتزاع صلبى العلم منها.

(١) خطابات القنصل بوسيديه في ١٥ و ٢١ يناير و ٢٦ جرمينال السنة الثامنة من شارل - روي «بولايرت وطرابلس العرب» السالف الذكر، ص ٦٧-٧٦.

(٢) خطاب القنصل بوسيديه للأورخ في ٢٩ غيال السنة الثامنة (يناير سنة ١٧٩٩).

(٣) خطاب القنصل بوسيديه للأورخ في ٢٩ غيال السنة الثامنة (يناير سنة ١٧٩٩).

ووضع حارساً على مكن القنصل الذي كان للفرنسيين الآخرين حق الإقامة فيه ، ولكنه كان قد أكد في نفس الوقت للقنصل بوسيديه أن هذه الإجراءات سوف تُلغى بمجرد رحل مندوب السلطان^(١).

وفي الواقع بمجرد أن ابتعد قابو جى باشى عن طرابلس في يوم ٢٥ فبراير عاد القنصل ومواطنوه أحراراً يتمتعون بكامل حريتهم . وبعد ذلك لم يكتف الباشا باستقباله ، وأرسله ، فحسب ، بل وعد القنصل بوسيديه بالعناية به والاهتمام بشؤونهم ، وأكد له رغبته في أنه لن يبدل عن صداقته الوثيقة التي تربطه بالجمهورية الفرنسية . غير أنه قد وصل قابو جى باشى آخر في ١٦ أبريل على ظهر سفينة عثمانية محملة بذخائر حربية مرسلة كهدية إلى يوسف باشا وكان يحمل أمراً عالياً من السلطان سليم الثالث يطلب فيه من يوسف باشا أن يقود جيوشه ويتحرك ضد مصر للهجوم على الفرنسيين من الجهة الغربية ، بينما يهاجم جيش سوريا من الجهة الشرقية وينزل جيش تركي آخر في دنيا النيل ، ولم يجد يوسف صعوبة في إظهار استحالة تنفيذ هذا الأمر ، نظراً لعدم كفاية قواته العسكرية والممر المالى الذي كان يزرع تحته ، ولكنه اضطر في هذه المرة أيضاً إلى اتخاذ إجراءات قهرية ضد قنصل فرنسا ومواطنيه ، وبعد ذلك بحصة أيام وصل مندوب رابع من قبل الباب العالي وكان في هذه المرة شاوشا وطلب من الباشا أن يسلم إليه جميع الفرنسيين الموجودين في بلاد نيابة طرابلس الغرب ، ولكن يوسف رغم موافقة الديوان على قبول طلبات السلطان ، رفض إرسال الحلة إلى مصر كما رفض تسليم الفرنسيين^(٢).

ولكن إذا كان يوسف باشا قد نجح بفضل مكره ودعائه في التخلص من التزاماته نحو الباب العالي ، فقد كان يخشى أن يضطر لإرضاء تعصب

١١١ خطاب القنصل بوسيديه المؤرخان ١٥ و ٢٠ يوليو/ال سنة السابعة (٢٠ يناير و ٤ فبراير سنة ١٢٩٩) .

(٢) خطاب القنصل بوسيديه بتاريخ ٢٦ ديسمبر/ال سنة السابعة (١٧ أبريل سنة

١٢٩٩) .

رعاياه ، ومن جهة أخرى كان يرى أمامه خطراً أشد عاقبة وخطر تدخل
الانجليز ، فان الفصل الانجليزى س. لو كاس الذى كان رجلاً لا يعتد
به (١) قبل التدخل انتهى به الأمر إلى كشف الأعياب الباشا وكتب بذلك
إلى نلسون Nelson الذى كان فى ذلك الوقت فى بالرمو وأخبره بالأحداث
وطلب منه التدخل ، فأرسل نلسون البارجة ، فانجارد Vanguard بقيادة
القبطان هاردى Hardy الذى حصل من الباشا على تأكيدات كتبها فى
خطاب محرر إلى الأميرال نلسن ثم رحل من طرابلس بعد أن أخذ معه
الفصل لو كاس (٢) ، وكان الباشا يتخشى من أن يقوم هذا الفصل بإبلاغ
نلسون بحقيقة الأحوال ويزعزع الثقة فى تأكيدات الباشا ويجعلها غير ذات
قيمة أو وزن ، وقد أرسل نلسون فعلاً إلى مياه طرابلس بارجة برتغالية
بقيادة القائد الانجليزى كامبل Campell ، وعاد عليها لو كاس يحمل
خطاباً من الأميرال نلسون إلى الباشا يطلب منه فيه أن يقوم فى الحال بتسليم
الفرنسيين ورؤساء البحرية المشبه فى أنهم يعملون لمصلحة فرنسا ، وهدد
باستخدام القوة فى حالة الرفض وكان هذا فى الواقع « انذاراً أخيراً » بمعنى
الكلمة إلى الباشا ومع هذا فقد رفض يوسف الخضوع له ، فأعلن القائد
الانجليزى القناصل بأنه سيبدأ فى حصار موانئ حكومة نيابة طرابلس
الغرب ، وفذف حصون المدينة بالقنابل ، ولكنه اضطر إلى الرحيل (٣)
بسبب إصابة بارجته بمطب مفاجئ .

ثم عادت البارجة ثانية بعد أربعة أيام إلى الظهور ، وهى تطارد
سفيتين من سفن المغامرین الطرابلسيين ، واستولت على إحدهما وهى التى
كان يقودها مراد الرئيس .

(١) خطاب الفصل ج . ف . لوختر بتاريخ ٢١ مارس سنة ١٧٩٧ .

(٢) خطاب الفصل ج . ف . لوختر بتاريخ ١٨ أبريل سنة ١٧٩٧ .

(٣) خطاب الفصل ج . ف . ١١ مايو سنة ١٧٩٩ وخطاب الفصل يوسفى فى ٢٢
غلوڤيال السنة السابقة (١٣ مايو سنة ١٧٩٩) .

(م ١٠ — طرابلس الغرب)

كان يوسف يود الاستمرار في المقاومة ، ولكن إلحاح المحيطين به وصياح الجماهير اضطراه إلى العدول عن رأيه وإعلان الاستعداد للمفاوضة ، وفي نفس اليوم سلم القنصل الفرنسي بوسيه أربعين فرنساً إلى كاميل فنقلهم إلى مدينة بالرمو حيث أمر تلسون بنقلهم إلى جنوة (١) .

لم يكف يوسف بمحاولة الاستفادة من هذا الموقف الناشئ في البحر المتوسط على أثر الحملة على مصر ، بل إنه انتهز الفرصة المواتية والحظفة المناسبة ، وأمر المغامر ين يابدها منتهى النشاط ، وبعد أن رفضت فرنسا أن ترسل إليه الضريبة التي كانت تدفعها البندقية ، طالبها امبراطور النمسا الذي ضم تحت حكمه معظم أراضي جمهورية البندقية القديمة ، وعندما رفض طلبه بدأ الأعمال الحربية ضد السفن التي كانت تحمل العلم الامبراطوري (أي النمساوي) وأسر ستاً منها على التوالي ، ثم أطلق سراحها فيما بعد على أثر تدخل الباب العالي ، واحتفظ بإحداها بعد أن اضطر قائدها إلى قبول لمن لها يقل كثيراً عن ثمنها الفعلي (٢) . ولم يكن الأشا يخفي سخطه على الدول التي كانت تتأخر في الوفاء بالتزاماتها المفردة في المعاهدات والتي كانت لا تظهر ميلها لإجابة طلباته التي كان يتقدم بها باستمرار ، وعلى الأخص الولايات المتحدة الأمريكية التي كان قد أبرم معها صلحاً لإرضاء لدائ الجزائر بشروط لم تكن له فيها مصالح كبيرة ، وبعد أن توفي هذا الداي أخذ يوسف يبحث عن عذر لفسخ هذا الاتفاق . وعندما وصل القنصل كائسكارث Cathcart في إبريل سنة ١٧٩٩ ومعه الهدايا المعتادة ، أكد يوسف له أنه كان يأمل في إرسال زورق مسلح وكميات من الذخائر الحربية وأقام الصعوبات التي حالت دون نزول القنصل إلى البر ومصح بأن يستقبله

(١) خطاب القنصل ج . ف . لوختر في أول يونيو سنة ١٧٩٩ وخطاب القنصل بوسيه في ٢٤ فلوريال السنة السابعة (١٥ مايو سنة ١٧٩٩) و ٦ ميسيدور السنة السابعة (٢٨ يوليو سنة ١٧٩٩)

(٢) خطاب القنصل ج . ف . لوختر في ٢٣ أغسطس سنة ١٧٩٨ .

يعد أن تمهد له بدفع مبلغ ١٨,٠٠٠ قرش كتعويض عن عدم إرسال الزورق (١).

ثم خضع الباشا بعد ذلك لأوامر نلسن ، وأمر مقامه بإيقاف جميع السفن التي تحمل مؤنًا أو ذخائر إلى فرنسا - الأمر الذي يدل على عدم اعترافه بالمعاهدات التي تنص على إعطاء الضمانات لسفن الدول الصغرى (٢).

وقد هاجم المغامرون الطرابلسيون السفن الدانماركية والسويدية بنوع خاص ، وطالب قنصل الدانمارك باحترام المعاهدات ، وذهب طلبه أدراس الرياح ، كما لم يأتى التجاؤء إلى محمد الدغيس (٣) بأية نتيجة ، وعندئذ طلب القنصل تدخل الباب العالى ، ولكن دون جدوى - لأنه عندما قدم للباشا أمراً سلطانياً (فرماناً) برد السفن الدانماركية الثلاث المأسورة سمعه يقول : « إنكم تعتقدون أن الفرمان شئ كبير ، ولكن يجب أن تعرفوا أنه من الممكن الحصول على فرمانات مقابل أربعين قرشاً شرقياً وأن هذه فرمانات ليست هنا سوى قصاصات من الورق (٤) » .

وبهذه الطريقة كان ينتقم من إهانات الدول الكبرى له والتي كان يرغم عليها من الدول الصغرى .

والواقع لم يكن « كامبل » قد طلب منه تسليم القنصل الفرنسى بوسيه ومواطنيه الآخرين لغصب ، بل اضطره إلى عقد معاهدة صلح مع البرتغال ودفع مبلغ اثنى عشر ألف قرش ، ولم يترك له سوى سفينة المغامرة المأسورة . أخفى يوسف استبداءه ، وعندما عاد القنصل لوكاس من باليرمو عرف

(١) خطاب القنصل ج . ف لوختر بتاريخ ٢٥ إبريل سنة ١٢٩٩ .

(٢) خطاب القنصل ج . ف لوختر المؤرخ في ٢٤ إبريل سنة ١٢٩٩ .

(٣) كان محمد الدغيس وزيراً ليوسف الفرمانلى عدة سنوات طويلاً ، واشترك اشتراكاً عظيماً في سياسة حكومة نيابة طرابلس الغرب أثناء السنوات العشر الأولى من القرن التاسع عشر .

(٤) خطابا القنصل ج . ف لوختر المؤرخان في ١٠ يولية سنة ١٢٩٩ و ٢١

حارس سنة ١٨٠٠ .

كيف يستميله إليه ، ويجعله يشهد في خطاب له أرسله إلى قبودان باشا على كراهيته الشديدة للفرنسيين^(١) .

إذ لم يكن يخفى على أحد أنه كان ولا يزال يحاول توثيق أطياف العلاقات مع الجمهورية الفرنسية .

وليس من السهل أن نعرف الأسباب التي جعلت يوسف يتمسك بهذه السياسة إزاء فرنسا^(٢) ، ولكن من المؤكد أنه رغم الإجراءات الإنتقامية التي سمحت باتخاذها حكومة « الإدارة » ضد حكومات نيابات الغرب منذ فبراير سنة ١٧٩٩ ، فإنه منع مغامرته من مهاجمة السفن الفرنسية ، واستمر على هذا المنع حتى بعد أن فقد سفينتين من سفن المغامرة ، شبت في إحداهما النار واضطرت الثانية للالتجاء إلى جزيرة مالطة^(٣) .

وقد تمسك يوسف بهذه السياسة إما لعله بأن « بونايرت » ، بعد أن عاد إلى فرنسا أصبح رئيس الثورة الفرنسية وكان يخشاه لما كانت له من شهرة كبرى عند مسلمي مصر بصفة خاصة وفي إفريقية بوجه عام أو لأنه كان يأمل في فوائد كثيرة يتالحا عن طريق إرسال المساعدات عن طريق طرابلس الغرب إلى الجيش الفرنسي الموجود بمصر ، وعندما علم بتوقيع الهدنة بين الجمهورية الفرنسية ونيابات الجزائر وتونس أسرع بإعلان سياسته السلبية ، وطلب بطريق غير مباشر وقف الأعمال العدوانية .

وصكّب الباشا في ٢٠ أكتوبر سنة ١٨٠٠ بواسطة محمد الدغيس إلى « ديغواز Devoise » قنصل فرنسا يؤكد له سياسته الودية نحو فرنسا ، وفي

(١) خطاب الفصل لوكاس بتاريخ ٧ فبراير سنة ١٨٠١ .

(٢) هذا ما « نودي Noudi » مندوب فرنسا الذي بالرسى لإقرار الصلح مع فرنسا : « لقد سألي يوسف عما إذا كان قابليون بونايرت في حالة عقد صلح مع الباب العالي سيثير مسألة استقلال بلاد الغرب ، مما يحصل على الاتفاق بأنه كان يأمل أن يتال استغلاله عن الامبراطورية الثمانية عندما تقوم فرنسا للتصرفة بإبلاء شروط الصلح - واجمع ف - شارل رو في كتابه « بونايرت وطرابلس الغرب » المؤلف الذكر من ١٣٥ .

(٣) خطاب الفصل ج . ف - لوفتر المؤرخ في ٢١ مارس سنة ١٨٠٠ .

يوم ٢٣ من ديسمبر التالي ، عندما وصل مندوب من قبل « ديفوار » إلى طرابلس ، لم يكتف الباشا بقبول اقتراحات الهدنة ، ولكنه وافق أيضاً على أن يرسل البريد إلى القاهرة عن طريق طرابلس لإيصال الأخبار إلى الجنرال « مينو Menou » ، القائد العام للجيش الفرنسي بمصر بعد مقتل الجنرال « كليبر Kleber » (١)

كانت الظروف بالنسبة ليوسف عسيرة وخطيرة ، فقد سلبت الحماية الفرنسية في مالطه في ٢٢ سبتمبر ، وعندما أصبح الانجليز يسيطرون على الجزيرة ، كانوا يطلبون إمدادهم بالمؤن . وأخذوا يضغطون لعقد الصلح مع ملك نابلي .

وإذا كانت السويد قد رضخت في سنة ١٨٠١ لقبول مطالب يوسف لعقد الصلح (٢) ، فإن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تهدده باستعمال القوة لفرض احترام المعاهدات ، وخاصة لأن الموقف في مصر كان يشغل باله ، إذ كان يخشى أن ينسحب الجيش الفرنسي منها أمام ضغط القوات الانجليزية والتركية ، ويقوم بغزو أراضي حكومة نيابة طرابلس الغرب ، وتكون النتيجة وبالا على البلاد وعلى الأسرة الحاكمة ، وجعله هذا الخوف يحرص على بقاء الهدنة مع فرنسا قائمة حتى عندما استأنفت كل من تونس والجزائر الأعمال الحربية ، كما جعله يقبل عرض السلام المقدم من الماطلي « سافريوناودي Saverio Naudi » الذي كان مترجماً بالفتصلية الفرنسية في طرابلس ، وأرسلته الجمهورية كمندوب غير رسمي لها .

وصل ناودي في يوم ١٣ مايو ، وسرعان ما استقبله الباشا في جلسة علنية ، ثم استقبله بعد ذلك استقبالا خاصا ، عرض ناودي أثناء العرض من

(١) خطاب الفتصل « بوسيه » من مرسيليا المؤرخ في ٢٧ بلوفال السنة الخامسة (١٦ فبراير سنة ١٨٠١) ف . شارل — روي كتابه « بولابر و طرابلس الغرب » المصنف الذي ذكر من ١١٠ — ١١٦ .

(٢) خطاب الفتصل لوكاس بتاريخ ١٧ يناير سنة ١٨٠١ — تحت الاغاقية مع السيد الفوضى السويدي بمرط أن يجل الباشا ٢٤٥٠٠٠ قرش دفعة واحدة و ٢٠٠٠ قرش كل سنة .

مهمته . وقد أعرب يوسف عن أسفه للموقف الذي اضطر لانتخذه نحو فرنسا ، وصرح بأنه على استعداد لتحويل الهدنة إلى صلح دائم ، ولقبول أي طلب بتأمين المواصلات البرية مع مصر ، والموافقة على مرور الجنود والذخائر للجيش الفرنسي الموجود في الشرق عبر أراضي حكومة نيابة طرابلس الغرب .

وبالتعلل بينما كانت تجري المفاوضات لوضع نص المعاهدة الجديدة أرسل يوسف بريداً إلى الجزائر « مينو » وأوامر إلى يك بنفاري ودرنه لكي يستقبلوا السفن الفرنسية استقبالا وديا في هذين الثغرين ، وفي ميناء بمبا (١) .

وفي يوم ١٠ يونية تم توقيع المعاهدة التي كلفت في جوهرها صورة من معاهدة سنة ١٧٢٩ ، مع إضافة بعض النصوص الجديدة التي كان من بينها بعض نصوص عزيزة على القنصل الأول بونايرت ، وهي التي ترمي إلى إيجاد مواصلات بين فرنسا ومصر عبر أراضي حكومات نيابات الغرب (٢) .

كان يوسف قد قبل بسهولة جميع اقتراحات ناودي عدا النصوص والاقتراحات التي كانت تخرج كرامته ، وتضر بمصالحه المباشرة ، وعارض

(١) خطاب من ناودي مندوب الجمهورية الفرنسية للشه الرسمي للوؤخ في ٦ برايل السنة التاسعة (٢٦ مايو سنة ١٨٠٩) .

(٢) راجع لس المعاهدة في أ . دوار دي . كار E. Rouard de Card في كتابه سالف الذكر ص ٢٢٦ - ص ٢٨٨ . عندما غدر صبر بونايرت في يوم ١٨ روميه دون أن يتعظم لإرسال معونة إلى الجيش الفرنسي في مصر ، حاول الإسراع في إعادة العلاقات الدبلوماسية مع حكومات نيابات الغرب لجعل المواصلات ممكنة مع مصر التي تكن بمحاصرها الأسطول الإنجليزي ولتسهيل مرور الجنود وللأن إذا احتاج الأمر لذلك . ومن هذا يمكننا أن نفهم أهمية طرابلس الغرب لتنفيذ هذا المشروع . ولذا حاول بونايرت إعادة السلام مع يوسف الفرماني ، وأضاف إلى ذلك أن بونايرت كان قد قرر أن يرسل إلى مصر جيشاً مؤلفاً من أربعة آلاف رجل ، فوق ثلاثين تمسحاً فرقة بحرية بقيادة الأميرالاي جانتوم ، وكان يريد أن يحمل جانتوم على حق الرسو في دونه ، أو مرافقاً بها ، إذا ما صعد نزوله في الأسكندرية ، اختار ف . شارل - روي كتاب « بونايرت وطرابلس الغرب » الكتاب السالف الذكر ، جزء أول ، ص ١٣٤ وما يليها

أيضا في إدماج النصوص الخاصة بالندم على المخالفات التي حدثت بالنسبة للمعاهدة السابقة ، كما عارض في أن تظهر في المعاهدة المبالغ التي كان يتعهد بدفعها لتعويض الأضرار التي وقعت للفرنسيين في سنة ١٧٩٩ للقائد كامبل ، وكان يريد إضافة المادة ٥١ لإقرار التعهد المتبادل بعدم التدخل في المسائل التي نشأت في ذلك الوقت بين أحد الطرفين المتعاقدين وبين أية دولة أجنبية وكان يقصد بهذا النص منع تدخل فرنسا في الحلاف الذي نشب مع السويد ومع الولايات المتحدة (١) .

وبعد توقيع المعاهدة بأيام قلائل أي في يوم ٢١ يونيو كان الأسطول الفرنسي بقيادة جانتوم والذي منعه أنجلترا من إنزال جنوده في المكان الذي سبق تعيينه على مقربة من الاسكندرية ، قد رسا أمام دوتة ، ورغم أن الاميرال كان قد رفع العلم الأحمر ذا الهلال الأبيض ، ليظهر أنه حضر بصفة صديق ، فإن الأهالي أجابوه بإطلاق الرصاص من البنادق على القوارب المحملة بالجنود ، واضطر جانتوم أن يعدل عن مشروعه ، وعاد أسطوله في ٩ أغسطس إلى ميناء طولون .

وهكذا ظهر أن التنايمر التي اتخذها الباشا لتسهيل نزول الجنود الفرنسيين للبر كانت غير فعالة ، وكان هذا لا يبعث على الدهشة فإن الأوامر بغرض وصولها ، يكون ييك دوتة قد تلقاها وهو بعيد ، حيث كان يقوم بإخضاع بعض الرؤساء المتمردين (٢) وكان الأهالي يدون دائما تدميرهم من سلطة يوسف وسيطرته

وعلى كل حال ، فإن ناودي والقنصل بوسيه الذي كان قد ساعد بنصائحه على قبول مشروع إنزال الإمدادات والذخائر المرسله إلى الجيش الفرنسي في مصر ، في أراضى برقه ، قد نسا عدم نجاح المشروع إلى خطأ الاميرال الذي كان يجب عليه أن يفضل مرفأ ممبا أو ميناء طبرق لإنزال الإمدادات والذخائر (٣) .

(١) خطاب سالريو ناودي المؤرخ في ٣ ميسدور السنة الخامسة (٢١ يوليو سنة ١٨٠١)

(٢) خطاب سالريو ناودي في تاريخ ٢٧ برومايو السنة العاشرة (١٧ نوفمبر سنة ١٨٠١)

(٣) انظر للرجح الكلف الذكر

ورغم موقف الباشا المشكوك فيه في هذه المناسبة ، فقد وافق القنصل الأول بونابرت بناء على خطاب من الوزير تاليران لصالح الباشا - على نص المعاهدة في ١٢ أكتوبر سنة ١٨٠١ ، أى عندما ظهر من مقدمات الصلح مع انجلترا وتركيا أن الجلاء عن مصر أصبح في حكم الأمر الواقع ، وهكذا اتضح أن التدابير المنصوص عنها في المعاهدة والخاصة بالمواصلات بين نيابة طرابلس الغرب ومصر لم يعد لها أى موجب .

ولهذا فإن تاليران أوضح للسندوب الفرنسى ناودى ملامحة القيام بعمل نص جديد لهذه المعاهدة لا تظهر فيه المواد ٣٩ و ٤٠ و ٤١ الخاصة بمثل هذا الإجراء .

ولكن الباشا الذى وصله خبر عن مقدمات الصلح ، كان يخشى أن تنجح تركيا بعد أن أسكرتها نشوة النصر نحو طرابلس الغرب لإقرار سيطرتها عليها من جديد وحكمها بطريق مباشر مرة أخرى^(١) .

كان الباشا يرى ضرورة الاحتفاظ بصداقة الجمهورية الفرنسية لكي يحصل على تأييدها له في حالة وقوع أى نزاع مع تركيا ، ولهذا الغرض أظهر ارتباطه بالحكومة الفرنسية بطريقة علنية وبصورة غير مألوفة ، فزار ناودى ، مرتين بصورة رسمية^(٢) ومنع السذور دى سوزا De Souza قنصل أسبانيا من وضع الآباء الفرنسيسكان تحت حمايته ، وكانت المادة ٢٩ من المعاهدة الموقعة مع فرنسا تنص على بقائهم تحت حمايتها^(٣) ، وأراد أن يثبت بالأدلة

(١) في فبراير سنة ١٨٠٢ وصل إلى طرابلس مندوب يحمل فرماناً بخلافه « لودان باشا » ببناء النصر الذى أحرقته جيوش السلطان وأمر فيه بإقامة صلوات الشكر في جميع المساجد : وحسب الأخبار التى أبلغتها هذا المندوب كان يجب على حكومات الجزائر وتونس أن تسامح في قتلات الحرب ، ولما لم يبلغ مثل هذا الأمر إلى حكومة طرابلس ، فإن يوسف كان يتوقع إجراءات أشد خطورة من الإجراءات التى اتخذت ضد الجزائر وتونس (٢) خطاب سافريو ناودى للأورخان في ١١ مارس السنة العاشرة (أول يناير سنة ١٨٠٣) و ١٤ حرمينال السنة العاشرة (٤ أبريل سنة ١٨٠٣) .

(٣) كان « دى سوزا » قد وصل إلى طرابلس يحمل إلى الباشا ميثم وعدايا في يوم ٢٧ نوفمبر سنة ١٨٠١ - وقد زاره الآباء الفرنسيسكان لصلوات تحت حماية قنصل فرنسا - خطاب سافريو ناودى « للأورخان » في ١٩ جيمينال السنة العاشرة (٦ أبريل سنة ١٨٠٢)

أنه في أخرج الأوقات لم تنق أسيرة الفرمانلي صديقة لفرنسا فحسب ، بل أنها أيضاً قد خاطرت بمخاصمة السلطان ورعاياه ، وسهلت بقدر المستطاع غزو مصر بواسطة الجيش الفرنسي من الشرق ، ونتيجة لذلك فإنه عندما طلب ناودى لإنقاذ المواد الثلاث رفض يوسف ذلك رفضاً باتاً وأكدر غيبته في بقائها ، كدليل على تعلقه بيونانرت القنصل الأول^(١) .

وفي يوم ٢٠ مارس سنة ١٨٠٢ أعلن عقد الصلح بين فرنسا ونيابة طرابلس الغرب في احتفال عظيم .

وفي الشهر التاسع من تلك السنة عاد إلى طرابلس القنصل بوسيه كقنصير عام ، فاستقبله يوسف استقبالا وديا كريما^(٢) ، وفضلا عما حله من الهدايا الثمينة إلى الباشا ، فإن الجمهورية الفرنسية أرسلت إليه أيضاً السفينة « إسبرانس L'Esperance » تعويضاً عن السفينة الطرابلسية التي أحرقتها الأسطول الفرنسي قبل ذلك بستين وهو في طريقه إلى مالطه ، وفقاً للقنصل الأول بإرساله كل هذه الهدايا تقديره لحكومة نيابة طرابلس الغرب ولرئيسها ، وليس هذا فحسب ، بل إنه أمر السكولونيل سبستانيو Sebastiano ، أحد رجال أركان حربه أن يمر بطرابلس وهو في طريقه إلى الإسكندرية واقتطعتينيه لتعديل معاهدة الصلح ولحل الباشا على عقد الصلح مع السويد والولايات المتحدة الأمريكية .

كانت حكومة نيابة طرابلس الغرب فعلاً في حالة حرب مع هاتين الدولتين منذ السنة الماضية ، إذ خيبت الولايات المتحدة ظن يوسف الذي كان لا يستطع الصبر على معاهدة لا يحق من ورائها القوائد الاقتصادية المعبودة ، ولذلك انتهز أول فرصة لإنزال العلم الأمريكي وطرده قنصل

(١) خطاب « سافرو ناودى » بتاريخ ٢٨ بولسبال السنة العاشرة (١٧ فبراير سنة ١٨٠٢) .

(٢) خطاب القنصل بوسيه بتاريخ ٢٢ فركتيدور السنة العاشرة (٩ سبتمبر سنة ١٨٠٢) .

أمريكا (١) ولم يكن ملك السويد قد صدق على الإنفاقية التي عقدها مندوبه المفوض في طرابلس سنة ١٨٠١ (٢) عندما خرج الغزاة الطرابلسيون لمهاجمة السفن السويدية والأمريكية من جديد. واندفعوا لهذا الغرض حتى بوغاز جبل طارق. وقد ظهر أن الإجراءات التي اتخذتها الدولتان لم تكن فعالة - فقد وصل أسطول أمريكي صغير بقيادة القائد R. Dale أمام مدينة طرابلس في أغسطس سنة ١٨٠١ بعد أن أسر سفينة من سفن الغزو الطرابلسية في غرب البحر المتوسط، وبعد أن حاول حصار المدينة بدون جدوى رحل عنها وفي شهر مارس من السنة التالية وصل أسطول سويدي إلى ميناء طرابلس، وأبلغ قائده الباشا أن ملكه كان قد قرر عدم التصديق على المعاهدة المعقودة في سنة ١٨٠١ كما كان قد قرر أن يفرض بالقوة احترام المعاهدة السابقة (٣).

ومع هذا فإنه أُنزل إلى البر ضابطان من ضباطه لاستئناف المفاوضات، ورغم وساطة «ناودي» لعقد الصلح بين الطرفين فإنه لم يكن من المستطاع الوصول إلى أي اتفاق.

وعندما فشلت المفاوضات أعلن قائد الأسطول السويدي فاضل الدول بأنه سيقوم بضرب المدينة بالقنابل، ولكن هذا التهديد لم تترتب عليه أية نتيجة ولم يفلح في شيء، كما لم يفلح الحصار الذي ضربه الأسطول السويدي بعض الوقت هو وأسطول تابع للولايات المتحدة بقيادة القائد ج. موريس R. J. Morris إذ لم يستطع الأسطولان منع سفن الباشا من الخروج للغزو، وأخذت سفن الباشا أسرى من طاقم سفينة أمريكية ومن سفينة أخرى

(١) خطاب «سافريو ناودي» للوزير في ٦ برانيسل السنة التاسعة (٢٦ مايو سنة ١٨٠١) خطاب «سامريو ناودي للوزير في ٢٥ ترميدور السنة التاسعة (١٧ أغسطس سنة ١٨٠١).

(٢) خطاب «سافريو ناودي» بتاريخ ٦ فركثيدور السنة التاسعة (٢٤ أغسطس سنة ١٨٠١).

(٣) خطابا «سافريو ناودي في ٢ و ١٠ فلوريفال السنة التاسعة (٢٢ و ٣٠ أبريل سنة ١٨٠١).

سويدية . وشجع فشل الأساطيل المهاجمة يوسف باشا على المقاومة ، كما شجعه أكثر من ذلك خضوع الدانمارك وهولندا له وإجابة مطالبه . وكان القائد الدانماركي كوفيغود Koefoed قد عقد اتفاقية لمدة خمس سنوات يدفع بموجبها أربعين ألف قرش ، كما كان الأميرال الهولندي دي وتر De Winter الذى وصل على رأس أسطول قوى في شهر سبتمبر ، قد تفاوض بواسطة قنصل أسبانيا لإعادة استناب السلام ، بشرط أن تدفع حكومته ثمانية ألف قرش دفعة أولى ثم تدفع في كل عام مبلغ خمسة آلاف قرش فضلا عن هدية ثمينة^(١) .

وعندما قدم الأميرال السويدي سيسترورم Cederstrom مبلغ مائة ألف قرش لإعادة العمل بالمعاهدة السابقة والإفراج عن الأسرى رفض الباشا رغم وساطة بوسيه^(٢) .

وفي يوم ٣٠ سبتمبر وصل سبستيانى Sebastiani مع الأسطول البحرى الذى كان يقوده قائد البارجة جودرون Goudron وبعد أن أدى الباشا التحية للأسطول أسرع باستقبال المندوب أحسن استقبال وألقى هذا المندوب خطبة أشار فيها إلى قوة فرنسا وصداقة القنصل الأول ومودته الخاصة لنيابة طرابلس الغرب ، وطلب شمول ملاحه الجمهوريات الإيطالية بحماية فعالة . وقد أعاد يوسف تأكيده بتعلق أسرة القرمانلى بفرنسا ذلك التعلق الذى قد قدم هو بنفسه الدليل عليه في أخرج الاوقات والظروف ، وصرح بأن غاية ما يتمناه هو إعطاء الدليل على صداقته للقنصل الأول . وبعد الاستقبال الرسمي تفاوض سبستيانى طبقاً للتعليمات التى تلقاها مع الباشا ، لوضع حد للزراع القائم بين نيابة طرابلس الغرب وحكومة السويد ، وسرعان ما تم الوصول إلى اتفاق في هذا الشأن تدفع بمقتضاه

(١) خطاب القنصل بوسيه لى ٢٥ ترميدور السنة العاشرة (١٣ أغسطس سنة ١٨٠٢)
و ٣ قندمبال السنة الحادية عشرة (٢٤ سبتمبر سنة ١٨٠٢) .
(٢) خطاب القنصل بوسيه لى ٦ قندمبال السنة الحادية عشر (٢٧ سبتمبر سنة ١٨٠٢)

حكومة السويد مبلغ مائة وخمسين ألف قرش كدفعة أولى وثمانية آلاف قرش كل عام على أن يبقى الأسرى فيما عدا الضباط الثلاث الذين أطلق سراحهم في الحال ، كرهائن حتى يتم دفع المبلغ المتفق عليه ، ولم ينجح سببنياني في جعل الباشا يقبل مقترحات الولايات المتحدة الأمريكية .

وفي يوم ٢ أكتوبر رفع علم الجمهورية الإيطالية فوق مقر القنصلية الفرنسية وأبحر « سببنياني » بعد ذلك مباشرة بالأسطول الفرنسي إلى الاسكندرية^(١) . كان مسلك أحد أخ الباشا الذي تصالح معه يوسف للردة الثانية لإرضاء ليك تونس يقلقه ويقض مضجعه ، فقد عينه من قبل في منصب « بيك درنا » ، وكان أحمد هذا قد تزوج سيدة من أسرة اللوم^(٢) من قبيلة « الجوازي Gjuazi » ، التي كانت في ذلك الوقت من أهم قبائل برقه ، وكان يعتمد على مناصرة هذه القبيلة لاستعادته السلطة ، ولهذا الغرض قبل مفادرة تونس بعد أن اتفق مع إيتون W . Eston قنصل الولايات المتحدة في تلك المدينة على مساعدته ، وبدلاً من أن يتوجه مباشرة إلى برقه ، نزل في مالطه حيث دارت بينه وبين قواد الأساطيل السويدية والأمريكية مفاوضات سرية ، أدت هي والمسلح الذي سلكه بعد وصوله إلى مقره الجديد ، إلى اشتباه يوسف في أمره ، فلم يوافق على سفر أسرته وإبحارها إلى درنا ، لأنه كان يريد أن يأخذ من أخيه تعهداً بالإخلاص له^(٣) . وبما أكد شكه في أخيه وقورع خطاب بين يديه كتبه أحمد إلى القائد « موريس » يذكره فيه بوعده له بقرض تبلغ قيمته أربعين ألف قرش وستة مدافع ، وكان

(١) خطاب القنصل جوسيه للأورخ في ١٠ فينديميال السنة الحادية عشرة (أول أكتوبر سنة ١٨٠٢) راجع ف . شارول روي كتابه « بوناپرت وطرابلس الغرب » السالف ذكره ص ١٧٠ - ١٧٤ .

(٢) كان أحمد بك متزوجاً من خديجة بنت القائد عموره سلطان بن الحاج محمود اللوم . راجع سجل محكمة طرابلس الفرعية في عهد علي باشا .

(٣) خطاب القنصل جوسيه للأورخ في ٢٠ فينديميال السنة الحادية عشرة (١١ أكتوبر سنة ١٨٠٢) .

الغرض من هذه الأسلحة والتفود هو التآمر على أخيه وإبعاده عن العرش الذي أخذه اغتصاباً^(١).

وأثناء ذلك استأنف الأسطول الأمريكي في أوائل مايو سنة ١٨٠٣ حصار طرابلس ، واستولى على بارجة طرابلسية صغيرة مشحونة بالأسلحة والذخائر ، بقيادة مراد الرئيس وأطلق قنابله على صبراته على سواحل طرابلس الغربية .

وبينا كانت المفاوضات دائرة بين موديس ومحمد الدغيس كان الحصار مستمراً دون جدوى ، حتى أن الباشا استطاع استخدام القوات المتجمعة للدفاع عن المدينة لإخضاع أهالي جبل غريان لطاعته^(٢) . وفي هذه المرة أيضاً لم يكن من الممكن الوصول إلى تفاهم ، وبعد قطع المفاوضات رحل الأسطول الأمريكي بعد أن تسبب للباشا في فقد إحدى سفن المغامرة التي جنحت وغاصت في الرمال عندما كانت تحاول أن ترسو على الشاطئ ، للدخول في الميناء وأشعل بحارها النار فيها^(٣) .

وحرّال منتصف شهر أكتوبر استأنفت بعض وحدات الأسطول بقيادة القائد بريبل E. Preble^(٤) حصار المدينة وقد أرسل هذا الأسطول ليحل محل الأسطول الذي كان تحت إمرة موديس .

وفي ٣١ أكتوبر ارتطمت السفينة فيلادلفيا إحدى السفن الأمريكية في شرق الميناء عندما كانت تطارد زورقا طرابلسياً ، وهي

(١) خطاب الاتصال يوسيه للأورخ في ١٩ جرمينال السنة الحادية عشرة (٩ أبريل سنة ١٨٠٣)

(٢) خطابات الاتصال يوسيه للأورخ ٢٦ سيبور و ٢ فينيمال السنة الحادية عشرة (١٦ يوليو و ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٠٣) و ٦ فلوريمال السنة الثانية عشرة (٢٦ أبريل سنة ١٨٠٤) .

(٣) خطابا الاتصال يوسيه للأورخان في ٢٢ برانييل و ٣ سيبور السنة الحادية عشرة (١٢ و ٢٢ يونيو سنة ١٨٠٣) .

(٤) كان يتألف أسطول بريبل من الفرقاطات « كوليتوسو » Constitution التي برغ عليها علم القيادة و « فيلادلفيا » ومن الزوارق « سيرين » Siren و « أرجوس » Argus ومن السفن « فلكسن » Vixen و « انترپريز » Entrepriis و « نوتيلوس » Nautilus

فرقاطة مسلحة باثنين وأربعين مدفعاً وبها طاقم يبلغ عدد رجاله سبعة وثلاثين رجلاً بينهم تسعة وعشرون ضابطاً ، وكان يقودها القبطان « بين بردج Bainbridge » ، وعندئذ أسرعت ثلاث سفن من سفن المغامرة بمهاجمتها واضطرتها للاستسلام . ثم اصطدمت الفرقاطة بعد ساعات قليلة بقوة الرياح وحدها ، وسبقت إلى الميناء^(١) ، وزج بجاراتها في السجون ماعدا الضباط الذين تركوا أحراراً بعد وساطة قنصل فرنسا .

أما « بريمل » الذي وصل إلى جبل طارق حوالى أواخر سبتمبر ، فإنه اتجه إلى طنجه ليطلب الترضية من سلطان مراکش عن الإهانات التي لحقت بالسفن الأمريكية ، ثم ذهب إلى الجزائر ومنها إلى مالطة حيث وصله نأ فقد الفرقاطة « فيلادلفيا » ، وبعد تفتيش سريع قام به في مياه طرابلس ، استعد للانتقام للإهانة التي لحقت به ، ولمنع الباشا من استعمال هذه الفرقاطة في أعمال الغزو ، ومنع الضرر الذي يحدث نتيجة ذلك .

وفي ليلة ١٦ - ١٧ فبراير سنة ١٨٠٤ نجحت سفينتان شرعيتان تقل ستين رجلاً بقيادة الملازمين « ديكاتور و ستوارت Decatur & Stewart » في التسلل تحت جنح الظلام إلى الميناء ، وصعدا على ظهر الفرقاطة التي كان بها عدد قليل من الحراس وأشعلا النار فيها^(٢) . وقد أثارَت هذه الصقعة مظاهرات عنيفة في المدينة ضد الضباط الأمريكيين الذين زوج بهم مع البحارة في السجون ، ورفض الباشا الاقتراحات التي قدمها نائب بريمل في مالطة « جستانو شمبري » Gaetano Schembri بطلب الإفراج عن

(١) خطاب القنصل بوسيه المؤرخ في ١٢ بروميال السنة الثانية عشر (٧ نوفمبر سنة ١٨٠٣) انظر أ . دى . ا . جوسلبي في بحثه « مجلة أمريكية » في برقة سنة ١٨٠٥ للتشور في مجلة المستعمرات الإيطالية جزء ٢ سنة ١٩٢٨ رقم ٥ ص ٢٢٥ .

(٢) خطاب القنصل بوسيه المؤرخ في ٢٧ بروميال السنة الثانية عشرة (١٦ فبراير سنة ١٨٠٤)

(٣) خطابا القنصل بوسيه المؤرخان ٦ و ١٠ لفيال ventose السنة الثانية عشرة (٢٥ فبراير وأول مارس سنة ١٨٠٤)

الأمري ، وأخذ في تقوية أسوار المدينة والميناء لأنه كان يتوقع هجمات جديدة ، وكان يتولى إدارة هذه الأعمال بنفسه وب نشاط لا يعرف الملل .

وفي النصف الثاني من شهر مارس ، بينما كان « برييل » بعيد الحصار من جديد ، اتصل ببوسيه فحصل فرنسا ليستأنف المفاوضات مرة أخرى ، ولكن الاتفاق لم يكن ممكناً ، لأن الباشا كان عند كل فشل يصيب العدو ، يأمل في صلح أكثر فائدة له ، بينما كان « برييل » يرى فقط إلى إطلاق سراح الأمري ، وكان عرض في سبيل ذلك ثمانين ألف قرش ، دون أن يطلب صلحاً كانت حكومته لا تريد إبرامه نظير ثمن حتى أن بوسيه و « أوبريان » فصل الولايات المتحدة السابق في الجزائر الذي أوفده « برييل » إلى الباشا ، لم يفلحوا في جعل الباشا يخفف من مطالبه ، وكل ما أمسكتهما الوصول إليه هو « وافقته على وصول الأقوات والملابس للأمري^(١) . وعندئذ قام « برييل » بتسليم ثمانية قوارب من حاملات المدافع في مدينة سيرا كوزا التي كان قد اتخذها قاعدة ، وقرر استخدام القوة ، ووصل مع كل قوائمه في يوم ٢٥ يوليو إلى مياه طرابلس ، وبدأ في عصر يوم ٣ أغسطس قذف المدينة بالقنابل ، واستولى على ثلاثة قوارب طرابلسية مسلحة بالمدافع بعد معركة حامية الوطيس للسيطرة على مدخل الميناء ، ولكنه لم يذهب إلى أبعد من ذلك ، إذ أنه بدلاً من أن يستفيد من هذا النجاح ويستمر في الأعمال الحربية إلى النهاية ، أنزل إلى البر في اليوم التالي ١٣ جريحاً من الأسرى الطرابلسيين وأخبر الباشا أنه يحترم المقترحات السابقة وذلك حتى تحصل الإمدادات المنتظرة ، وعندما لم يحصل على إجابة ، استأنف ضرب المدينة بالقنابل في يوم ٧ و انتهت بعد ثلاث ساعات عمليات قذف القنابل على بعض المنازل في الحى اليهودي ، وربما كان ذلك بسبب فقد زورق من الزوارق المهاجمة ، وبعد ذلك يومين ، حاول « برييل » استئناف المفاوضات وعرض ثمانين ألف قرش

(١) خطابات التصل بوسيه إلى « برييل » في ٢٨ مارس و ٦ يوليو سنة ١٨٠٤ ، والى نابليون في ٢٥ براميل السنة الثانية عشرة (١٤ يونيو سنة ١٨٠٤)

مقابل إطلاق سراح الأسرى ، ثم رفع هذا العرض بفضيل تدخل القنصل بوسيه إلى مائة ألف قرش ، ولكن الباشا لم يتأثر بهذا العرض بقدر ما تأثر من التهديدات ، وظل ينتظر هجمات جديدة على طرابلس ، ولم يطل انتظاره ، إذ استوفى ضرب المدينة بالقنابل مدة ساعتين في ليلة ٢٣ - ٢٤ أغسطس دون أن يحدث أى ضرر لها ، بل خسر المهاجمون زورقاً آخر مسلحاً بالمدافع ، واستمر القذف بالقنابل مدة ثلاث ساعات في ليلة ٢٧ - ٢٨ وحدثت أضرار طفيفة بالسور وخسارة بسيطة في الأرواح . وفي يوم ٢ أبريل أرسل بريل رسالة إلى بوسيه يرجو فيها أن يقترح تبادل الأسرى ، ولكن الباشا كان قد تعب من تلك المحادثات التي لا طائل ورائها وكان يفسر هذه العروض التي كانت تقدم بعد التهديدات والعمليات الحربية بأنها دليل على ضعف وحرص وارتياب المهاجمين ، ولذلك رفض كل اقتراح في هذا الشأن ، وصرح بأنه مستعد للموافقة على إطلاق سراح الأسرى ، وعلى الصلح مقابل دفع أربع مائة ألف قرش ، خلاف تقديم الهدايا والهبات المعتادة له ، ولضباط نيابة طرابلس الغرب الآخرين ، وكان يعتقد أنه يستطيع من الآن فصاعداً ، أن يتحدى وهو في غاية الاطمئنان ، أى هجوم تقوم به بحرية الولايات المتحدة كما كان يرغب في إعطاء هذه الدولة فكرة ضخمة عن قوته وشجاعته وأعاد ضرب الأسطول الأمريكى ضرب المدينة بالقنابل مرة ثانية في عصر يوم ٢ سبتمبر وفشلت محاولته نفس أحد الحصون في ليلة ٣ - ٤ سبتمبر إذ انفجر النغم الطافي فوق الماء قبل الأوان وتسبب في وفاة أولئك الذين كانوا يدفعونه نحو الميناء ، ثم عاد الأسطول أدراجة وبقيت بعض الوحدات مستمرة في حصار المدينة (١) .

(١) خطاب القنصل بوسيه في ١٤ فريكتيدور السنة الثانية عشرة (أول سبتمبر سنة ١٨٠١)

(٢) خطاب القنصل بوسيه في ٣٠ فريكتيدور السنة الثانية عشرة (١٧ سبتمبر سنة ١٨٠١) لم تكن الحماة التي منى بها المهاجمون طفيفة ، فقد كان من بين اللوق ثلاثة من الضابط وهم : لايم ، كافويل ، واند أحد القوارب حاملة للقائم ، والسيدان سومر Summers وورد سوورث Word sworth اللذان كانا يتوليان سحب النغم الضام . خطاب القنصل بوسيه في ١٥ برومير السنة الثالثة عشرة (٥ نوفمبر سنة ١٨٠١) .

وأدت عدم فائدة هذه العمليات الحربية الحاطقة ، وعدم الاستقرار فيها حتى النهاية إلى حمل حكومة الولايات المتحدة الأمريكية على قبول اقتراحات إيتون قنصلها السابق في تونس بإثارة شقيق يوسف المخلوع (١) عن العرش ضد أخيه ، وإعطاء الأوامر اللازمة إلى القائد « س . بارون S . Barron » الذى أرسل ليحل محل بريل في قيادة الأسطول ، وعندما وصل « س . بارون » إلى مالطه وضع بالاتفاق مع « إيتون » و« الكولونيل » لير Lear ، فصل الولايات المتحدة في الجزائر مشروع العمليات الحربية الجديدة ، ثم أسرع « إيتون » الذى كان يتولى إدارة هذه العملية بالإقلاع مع جزء من الأسطول إلى الإسكندرية لمفاوضة أحد القرماتلى الذى كان قد لجأ إلى مصر بعد أن تأكد أخوه يوسف من حقيقة ميوله وعزله من منصب « يك » درنه (٢) ورسا إيتون في الإسكندرية ثم تاج سيره إلى القاهرة ، فوجد أحد في الوجه القبلى لدى محمد يك الألفى أحد زعماء الممالك فكذب إليه بدعوه للحضور إلى القاهرة لاستئناف المفاوضات التى كانت قد بدأت منذ عامين في تونس ، وأكد له أن الولايات المتحدة لن تعقد الصلح مطلقاً مع يوسف ، وأرسل إليه بعد ذلك خطاب أمان من الوالى خورشيد باشا ، وأخبره أنه سيذهب للقائه في الفيوم . وبالرغم من أن الألفى يك أقنع أحد القرماتلى بعدم قبول هذه الدعوة ، إلا أنه حضر إلى الفيوم وعقد مع « إيتون » اتفاقاً سريعاً حصل بمقتضاه على تأكيدات بأن تبذل حكومة الولايات المتحدة كل جهد لإعادة تنصيبه على العرش ، وأن يتعهد بدوره بتسديد نفقات الحملة بعد إحراز النصر وأن

(١) وقد فالت إحدى الصحف الأمريكية أثناء هذه الدلوات « ما هي الأسباب التى دعت الولايات المتحدة إلى أن تحذو حذو الدانمارك والسويد اللتان تدفان الحزبة إيسامات القرب ؟ لانا لم نوافق على أن تكون حرية اللاحة حبة من الدول الأوروبية ، ترى هل نذل أنفسنا لعلها كالفراعنة لثرو طرابلس ، وأن تحذو حذو قوات الدانمارك والسويد للتواضعة نحن يمكننا أن نحذى بروح الاقتصاد المائتة في هولندا ، وعدم اكترت أسبابا ، لأن هذا يتفق مع مصالح المجهتة وفرنسا .

(٢) خطاب النصل بوسيه في ١٥ رومبر السنة الثمانية عشرة السالف الذكر .

توكل قيادة هذه الحملة إلى « ايتون ». وما أن جمع أحمد القرماني أعوانه حتى تحركت الحملة التي كانت تضم ثمانين أوروبياً من مختلف الجنسيات وأكثر من خمسمائة من الوطنيين في يوم ٨ مارس من برج العرب نحو الغرب (١). وما أن علم يوسف باشا بمقد الاتفاقية، حتى أرسل حملة من القرماني إلى درنة، تلك الحملة التي كان يرغب ابنه البكر الذي كان قد عين ييكاً في قيادتها، ولكن الباشا لم يستجب لرغبة ابنه لأنه كان يرى أنه ليس من الممكن أن يتولى قيادة الحملة شاب في الثامنة عشرة من عمره، « عديم الخبرة بالشئون العسكرية أو لأنه لم يكن يتقن به لأنه كان متزوجاً من إحدى بنات أحد القرماني، وشمس الإبن بالمذلة نتيجة رفض طلبه، وحلول الانتحار بأن أطلق على نفسه رصاصة من مسدسه وأصيب بجرح خطير (٢).

وقد وصلت القوات التي أرسلها الباشا للدفاع عن درنة متأخرة إذ وصل ايتون إلى بجا في ١٥ أبريل بعد زحف مرير، وبعد أن صادف كثيراً من الصعوبات التي أكدت منه العالمة وما امتاز به من مقدرة فوق العادة، وعند وصوله إلى بوما وصلت سفينتان من الأسطول للاشتراك في المشروع بحملان أقواتاً وأطعمة لجيش الحملة.

وفي يوم ٢٥ أصبح ايتون على مرأى من درنة وعند وصول خبر تقدم أحمد القرماني الذي لم يترك لنفسه سمعة طيبة في الفترة القصيرة التي حكم فيها المدينة، فضلاً عن مخالفته للكفار التي زادت في عدم ثقة الأهالي به استعد معظم سكان المدينة المتجمعين في حي « بومنصور » لمساعدة اليك على المقاومة. وفي اليوم التالي بينما كان الأسطول البحري المكون من

(١) خطاب الفصل بوسيه بتاريخ ٦ فلورéal السنة الثالثة عشرة — راجع فيما يتعلق بالحقبة الأمريكية على درنة، أ. دي ابوستي، في كتابه « حقبة أمريكية في برقة » المؤلف المذكور.

(٢) خطاب الفصل بوسيه في ١ — ٢ فيشتال Ventose السنة الثالثة عشرة (٢٠ — ٢١ فبراير سنة ١٨٠٥) انظر أيضاً سجل المحفوظات رقم « بتاريخ ١٢ فبراير سنة ١٨٠٥ في القنصلية الإنجليزية في طرابلس

السفن الحربية أرجوس Argus وهورنت Hornet وغلوتيلوس Nautilus تطلق نيرانها على البطارية التي كانت تتولى الدفاع عن الميناء لتوقعها عن إطلاق النار، كان، إيتون، يوجه هجومه نحو الجهة الجنوبية الشرقية واستطاع بعد معركة طويلة أن يتغلب على المدافعين بهجوم عنيف سقط على أثره جريحاً بعد أن احتل المدينة. وقد اتخذ أحمد مكاناً له في القلعة التي كان اليك، قد هرب منها وانضم إلى الجنود الذين أرسلهم الباشا وكانوا يعدون العدة للعمل (١).

وفي يوم ١٣ مايو تحرك هؤلاء الجنود بعد أن انضم اليهم الماربرون من درنة، وبدأوا الهجوم، ولكنهم ردوا على أعقابهم بعد أن تحملوا خسائر في الأرواح، ولم يكن الهجوم الجديد الذي قاموا به بنفس في أول يونيو أسعد حظاً من الهجوم الأول، إذ لم يسفر إلا عن خذلان.

وفي اليوم ذاته وصلت إلى، إيتون، أخبار تنبئ ببدء مفاوضات الصلح ولم تكن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية في الحقيقة تفكر قط في إعادة أحد القرماني إلى العرش، ولكنها كانت تريد الاستفادة منه عند الضرورة لتسهيل الدور الذي كان يجب على الجنرال، إيتون، القيام به ضد مدينة درنة لإلزام يوسف بالقسليم. ولذلك تقرر استئناف المفاوضات رغم استمرار العمليات الحربية. وكانت لدى إيتون جميع الحقوق والسلطات لإجرائها فكانت في ١١ نوفمبر سنة ١٨٠٣ (٢) الكولونيل، لير Lear، القنصل العام بالجزائر إجراء المفاوضات وعلم بذلك القائد، بارون Barron، في يوم ٦ يونيو سنة ١٨٠٤ من التعليمات التي أرسلت إليه، وكان القائد بارون مكلفاً بالتعاون مع الكولونيل لير في الأعمال الدبلوماسية، ومع الجنرال، إيتون، في العمليات الحربية، وعندما وصل بارون إلى مالطة كما سبق أن ذكرنا، تحدث مع كل من لير وإيتون، واتفق مع الأخير على برنامج للعمل، كان دون شك

(١) خطاب القنصل بوسيه في ٦ برابيل السنة الثالثة عشرة لـ ١٦ يونيو سنة ١٨٠٥

(٢) خطاب القنصل بوسيه في ١٤ سبتمبر السنة الثالثة عشرة (٣ يوليو سنة ١٨٠٥)

يتعدى حدود رغبات حكومته ، غير أن تصرفه الشخصي لم يكن ذا أثر لأنه عندما اتجه بجزء من أسطول له إلى سيرا كوزا لتخصية الشتاء ^(١) مرض مرضاً شديداً ، وبق ليير ينتظر بجزيرة مالطة لاستئناف المفاوضات الصلح ، لأن العمل الحربي الذي قام به الجنرال « ايتون » قد أرغم الباشا على التمثل وتقديم طلبات أكثر اعتدالا . وفي الواقع كلن يوسف لا يساوره أى شك بشأن الاتفاقات بين أخيه أحمد وايتون وقرب زحفهما على درنه بسبب الأنباء التي وصلت إليه ، ولذلك أرسل قوة من الجنود للدفاع عن تلك المدينة وأخبر القائد الأمريكي ليير عن طريق دى سوزا De Souza قنصل أسبانيا بأنه على استعداد لمقد صلح مقابل ٢٠٠ ألف قرش . وكان محمد الدفيس في نفس الوقت يخبر القائد « بارون » عن طريق خطابات من القنصل الدانماركي نيسن Nissen والقبطان « بان بردج Bainbridge » بأن الباشا قد يقتنع بدفع مبلغ مائة ألف قرش . وعندما وصل إلى علم ليير أن الجنرال ايتون قد استولى على درنه ، رأى أن ساعة العمل قد حانت فأبحر إلى طرابلس ووصلها في ٢٧ مايو . واستمرت المفاوضات خمسة أيام وكان يقوم بها قنصل أسبانيا دى سوزا نيابة عن الباشا ؛ وأخيراً تم الوصول إلى الاتفاق الذي كان يقضى بتبادل عدد متساو من الأسرى ودفع مبلغ ستين ألف قرش في الحال عن المائتي أسير أمريكي الزائدين عن عدد الأسرى الطرابلسيين ، والإفراج في الحال عن الأسرى الأوربيين على أن يطلق سراح الأسرى الطرابلسيين تباعاً.

لم يرض الباشا عن الطريقة التي أدار بها سوزو المفاوضات فشكره على خدماته وأرسل القبطان الأمريكي « بان بردج » ثم القنصل الدانماركي « نيسن » إلى ليير أول الأمر لكي يطلب منه التعمد بإبعاد أحمد عن درنه وإعادة الإوارق المسلحة بمدافعها التي كان الأسطول الأمريكي قد استولى عليها في محاولاته للسيطرة على مدخل الميناء . فطلب ليير إعطائه مهلة قدرها أربعة

(١) خطاب القنصل يوسف في ٢٢ يوليوز السنة الثالثة عشرة (١١ فبراير سنة ١٨٠٥)

وعشرين ساعة لقبول الشروط التي اقترحها يوسف : ورضخ يوسف لهذا الإنذار الأخير .

وتم التوقيع في يوم ٣ يونيو على مقدمات الصلح على ظهر الباشرة كونستيلشن ، وقد تقرر اضلا على البنود السايفة الذكر أن تمتنع أى مساعدة حرية عن أحد القرماني ، وأن يقوم الباشا بإرسال زوجته وأولاده إليه بمجرد أن ينتعد نهائياً عن أراضي حكومة نيابة طرابلس الغرب ، وقد أرسلت الفرقاطة « كونستيلشن Constellation » لإبلاغ الجنرال ايتون خبر عقد الاتفاق ، وأمره بمخادرة درنه .

وفي ليلة ١٢ - ١٣ أبحر الأوروبيون المشتركون في الحلة وأحمد القرماني وحاشيته والمدفعية على ظهر فرقاطة أفلعت في الصباح بين لعنات سكان المدينة ، الذين وجدوا أنفسهم بعد ذلك تحت رحمة الباشا وانتقامه . وأثناء ذلك نجح لير في طرابلس في عقد معاهدة صلح وصدقة بين الولايات المتحدة ونيابة طرابلس الغرب . وسمح للباشا بمهلة قدرها أربع سنوات بمقتضى اتفاق خاص لإعادة زوجة أخيه وأولاده .

وفي يوم ٣١ يونيو ، شغل السيد « ريجبلى Ridgely » الذى كان جراحاً بالبارجة فيلادلفيا قبل ذلك مهمة قائم بأعمال قنصل الولايات المتحدة في طرابلس ، وأبحر لير في نفس اليوم الذى غادر فيه الأسطول الأمريكى مياه طرابلس^(١) وقد بقى أهالى درنه أنصار أحمد معرضين لانتقام الباشا الذى وعدم بمنحهم عفواً شاملاً كاملاً بشرط عودتهم إلى طاعته ، ولكنه بمجرد رحيل الأسطول الأمريكى ، أرسل سفناً ورجالاً مسلحين لإجبارهم على دفع جزية إضافية^(٢) أما أحد القرماني فبعد أن وصل سرقوسة واتجه منها إلى الاسكندرية عاد ثانية إلى سرقوسة ولحققت به أسرته في شهر أكتوبر سنة ١٨٠٧ م .

(١) خطابات القنصل بوسيه في ١٤ و ١٦ و ٢٢ برابيل السنة الثالثة عشرة

(٢) ٣ و ٥ و ١١ يونيو سنة ١٨٠٥ و ١٤ سبتمبر السنة الثالثة عشرة (٣ يوليو سنة ١٨٠٥)

(٢) خطاب القنصل بوسيه في ٥ ترمينور السنة الثالثة عشرة (٢٤ يوليو سنة ١٨٠٥)

وكانت حكومة الولايات المتحدة قد حصلت بواسطة قنصلها في طرابلس
«ج. ديفز (G. Davis)» على موافقة الباشا على سفر أسرة أخيه ، ولذلك رأت
أنها قد أوفت بالتزاماتها نحو أحمد ، وامتنعت عن إعطائه أية إعانة مالية ،
فوجه إلى مائله بطلب توسط الانجليز لدى أخيه لينحله معاشاً سنوياً ، ومنحه
يوسف تحت ضغط ديفز منصب «يك» ، درنه للمرة الثانية فوصلها أحمد
في شهر مايو سنة ١٨٠٩ وبقى فيها حتى بداية سنة ١٨١١ عندما وصله خبر عن
قرب وصول حملة عسكرية بقيادة محمد يك ابن الباشا البكر فلجأ إلى
مصر ومات بها في ديسمبر من تلك السنة (١).

وقد تمتعت نيابة طرابلس الغرب بفترة ازدهار غير معتادة في الفترة
التي وقعت بين عقد الصلح مع الولايات المتحدة سنة ١٨١٠ إذ حافظ سكان
البلاد الداخلية على هدوئهم ما عدا بعض قبائل برقة التي أرسل إليها الباشا في
بداية سنة ١٨١١ ابنه البكر محمد يك على رأس جيش قوى فتقدم محمد يك
حتى وصل درنه ، وأخذ يمارس السلب والنهب في البلاد ويخمد الثورة بكل
عنف ، وانصر على أحمد سيف النصر الذي حاول أن يقطع عليه في سرت
طريق العودة إلى طرابلس وقتله وحمل معه رأسه المتور وعاد إلى طرابلس
ودخلها في يوم ١٠ فبراير من السنة التالية (٢).

(١) خطابات القنصل بوسيه في ٢٩ مارس و ٢٦ مايو سنة ١٨٠٩ و ١٥ فبراير
سنة ١٨١٠ والفترة رقم ٤ مارس سنة ١٨١٢

(٢) خطابات القنصل بوسيه في ١٥ فبراير و ١٦ ديسمبر سنة ١٨١١ وأول مارس
سنة ١٨١٢ — وقد رافق الدكتور أجو ستينوسرفيلي Agostino Cervelli محمد بك
كطبيب عسكري وكتب يوميات عن الحملة — ولام ديلاپورت بترجمة الجزء الخامس يتنازى
وشحات ودرته في هذه اليوميات

وكان ديلاپورت في ذلك الوقت مأموراً ومنزجاً لقنصل فرنسا في طرابلس . وقد نصرت
هذه الترجمة مع رسالة عن برقه ومنها الأب باسيفيكو داموتى كسينو Pacifico da
Monte cassinو الذي كان مبشراً دينياً في طرابلس تحت عنوان «تقارير لم تنشر عن برقه»
في مجلة «مجموعة الرحلات والذكريات التي تلغرها الجمعية الجغرافية» ، جزء ٢ ، باريس .
مطبوعة د - بريغال D. Erevall ، سنة ١٨٢٥ - م ١٥ - م ٣١ . وقد نصرت ترجمة
المطالبة لهذه الرسائل في مجموعة الوثائق والسبع الاستعمارية في الجزء الأول ، مايو سنة ١٩١٥

وقد أدت هذه الحملات التي غنم فيها الباشا عدداً كبيراً من الماشية وكية كبيرة من الذهب والفضة إلى هجرة بعض القبائل الهامة من برقة، وانتقال بعض القبائل الأخرى من أماكنها. وبدأ رجال قبلي الجوازي و « الفوايد » هجرتهم إلى مصر كما انسحب أولاد علي إلى شرق السوم « ١٥ »

كان الباشا يحصل على معظم إيراداته من الضرائب العادية والرسوم البحرية والنزوات ومن المغامرات البحرية التي كان يمارسها بطمأنينة وجرأة، بعد أن حوّل استئناف الحروب الأوربية أقطار الدول عما كان يحدث في البحر المتوسط.

وبعد أن استقر الانجليز في مالطه لم يقوموا بعمل شيء لمنع أعمال المغامرات البحرية أو تحددها، وإذا كانوا في كثير من الأحيان قد أرسلوا سفنهم الحربية من تلك الجزيرة ومن موانئ صقلية إلى مياه طرابلس، فإنهم لم يكن لهم هدف آخر سوى جعل الباشا يحافظ على مصالحهم.

وقد تخلى الباشا في الواقع بعد سنة ١٨٠٥ عن سياسة الصداقة مع فرنسا التي اعتبرها مسئولة عن الصلح الذي عقده مع الولايات المتحدة ولم يكن في مصلحته ولم تكن فرنسا تعتمد في محاربة الأسطول الانجليزي بعد موقعة الطرف الأغر التي دمر فيها أسطولها ومحبت قوتها البحرية لعدة سنوات طويلة إلا على شجاعة المغاربن وجرأتهم. وقد قل احترام الباشا لحليفه القديمة التي كان يخشاها من قبل، ولم تحسن الأخبار الواردة عن انتصارات جيوش نابليون في أوروبا من سمعة فرنسا في نظر الباشا، لأن مثل تلك الانتصارات كان معناها زوال بعض الدول التي كانت قد تهدت بأن تدفع له جزية سنوية لضمان ملاحه سفنها، إما باندماجها في فرنسا أو ببقائها لها.

(١١) خطابات التتمل بوسيله في ٢٢ مايو و ١٨ يوليو و ٢٧ سبتمبر سنة ١٨١٢

(٢) الكولونيل أتركو هي ابوسيني — في كتابه « أعمال برقه » اقصي قامت

بقتله حكومة « برقه » — بنغازي، سنة ١٩٢٢ — ١٩٢٣، ص ٢٦ — ٢٩

إن إنشاء مملكة إيطاليا التي اتسعت على التوالى بانضمام البندقية وجنوا ومملكة « تروريا » ودولة الكنيسة وتولى جوزيف بوناپرت وبواقيم مورا عرش نابلى ، واعتلاء لويس بوناپرت عرش هولنده ثم انضمامها إلى فرنسا ، وتأسيس الدولة الأسبانية كل ذلك كان موضوع محادثات رسمية بين القنصل بوسيهه والباشا ، الذى كان رغم علمه بذلك يؤكد حقه فى الجزية السنوية المستحقة له عند كل من هولنده ونابلى ، ولم يكن يخفى سخطه واستياءه من أن سفن هذه الدول كانت تستفيد بالمعاملات المبرمة بين فرنسا وحكومة نيابة طرابلس الغرب دون أن تدفع أى مقابل لذلك (١) .

وكان احتجاجه أشد بل لا يخلو من تهديد عندما حجرت سفينة تجارية طرابلسية فى ميناء ليفورنو ، إذ سمحت أثناء عبورها بزيارة الانجليز لها ، إذ ضربوا حصارا على البحر لتفتيش السفن الفرنسية وقد تجلت مظاهر الشعور العدائى (٢) الذى كان يعضمه الباشا هو وشعبه (٣) ضد فرنسا بشكل واضح مع مرور السنوات وكان يشعر فضلا عن ذلك بثقله فى الأمان من العقوبة . وقد توترت العلاقات بينه وبين القنصل بوسيهه ثم بينه وبين دى لا بورت الذى كان يعمل قنصلا بالنيابة مدة من الزمن بعد وفاة بوسيهه والذى حارل بكل الطرق حماية مصالح مواطنيه والدفاع عن كرامة حكومته - غير أن مركزه أصبح حرجا بعد أن أقصى الباشا محمد الدغيس عن الحكم بحجة ضعف بصره ، ولو أن اقصاه كان فى الحقيقة بسبب معيوله الفرنسية - ثم عين صهره أحمد بن مصطفى كجاء رئيس البحرية (٤) وزيرا للخارجية بدلا منه .

(١) خطابات القنصل بوسيهه و ٨ أكتوبر سنة ١٨٠٦ - و ٣ فبراير سنة ١٨٠٧ و ١٠ ديسمبر سنة ١٨٠٩ و ٤ يونيو و ١٥ يوليو و ٢ أكتوبر سنة ١٨١٠

(٢) خطاب القنصل بوسيهه بتاريخ ٩ مايو سنة ١٨١٠

(٣) خطاب القنصل بوسيهه بتاريخ ٢١ يونيو سنة ١٨٠٩ وقد جاء فيه ما يأتى : -
« إن كل البلاد بوجه عام معادية للانجليز ، وتتلطف على الأخبار التي فى خبر مصلحتنا ، وتحقد علينا بسبب القيود والقياس التي تجدها أعمال القزو والتجارة واللاحة الطرابلسية من جانبنا منذ عهد من الزمن »

(٤) خطابا القنصل الفرنسي بوسيهه بتاريخ ٢٥ أغسطس سنة ١٨٠٨ و ٧ يونيو سنة ١٨٠٩ - وكان الرئيس أحمد متزوجا من حوا أخت يوسف الترماتلى

وكان يوسف باشا يرد على احتجاجات القنصل الفرنسي على مخالفته نصوص المعاهدة مخالفة مستمرة باللف والدوران المعروفين عنه ، كما كان يسخر من كل تهديد قائلاً : « إن رمال مملكة طرابلس المتقلبة ليست غنيمة جذابة في نظر بونابرت » .

وكان يشجع الباشا على أعماله هذه ، فنصل انجلترا ، وقنصل الولايات المتحدة ، وكذلك قنصل أسبانيا ، دى سوزا ، الذى بقى فى طرابلس بعد سقوط الأسرة البوربونىة كممثل للحكومة الثورة .

كما كان يشجعه على الاخص ، سافريو ناودى « Saverio Naudi » الذى كان مفاوضا فى صلح سنة ١٨٠٢ ، والذى عاد إلى طرابلس سنة ١٨٠٩ بعد أن غاب عنها عدة سنوات . عاد ناودى إلى طرابلس وهو متولى حقدراً على فرنسا ، وأقام فيها تحت حماية يوسف الذى كان قد تمتع عدة سنوات بأفضاله ورعايته ، أما بوسيه الذى لم تكن تؤيده حكومته ، والتي لم تكن حكومة نيابة طرابلس الغرب تقدم لحكومته بعض الخدمات التى قدمت مثلها أثناء اخلة على مصر ، فإنه لم تكن لديه الوسائل للعمل . وفضلا عن ذلك فقد كانت تتعدد الإهانات ، ويتوالى انتهاك حرمة المعاهدات . وقد ذكر بوسيه فى خطاب له إلى الدوق « دى بسانو Ducu di Bassano » وزير الخارجية الفرنسية بتاريخ ٢٤ ديسمبر سنة ١٨١٢ أكثر من خمس وخمسين مخالفة حدثت أثناء خمس سنوات . ولم تفد مخالفة فرنسا مع تركيا فى تغيير مسلك يوسف الذى كان يقابل باحترام كبير سفراء تركيا الذين كانوا يُرسَلون إلى طرابلس لإعلان تولى السلطان الجديد مثل مصطفى الرابع فى سنة ١٨٠٨ ومحمود الثانى فى سنة ١٨٠٩ أو لى يحملوا إلى الباشا فرمان التولية ، ولكنه من جهة أخرى كان لا يطيع أوامر الباب العالى ، إذ كان يصدر أوامره إلى مقامريه بالاستيلاء على السفن العثمانية فى موانئ بحر الأرخيل ذاتها (١) .

(١) خطابات القنصل « بوسيه » بتاريخ ٢٤ مايو سنة ١٨٠٨ و ٦ سبتمبر سنة ١٨٠٩

وقد كان الانجليز يستفيدون من هذا الأمور لجعل الباشا يتخذ إجراءات تعتبر مخالفة صريحة لحياذه لمصلحة الممول التي كانوا يعمونها ، وذلك مثل مسألة تموين مالطة ولم يكن الباشا يرى من علاقته مع انجلترا إلا رعاية مصالحه الخاصة . وكان يشكو كثيراً من أنه لم يكافأ بما فيه الكفاية على الخدمات التي أداها ، كما كان يرفض أحياناً قبول عروض لا يرى فيها فائدة كبيرة له ، ولذلك فإنه عندما حضر القبطان W . Smith إلى طرابلس سنة ١٨١٢ يطالبه بمقدد صلح مع صفلية اكتفى الباشا بمنحها هدية طالما بقي الانجليز بها أو ظلوا في محالهم مع فرناند الرابع ، ولم يقبل إطلاق سراح الأسرى الصقليين إلا بعد دفع ٣١٠ قرشا عن كل منهم مقدماً (١) .

ولم يخل الأمر من وقوع حوادث مع دول أخرى . فقد وقع نزاع مع الدانمارك والسويد بسبب تأخرهما في دفع الجزية السنوية ، ومع داي الجزائر الذي استول في سنة ١٨١١ على بعض السفن الطرابلسية (٢) إثر الأعمال العدائية التي وقعت على سفنه .

ومع هذا يمكن القول بأن السنوات التي وقعت بين سنة ١٨٠٥ وسنة ١٨١٤ كانت سنوات ازدهار عظيم بالنسبة لحكومة نيابة طرابلس الغرب وأسرة القرماني وقد تغيرت تلك الظروف بعد سقوط نابليون وإقرار السلام في أوروبا ، وعرف يوسف كيف يستفيد منها ويستغلها لمصلحته ، حتى ولو أدت هذه الظروف المتغيرة إلى سقوط دولة نيابة طرابلس الغرب والأسرة القرمانية .

(١) خطاب الفصل الإنجليزي ويلكى Wilkie بتاريخ ٦ أبريل سنة ١٨١٢ وخطاب

الفصل روسيه بتاريخ ٢٢ أبريل و ٢٢ مايو سنة ١٨١٢

(٢) خطاب الفصل روسيه للفرنسيين في ٢٢ أغسطس سنة ١٨١١ وأول مارس سنة ١٨١٢

الفصل الثامن

الدولة الأوزبكية

في مقاومة الغزاة

لم تتردد الدول الصغرى التى عانت كثيراً من أضرار المغامرات البحرية أثناء عهد نابليون وخاصة مملكة سردينيا فى أن تعرض بواسطة وزير خارجيتها البارون فاليزا (Valenza) مسألة أمن البحر المتوسط على مؤتمر فيينا ولم يستطع هذا المؤتمر - الذى كان قد اهتم بناء على طلب إنجلترا ببحث مسألة إلغاء تجارة الرقيق أن يحمل المبودية التى كان يرزح تحتها المسيحيون الذين يأسرم عرب إفريقيا خاصة وأن رأى العام الأوروبى بعد الحملة الشديدة التى أنارتها الأميرال الانجليزى « السير سيدنى سميث » Sidney Smith ضد الرق ، كان يطالب باتخاذ إجراءات لوضع حد لهذه الأمور التى كانت تجعل أوروبا موضع السخرية.

وكان سميت هذا قد وجه فى أغسطس من سنة ١٨٠٤ مذكرة إلى الدول صاحبة الشأن ، ذكر فيها أنه ليس من المعقول فى الوقت الذى تبحث فيه مسألة تحريم تجارة الرقيق على سواحل إفريقيا الغربية، ألا يهتم العالم بأعمال السطو التى يقوم بها المعلنون فى الموانئ الشمالية ، وطالب بتأليف أسطول دول تقتصر أعماله على وضع حد للغزو فى البحر المتوسط .

وقد أصدر المؤتمر فى هذه المسألة التى أدمجت فى جدول أعماله فى ديسمبر سنة ١٨١٤ قراراً غير محدد ، وبعد حرب المائة يوم أصدر قراراً حازماً ولكن لم يكن له أثر ، إذ أنه لم تكن هناك دولة من الدول الكبرى تريد

(١) ج. فرارى - حة أسطول سردينيا على طرابلس سنة ١٨٢٥

رئاسة أركان الحرب ، للكتب التاريخية ، روما سنة ١٩٢٠ ، ص ١٧

تنفيذه عدا فرنسا بسبب مركزها السياسي الخاص ، فإن انجلترا كانت تعتقد بأنه ليس من مصلحتها تدمير نيابات الغرب مخافة أن تحمل عليها فرنسا أو غيرها مما يضعف نفوذ الإنجليز في البحر المتوسط .

وبينا كان المؤتمر يبحث هذا الموضوع ، كان يوسف قد استأنف الأعمال العدائية ضد انكسا إذ كان يطالبها بدفع أنساط الجزية المتأخرة منذ إبرام معاهدة كامبوفورميو Campoformio ، وبالاضربة السنوية التي كانت تدفعها له جمهورية البندقية مقابل استغلال ملاحات بوكاش^(١) ، كما استأنف الباشا الأعمال العدوانية ضد هولندا والدانمارك بسبب تأخرهما في دفع المبالغ المنصوص عليها في معاهدات الصلح المعقودة مع كل منهما ، وضد الدول البحرية الإيطالية . واشتدت أعمال الغزو بوجه خاص ضد سفن هذه الدول وسفن الدانمارك حتى أنه بلغ عدد السفن التي استولى عليها المغامرون حوالي منتصف سنة ١٨١٥ ست سفن دانماركية تقدر حمولتها بما يساوي ٥٠٠.٠٠٠ قرش^(٢) . كما أسر مالا يقل عن ١٥٠٠ إيطالي سجنوا داخل حمامات طرابلس^(٣) .

ولم تسلم السفن الفرنسية وسفن الولايات المتحدة من هجمات المغامرين الطرابلسيين ، إذ تم الاستيلاء على سفينة فرنسية وسفینتين أمريكيتين ، أما السفن الانجليزية فكانت وحدها موضع الاحترام ، والسبب في ذلك واضح ومفهوم ، إذ أن انجلترا بعد أن بسطت سيادتها على مالطة أصبحت تشكل خطراً شديداً على الباشا ، ومن جهة أخرى فإنها كانت تأخذ من حكومة نيابة طرابلس الغرب ما يلزمها لتكوين الجزيرة ، وكانت تمنح الباشا أرباحاً طائلة ، ولذلك كان من مصلحته توثيق عرى الصداقة معها .

(١) خطاب القنصل الإنجليزي ورامبتون Warrington بتاريخ ١٨ فبراير ٩ مايو

سنة ١٨١٥

(٢) خطاب القنصل وارانجتون المؤرخ في ١٨ يوليو سنة ١٨١٥

(٣) خطاب القنصل الفرنسي « مير Mure » المؤرخ في ٤ ديسمبر سنة ١٨١٥

كذلك كانت إنجلترا هي الدولة الوحيدة التي كانت ترسل من آن لآخر سفناً حربية إلى مياه طرابلس ، الأمر الذي أدى إلى صيانة سلطتها وهيبتها فضلاً عن حمة قنصلها السكولونيل فردريك هابر ولرنجتون الذي استطاع في وقت قصير أن يفرض نفسه على الباشا^(١) على أن يحصل على أسبقية مطلقة على جميع القناصل الآخرين^(٢)، على أن ما امتاز به هذا القنصل من الحزم لم يمنع المغامرین الطرابلسيين في ذلك الوقت من الاستمرار في أعمالهم دون أن يقيموا وزناً للمعاهدات .

ولم تكن الولايات المتحدة الأمريكية هي وحدها التي تحركت للعمل بعد الاستيلاء على سفيتها، إذ أرسلت أسطولاً بقيادة « ديكاتور Dientur » الذي وصل أزمير طرابلس في يوم ٦ أغسطس وهدد بإطلاق القنابل على المدينة إذا لم تقبل طلباته . وحصل على أمر باسترداد السفيتين وعلى تعويض قدره ثلاثين ألف قرش^(٣) .

ولكن ذلك لم يكن له أي أثر ، إذ أن الدول الأوروبية التي أصابها كثير من الضرر ، قد أرسلت سفناً حربية لا لاستعراض قوتها ، ولكن بقصد الرغبة في الصلح .

ووصل نائب الأميرال الهولندي « تولليكر Tulleken » على رأس أسطول صغير وحصل على وعد بإعادة العمل بالمعاهدات القديمة ، ووافق على طلبات يوسف بعد إدخال بعض التعديلات عليها وهي دفع ستين ألف قرش فوراً وجزية سنوية قدرها خمسة آلاف قرش^(٤) .

(١) كان ولرنجتون قد أبحر إلى طرابلس في ٣٠ نوفمبر سنة ١٨١٤

(٢) « لقد كانت سياسة من أن أغوص بأفضل الطرق الدولية عند ما لا يكون لدى ما أطالب به ، ولكن إذا اقتضى الأمر أن أطالب بغيره » فإن كنت أصرح دائماً أن إنجلترا تريد التنفيذ فوراً . خطاب القنصل ولرنجتون بتاريخ ١٩ نوفمبر سنة ١٨١٥

(٣) خطابا القنصل ولرنجتون في ٢٧ و ٢٨ أغسطس سنة ١٨١٥ وخطاب « دي لا بورت » نائب قنصل فرنسا في ٢٣ أغسطس سنة ١٨١٥ .

(٤) خطاب القنصل ولرنجتون في ٢ أكتوبر سنة ١٨١٥ وخطاب القنصل « مير » في ١٠ ديسمبر سنة ١٨١٥ .

كذلك استأثرت حكومة الدانمارك المفاوضات في نوفمبر بواسطة مستشارها « نيسن Nissen » ، وقنصلها « كارستنسن Carstensen » ، وتم الاتفاق على صلح لمدة سبع سنوات ، مقابل دفع خمسة آلاف قرش كل عام ، والتعهد بدفع ثلاثين ألف قرش عند تجديد المعاهدة ، كما اتفق على دفع مبلغ خمسة وعشرين ألف قرش لإطلاق سراح الأسرى الدانماركيين ومبلغ مائتين وأربعين ألف قرش لإعادة السفن المستولى عليها (١) .

وأثناء ذلك عادت أسرة البوردون إلى عرش فرنسا ووصل قنصل عام جديد هو مير (٢) إلى طرابلس ، وأدى ذلك إلى تحسين العلاقات الفرنسية الطرابلسية . وظهر الدليل على ذلك في الحال في ذلك الاستقبال الحافل الذي استقبل به يوسف القنصل « مير » وفي إعادة السفينة الفرنسية المستولى عليها بمجرد أن طلب القنصل « مير » ذلك .

وقد تمكن يوسف بعد وصول قنصل جديد لفرنسا ، يمثل الحكومة التي كان براها شرعية ، من استئناف السياسة التنفيذية التي انتهجتها الأسرة القرمانلية ، والتي كانت تقضى باستغلال التنافس الظاهر والخبث بين فرنسا وانجلترا بمنتى المهارة .. أى يطلب مساعدة إحداهما لمقاومة طلبات الأخرى . ولم يتمكن وارنجتون في الواقع بعد عودة « مير » من فرض إرادته على الباباشا ، ولم ينجح في حمله على عقد الصلح مع امبراطورية النمسا ومع ملكة الصقليتين .

وعندئذ طلب امبراطور النمسا تدخل الباب العالي الذي أرسل إلى طرابلس مندوباً من قبله لم يحصل على شئ . كما بذل ملك الصقليتين جهوداً كبيرة دون جدوى لاحترام نصوص معاهدة سنة ١٨١٢ واتجه إلى

(١) خطاب القنصل وارنجتون في ١٩ نوفمبر سنة ١٨١٥ وخطاب القنصل « Mure » في ١٣ ديسمبر سنة ١٨١٥ و ١٥ يناير سنة ١٨١٦ .

(٢) كان القنصل يوسيه قد تولى طرابلس بالوكالة الفعلية في يوم ١ أبريل سنة ١٨١٤ ولام بإدارة القنصلية « دي لا يوت » حتى تم تعيين « مير » الذي نزل أعمال منصبه في أول ديسمبر سنة ١٨١٥ .

الحكومة الإنجليزية التي كانت 'تعيد' في ذلك الوقت حملة لخل رؤساء حكومات نيابات الغرب على وضع حد لأعمال الغزو واسترقاق المسيحيين .

وهكذا أخذت تقترب منذ ذلك الوقت اللحظة التي يتلقى فيها المفاوضون من المغرب الضربة القاضية .

وكان للحملة التي يقودها الأميرال « سيدني سميت » ، حدى كبير في إنجلترا وفرنسا وإيطاليا (١) .

عندما استأنفت ساسة الدول الكبرى بعد مؤتمر فيينا ، الاتصال بالرأى العام في بلادهم ، أصبحوا لا يعتبرون أعمال الغزو مسائل تافهة ، وقدّروا خطرها ، وعدلت الوزارة الإنجليزية عن موقفها السابق وقررت أن تقوم بتنفيذ قرارات المؤتمر التي كانت ترى وضع حد لاسترقاق المسيحيين ، فأرسلت لورده اكسموث Exmouth ، على رأس أسطول كبير إلى البحر المتوسط ليفرض على رؤساء حكومات نيابات الغرب قرارات المؤتمر .

واقترح لورد كاسلره الذي اعتنق فكرة « سيدني سميت » عقد مؤتمر في لندن يحضره ممثلو الدول العظمى لبحث هذه المسألة .

ولم يؤد هذا المؤتمر إلى أية نتيجة ، بسبب موقف فرنسا التي كانت ترى في مشروع « كاسلره » ، آراء إنسانية تحببها الحكومة الإنجليزية عندما تحترم هذه الآراء سياستها وتجارتها (٢) . وكانت تخشى أن يضر ذلك تجارتها في الشرق خاصة وأنهم لم تكن تريد الاشتراك في عصبة تكون إدارتها في يد إنجلترا .

(١) راجع فيما يخص إحدى حملة « سميت » في إيطاليا . كتاب « السكينة والبربرية Santa Sede Barbareschi » من سنة ١٨١٤ إلى سنة ١٨١٩ في عدة الفرق المذهب Oriente Moderno ، مجلد ١٢ — عدد ١٠ — صفحة ٤٦٦ ، حاشية ٣ ، تأليف Vecia Vaghieri Laura .

(٢) ف . شارل — رو ، في كتابه « فرنسا وأفريقية الشمالية قبل سنة ١٩٣٠ م ، طبعة باريس . السكان » سنة ١٩٣٢ م ، ص ١٢ .

وبينا كان النفاش يدور في لندن ، كان اللورد اكسهاوث يصل إلى البحر المتوسط لكي يقوم بالمهمة الموكولة إليه . كما كان أيضاً مندوباً مفوضاً لملك سردينيا وذلك الصقليتين للمفاوضة في تأمين سفنهما وحماية رعاياهما .

وقد حصل اكسهاوث من داي الجزائر على أمر بإطلاق سراح الأسرى الذين أخذوا من جزائر بحر الأرخيل التي كانت في ذلك الوقت خاضعة لانتاجرا ، وعلى توقيع الصلح مع ناعلي و تورينو ، كما حصل على وعد من بيك تونس بوقف المغامرات ثم وصل أمام طرابلس في يوم ٢٧ أبريل . وفي اليوم التالي استقبله الباشا . وقد سهل النجاح الذي أحرزه اكسهاوث في تونس والجزائر تقدم المفاوضات ، إذ تعهد يوسف في يوم ٢٩ أبريل بعدم استعباد المسيحيين بعد ذلك ، واعترب بأن جزر الأيونياز وهانوفر تابعة للتاج البريطاني ، وتعهد بأن يعقد صلحاً دائماً مع ملك سردينيا و صلحاً لمدة عشر سنوات مع ملك الصقليتين ، وتعيين قناصل لهما في طرابلس مقابل دفع مبلغ أربعة آلاف قرش أسباني كهدية فصلية عنده بدء تعيين كل منهما ، ودفع مبلغ مماثل عند تعيين أى فصل بعد ذلك . واضطر الباشا أيضاً للرافقة على إطلاق سراح ١٤٤ أسير من سردينيا ومن جنوا كما أطلق ٤٢٢ أسير من ناعلي (١) مقابل خمسين ألف قرش .

وهكذا فرض في الحقيقة على الدولتين الإيطاليتين ولو في صورة مصغرة وبشكل ما ، نظام دفع الجزية لتجنب الأعمال العدوانية من جانب المغامرين الطرابلسيين .

غير أنه لم يفرض على هؤلاء المغامرين عدم مهاجمة سفن الدول الأخرى الصغيرة مثل دوقية توسكانا ودولة روما والبلاد المنخفضة ولذلك لم يخل عمل اللورد اكسهاوث من نقد .

(١) خطاب العمل به ، بتاريخ ٨ مايو سنة ١٨١٦ — انظر نص الماعند للمفودة ٢٩ أبريل سنة ١٨١٦ في كتاب ج . فرارى — المؤلف المذكور ص ٣١ وما يليها



منزل في شارع جامع الد. وج بمدينة طرابلس
كان مقراً لتفصيلة إيطاليا

ومن جهة أخرى فإن يوسف كان قد أبرم المعاهدة في شيء كثير من سوء النية لاضطراره إلى الخضوع للقوة .

وبعجده أن أدى موقفه ، دأى ، الجزائر ومناخ الرعايا الانجليز في « بون » ، إلى استدعاء الأسطول الانجليزي إلى تلك الأماكن ، استأنف الغامرون الطرابلسيون أعمالهم ونشاطهم في البحر ، وتم استيلاؤهم في وقت قصير على أربع سفن تابعة لدولة روما الباباوية . كما تم أسر طاقم سفينة صيد على شواطئ تسكانا . وأخذ رجال هذه السفن ويبلغ عددهم ٢٠ رجلا أسرى إلى طرابلس ، وسخر الباشا قاتلا ، إن الأسرى لن يصبحوا عبيدا كما كان الحال في الماضي ولكن سيصبحون أسرى^(١) .

أظهر يوسف سوء نيته صراحة عندما رفض استقبال قطان البحرية النمساوية الفارس بسكو Pasqualigo الذي وصل على رأس سفينتين حربيين في يوم ٢ أغسطس لكي يطلب ترسية عن الإمانه التي وقعت للسفن التي ترفع العلم الامبراطوري ، والذي اضطر للعودة من حيث أتى عندما لم يستطع مقابلة الباشا ، ودون أن يحصل على أي شيء^(٢) .

هذا ولم يغير من موقف الباشا ، وصول خبر بأن اكسماوث قد قصف مدينة الجزائر بالقنابل في يوم ٢٧ أغسطس ، وألزم الداي ، بتوقيع معاهدة ٣١ أغسطس التي تنص على إلغاء استعباد المسيحيين .

وعندما وصل الاميرال الهولندي فان كابلين Van Capellin ، إلى طرابلس في يوم ١٠ سبتمبر بعد أن اشترك في ضرب مدينة الجزائر بالقنابل ، وصرح بأن ملكه لا يرى من المشرف له أن يدفع مبلغ الستين ألف قرش المطلوبة من أجل صيانة السلام ، واقترح تجديد معاهدة سنة ١٧٢٨ التي كانت هولندا تدفع بمقتضاها مبلغا لا يزيد على خمسة آلاف قرش ، ورفض يوسف الموافقة على هذا الاقتراح ، واستطاع بموقفه الحازم الحصول على

(١) خطاب القنصل « مير » بتاريخ ١١ أغسطس سنة ١٨١٦

(٢) « ١٥ سبتمبر سنة ١٨١٦ »

مبلغ عشرين ألف قرش دفعت فوراً خلاف قيمة الجزية المعتادة^(١).
على أن رضاء الباشا وسروره من هذا النجاح لم يدم طويلاً ، إذ حدث
له إهانة شديدة ، وإذلال كبير من « وارانجتون » ، فقد حدث أن استولى أحد
المغامرين الطرابلسيين في أواخر سنة ١٨١٥ على سفينة انجليزية مشحونة
بالبضائع وتمكن « وارانجتون » من الحصول على أمر باسترداد السفينة
والبضائع في الحال على أن تعرض هذه المسألة على المحكمة الانجليزية في
مالطة ، وحكمت المحكمة على هذا المغامر بغرامة ، ثم فاجأت سفينة انجليزية
الرئيس المغربي وهو سائر بسفينته بين طرابلس ومالطة وعادت به إلى
ميناء طرابلس .

ولما كان يوسف يفهم خطورة هذا الحادث فقد لزم الصمت ، ولم
تود المدفعية التحية المعتادة لسفينة الغزو ، وأسرع يوسف بالتعبير
عن أسفه الشديد لهذا الحادث للتفصل الانجليزي ، ولكن « وارانجتون »
انتهز هذه الفرصة لإعطاء درس قاسي للمغامرين وطالب يشق هذا المغامر
فوق ظهر السفينة الانجليزية على مرأى من جميع الأهالي ، واضطر يوسف
إلى الموافقة مرغماً ، ولكنه طلب فقط أن يشق المغامر يد أبناء جنسه ، لأن
المسلمين يرفضون أن يشق أحدهم يد المسيحيين .

ولكن هذا الطلب رفض رفضاً باتاً لأن « وارانجتون » أراد أن يعاقب
المجرم الذي اعتدى على حرية المسيحيين وأملأ بهم بأيدي المسيحيين
أنفسهم ؛ وهكذا تم شق « المغربي » على السفينة الانجليزية وبأيدي
البحارة الذين كان هو قد أسرم^(٢).

لم تكن الأحوال الداخلية في حكومة نيابة طرابلس الغرب حسنة
قد تشبت في سنة ١٨١٢ ثورة بدأت من جنوب بنغازي ، واتسع نطاقها اتساعاً

(١) خطاب التتميل ٥ مير ، ٥ راج ١٥ سبتمبر سنة ١٨١٦

(٢) خطاب التتميل ٥ مير ، ٥ راج ١٥ سبتمبر سنة ١٨١٦

كبيراً ، وأرسل يوسف نجله الأكبر محمد بك (١) لإخضاع الثوار في فبراير سنة ١٨١٥ . وهلا النجاش الذي أحرزه الأمير الشاب أوداجه خيلاً ، وعندئذ أسرع والده الذي كان يخشى أطماعه ، بإبعاده عن طرابلس بأن عينه « بيكا » لبغازي ودرنه .

وعندما وصل محمد بك إلى برقة وشعر بالإهانة التي لحقته ، قطع كل علاقة بالوالد ، ولم يمض وقت طويل على ذلك حتى ثار على أبيه معتمداً على تأييد القبائل الكبيرة وعلى الإخص قبيلة « الجوازي » التي كانت لا تزال باقية في البلاد (٢) .

ولما كان يوسف يرغب في قمع هذه الفتنة قبل أن تتسع وتصل إلى طرابلس ، فقد أرسل حملة عسكرية بقيادة نجله الثاني أحمد بك (٣) ، وغادرت هذه الحملة طرابلس يوم ١١ فبراير سنة ١٨١٧ ، وسارت بمحاذاة شواطئ « سرت » وتوغلت في برقة ، وأندفعت من الأيثار وشحات ودرنه حتى وصلت إلى خليج « بوميا » دون أن تجد أية مقاومة ، إذ خضع بعض الثوار ولأذ بعضهم بالفرار ، ولجأ محمد إلى « سرت » وقد اتهم أحمد بك فرصة هذا النجاح وألزم الأتالي بدفع جزية كسبيرة لتشتت قبيلة « الجوازي » التي كانت أكبر سند لعمه وأخيه .

(١) خطاب « ديلا بورت » في ١٤ فبراير سنة ١٨١٥ وخطاب التصل « مير » في ٣٠ مارس سنة ١٨١٦

(٢) خطاب التصل « مير » بتاريخ ٢٤ يناير سنة ١٨١٧ ، كان محمد بك قد أحضر زوجته فاطمة ابنة عمه أحمد القرمانلي وبلغت خنوجه « من سلافة أسرة » لوم التي تعبر من أقوى وأكبر فئات الجوازي

(٣) ترك لنا الدكتور باولو ديلا سبلا Paolo delle Cello الذي كان موجوداً في طرابلس لدى ابن خاله « ف . برتولوميو بوكاردى Bartolomeo Boccardi » ، فحصل منك سردنيا العالم بطرابلس ، والذي رافق الحملة بناء على طلب الباشا بصفته طبيباً خاصاً لقبك — كتب تقريراً عظيم الأهمية عن رحلته . انظر دكتور ف . ديلا سبلا — في كتابه السالف الذكر

وقد ترك الجوازى ، اليك التآمر وخضعوا واستسلموا ، وقدموا
اثنتين وعشرين رهينة كدليل على خضوعهم ، وأرسلوها بطريق البحر إلى
طرابلس ، وعندما وصل أحد اليك إلى بنغازى ، قضى فيها شهر رمضان ،
ثم دعا قبيلة الجوازى لحضور حفلة تسليم البرنس الأحمر إلى رؤسائها ، وقبل
الجوازى الدعوة وجاءوا فى يوم ٤ سبتمبر ونصبوا خيامهم على مقربة من
المدينة .

وفى اليوم التالى توجه رؤساهم وعددهم خمسة وأربعون إلى القلعة حيث
أخذوا على غرة ، واغتالهم حرس اليك ، ثم هوجم مخيمهم ولكن معظم
الجوازى كانوا قد لاذوا بالفرار عندما علوا بالقنابل ناريين نساهم واطفأهم
الذين قتل بعضهم وأخذ البعض الآخر عبيداً ، وترك حيواناتهم وأمتعتهم
غنيمة للجنود ، أما الرهائن الذين كانوا قد أرسلوا إلى طرابلس بأمل الإفراج
عنهم يوم الحفلة ، فقد أُلقي بهم فى البحر^(١) ولجأ من بقى حياً منهم إلى مصر
حيث لحقوا بقبايلهم التى كانت قد هاجرت إليها .
وأثناء ذلك أرسلت حملتان عسكريتان إحداهما إلى فزان ، والثانية إلى
جبل نقوسة وغدامس^(٢) ، وغنم الباشا منهما أسلحة كثيرة .

وبعد أن استقر الهدوء فى بلاد نيابة طرابلس الغرب ، أخذ الباشا يعمل
على تجديد أسوار المدينة وتسليحها ، وأنقل لهذا الغرض كاهل اليهود بالضرائب
وطلب من السويد ثلاثين مدفعاً ، ومن الدانيمارك خمسين مدفعاً
يكامل ذخائرها ، على أن يخصم ثمنها من المبالغ التى كان على هاتين الدولتين
أن تدفعاها للباشا ، وحصل من القنصل الإنجليزى « وارنجتون » على
وعد بأن يحضر إليه عمالاً من مالطه .

وكانت حملة اللورد اكسماوت قد زادت فى هية إنجلترا ، وضمت
أسبقية قنصلها على قنصل الدول الأوروبية الأخرى فى طرابلس .

(١) انظر كتاب الدكتور ب . دلا سيللا السالف الذكر ص ١٣٥ وما يليها

(٢) خطاب القنصل « مير » بتاريخ ٢٠ يوفيه سنة ١٨١٧ و ٢٠ أبريل سنة ١٨١٨

وإذا كان وارنجتون قد بدأ شديداً في كل مسألة تخص بلاده ، فإنه كان دائماً يميل إلى التوفيق لإزاء كل مسألة تخص رعايا الدول الأخرى حتى ولو كان يقوم هو بمثلها . وكان يقوم فعلاً في ذلك الوقت بإدارة قنصلية هانوفر ، وقنصلية البرتغال وقنصلية مملكة الصقليتين ، كما كان يدير بالوكالة قنصلية هولندا ويعنى بمصالح رعايا النمسا وروسيا وتوسكانا . وقد استغل ما كان له من نفوذ على يوسف واستطاع الحصول على ترخيصات في كثير من المسائل المتعلقة ، وإبرام معاهدتي صلح ، إحداهما بين نيابة طرابلس الغرب ومملكة هانوفر ، والثانية في ٢٤ ديسمبر سنة ١٨١٨ بين نيابة طرابلس الغرب ودولة البابا ، وفي هذه المعاهدة الثانية وافق الباشا على عقد اتفاق خاص بعمل تسوية على قدم المساواة التامة بين الطرفين في الشؤون التجارية والبحرية (١) نظير ما وعد به من هدايا أو جزية سنوية .

ومنذ ذلك الوقت بدأ موقف وارنجتون يتجه لرعاية مصالح الباشا . وذلك لأنه كان متحمساً للمشروع الذي يحمل من طرابلس قاعدة للكشف الجغرافي في داخل إفريقيا ، وكان وارنجتون قد دفع حكومته إلى إرسال بعض الرحالة إلى « فزان » و « واداي » و « تمبكتو » ، وأصبح في حاجة إلى معاونة الباشا لضمان نجاح هذا المشروع — غير أن يوسف الذي كان عظيم المقدرة في الاستفادة من كل الظروف ، عرف كيف ينال أغلى الأمان لمثل هذه المعونة ، إذ بينما كان قد التزم مؤقلاً بإيقاف أعمال الغزو وتجريد سفنه من أسلحتها لتحويلها إلى سفن تجارية ، أخذ يعمل الآن على إخراجها لمهاجمة سفن الدول الصغرى (٢) ، وقد استأنف المغامرون فعلاً

(١) خطاب الفصل « مير » بتاريخ ٣٠ ديسمبر سنة ١٨١٨ — انظر كتاب Vecchia Vaglieri المؤلف الذكر « السكتية والبحر » من سنة ١٨١٤ إلى سنة ١٨١٩ ، للنفوس في مجلة الفرق الحدث ، السنة الثانية عشرة ، جزء ١٠ و ١١ وما يليها

(٢) خطاب الفصل « مير » بتاريخ ٣٠ ديسمبر سنة ١٨١٨ — واجم أيضاً من النفوس الذي كان لوارنجتون على يوسف ، مراسلات قنصلية مملكة سردينيا العامة في طرابلس مع وزير الحرية والبحرية وقائد الأميرالية . خطاب بتاريخ ٢٥ أبريل سنة ١٨٢٠

أعمال الغزو ولم تسلم منهم حتى السفن التركية وأصبحوا شديدي الخطر ، حتى اقترح اللورد كاسلريه Castlereagh إنشاء عصبة بحرية مدتها سبع سنوات ، توضع تحت تصرفها السفن الحربية اللازمة لتنظيف البحر المتوسط من الغزو ، وعارضت كل من فرنسا وانجلترا والروسيا هذا المشروع ، مدعية ، أن نيابات الغرب ليست لها حقوق إعلان الحرب والسلم ، لأنها ولايات تابعة للباب العالي وليس في استوائاتها مهاجمة السفن التابعة للدول التي ليست في حالة حرب مع تركيا. ولذلك وجب تفتيش كل سفينة من سفن هذه الولايات توجد في البحر ، ومعاملتها بمنتهى الشدة إذا كانت مسلحة ، ثم حلت أسبانيا بطلب أسئلة المغامرين المغاربة بمسألة المغامرين في أمريكا اللاتينية . ولما لم يكن من المستطاع الوصول إلى اتفاق ، فقد تأجلت المناقشة في هذا الموضوع .

وأثناء ذلك كان قد انعقد مؤتمر اكس لا شابل فقدمت إليه كل من روسيا وفرنسا والنمسا مشروعاً يختلف عن مشروع انجلترا وأسبانيا .

ولما لم يكن من الممكن الاتفاق على مشروع موحد للعمل ، فقد تقرر بمقتضى بروتوكول ٢ نوفمبر سنة ١٨١٨ أن أي اعتداء على تجارة الدول المتعاقدة يجب رده ومنعه فوراً ، وطولبت فرنسا وانجلترا بإبلاغ عبارات جدية إلى نيابات شمال إفريقيا ، وإنذارها بأن إنشاء عصبة عامة من الدول الأوروبية ، كان نتيجة لاستمرار هذه النيابات في أعمالها ضد التجارة السليمة وأنه يجب عليها أن تفكر في نتيجة أعمال هذه العصبة في الوقت المناسب لأن مجرد وجودها قد يصيبها بالضرر .

وقد أبلغ هذا الإنذار الشديد إلى نيابات الغرب .

ولما كان المغامرون الطاريسيون قد استمروا رغم ذلك الإنذار في مهاجمة السفن التابعة لنادولي وأسبانيا وتوسكانا وروما ، فقد تقرر إبلاغ قرارات المؤتمر مكتوبة عن طريق أميرال انجليزى وأميرال فرنسى .

لذلك أبحر أسطول إنجليزي فرنسي تحت إمرة الأميرال، جوريان دي لاجرافير Jurien de la Gravière والكومودور «فريمانتل Fremantle» ، وقام باستعراض أمام مدينة الجزائر ومدينة تونس ، ثم وصل إلى طرابلس في يوم ٨ أكتوبر سنة ١٨١٩ (١) وقد استقبل الباشا الأميرالين في اليوم نفسه وتسلم منهما نص الإنذار وطلباً منه الرد عليه كتابة ، وعندئذ أسرع بالتصريح بأنه سوف يترك الغزو (٢).

وقد أدى قبول قرارات مؤتمر اكس لاشايل إلى بحث الطمأنينة حتى لسفن الدول الصغرى مثل سردينيا وتوسكانا والدولة البابوية وغيرها ، فحاولت التخلص من التزاماتها ، وعدم دفع المبالغ التي اتفقت عليها سابقاً مع الباشا لتأمين سلامة سفنها .

ومن جهة أخرى لم يكن في استطاعة يوسف الذي كان يحرمه توقف أعمال الغزو من المصدر الرئيسي لإيراداته ، التنازل عن الهبات السنوية التي كانت تدفع له حتى ذلك الوقت ، لأن الأحوال الاقتصادية في بلاده كانت تزداد سوءاً يوماً بعد يوم ، وكان يتحمل كثيراً من الضيق .

(١) مراسلات قنصلية مملكة - رومانيا الماسة في طرابلس مع وزير البحرية والبحرية هورنيس الأميرالية ، والمخاطب رقم ٢٨ بتاريخ ٥ نوفمبر سنة ١٨١٩ وخطاب القنصل د مر ٤ بتاريخ ١٢ أكتوبر سنة ١٨١٩ ، وخطاب القنصل ولرنجنون بتاريخ ١١ أكتوبر سنة ١٨١٩ .

(٢) ونحن نورد هنا نص الخطاب الذي قبل به يوسف لقرارات المؤتمر . « سادق — لعلنا الآن خطايكم الرسمي للوزير بتاريخ اليوم — ورداً عليه فنعرف بإخباركم بأن صاحب الجلالة ملك فرنسا وصاحب الجلالة ملك إنجلترا لا يجب أن يجهلا أنه لم يخرج من موافقنا منذ عهد ببد أية سفينة غزو لإتلاق أية دولة أوروبية ، وأن قياتنا تتجه وسنجه دائماً لرضا رغبان جلالتى ملك إنجلترا وملك فرنسا ، ونجنب أعمال الغزو ، وأن نعيش على هذه من جبه القول الأوروبية . هذه من قياتنا موصحة في الذاكرة التي سلمناها بخدمة صحافتنا للسكس لإبلاغها إلى المؤتمر ، والتي نراعيها بكل أمانة وإخلاص — نحرراً في طرابلس في يوم ٢٧ ذي الحجة سنة ١٢٣٤ هـ — » خطاب القنصل د مير ٤ بتاريخ ١٢ أكتوبر سنة ١٨١٩ .

وقد أصدرت الدول الملتزمة في مدينة فيرونا قراراً جديداً أكد قرار المؤتمرات السابقة، وأضاف إليها اعتبار تجارة الرقيق أمراً محرماً وكارثة كبرى، دمرت إفريقية زمناً طويلاً وأسقطت هيئة أوروبا، وعذبت الإنسانية وآلمتها.

ولما كان تنفيذ إلغاء تجارة الرقيق يحرم الباشا من آخر موارده الاقتصادية^(١)، ونظراً للضائقة المالية التي كان يعيش فيها، فإنه بدأ يتذرع بمحجج ليس لها ما يبررها ليعمل على أموال من الدول المسيحية الصغرى، فطلب من السويد ثمانية ألف قرش فضلاً عن حدية قيمتها أربعة آلاف قرش عند تعيين كل فصل جديد، وأبرم مع الدانمارك اتفاقاً مدته ثمان سنوات تعهد فيه بتأمين ملاحتها مقابل دفع مبلغ ٢٠ ألف سكرودو وقد ترتب على عمله هذا - الذي كان من شأنه بث الذعر، استئناف نشاط المغامرين الطرابلسيين، ونقص التجارة، واقتصارها على المعاملات التجارية مع مدينتي مارسيليا وليغورنو دون غيرها^(٢).

وفضلاً عن ذلك فإن المغامرين اليونانيين كانوا قد ملأوا البحر على ربة من المدينة^(٣)، ولم يكن من الممكن أن تقوم السفن القليلة العدد، "ناقصة التسليح التي بقيت لحكومة نيابة طرابلس الغرب بعمل حاسم ضدهم، بعد أن أبحر معظم الأسطول الطرابلسي الذي كان يتألف من ثمان سفن مسلحة بمائة وأربعين مدفعاً وأكثر من ألف رجل في ١٠ يولية سنة ١٨٢٤ يلحق بأسطول السلطان في المياه اليونانية.

(١) بالرغم من جميع الوعود التي أعطاها الباشا للقائدات، فإنه كان يشتر في التسليح وإصلاح السفن القديمة وشراء سفن جديدة، انظر مراسلات قنصلية مملكة سردينيا العامة في طرابلس مع وزير البحرية والبحرية ورئيس الأدميرالية الخطاب رقم ٢٢ والخطاب رقم ٢٣ بتاريخ ٢٢ أبريل سنة ١٨٢٤

(٢) مراسلات قنصلية مملكة سردينيا العامة بطرابلس مع وزارة الخارجية - الخطاب رقم ٢٢ بتاريخ ١٣ يونيو سنة ١٨٢٣

(٣) خطاب رقم ٢٩ بتاريخ ١٥ يوليو سنة ١٨٢٣

(٤) خطاب رقم ٨٢ بتاريخ ٢٣ أغسطس سنة ١٨٢٣

أدت طلبات يوسف إلى إيجاد نزاع كبير بين حكومة نيابة طرابلس الغرب ومملكة سردينيا بعد أن بقيت العلاقات بينهما ودية عدة سنوات . إذ بعد معاهدة سنة ١٨١٦ كان اللورد اكسهاوث قد كلف الفصل وارنجتون بإدارة أعمال فصلية سردينيا في طرابلس .

وفي أغسطس من تلك السنة ، قام بهذا العمل ، الفصل العام ، برنولوميو بوكاردى Bartolomio Boecardi ، الذى بقى في طرابلس حتى سنة ١٨١٧ حيث حل مكانه نائب الفصل ، أوجو Ugo ، ثم خلفه الفصل العالم ج . ب . بارودى G . B . Parodi الذى وصل إلى مقر الفصلية في شهر يولييه سنة ١٨٢٢ .

وفي ربيع عام ١٨٢٤ طلب « بارودى » من حكومته إجازة لأسباب صحية ، وحصل على تصريح بمغادرة الفصلية وحل مكانه فيها مؤقتاً الفارس « فوكس Foux » الذى كان فصللاً في كورفو ، وسافر بارودى يوم ٨ سبتمبر وحل محله وكيل الفصل السردىنى في بنغازى أ . روسونى E . Rossoni في نهاية شهر فبراير سنة ١٨٢٥ حتى وصل « فوكس » إلى طرابلس وتسلم أعمال الفصلية .

ولما كان الباشا يمتد أو يتظاهر بأنه يمتد أن مثل هذه التغيرات المؤقتة كانت بمثابة تفسير حقيقى في القناصل ، فإنه طالب بمبلغ أربعة آلاف قرش طبقاً لمعاهدة ٢٩ إبريل سنة ١٨١٦ وحدد موعداً لا يزيد على شهرين لدفع هذا المبلغ .

وعندما انقضى هذا الأجل ، أصر على أن يسلم فوراً مبلغ ألف قرش على الأقل ، وكتب فوكس صكاً بهذا المبلغ يدفع في ليفورنو بعد ٢٥ يوماً . ولكن حكومة سردينيا لم توافق على عمل « فوكس » ، وهذا وأخطرته بأن الصك سيدفع ولكن خصماً من مرتبه .

(١١) مراسلات فصلية سردينيا العامة في طرابلس مع وزارة الخارجية . الخطاب المؤرخ في ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٢٤ — انظر ج . فرارى في كتابه السالف الذكر — ص ٣٦ وما بعدها

وفي يوم ٦ يونية، عندما أصر يوسف على طلب دفع الفرق بين المبالغين حرره فوكس، بعد أن استشار وارانجتون صكاً بمبلغ ثلاثة آلاف قرش تدفع في مرسيليا، ولكن حكومة سردينيا لم تقبل الحجاج التي أبدعها فوكس، وأصدرت أمراً بعدم دفع هذا الصك وأمرت بعودة « بارودي » إلى مقر عمله في الحال.

تضايق الباشا كثيراً لهذا التصرف وعدد بالقيام بعمل حاسم ضد سفن سردينيا، واشترى بالأموال التي تسلبها من أنجلترا لحراسة الرحالة الميجور، لينج Leinge، سفينة تمساوية وسفيتين أخريتين لاستخدامها في الغزو.

وفي ٧ أغسطس أمر الباشا فوكس، بالارفع العلم على دار القنصلية بعد ذلك، وأنفذه بأنه سوف يضع الحراسة على سفن سردينيا التي توجد أو تقترب من موانئ حكومة نيابة طرابلس الغرب.

وعندما علمت حكومة سردينيا بذلك، وكانت تحتفل احتفالاً كبيراً بإعداد أسطول لمراقبة القنصل « بارودي » وقناصلها في بيروت وقبرص ورودس أمرت بأن يقلع الأسطول إلى طرابلس، وأرسلت في ٦ سبتمبر منشوراً إلى دبلوماسيها وقناصلها في الخارج، تحبرهم فيه بأسباب الحملة وأهدافها، وكان هذا الأسطول يتألف من الفرقاطة كوميرشيو Commercio التي يقودها قائد الحملة الفارس « فرنسيسكو سيفوري Francesco Sivori »

والدمرة « نيريدي Nereide » التي كان يقودها القبطان « موريتيرو راي دي فيلاري Maurizio Rey di Villarey » ومن أربع سفن نقل وقام الأسطول من جنوا في يوم ١١ سبتمبر ورسا أمام تونس في يوم ٣٠ سبتمبر، حيث انضم إلى الفرقاطة « كريستينا Cristina » التي كان يقودها القبطان « لويجي سيرا Luigi Serra » وأنجه نحو مياها طرابلس حيث لحق بالسفينة « تريوني Teritone » التي كان يقودها القبطان زيكافرو التي كانت يجب أن تنضم لهذا الأسطول لتقوية الفرقاطة « ماريا تريزا Maria Teresa »

وعندما وصل القائد « سيفورى » أمام مدينة طرابلس في يوم ٢٥ سبتمبر أرسل السفينة « تريوتى » للمفاوضة وإخطار القنصل الانجليزى وارانجتون أنه يريد النزول لمفاوضة الباشا ، واسألهم عما إذا كان يسمح بذلك ، وتلقى منه ردا بالإيجاب . نزل « سيفورى » في اليوم التالى وتفاوض فى القنصلية الإنجليزية مع الحاج محمد شلبي بيت المال وزير الباشا الذى كان يدعو عليه الليل للاتفاق .

كان كل شئ يبدو سهلا ميسرا ، إلا أن يوسف تقدم فى اليوم التالى بمطالب جديدة كانت تميل فى جوهرها إلى فسخ معاهدة سنة ١٨١٦ ، وعندما انقطعت المفاوضات عاد سيفورى ثانية إلى سفينة وأنذر الباشا بأنه سوف يبدأ الأعمال الحربية إذا لم يقبل فى مدى أربع ساعات اقتراحات مقولة . وعندما انتهى الأجل المحدد بدأ أسطول سردينيا فى قذف القنابل من بعيد ، ولكن ذلك لم يكن له أى تأثير ، فقرر سيفورى مهاجمة السفن الطرابلسية الموجودة فى الميناء أثناء الليل ، وكان هذا المشروع مزامرة خطيرة ، إذ كان يتحتم مجابهة النيران من جانبيين ، ومن جانب البطاريات التى كانت تحمى الميناء ، وذلك خلاف صعوبة الاقتراب من الشاطئ .

وأثناء الليل نزل بحارة سردينيا فى قواربهم بعد أن قسموا أنفسهم إلى ثلاثة أقسام بقيادة الفارس جورجيو ماميل Giorgio Mameli ومساعديه باليتا Pallitta وكيجي Chigi ، الذين استطاعوا الدخول فى الميناء وإشعال النار فى سفينة حربية ومدمرة ، كاتاراسيتين بالقرب من القلعة . كان لهذه المغامرة الجريئة تأثير كبير ، حتى أن يوسف أسرع بطلب توسط القنصل الانجليزى للوصول إلى اتفاق ودى ^(١) .

(١) انظر ج . فبارى ، الكتاب السالف الذكر ، وتقرر القنصل بارودى من أعمال الأسطول الذى كان ر . ميكاكى فى بعثة « حركات الثوارين الطرابلسيين الأخيرة وآثارها فى القول الإيطالية » — للتدفق على « الدشمات الإيطالية » السنة التاسعة (سنة ١٩٢٣) بالعدد الثالث ص ٢٠٩ ، وخلافا للقنصل الفرنسى « روسو » فى ٢٧ سبتمبر و ٢٨ أكتوبر سنة ١٨٢٥

وقد تقرر في ٣٠ سبتمبر أن تبقى معاهدة سنة ١٨٠٦ معدولا بها وسارية التنفيذ ، وأثناء ذلك عاد القنصل «بارودي» لاستئناف مهام منصبه ، وحصل الباشا مقدما على الهدية الخاصة بالقنصل الجديد الذي كان سيرسل بدسنة أشهر ، إذ عين السيد «باولو نجرى Paolo Negri» بمرسوم ملكي مؤرخ في ٧ نوفمبر سنة ١٨٢٥ قصلا عاما لمملكة سردينيا في طرابلس ووصل إلى مقر عمله^(١) في شهر ديسمبر .

وحاول يوسف أثناء ذلك ابتزاز الأموال من مملكة السويد وهولندا ومملكة الصقليتين^(٢) بحجج مائلة إذ طالب السويد بدفع مائة ألف قرش وحصل منها بعد المفاوضة على خمس وستين ألف قرش فضلا عن تعهدها بأن تدفع له ثمانية آلاف قرش كل عام ، وادعى بأن حكومة هولندا وحكومة الصقليتين قد عينت كل منهما قنصلا ، حتى يتسلم منهما الهدية المتفق عليها ، والتي لم تدفع منذ أن كلف القنصل الإنجليزي برعاية مصالح رعايا الدولتين في طرابلس . ووصلت سفينة - رية هولندية ، والاراجة النابوليتانية «فيزوفو Vesuvio» إلى طرابلس عندما كانت المدينة مهددة بضرب أسعول سردينيا لها بالقتال . كان الوقت ملائما ليعدل الباشا عن مطالبه ، ولكن قائد السفينتين فضلا القيام بالمفاوضة ، وتوسط القنصل الإنجليزي «وارنجتون» في الأمر حتى عدل الباشا عن طلباته مقابل بضعة آلاف من القروش^(٣) ، وكانت الطريقة التي أدارها «وارنجتون» هذه المفاوضات موضع نقد شديد من جانب

(١) ج . فيراي — الكتاب السالف الذكر ، وتقرير القنصل «بارودي» من مهمات الأسطول التي تصدره ر . ميكاكي في مجته «حركات الفارين الطرابلسيين الأخيرة وأثرها في الدول الإيطالية» في مجلة المستعرات الإيطالية السنة الحادية عشرة (سنة ١٩٣٣) العدد الثالث ص ٢٠٩ وخطاب القنصل الفرنسي «روسو» بتاريخ ٢٧ سبتمبر و ٢٨ أكتوبر سنة ١٨٢٥ .
(٢) مراسلات التبعية العامة لمملكة سردينيا في طرابلس مع وزارة الخارجية — الخطاب رقم ٤ للأوخر في ٢١ سبتمبر سنة ١٨٢٥ .

(٣) دفع ملك الصقليتين اثني عشر ألف قرش — انظر ج . بالادنج Peladeng في «حالة البحرية النابوليتانية على طرابلس في سنة ١٨٢٨» في القشور في مجلة المستعرات الإيطالية . السنة الثالثة — العدد ٩ ، ص ٩١٠ .

بقية أفراد هيئة القناصل ، إذ أبلغ بعضهم حكومته صراحة اتهامهم وارتجفون بأنه يعمل لتأييد مصالح الباشا^(١) .

ولم يتغير موقف القنصل الانجليزي إزاء الحوادث التي وقعت بعد ذلك بقليل بين يوسف والسولة البابوية ، فلم يكن الاتفاق الذي نصت عليه معاهدة ٢٤ ديسمبر سنة ١٨١٨ قد تم بين الحكومتين ، ولم يكن يوسف قد تسلم الهدايا التي كان قد وعد بها ، والتي كان يعتمد عليها ، ويعمل حسابها . ولذلك أحنج الباشا بعدم تنفيذ الاتفاق ، ودفع مفاطيريه للعمل ضد سفن السولة البابوية .

وقبل أن يصل أسطول مملكة سردينيا إلى طرابلس كان قد تم الاستيلاء على سفينة لروما مشحونة بالقمح في البحر الأيوني ، وأخذت إلى ميناء طرابلس^(٢) .

وعندما رأى ج . ب . روسو^(٣) قهص فرنسا ، وكان رجلا عاى المهمة يعمل على رفع هيئة دولته ، وزيادة نفوذها في نيابة طرابلس الغرب ، أن القنصل الإنجليزي الذي كان رغم افتخاره بتمثيل السولة البابوية في طرابلس يتردد في التدخل ، طلب روسو من الباشا أن يحترم تعهده التي وردت في تصريحات ٨ أكتوبر سنة ١٨١٩ ويطلق مراح سفينة روما المستولى عليها ، ولكن يوسف بعد أن حاول المعاطلة ، انتهى به الأمر إلى تقرير أن هذا

(١) مراسلات قنصلية مملكة سردينيا العامة في طرابلس مع وزير الخارجية المطاب رقم ٢ ، بتاريخ ٥ نوفمبر سنة ١٨٢٥ .

(٢) مراسلات قنصلية مملكة سردينيا العامة بطرابلس مع وزارة الخارجية - خطاب رقم ٩ بتاريخ أول أكتوبر سنة ١٨٢٥ - خطاب القنصل « روسو » في تاريخ ٣٠ أغسطس سنة ١٨٢٥ .

(٣) كان البارون ج . ب . روسو دبلوماسيا قديرا ، ومستشارا كبيرا ، حتى أنه كان يستطيع المناوضة مع الباشا دون اللجوء إلى مترجم ، وقد حل محل القنصل السابق « مير » في ٣٠ يوليو سنة ١٨٢٥ . — راجع خطاب القنصل روسو في ٣٥ أغسطس سنة ١٨٢٥ .

العمل فانوتى ولا غبار عليه^(١).

وعندما استولى المغامرون الطرابلسيون بعد ذلك في أكتوبر على سفيتين أخريتين لروما ، تدخل روسو من جديد ، ولكن دون أن يحصل على نتيجة ، لأن الباشا رجع إلى تطبيق نصوص المعاهدة التي عقدها القنصل الإنجليزى معه نيابة عن الحكومة البابوية في سنة ١٨١٨^(٢) وعندما أخبر روسو حكومته بالحدث بين لها أنه من المفيد لدية فرنسا القيام بمظاهرة بحرية لتعزيز مطالباته ، ومن جهة أخرى اتجهت الحكومة البابوية إلى حكومتى فرنسا وانجلترا طالبة تدخلهما .

وبينما كانت الإشاعات تحدث عن قرب وصول حملة بحرية فرنسية ، كان الباشا يتحدى رأى العام الأوروبى ، ويطلب من الدانمارك أن تدفع له مبلغاً كبيراً وهو ستين ألف قرش مذهباً بأن المتفاوض باسمه في معاهدة سنة ١٨٢٤ قد خدع ، وقبل القنصل الدانمركى « كلوتزن Clutzen » وساطة وارنجتون ووصل إلى تسوية تلزم حكومته بدفع مبلغ عشرين ألف قرش^(٣) غير أن ثقة الباشا العظيمة بنفسه سرعان ما تعززت ، فقد رسا أسطول فرنسى بقيادة ارنودى لاسولساي Arnaud de la Sauleaye في ميناء طرابلس في ١٣ فبراير سنة ١٨٢٦ وطلب تسليم السفن إلى روما فوراً ، والتعريض اللازم عن الإهانات التي لحقت بالقنصل روسو . وكان طلب القومندان بأن تطلق ٢٣ طلقة تحية للعلم الفرنسى موضع مناقشات طويلة ، لأن عدد

(١) خطاب القنصل روسو بتاريخ ٩ سبتمبر سنة ١٨٢٥ أنظر . ليشافالييرى « Veggia Vaglieri » في بحث من منازعة بين القنصل الإنجليزى والقنصل الفرنسى في طرابلس المغرب سنة ١٨٢٥ للتشور في مجلة المستعرات ، السنة السادسة ، عدد ٥ ، صفحة ٣٧١ وما يليها .

(٢) خطاب العمل روسو بتاريخ ١٢ أكتوبر سنة ١٨٢٥ ، مراسلات قنصلية مملكة سردينيا العامة بطرابلس مع وزارة الخارجية ، الخطاب رقم ٥ ، بتاريخ ٣ ديسمبر سنة ١٨٢٥ .

(٣) مراسلات قنصلية مملكة سردينيا العامة بطرابلس مع وزارة الخارجية ، الخطاب رقم ٩ بتاريخ ٢٠ فبراير سنة ١٨٢٦ - خطاب القنصل روسو بتاريخ ١٥ فبراير سنة ١٨٢٦

العلاقات التي كانت تطلق لتحية علم الدولة الأكثر رعاية سبعة وعشرون طلقة .

واستمرت المناقشات ثلاثة أيام دون الوصول إلى قرار ، ولجأ روسو وجميع الرعايا الفرنسيين إلى السفينة الفرنسية الراسية في الميناء فاضطر يوسف للرضوخ أمام التهديد بضرب المدينة بالقنابل ، وحيا العلم الفرنسي بثلاثة وثلاثين طلقة مدفع مما دعا إلى احتجاج القنصل الانجليزي .

وفي يوم ١٨ اجتمع قائد السفينة ، امازون ، والقنصل روسو على ظهرها مع مدوب الباشا وعقدوا اتفاقاً تقرر بمقتضاه ما يأتي : -

أولاً : أن ترد في الحال سفن روما التي تم الاستيلاء عليها مع حمولتها .
ثانياً : أن تحترم في المستقبل السفن التي يرفرف فوقها العلم البابوي .
ثالثاً : أن يدفع مبلغ ألفين قرش تعويضاً لأصحاب السفن المستولى ^١ا وقباطنتها وحمولتها .

رابعاً : أن تعتبر فرنسا أحق الدول الأوروبية "بالرعاية" .

وقد شعر يوسف بالذلة والهوان لاضطراره للخضوع بالقوة ، وإذا كان قد أخفى شعوره هذا مؤقتاً وتظاهر بالحب والاحترام والصدقة لروسو إلا أنه بقي ينتظر الفرصة المواتية للانتقام منه ، ووجد هذه الفرصة عند الاحتفال بعيد جلوس ملك فرنسا شارل العاشر في ٤ نوفمبر سنة ١٨٢٦ ، إذ أجريت استعدادات كبيرة بالفصلية لاستقبال الباشا الذي كان قد حدد موعد زيارته في الساعة الثانية بعد الظهر ، وأخطر روسو قناصل أسبانيا وانجلترا وناپلي والسويد والدانمارك وسردينيا وتوسكانا بذلك ، ودعاهم للاجتماع لديه ، وبعد انتظار دام طويلاً وصل أخيراً حصونه الدغيس ^٢ وزير الباشا وأخبر روسو بأن وعكة مفاجئة منعت سيده من الحضور إلى هذا الاحتفال .

(١) مراسلات قنصلية مملكة سردينيا العامة بطرابلس مع وزارة الخارجية رقم ٩ بتاريخ ٢٠ فبراير سنة ١٨٢٦ ، خطاب القنصل روسو بتاريخ ٢٣ فبراير سنة ١٨٢٦ .



منزل القرماتيين بشارع جامع الدروج بجانب سوق الحرارة
وكان مقراً لنعصابة توسكانا سابقاً

وفهم روسو أن يوسف أراد إلحاق إهانة عليّة بفرنسا وقصصها وذهب إليه في الحال، ولكن الباشا لم يستقبله، وعندئذ أنزل علم بلاده من فوق القنصلية واستعد للرحيل، غير أن الباشا خشي العاقبة ولجأ إلى وساطة قنصل أسبانيا العام، فطلب روسو أن يعيد بحارة سفن الباشا ورفع صارى العلم الفرنسى بأيديهم وأن تستمر نحية العلم الفرنسى ثلاثة أيام متوالية بإطلاق ثلاثة وثلاثين طلقة مدفع صباحاً ومساءً، وأن يذهب الباشا في اليوم الرابع إلى القنصلية الفرنسية ويرسل في المساء أحد أنجاله وهو سيدى عثمان، وأن تتكرر زيارة الباشا في اليوم التالى ويعزل وزير الخارجية الذى كان معروفاً بعدائه لفرنسا وينفيه من البلاد، وقد أجيبت طلبات القنصل روسو كلها وحضر الباشا في موكب كبير، وعندئذ تنازل روسو عن الزيارة الثانية وعن نفي التوذيير^(١)،

ولم يمض وقت طويل حتى طلب الباشا هدية جديدة من توسكانا رغم معاهدة الصلح المبرمة في سنة ١٨٢١، وعندما رفضت هذه الدولة قبول هذا الطلب أنذر الباشا القنصل روسونى Rossoni في ديسمبر سنة ١٨٢٦ أنه سوف يرسل بحارته لمهاجمة سفن توسكانا^(٢) إذا لم تدفع الهدية في مدى أربعين أو خمسين يوماً، وأمر القنصل فعلاً بإزالة العلم في يوم ٢٧ وأعلن الحرب على توسكانا^(٣)، وعندئذ لجأ القنصل روسونى إلى وارانجتون قنصل إنجلترا الذى توسط في عقد اتفاق مقابل ثلاثة آلاف مكودو، وأظهر الباشا بعد ذلك رضاه وسمح بتعيين نائب قنصل لتوسكانا في مدينة بنغازى^(٤). عمل

(١) خطاب القنصل روسو بتاريخ ١١ ديسمبر سنة ١٨٢٦ — مراسلات قنصلية ملكة سردينيا العامة في طرابلس مع وزير الخارجية . المخطبان رقم ٣٦ بتاريخ ٤ نوفمبر سنة ١٨٢٦ ورقم ٣٨ تاريخ ٢٦ نوفمبر .

(٢) مراسلات قنصلية توسكانا في طرابلس — الخطاب المؤرخ في ١٢، والمخطاب المؤرخ في ٣١ ديسمبر سنة ١٨٢٦ .

(٣) مراسلات قنصلية سردينيا العامة في طرابلس مع وزارة الخارجية، المخطاب رقم ٣١، بتاريخ ٢٨ مارس سنة ١٨٢٧ .

(٤) مراسلات توسكانا في طرابلس، المخطبات رقم ٣٤، بتاريخ ١٣ مايو، ورقم ٣٥، بتاريخ ١٦ مايو، ورقم ٣٦، بتاريخ ١٧ مايو سنة ١٨٢٧ .

القنصل الانجليزي كل ما في وسعه للاحتفاظ بسطوته ، وتعوده على يوسف حتى أن انجلترا رغم اعلانها الجهاد إزاء الحرب التي قامت بين اليونان والباب العالي ، أمرت بسحب جميع رعاياها من دور صناعة سفن الدولتين المتحاربتين ونجح وارنجتون في أن يحصل للبasha على سفينة حربية انجليزية مسلحة بمدافع من طراز حديث^(١) ؛ وحصل له بعد شهر آخر على سفينة أخرى^(٢) . ولم يكن يخفى على أحد أن يوسف يلتمس أى عذر ليمسح لرجاله من المغامرین باستئناف أعمال النهب والسلب ، إذ استولى هؤلاء بالفعل في شهر سبتمبر على سفينة بروسية ، وفي أكتوبر على سفينة هامبورجية^(٣) .

وفي أرائل نوفمبر سنة ١٨٢٧ وصل إلى طرابلس خبر معركة نافارينو الذي أثار شعور الكراهية ضد الأوربيين . وساد المدينة رعب شديد خاصة بين المالمطين ولكن لم تحدث بها مظاهرات ، وذلك لأن فرنسا وانجلترا أسرعتا بإرسال بعض سفنهما الحربية إلى طرابلس ، وأثناء ذلك قام نزاع جديد بين فرنسا وملك الصقليتين ، فقد توفي الملك فردناند الأول سنة ١٨٢٥ ، ابني كان اللورد اكسهاوت قد أبرم باسمه معاهدة مع البasha سنة ١٨١٦ . وخلفه الملك فرنسيسكو الأول وقد صرح البasha بأنه لا يعترف بأية قيمة لتلك المعاهدة بسبب وفاة أحد المتعاقدين فيها^(٤) ، وأرسلت حكومة نابلي كما رأينا سابقاً البارجة « فيزوفيو » ، ولكن المسألة بقيت دون حل ، لأن البasha لم يرد التنازل عن طلباته أو إخفا. أغراضه ، حتى ساد الاعتقاد

(١) مراسلات قسليّة مملكة مودينا العامة في طرابلس مع وزير الخارجية المطالب رقم ٦٥ ، بتاريخ ١٥ يوليّه سنة ١٨٢٧ .

(٢) مراسلات قسليّة نوسكا في طرابلس المطالب رقم ٤٢ ، بتاريخ ١٦ يونيو سنة ١٨٢٧ .

(٣) مراسلات قسليّة مملكة مودينا العامة في طرابلس مع وزارة الخارجية ، المطالب رقم ٨٠ ، بتاريخ ٢٠ سبتمبر سنة ١٨٢٧ .

(٤) انظر مالبه — خطابان رقم ٧٢ في يوليو ودرام ٧٨ في ٢٠ أغسطس سنة ١٨٢٧ .

حوالى آخر سنة ١٨٢٦ ، عندما أقفلت إحدى سفن المغامرين بأن هذه السفينة تتحرك ضد سفن مملكتنا نأبى لإلزام حكومتها بإبرام معاهدة صلح جديدة . وعندما وصل قنصل نأبى السفور Crocillo إلى طرابلس بعد ذلك ، أخبره يوسف بأنه على استعداد لتجديد المعاهدة بشرط أن يدفع له مائة ألف فرس . فرفض هذا الطلب الباهظ وقطعت المفاوضات .

وفى أبريل من سنة ١٨٢٨ وصلت فرقاطتان نابوليتانيتان هما « لاسيرينا » و « La Sirena » وإيزابيلا Isabella إلى طرابلس وسأل قائدهما الباشا عن طريق القنصل ، عما إذا كان يصر على طلب دفع مبلغ مقابل تجديد معاهدة أبريل سنة ١٨١٦ . وعندئذ طلب يوسف سواء لكسب الوقت أو للتأكد من نية حكومة نأبى ، أن يُقدِّم له الطلب كتابة وأُقلع قائدا السفينتين إلى نأبى دون الوصول إلى عقد أو اتفاق^(١) . وعندئذ قررت حكومة نأبى استخدام القوة ، وسرعان ما تم اعداد القطع البحرية والسفن الخفيفة اللازمة لتغذ القنابل ، ووضعت تحت إمرة قائد البارجة المدعو « الفونسو سوزى كارافا Alfonso Sozi Carafa » وكانت تتألف من ثلاث فرقاطات هي « لاسيرينا » التى عقد لواؤها لسوزى كارافا ثم « إيزابيلا » و « كريستينا » اللتين كان يتولى قيادتهما « رافاييلو دا كوزا » Raffaele De Cosa و « سافيريو جاروفالو » Saverio Garofalo ثم الطراد « الأمير كارلو » بقيادة قائد الفرقاطة « فينسزو ليتيري » Vincenzo Lettieri والزورق Lampo^(٢) بقيادة الملازم البحرى « أوكنافيو كاراتشولودى » توركيارولو Ottavio Caracciolo de Torichiarulo و من سفينتين صغيرتين

(١) مراسلات قنصلية توسكانا فى طرابلس ، الخطاب رقم ٩ ، بتاريخ ٢٥ أكتوبر سنة ١٨٢٦ .

(٢) مراسلات قنصلية مملكة سردينيا فى طرابلس مع وزارة البحرية والبحرية ورئيس الأدميرال — الخطاب رقم ٤٦ ، بتاريخ ١٦ يونية سنة ١٨٢٨ — مراسلاتها مع وزارة الخارجية — الخطاب رقم ١٠١ ، بتاريخ ٨ يونية سنة ١٨٢٨ — مراسلات قنصلية توسكانا فى طرابلس — الخطاب رقم ٥٩ ، بتاريخ ١٦ أبريل سنة ١٨٢٨ .

(٣) أى البرق

هما ، ترثارو Tartaro ، و « ليو ليوني Leone » ، فضلا عن أربع مدمرات وثمانية قوارب من حاملات المدافع بقيادة « فريديريكور و برقي Frederico Robeni »^(١) ، وعندما وصلت إلى طرابلس أخبار استعداد أسطول نابلي للإبحار إلى طرابلس ، أسرع الباشا بالاستعداد للحرب ، وكان الأوربيون مقتنعين كل الاقتناع بأن الباشا سيضطر للخضوع نظراً لسوء حالة بحريته وعدم وجود الوسائل اللازمة للدفاع لديه ، ولكن الأمور سارت على عكس ذلك تماماً .

إذ أنه عند ما وصل الأسطول إلى مياه طرابلس ، رجاء قائده عن طريق قنصل نابولي « كروشلو Crocillo » الذي صعد على ظهر السفينة لتلقي التعليمات ، رجاء وارانجتون قنصل انجلترا للتدخل لتسوية المسألة ، وقبل « وارانجتون » هذه الدعوة وتوجه مباشرة إلى القلعة ، واستمرت المفاوضات طويلاً اليوم ، ولكن لم يكن من المستطاع الوصول إلى أية تسوية ، إذ أصر الباشا على أخذ مبلغ من المال لإرضاء رجال الديوان ، وضباط الحكومة الآخرين ، ورفض القائد سوزا كارافا Soza Carafa دفع أى شئ .

وفي اليوم التالي فشلت محاولة أخيرة قام بها وارانجتون للوصول إلى الاتفاق عندما ذهب لهذا الغرض إلى العرقاطة « لاسيرينا » ، وعندئذ أنزل علم نابلي من فوق القنصلية ، وصعد القنصل « كروشلو Crocillo » على ظهر الأسطول الذي استعد للقتال .

وحوالى الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر بدأ قذف المدينة بالفتايل ولم يكن لذلك الضرب أثر بعد المسافة التي كان الأسطول يطلق قنابله منها . وفي يومى ٢٤ و ٢٥ من أغسطس لم يحاول الأسطول ضرب المدينة نظراً لسوء حالة البحر .

(١) راجع في كل ما يتعلق بأعداد الخطة « ج . بلادينو » في مجلة البحرية التايوانية على طرابلس « السالف الذكر » .

(٢) مراسلات قنصلية توسكانا في طرابلس — الخطاب رقم ٦٦ ، بتاريخ ٨ أغسطس

وفي يوم ٢٦ استأنفت القوارب حاملة المدافع ضرب المدينة بمنتهى الشدة ، وبادلتها حصون المدينة الضرب ، تلك الحصون التي عززت بعد حملة سردينيا في سنة ١٨٢٥ ، والتي كانت تضم مائتين وخمسين مدفعاً نصفها من عيار كبير

لم يكن لضرب المدافع في ذلك اليوم وفي الأيام التالية أى أثر ، وكل ما حدث أن السفينة « إيزابيلا » تقدمت إلى الأمام ، وردت هجوماً عنيفاً قامت به القوارب الطرابلية بنجاح ، وأخيراً انسحب الأسطول في ليلة ٢٨ - ٢٩ أغسطس^(١).

وما كاد أسطول نابلي يقلع حتى أخرج الباشا سبع سفن للزور على التوالي لمطاردة سفن نابلي^(٢) ، وكانت حكومة نابلي قد قررت بقاء أسطولها لحمايتها ، وبمكنت السفينة « كريستينا » و « الفرطاطه » لإسرائيل والسفينة « الأمير كارلو » من الاستيلاء على سفينتين من سفن المغامرین الطرابليين ، ولكنها لم تستطع منع ثمانية سفن نابوليتانية صغيرة من الوقوع في أيدي المغامرین الطرابليين الذين أخذوها إلى ميناء طرابلس^(٣).

وعندما قبلت حكومة نابلي لجأه وساطة فرنسا ، عن طريق الدوق de Blacas سفيرها هناك - استأنف روسو الفصل الفرنسي في طرابلس المفاوضات مع الباشا ووصل إلى نتيجة ، إذ تعهد ملك نابلي بدفع عشرين ألف قرش وقبيل أن تصبح الغنائم التي تم الاستيلاء عليها حتى يوم ٢٢

(١) مراسلات نصليّة توسكانا في طرابلس - الخطاب رقم ٦٨ ، بتاريخ ٢ سبتمبر سنة ١٨٢٨ ومراسلات نصليّة مملكة سردينيا العامة في طرابلس مع وزارة الخارجية - الخطاب رقم ١١ ، بتاريخ أول سبتمبر سنة ١٨٢٨ - ولعركة تفاسيل أوسم - راجع ر - ميكانيكي في « أعمال الثامرين الطرابليين الأخيرة » المصنف المذكور .

(٢) مراسلات نصليّة توسكانا في طرابلس - خطاب رقم ٦٧ ، بتاريخ ٢ سبتمبر سنة ١٨٢٨ .

(٣) مراسلات نصليّة توسكانا في طرابلس - الخطاب رقم ٧٠ ، بتاريخ ٢٨ أكتوبر سنة ١٨٢٨ .

اكتوبر من حق الباشا ، أما النذائم التي تم الاستيلاء عليها بعد ذلك فتزد مقابل إعادة سفينة الغزو التي أسرت .

وفي صباح يوم ١٨ أكتوبر رفع علم حكومة صاحب الجلالة ملك الصقليتين فوق مقر القنصلية في طرابلس ، وحينه حصون المدينة بإطلاق ثلاث وثلاثين طلقة^(١).

وفي شهر يناير التالي أبحر قنصل نابلي الجديد السيد « دي مارتينو De martino » إلى طرابلس .

طلب غراندوق توسكانا من روسو في المفاوضات التي تمت بين ملك الصقليتين والباشا التوسط لحل الخلافات الخاصة بالهدايا المطلوبة عند تعيين كل قنصل ، وكان « روسو » عند حسن ظنه إذ حمل الباشا على أن يتنازل في المستقبل عن أية هدية من توسكانا في مقابل دفع مبلغ إجمالي قدره ستون ألف قرش دفعة واحدة .

كانت هذه هي أعمال الغزو الطرابلسية الأخيرة التي حاول المغامرون البونابونيون أن يرثوها مدة من الزمن ، ولكن انجلترا وجهت إليهم حملة منظمة لمطاردتهم ، وطهرت مهم البحر تطهيراً تاماً .

وفي السنة التالية وضع استيلاء فرنسا على الجزائر حداً نهائياً لمغامرات دول المغرب في البحر المتوسط .

(١) انظر « . لادينو في « أعمال البحرية البونابونية الأخيرة في طرابلس » المؤلف المذكور من ٨٠٩ وما يليها .

(٢) مراسلات قنصلية توسكانا في طرابلس — المصاحف رقم ٨٠ ، بتاريخ ١٦ مارس سنة ١٨٢٩ .

الفصل السابع

السنوات الأخيرة

من حكم يوسف القماني

انتزعت نهاية حروب الذو والمغامرة من يد يوسف أم مصدر من مصادر إراداته وأقصت كذلك من سلطانه وقوده .

قد كان الدخل السنوي لحكومة نيابة طرابلس الغرب لا يزيد على خمسمائة وخمسين ألف قرش ، وكان يوسف يستهلك ثلثي هذا المبلغ في الإفاق على بلاط موفى بعض أعمال البر ، حتى أنه لم يكن يبق لدفع مرتبات الجيش وصيانة التحصينات وللخيرات أو بالأحرى لأعمال الحكومة سوى مبلغ ١٨٣ر٠٠٠ قرش ^(١) وهو مبلغ غير كاف بالمرة .

(٢) ولما كان الدخل متواضعاً إلى هذا الحد ، فإن الأحوال الاقتصادية في البلاد كانت تزداد سوءاً عاماً بعد عام . (وظهرت علامات الانحطاط والتدهور منذ أواخر القرن الثامن عشر مثل نقص التجارة وهبوط العملة ، حتى أظهرت الغرفة التجارية في مرسيليا أنه ليس من الممكن إنشاء مؤسسات نافعة ومثمرة في بلد تتغير عملته باستمرار حسب هوى الأمير

(١) خطاب التتميل «م» بتاريخ أول يوليو سنة ١٨٢٠ — وحسب الأخبار التي جها «م» وأبلغنا في ذلك الخطاب إلى حكومته ، كان الباشا يحصل سنوياً من ضرائب زان على ٥٠٠٠٠ قرش ومن خداس على ٣٠٠٠ ومن زواره على ١٠٠٠٠ ، ومن أوجه على ٥٠٠٠ ، ومن بنغازي ودره على ٥٠٠٠٠٠ ومن القتب من العادن على ١٥٠٠٠٠ ، ومن ضرائب الأبار والتبخل وأشجار القواكه على ١٠٠٠٠٠٠ ، ومن الرسوم الجركية على ٥٠٠٠٠٠ ، ومن الضرائب على المبرويات الروحية على ١٥٠٠٠٠ ، ومن الضرائب على اليهود ١٠٠٠٠٠ ، ومن المبالغ التي كانت تدفعها له كل من السود والاندالوس ومولده كان يحصل على مبلغ ١٨٥٠٠٠ ، ومن إيرادات مزارات الأسرة القرماقية على ٤٠٠٠٠ قرش .

وحاجته إلى المال^١ وحدث تحسن ملحوظ في السنوات الأولى من حكم يوسف ، عند ما حلت إيرادات الغزو الوفيرة وما دفعته الدول الصغرى من مبالغ كبيرة ، وتصدير المواشى والغلال فنوين مألوفة ، الخير والبركة والازدهار ، لا إلى الباشا ورجاله وحدهما ، بل لكل سكان طرابلس .

وكان لابد لمثل هذا التحسن الناتج عن أحوال سياسية غير عادية ، أن يتوقف ويمتنع بامتناع هذه الأحوال ، فقد قام يوسف الذى لم يكن يتوقع حدوث تغيير أساسى فى السياسة التى تنتهجها الدول الأوروبية الكبرى فى البحر المتوسط وتأنج ذلك بالنسبة له قام ببذير ثروته فى شئ كثير من الإسراف .

فقد اتبع طريقة الحكم التى سار عليها أسلافه القرمانليون ، والتى كانت سائدة أيضاً فى دول نيابات الغرب الأخرى ، فلم يعمل شيئاً لاستثمار موارد البلاد ، أو يحاول أن يجد فيها مصادر جديدة للإيراد ، ولذلك اضطر إلى زيادة الضغط على السكان لمواجهة الاحتياجات وإلى الالتجاء إلى اجرامات أفقدته ما كان له من شعبية فى الماضى .

(فأهملت الزراعة التى كانت تفتح فى سنوات المحصولات الخصب ما يلزم للاستهلاك المحلى ، كما لم يكن بتنمية الثروة الحيوانية التى كان من الممكن أن تقدم له عدداً كبيراً من رؤوس الماشية للتصدير إلى الخارج . واضمحلت التجارة البحرية بسبب عدم وجود أى ضمان للملاحة .)

(وكذلك كان حال التجارة الداخلية مع بلاد إفريقية الوسطى حيث كانت طرق القوافل تربط طرابلس بوادى وبورنو وجميع بلاد

(١) راجع P. Masson ، فى تاريخ المؤسسات التجارية الفرنسية فى إفريقية ، باريس ، مطبعة عاشيت سنة ١٩٠٣ - ٦١٠ - راجع فى كل ما يتعلق بشئون التجارة ج . شيبينو G. Cimino ، إدارة سك النقود فى طرابلس الغرب تحت الحكم المائى ، فى مجرعة الأخبار الأثرية التى تنشرها وزارة للتصريات - الجزء الثالث سنة ١٩٢٢ ، ص ١١٥ وما يليها - وإدارة سك النقود فى طرابلس الغرب فى العهد القرمانلى فى مجلة النقود الإيطالية فى سنها التاسعة واليصرين (١٩١٦) رقم ٤ .

«سودانيين الغربى والشرقى»^(١) عن طريق غدامس وفزان .

وكان تجار فزان وغدامس يصلون غالباً إلى طرابلس في فبراير من كل عام ، حيث يحضرون معهم التبر وريش النعام والعاج والسانيكى والشبه والعيد خاصة^(٢) ، ويأخذون منها الأقمشة القطنية البيضاء والملونة والأقمشة الحريرية والصوفية والجوخ والاحرمة والسجاجيد والأسلحة النارية والأسلحة البيضاء والزجاج الملون . الخ . وكان يتم استيراد معظم هذه البضائع عن طريق السفن التى كانت تحمل الأعلام الأجنبية ، وعلى الأخص السفن الفرنسية والتوسكانية بينما اقتصرَت التجارة البحرية الطرابلسية على التعامل مع جزيرة جربة ، والموانئ الشرقية فى البلاد .

ولما كانت التجارة الداخلية قد أخذت تفقد أهميتها عاماً بعد عام ، بسبب تعدد ثورات البلاد الداخلية التى كانت تهدد طرق القوافل ، فإن المنتجات التى كان يجرى الانحار بها بدأت تتحول إلى موانئ تونس بدلاً من ميناء طرابلس ، أما التجارة مع الخارج فقد كانت تمرقها طريقة الاحتكار التى استعملها الباشا وأسرف فيها منذ سنة ١٨١٥ ، أكثر مما كانت تمرقها الرسوم الجمركية التى كانت لاتتعدى ٣٪ من قيمة ثمن البضاعة^(٣) .

والواقع أنه منذ تلك السنة بدأ الباشا يمنح بعض الأفراد ، أو يحتفظ لنفسه بحق شراء وبيع الحبوب ، والمصنوعات البدوية سواء الواردة منها أو المصادرة . وقد احتفظ لنفسه ببيع الأصناف التى تؤول إليه بالنور أو بوضع اليد ، أو بالضرائب أو بالمصادرة ، كما احتفظ لنفسه أيضاً بحق شراء الأسلحة والذخائر وكل ما يلزم لبلاطه . وبينما كان الباشا يطلب ثمن ما يبيعه نقداً ، كان يستدين ثمن الأشياء المستوردة ، ويؤخر موعد الدفع إلى آجال بعيدة ، أو يشتريها بموجب بطاقات يدفعها المتعهدون

(١) انظر « جرابرج دى مسو Gräberg de Homsو » الكتاب السالف -
الذكر ، ص ٩٦ ، وروحة « الشيخ محمد بن عمر التونسى إلى وادى » باريس « بران » ١٨٥١ سنة
ص ٤٤٩ ، ٥٥٧ .

(٢) انظر جرابرج دى مسو الكتاب السالف اذكر ص ٨١ .

(٣) خطاب القنصل « مير » بتاريخ ١٢ مايو سنة ١٨٧٠ .

أو مديرو الدخولية في المناطق الساحلية^(١) . وكانت هذه الطريقة لا تعرقل التجارة عرقلة كبيرة طالما كانت الأحوال الاقتصادية في البلاد طيبة ، لأن موعد استحقاق الدفع كان لا يتأخر أكثر من شهرين أو ثلاثة أشهر ، ولكن عندما أصبحت أموال الحكومة لا تفي بسد احتياجاتها أصبحت التجارة الخارجية والداخلية في حكم العدم . ولم يكن الرخ الكبير الذي كان يبلغ ٦٠ أو ١٠٠٪ أو أكثر من ثمن الشراء ، والذي كان يحصل عليه التجار الأوروبيون والوطنيون يجعلهم يقبلون على الإنجار مع الباشا الذي كان يضطر دائماً بسبب الضيق المالي للاستفادة من بيع إيرادات الإقليم مقدماً لعدة سنوات قادمة ، ولهذا فقدت البطاقات (التذاكر)^(٢) التي كان يمكن قبولها في الماضي على أنها نوع من التقدير الجارية ، فقدت كل قيمتها وأصبحت موضع مضاربات مرهقة للدولة ، ومضامرة لمن يقامر بالدخول فيها . وقد ازداد خطر هبوط العملة بسبب الصعوبات المالية مما أضرب بالتجارة ضرراً كبيراً^(٣) فلم تكن

(١) خطاب القنصل « مير » بتاريخ ٣٠ سبتمبر سنة ١٨٢٢ .

(٢) هذه البطاقات شبيهة بما لجأ إليه إسمايل القنصل في عهد الخديو إسمايل إذ بلغ من إرباكه المالية المصرية أن الحكومة كانت تمنح موظفيها حوالات بقيمة مرتباتهم ، وكانوا يطولون منها قضاة وباشا القصر الذين كانوا يذهبون إلى المالية لقضائهم قيمتها أو بيعونها بأقل من قيمتها - وفي ذلك قال أحد أديبه ذلك العصر متهمكاً :

لبس في البيع والمساولة خبر إنما الخبر حاصل في القود

قد أضرت بنا الحوالات حتى أحوجتنا إلى وجوه اليهود

(الراجح)

(٣) في بداية القرن التاسع عشر كانت العملة الأكثر شيوعاً هي « الخمين » الفضية وكانت كل ٢٦ « خمين » تعادل في ذلك الوقت قرشاً أسبانياً .

أما العملة النحاسية فكانت « الشرين » الذي كان يساوي ٤٨ « خمين » وانصف « شرين » والخبوب الطرابلسي الذي كان يساوي ٢٨ « خمين » وأما العملة الفضية فما عدا الخمين الباقية فكانت البوزليج Yuzlib الذي كان يساوي ١٠ « خمين » وتركوا الخمين Tesant الذي كان يساوي ٩ « خمين » ونصف والبارا التي كانت كل ١٢ ونصف منها تعادل « خمين » - راجع « رحلة على بك الصبسي » المؤلف المذكور - جزء ٢ من ١٦٧ وما يليها ، ويضاف إلى هذه العملات كما يذكر سيمينو Cemineo القرش للسك أو القرش الذي يساوي ٤٠ بارة ، وهناك عملات أخرى سكّت في عهد يوسف باشا ، مثل العملة التي يطلق عليها اسم البناسك bubnasc الذي يساوي ٢٤ « خمين » والعملة التي سكّت في أواخر عهد الخديوي القرماعلي للسلطنة « عادية » و « الأسليج » elilb وهذه الأخيرة ليست من فضة ولكنها من نحاس مخفض ، أما العملة الخفيفة التي كان لها اعتبارها فهي « القرش » =

العملة تسك بطريقة محددة ولكنها كانت تتغير حسب مقتضيات الظروف ، وكانت العملة الذهبية تستمر طويلا دون تغيير ، وكانت تصنع حتى أوائل سنوات حكم يوسف من عيار ٢٢ قيراطا ، ثم أخذت تقل عن ذلك ، حتى أن المحبوب المسكوك في سنة ١٨٢٠ انحط وأصبح يصنع من عيار ثمانية^(١) قيراط . وقد حدث مثل ذلك بالنسبة للعملة الفضية ، إذ أن أنواع العملة الفضية في سنة ٨٠٥ كانت من نحاس مفضض ومن عيار منخفض ، وكانت البارة المتداولة مصنوعة من الفضة الخالصة ومع أن وزنها كان مساويا لوزن البارة مصنوعة من النحاس المفضض ، إلا أن قيمتها كانت مساوية^(٢) لها ، وجملة القول كانت طريقة سك نقود فضية من عيار منخفض ، وتداولها بنفس قيمة العملة المصنوعة من الفضة الخالصة ، طريقة شائعة لدى أمراء إفريقيا الشمالية ، وعلى الأخص سلاطين مراکش ، وكانت تؤدي هذه الطريقة التي تتأثر بالأحوال الاقتصادية المعاصرة إلى تغيير النقود باستمرار ، وسحب العملات المتداولة ، وقد تعددت عملات يوسف وتغيرت أشكالها حتى يمكن القول بأن أشكالها كانت تتغير كل سنتين أو ثلاثة^(٣) .

== وهو خلاف القرش الملكي ، وكانت تندر العملة الأجنبية المتداولة في طرابلس على أساسه ، وبعد سنة ١٨٢٠ حسب الجدول الذي قدمه لنا « شيمسو » كان القرش الملكي يساوي ٩٠٠٠ قرش عادي ، ولا كانت قيمة القرش الملكي تبطل بالنسبة للعملات الأجنبية ، فإن هذه العملات كانت تزداد قيمتها إلى عدد كبير جدا من الفروش العادية .
وقد كان عملة البرزو *Pezzo* الأسبانية التي كانت تعادل في سنة ١٨٢١ سبعة فروش ملكية ونصف أي ما يعادل ٤٠٠٠ قرش عادي ، أصبحت تعادل في شهر يوليو سنة ١٩٢٥ سبعة قرشا ملكيا أي ٥٠٠٠ قرش عادي ، وبعد سنة كانت تساوي ٢٢٥ قرش ملكي أو ٢٢٥٠٠ قرش عادي — واجم *Cimeno* في دار سك النقود في طرابلس القرب في عهد الثمانين السالف الذكر .

(١) واجم ج ، شيمسو دار سك النقود في طرابلس القرب في العهد القرمانلي — الترجيم السابق الذكر .

(٢) رسة على بنك الباسي السالف الذكر — جزء ٢ ص ١٦٧ .

(وفي أواخر أيام حكم يوسف ، كانت تسلك نفوذ من أنواع جديدة كل بضعة أشهر . وكان يلجأ الباشا الى توقيع عقوبات صارمة وشديدة جداً لفرض تداول العملة ، وعقاب كل من يرفض قبولها بقيمتها الرسمية ، فإذا كان مسلماً كانت تقطع يده وقدمه وتصادر أملاكه ، وإذا كان يهودياً كان يحكم عليه بالموت شفاً ، وإذا كان مسيحياً مشمولاً بحماية قنصل دولته ، كان ينفي من بلاد نيابة طرابلس الغرب .

وقد حاول يوسف لتثبيت تداول العملة في سنة ١٨٢٨ أن يتقاضى سلفة مقدارها مائة ألف كرونة أجنبية من ملك سردينيا^(١) ولكن دون جدوى . واشتدت الأزمة في السنوات التالية . وزاد في شدتها احتكار الباشا للتجارة المحلية إذ كان يطالب بشراء منتجات البلاد والمنتجات المستوردة من الداخل ويدفع ثمنها بالعملة المحلية بقيمتها الرسمية ثم يبيعها ثانية للبصيرين الأجانب بعملة الكورونة الأسبانية مما أدى إلى - روج المنتجات من الأسواق الطرابلسية واضطر يوسف للذول عن هذه السياسة فيما بعد . وصل هبوط العملة آخر مداه بعد سنة ١٨٢٨ ولم يعد التهديد بتوقيع العقوبات الصارمة كافياً لحل الأزمات على قبولها بقيمتها الرسمية .

وفي يونيو من سنة ١٨١١ رفض تاجر فاكهة يهودي اسمه يهوذا أريب Yuda Arbib بعد صدور المرسوم القاضي بحجب العملة القديمة في مدى بضعة أسابيع ، أن يبيع بضاعته قبل أن تخرج العملة الجديدة للتداول . وعندما علم يوسف بذلك ، أمر بالقبض على أريب ، وتعذيبه تعذيباً شديداً قاسياً حتى يكون مثالا وعبرة لجميع يهود المدينة ، فأمر بنجر يده من ملابسه ، وتفطية

(١) القنصل العامة لانتقرا في طرابلس — سجل المخطوطات حرف ا رقم ٢٨

(٢) مراسلات لندنية مملكة سردينيا العامة في طرابلس مع وزير الخارجية — المطالبات رقم ٦٤ و ٦٥ و ٧١ في سنة ١٨٢٨ . كان يوسف في سنة ١٨٢٤ قد حاول الحصول على سلفة قيمتها ٢٠٠,٠٠٠ قرش وتدخل القنصل وانتخبون حتى تمنحه بعض الفرككات الانجليزية هذا المبلغ . خطاب القنصل وانتخبون ، بتاريخ ٣١ يونيو سنة ١٨٢٤) ، كانت الكوروناه اسبانية تساوي -حوالي غنة لروشي (الراجح)

جسده بالعسل . وتسمير يديه وهو في هذه الحالة، بحداد الكبر، بن رعب أبناء طائفته الدينية الذين لم يجرؤوا حتى على الاحتجاج ولكن أحد الرعايا الإنجليز استطاع أن يفك وثاقه من الحائط، ويحمله إلى منزله، ثم ذهب إلى الباشا وأظهر له أن هذه الطريقة في المعاملة قد تجر عليه غضب الدول، وحصل منه على العفو عن هذا التاجر اليهودي ^(١).

وهكذا نصب كل مورد من موارد إيرادات الباشا، وزاد الطين بلة أن قافلة الحجاج الكبرى التي كانت تذهب إلى مكة وتضم آلاف من الرجال والجمال، وتمر بطرابلس منذ عهود طويلة، غيرت الطريق البري في أواخر حكم يوسف وآثرت السفر طريق البحر - ما عدا بضعة مئات من الأشخاص، استمروا في اتباع الطريق التقليدي. واضطرت الضائقة المالية الباشا إلى الضغط على رعاياه خاصة اليهود الذين شملهم في أوائل أيام حكمه بشيء كثير من الرعاية، وكانوا أغنى طبقات سكان المدينة، إذ كانت تتركز تجارة البلاد في أيديهم، وكان هؤلاء اليهود علاقة باليهود الإيطاليين، ولذلك كانوا الوسطاء لإطلاق سراح الأسرى المسيحيين وشراء حربهم، كما كانوا يسيطرون على تجارة السودان بواسطة أبناء طائفتهم في الجبل، الذين كانوا يرسلون إلى السودان جزءاً كبيراً مما كانت تحصل عليه البلاد من أعمال الغزو. كانت الثروات التي تكسبت لدى اليهود، قد جعلتهم يفقدون حزمهم، وبعد نظرهم المعروفين عنهم، فأظهروا مآم في من بذخ ورفاهية، الأمر الذي أثار شعور المسلمين ضدهم وكان المسلمون رغم كراهيتهم الشديدة لليهود، مضطرين للخضوع لهم لسيطرتهم على الشئون التجارية. وقد أثار أحد الشيوخ المراهطين الوافدين من وادى، ضدهم طبقات الرعاة من سكان المدينة، وأصدر الباشا بفضض الله إذ لم يفرض عليهم إرتداء زي خاص يميزهم عن المسلمين، واضطر يوسف رغم ما عتاز به من روح التسامح، وعدم التعصب، إلى إيجاب رقبة هذا المراهط،

(١) راجع N. Solouch في « طرابلس تحت حكم القرمانيين » المنشور بمجلة العالم الإسلامي العدد ٦، سنة ١٩٠٨ هـ ص ٢٢٢ و ٢٢٣.

فأمر بأن يمتنع اليهود منذ ذلك الوقت فصاعداً عن إرتداء الملابس الفخمة - ثم ازداد تعصب المسلمين ضد اليهود لزيادة كبيراً ، وأخذت تتناقص الرعاية التي كان يشملهم بها يوسف في أوائل أيام حكمه يوماً بعد يوم . أصبحت الطائفة اليهودية التي كانت مثقلة بكثير من الواجبات والقروض مثل الجزية الشخصية وتوريد بعض الأصناف إلى البلاط مثل الشحم والعطور وأدوات الزينة وغيره خلاف الهدايا التي كانت تقدم لكبار الموظفين في الأعياد الإسلامية ، قد أصبحت ملزمة أيضاً بدفع ٣٥٠٠٠ ليرة ، وفضلاً عن ذلك كله ، اتخذ الباشا اجراءات شديدة ضدهم وأمر باعتبار جميع العقارات والأماكن التي لا توجد لها عقود مكتوبة من أملاك الدولة . وكانت تمثل خطورة هذا الإجراء ، في أنه وفقاً لنظام اليهود الربائين (الهازاكا) وأن من يسكن بيتاً مدة تزيد على ثلاث سنوات دون أن يجد معارضة من صاحبه يصبح مالكاً له .

وقد أدى هذا الإجراء إلى مصادرات على نطاق واسع ، فلجأ اليهود إلى مخفيات الحريم ، وطلبوا من التدخل في الأمر ، ولكن دون جدوى - لأن يوسف أصر على اتخاذ هذا الإجراء لشدة حاجته إلى المال . وقد فرضت ضرائب جديدة لم يسلم منها حتى المسلمين الذين كانت قد فرضت عليهم منذ سنة ١٨٠٧ ضريبة سنوية على جميع النخيل دون استثناء الأشجار الصغيرة والحديثة العهد بالغرس ، التي كانت تعفى في الماضي منها .

وقد أدت هذه الضرائب والغرامات المستمرة وطريقة تحصيلها المرهقة إلى يأس السكان لأنهم كانوا يطالبونهم لا يدفعون ما عليهم بسهولة .

وزادت مؤامرات القصر وانتشار الأمراض المعدية والاضطرابات والفتن من متاعب الباشا .

كان ليوسف سبعة أبناء - ثلاثة من أم يضاء وهم محمد وأحمد وعلي ، وأربعة من أم زنجية وهم إبراهيم ومصطفى وعثمان وعموره - وكانت

العلاقات بين الأب وأبنائه وبين الإخوة متوترة للغاية ، فكان لا يتق بعضهم في البعض الآخر - وكان الأب لا يجزؤ في أى ظرف من الظروف على رؤية أولاده دون أن يكون محاطاً بحراسه ، كما كان الإخوة لا يتحدث بعضهم إلى البعض دون أن يكون خلف كل منهم عدد من الرجال المسلحين^(١).
ثار نجل الباشا الأول ضده ولكنه هزم واضطر إلى الالتجاء إلى مصر ، وعين ابنه الثانى أحمد فى منصب ، بك ، وأخذ هذا الأمير الذى قام بقتل زوجته^(٢) فى أكتوبر سنة ١٨٢٦ يتآمر على عزل والده وقسّله هو وجميع المسيحيين الموجودين فى البلاد ، ولكن هذه المؤامرة اكتشفت ، واكتفى يوسف سواء لمجره ، أو لآى سبب آخر ، بمعاينة ابنه بعزله من منصب السيكرية وتعيين ابنه الثالث على^(٣).

وحوالى هذه الفترة فنك طاعون شديد فتكا ذريعاً بأهالى العجيلات ، وناجوراه^(٤) ، وثار ت قبائل الجبل ، فسار على لإخضاعها ، وأتلف أراضيها ، واستولى على ماشيتها واستقبل عند عودته إلى طرابلس استقبال من أحرز نصراً ميئاً^(٥).

ولم يمض وقت طويل حتى مات أحمد ، وتوفى نجله البكر فى مصر حيث كان لاجئاً بها^(٦).

(١) مراسلات قنصلية مملكة سردينيا العامة فى طرابلس مع وزارة الخارجية المصناب

وتم ٢٦ بتاريخ ٤ نوفمبر سنة ١٨٢٦

(٢) خطاب القنصل وارنجون بتاريخ ٢٧ مايو سنة ١٨٢٦

(٣) مراسلات قنصلية مملكة سردينيا العامة فى طرابلس - المصناب وتم ٨ ، بتاريخ ١٨ أكتوبر

سنة ١٨٢٦ ، وخطاب القنصل وارنجون بتاريخ ١٨ أكتوبر سنة ١٨٢٦ .

(٤) مراسلات قنصلية مملكة سردينيا العامة فى طرابلس - المصناب وتم ٦ ، بتاريخ ٣٠ سبتمبر

سنة ١٨٢٦ .

(٥) مراسلات قنصلية مملكة سردينيا العامة فى طرابلس مع وزارة الخارجية - المصناب

وتم ٥٨ بتاريخ ١٥ مايو ١٨٢٧

(٦) مراسلات قنصلية مملكة سردينيا العامة فى طرابلس مع وزارة الخارجية المصناب

وتم ٩٩ ، بتاريخ ١٥ مايو ١٨٢٨ ، وخطاب القنصل روسو بتاريخ ١٩ يونيو سنة ١٨٢٨

أخذت سلطة يوسف وهيبته تتناقص يوماً بعد يوم ، حتى في أوساط البلاط ، إذ أثير إسراره في تعاظم المشروبات الروحية ، ومداومة النساء على ذكائه وقواه العقلية^(١) ، وأصبح عاجزاً عن الحركة والكلام ، غير أنه كان يشعر بعودة الشباب والهمة إليه عند ما كان يقع حادث شديد يمس كرامته أو مصالحه ولم تعد تظهر فيه تلك المهارة التي عرف كيف يقاوم بها مطالب ممثلي فرنسا وانجلترا عندما كان يوم كلا منهما بالانحياز إليه ورعاية مصالحه ، ويستفيد من ذلك فوائد جمة .

وقد أدى عجزه عن مقاومة الضغط ، والوقوف في وجه التهديدات إلى الخضوع لمن كان يراه أكثر قوة .

ويمكننا أن نقف على الأسباب التي أدت إلى سقوط الأسرة الفرمانية من موقف الباشا الذي وقفه إزاء نزاع كبير قام بين القنصل الإنجليزي « وارينجتون » ، والقنصل الفرنسي « روسو » .

كان الخلاف بين قنصل فرنسا وقنصل إنجلترا في طرابلس خلافاً قديماً العهد ولم يتناقص هذا النزاع حتى في الفترات التي كانت فيها الدولتان في سلام . وكان هذا الخلاف يرجع إلى أسباب ذات صفة عامة - اقتصادية وسياسية - كان يشتد أحياناً بتأثير مصلحة القنصلين الشخصية وطبيعتها ، كما حدث بنوع خاص بين روسو قنصل فرنسا ووارنجتون قنصل إنجلترا الذي نجح بكبريائه وعجرفته وحمته وحزمه في الحصول على الأسبقية على قناصل الدول الأخرى وسيطر على يوسف حتى كان يقال عنه إنه هو الباشا الحقيقي^(٢) .

ولكن الأحوال تغيرت بعد وصول « روسو » الذي لم يكن يقل أهمية أو تغيرة على مصالح بلاده من وارينجتون . وقد حاول روسو بكل وسيلة إعادة المركز الممتاز الذي كانت تتمتع به فرنسا في الماضي في نياحة طرابلس الغرب .

(١) خطاب قنصل فرنسا العام في طرابلس الديوشون : بتاريخ ١٥ أفريل سنة ١٨٢١

(٢) خطاب القنصل وارينجتون بتاريخ ١٧ يوليو سنة ١٨٢٦ .

(م ١٢ - طرابلس الغرب)

ولما كان لا يثق بعبارات الصداقة التي كان يصرح بها الباشا كثيراً ، فإنه أخذ يعمل على اكتساب صداقة كبير الوزراء الحاج محمد شلبي بيت المال الذي كان رجلاً كبير السلطة واسع النفوذ ، لاسبب المنصب الذي يتولاه بحسب ، بل لأنه كان زعيماً لجماعات القولوغلية التي كانت أقوى سند في كل وقت للأسرة القرمانلية^(١) ، ونجح فيما كان يرمى إليه حتى أطلق على شلبي ، اسم محامي الفرنسيين^(٢) .

أما وارنجتون فإنه كان قد ضمن تأييد حسونة الدغيس ، الذي عين وزيراً للخارجية بعد عودته إلى طرابلس إثر وفاة والده محمد الدغيس وأصبح مستشار وارنجتون وموضع ثقته .

وعندما رأى وارنجتون أن نفوذه يتضاءل على الباشا ورأى القناصل الآخرين يؤيدون روسو — بدأ يشهر عليهم حملة لم تكن دائماً صريحة أو شريفة ، فقد دلت قرآن كثيرة على أنه أوحى إلى حسونة الدغيس لبحرض الباشا على عدم الذهاب إلى قنصلية فرنسا يوم ١ نوفمبر سنة ١٨٢٦ حيث نشأ الحادث الذي سبقت الإشارة إليه^(٣) .

وما لاشك فيه أن وارنجتون أظهر قضاوته مع حسونة الدغيس حتى بعد عزله ، إذ كان يبحث معه دائماً كل مسألة تتعلق بالرعايا الإنجليز ، ولكن عندما عين شلبي وزيراً للخارجية ، أصبح عمل حسونة الدغيس لا قيمة له عند وارنجتون ولا يفيد به شيء ، بل ظهرت بعض أسباب الخلاف بينها ، وأدت

(١) راجع اسماعيل كالي في « وثائق لم تنشر عن سقوط الفرنسيين » المنشورة في مجلة المستعرات الأجنبية السنة الرابعة (سنة ١٩٣٠) العدد الأول ص ٧ وما يليها .

(٢) خطاب القنصل « روسو » بتاريخ ٣ أبريل سنة ١٨٢٧ ، وخطاب القنصل وخطاب القنصل وارنجتون بتاريخ ١٥ أبريل سنة ١٨٢٦ .

(٣) خطاب القنصل وارنجتون بتاريخ ٢٠ فبراير سنة ١٨٢٦ .

(٤) لمسح وارنجتون في مراسلاته مع حكومته إلى مسلكا الحادث ونسب عزل حسونة الدغيس إلى خلافاته مع إنجلترا — انظر خطاب القنصل وارنجتون ، بتاريخ ٢٦ نوفمبر ١٨٢٦

(٥) خطاب القنصل وارنجتون بتاريخ ٢٠ أبريل سنة ١٨٢٧ .

إلى قطع علاقات الصداقة القديمة ، واتهمه وارنجتون بالخيانة ونكران الجبل ، ثم صرح علنا بعد ذلك بقليل بشكك فيه ، إذ اتهمه هو و « روسو » بأنها ساهما فيها آل إليه أمر المكشف أ . غوردون لانج A . Gordon Laing من نهاية محزنة أدت إلى موته ، وفي ضياع الأوراق التي تركها . وكما ذكرنا سابقا ، كان وارنجتون يتحمس لجبل طرابلس قاعدة لمشروع الكشف الجغرافي في إفريقية الوسطى .

لم يكن هذا المشروع جديداً ، إذ أن « جمعية كشف أواسط إفريقية الإنجليزية » التي تأسست في سنة ١٧٨٨ م كانت قد أقرته وسافر ولهم لوكاس في شتاء عام ١٧٨٨ - ١٧٨٩ من طرابلس محاولا الوصول إلى « غامبيا » . ولكن فشل هذه المحاولة (لأن لوكاس لم يتخط حدود مصراته) ثم نهاية الدكتور « فردريك هورنمان المحزنة » الذي توجه من القاهرة إلى سيوه وأوجه ثم « مرزق » ، وتوغل في أقاليم نهر النيجر أدى إلى توقف هذا النشاط لعدة سنوات ثم استؤنف بعد ذلك في سنة ١٨١٨ بتشجيع الفصيل وارنجتون الذي استطاع الحصول من الباشا على تعهد بضمان سلامة المكشفين في أراضي نيابة طرابلس الغرب ومنحهم كل مساعدة ممكنة (١) .

أعدت بعثة للذهاب إلى واداي ، ووصل لهذا الغرض إلى طرابلس في خريف سنة ١٨١٨ الدكتور ريتشي Ritchie والكابتن ليون Lyon قبطان الأسطول الإنجليزي في البحر المتوسط ، ودي بونت De pont الملقب بمتحف التاريخ الطبيعي يباريس (٢) . وبعد انتظار دام بضعة أشهر في الاستعداد ، حدث خلاف بين ريتشي وليون وديبونت وبين رئيس البعثة الذي أبحر عائداً إلى بلاده وغادر الآخرون طرابلس مع

(١) خطاب الفصيل « ب » المؤرخ في ٣٠ ديسمبر سنة ١٨١٨ . وفيها يتعلق بالاستكشافات الجغرافية التي بدأت من طرابلس في تلك الفترة — راجع « موري انيليو » في « الكشف الجغرافي في ليبيا » التي نشرته حكومة برقة — مكتب الأبحاث « تقارير ومعلومات استخبارية » سلسلة ٢ رقم ٥ (ديسمبر سنة ١٨٢٦)

(٢) خطاب الفصيل مع بتاريخ ٢٠ فبراير سنة ١٨١٨

قافلة كبيرة مسلحة بقيادة محمد المكنى «يك» ، فزان ووصلوا إلى مرزق وتوفي بها ريتشى في ٢٠ نوفمبر سنة ١٨١٩ ، وكشف «ليون» الأراضي الواقعة جنوب تلك المدينة ثم عاد في شهر مارس التالى إلى طرابلس وأبحر إلى إنجلترا^(١) .

ورغم أن وارجنون قد وجه أشد التأنيب إلى الباشا بسبب هذا الفضل الذى أرجعه إلى مسلك «محمد المكنى» ، نحو الرحالتين ، فإنه كتب إلى حكومته بما يخالف ذلك ، فأعدت بعثتين أخريتين ، وكلفت إحداهما القيام بمسح سواحل سرت وبرقه ودراسة آثار هذا الإقليم الأخير ، أما الثانية فكانت مهمتها كشف بلاد السودان .

وقد وصل القومندان «وليم هـ. سميت» ، والأخوان يتشى Berchey الذين كلفوا بالمهمة الأولى إلى طرابلس في سبتمبر سنة ١٨٢١ وغادروها بعد استعدادات شاقة في شهر نوفمبر متجهين نحو الشرق وقد سافر «سميت» على السفينة «ادفنشر Adventure» ، التى كان يقودها ، وسافر الأخوان يتشى بالطريق^(٢) البرى وبعد سفر سميت بقليل حضر إلى طرابلس أعضاء البعثة الثانية وهم الدكتور «والتر أودنى» Walter Oudney ، والكابتن «أوج كلاپرتون» Og klaperton ، و «الميجور دانهام ديكستون» Denham Dikston ، وبقوا بها بضعة أشهر لإعداد الرحلة .

وفى هذه المناسبة كانت مساعدة يوسف لهم ذات قيمة عظيمة ، أداها لهم نظير مبلغ ١٠٠٠٠ قرش تقداً مع الرعد بدفع مثل هذا المبلغ

(١) خطاب الفصل مير جاريخ ٢٠ أبريل سنة ١٨٢٢

(٢) و. ف. يتشى ، هـ. و. يتشى «إجراءات بعثة كشف شاطئ» لمدرية الدبال من طرابلس شرقاً في سنة ١٨٢١ — ١٨٢٢ ، لندن ، موزلى سنة ١٨٢٨ . وخطاب الفصل «مير» بتاريخ ٢٤ سبتمبر سنة ١٨٢١ و ١٠ مارس سنة ١٨٢٢ . وما يتفق القدر أن الحكومة الفرنسية كانت قد أرسلت قبل ذلك بعثة أشهر السفينة «la chevrolet» بقيادة «جاي» لدراسة مواقع المياه في خليج سرت الكبير . وقد «صل «جاي» من الباشا على أسبيلات عظيمة ، خطاب الفصل مير جاريخ ٨ مارس سنة ١٨٢١ .

بمجرد العلم بوصول القافلة إلى « بورنو » ، وفي أوائل مارس سنة ١٨٢٢ ، غادروا مدينة طرابلس متجهين نحو « مرزق » ، وقد صيهم القنصل « وارنجتون » ، لمسافة طويلة من الطريق . وكان بنوى إقامة نائب قنصل في بورنو^(١) ، ولكن دأبهم عاد إلى بلاده ليطلب تعليمات جديدة ، واعتيادات مالية أخرى ، وقد وصلت هذه التعليمات والاعتيادات عندما كان محجوزاً في المجر الصحي بمدينة مرسيليا ، فبادر بالعودة إلى طرابلس ، وحصل على حرس مكون من مائتي رجل مسلح مقابل دفع ١٠.٠٠٠ قرش نقداً ولحق برفاقه في مرزق وكانوا في أثناء ذلك قد زاروا فزان الغربية وشحات^(٢) ، وتوغلت البعثة حتى وصلت إلى بورنو وبحيرة تشاد .

وعندما توفي « أودني » في شهر يونيه سنة ١٨٢٤ عاد الآخرون ولكن لم يأت شهر يناير سنة ١٨٢٥ ، حتى عادوا مرة ثانية إلى طرابلس^(٣) . وعندما وصلت الأخبار الأولى عن النتائج السارة التي حصلت عليها البعثة ، كلف اللورد باثرست Bathurst وكيل وزارة المستعمرات الميجور أ. غوردون لاينج أحد ضباط المستعمرات الممتازين والمعروف بقيامه بمهمات جغرافية أخرى^(٤) بإتمام أعمال البعثة بكشف بلاد السودان الغربي حتى تمسكتو

(١) خطاب القنصل مير بطريخ ١٠ مارس سنة ١٨٢٢ السائب الذكر

(٢) خطاب الاتصال مير في ٢٧ سبتمبر سنة ١٨٢٢ و ١٤ سبتمبر سنة ١٨٢٣

(٣) خطابات وارنجتون في ١٢ و ١٨ أغسطس و ١٧ و ٢٩ سبتمبر و ١٩ ديسمبر سنة ١٨٢٤ — انظر دأبهم — كلبرتون في « أخبار رحلات واكتشافات في افريقية الشمالية والوسطى في سنوات ١٨٢٢ و ١٨٢٣ و ١٨٢٤ » لندن ، « موارى » سنة ١٨٢٦ . ولكن فهم المكرة التي حركت وارنجتون لإظهار هذا النشاط المجلس قد يكون من القيد الرجوع إلى خطابيه المؤرخ في ٢٩ ديسمبر سنة ١٨٢٤ ، الذي قال فيه بعد أن ذكر قرب عودة المكتشفين ، وأظهر فريباحه لشجاع البعثة ، كما لو كان نجحاً شخصياً له « يروى أن تدفيع أنه من أن الحكومة الإنجليزية قد فتحت الطريق لكشف افريقية الشمالية ، وسأخذ كل إجراء حتى لا يقوم هؤلاء المكتشفون الفرنسيون باكتشاف بلدة واحدة في داخل البلاد .

(٤) راسع قبا يتناق بالميجور أ. غوردون لاينج كتاب بويل دي ميزير Bonnel de Mexierre « في « لتاجورأ . غوردون لاينج (تومبكو سنة ١٨٣٦) باريس « لاروس ، سنة ١٩١٢ .

وبلاد النيجر ، وعندما وصل « لاينج » إلى طرابلس في مايو سنة ١٨٢٥ ربهلته وارانجتون علاقات وثيقة وتزوج من ابنته .

وفي ١٦ أغسطس - أى بعد يومين من الاحتفال بهذا الزواج ، بدأ رحلته متجهاً نحو غدامس ، بعد أن أوضح الباشا له الصعوبات والأخطار التي تعترض هذه البعثة ، وأوصى وارانجتون الباشا عليه توصية خاصة فصرح الباشا أنه لا يستطيع ضمان سلامته إذا تعدى حدود غدامس ودخل في أقاليم لا تخضع لسلطانه ، مليئة بقطاع الطرق مثل « طوارق حجار » وعهد برعايته إلى الحاج « محمد باباني » أحد تجار « غدامس » وأمدد ببعض خطابات توصية لبعض أعيان « تمبكتو » والأقاليم التي كان سيجتازها .

ووصل لاينج إلى « غدامس » دون أية صعوبة واتجه منها إلى « توات » وبعد بضعة أشهر ، لم يصل أى خبر عن الحملة وبدأت تذاع في طرابلس في أغسطس سنة ١٨٢٦ إشاعة بأن لاينج قتل^(١) ثم ظهر أن هذه الإشاعة لا أساس لها من الصحة ، وأن طوارق حجار هاجموا القافلة بعد أن بارحت توات وقتل باباني أثناء الهجوم كما جرح لاينج جرحاً بالفاً ، ولكن القافلة سار بها أحد أبناء عم باباني وهو « الحضر بن الحاج متين الغدامسى » حتى وصل إلى منزل الشيخ مختار الشنتلوى الذي قبل بفضل التوصية التي وصلته من يوسف ، استضافة لاينج عنده في منزله حتى شفى كاملاً^(٢) .

وحق ذلك الوقت كان وارانجتون يعتقد بنجاح البعثة حتى أبلغه الباشا ببعض خطابات وردت من « غدامس » تذكر أن « لاينج » بعد أن وصل إلى « تمبكتو » ، اضطر إلى الابتعاد عن أعيان المنطقة الذين أمرهم رئيس قبائل « القولا » بعدم السماح لهذا الأجنبي بالإقامة بينهم وأثناء اتجاؤه إلى « سانسيدى » في إقليم « بامبراء » اغتاله أحد الحراس الوطنيين الذي كان بجنداً^(٣)

(١) خطاب التصل روسو بتاريخ ١٩ أغسطس سنة ١٨٢٦ .

(٢) خطابات التصل وارانجتون في ١٤ و ٢٦ سبتمبر و ١٠ نوفمبر سنة ١٨٢٦ .

(٣) خطاب التصل روسو في ٥ أبريل سنة ١٨٢٧ .

لحراسته . تظاهر وارنجتون بعدم تصديق هذه الأخبار وصرح للباشا بأنه
يعدّه مسئولاً عن مصير لاينج فاحتج يوسف على هذا الإقدام ، وطلب
من القنصل الرجوع إلى تصريحاته السابقة ، وإزاء إصرار « وارنجتون »
وعدم تسامحه ، رجا الباشا القناصل الآخرين أن يعلن كل منهم في صحف
بلادهم جميع الأخبار التي وصلت حتى ذلك الوقت ، لتنوير الرأي العام
الأوروبي^(١) ، ولكي يظهر الباشا حسن نيته وافق على إرسال شخص
يقن به وارنجتون اسمه « العزوي » إلى الشيخ مختار الشتاوي لكي يتأكد
من مدى صحة خبر مقتل « لاينج » ، ولكي يحاول إذا صح الخبر - استرداد
الوثائق وبوميات الرحلة التي كان يحملها لاينج^(٢) .

وفي سبتمبر سنة ١٨٢٧ وصل خطاب من « محمد العابد الغدامسي »
الذي كان يقيم منذ زمن بعيد في « تمبكتو » به تفاصيل مستفيضة عن مصير
المكتشف الشجاع السي . الحظ^(٣) .

وقطع هذا الخطاب كل شبهة في هذا الموضوع ، ومنذ ذلك الوقت
سيطرت على وارنجتون الذي أصيب في آماله وفي أسرته ، فكرة الانتقام
للقنيل من كان يرى أنهم مسئولون عن ذلك بطريق مباشر أو غير مباشر ،
فطلب من قائد الأسطول البريطاني في البحر المتوسط أن يرسل فوراً إلى
طرابلس سفينة حربية ، وبمجرد أن وصلت هذه السفينة « إيزيس » توجه
بصحبة قائدها « توماس ستينز Thomas Steines » إلى الباشا ، وصرح له
أن من حقه أن يعتقد أن الباشا ورجاله كانوا سيئ النية ، وأنهم إذا استمروا
في هذا المسلك ستكون النتيجة وبالا عليهم^(٤) ، غير أن يوسف باشا لم يعط

(١) خطاب القنصل روسو شاروخ ٨ أبريل سنة ١٨٢٧ وخطاب القنصل وارنجتون
دارج ٢٠ من الشهر ذاته

(٢) اسماءيل كمال - « مذكرات لم نلهم ... الخ » الثالثة الذكر ص ٣ وباليها

(٣) خطاب القنصل وارنجتون في ٢٦ ديسمبر سنة ١٨٢٧

(٤) خطاب القنصل روسو في ٦ ديسمبر سنة ١٨٢٧

أهمية كبيرة لمثل هذا التهديد ، إذ حاول بكل الطرق إثبات الحقائق لأنه كان يتوقع أن يقدم وارجنتون تقريراً رسمياً عن الحادث في غير مصلحته وعند ما وصل إلى يوسف في يناير سنة ١٨٢٨ خطاب من الحكومة البريطانية تبدى فيه أسفها بعبارة شديدة لعدم اهتمامه بمسألة لاينج وكلابرتون^(١) ، وجميع الرحالة الانجليز اجمالاً ، احتج الباشا على هذا الاتهام وقرر أنه لا يمكن أن يعتبر مسئولاً عن حوادث تقع خارج حدود بلاده^(٢) .

وأثناء ذلك تصافى وارجنتون مع روسو في الشهور الأولى من سنة ١٨٢٨ ، إما لأن وارجنتون كانت قد وجهت إليه اتهامات شديدة من قناصل السويد والدانمارك وأصبح مكروهاً من زملائه الآخرين ، أو أنه كان يخشى قيام حركة ضد الأحانب على أثر موقعة « نافارينو » ، ولكنه عاد إلى النزاع مرة أخرى مع روسو ، إذ لم يستطع أن يتغاضى عن التجاح الذي أحرزهُ روسو في التوسط بين ملك الصقليتين والباشا .

وبسبب ما كان يشعر به وارجنتون من غيرة إزاء روسو ، أو لأسباب أخرى لا يمكن تحديدها ، فقد بدأ ضده حملة اقترام ووشايات ، مدعياً بأن دسائس روسو كان لها دخل في مقتل لاينج . وعند ما دعت الحكومة البريطانية وارجنتون لتفسير بعض نقاط غامضة في هذا الشأن اتهم صراحة زميله بأنه حصل على أوراق الميجور لاينج ، التي حملها الحِصْر إلى طرابلس وسلمها إلى « حصونة الدغيس » الذي سلمها بدوره إلى روسو ، وعند ما علم روسو بهذا الاتهام طلب من وارجنتون تفسيراً عن ذلك فرفض أن يجيبه إلى طلبه فأبلغ روسو وزير خارجية فرنسا « لا فيروناي La Ferronnays »

(١) بعد عودة كلابرتون من البشة التي قام بها مع « فانام » و « أودن » كقائه الحكومة البريطانية بمهمة حديثة وهي الوصول إلى بلاد النيجر ، وأن يسافر من ساحل بين Beniza إلى « نيجريا الجنوبية » وعندما وصل إلى « سوكونو » مات بها متأثراً بالهوسناريا في ١٣ أبريل سنة ١٨٢٧ وكان قد طلب من يوسف الاهتمام أيضاً بهذه البشة
(٢) نشرت الترجمة الإيطالية للخطاب في كتاب إسماعيل كمال « وثائق لم نغفر... الخ »
المسائل التي ذكرها وما يليها

بذلك ، وطلب منه اتخاذ إجراءات للدفاع عن شرفه وكرامته^(١) .

وأثناء ذلك رفع وارانجتون الأمر إلى الباشا ، واتهم حسونة الدغيس مباشرة ، كما اتهم القنصل « روسو » بطريق غير مباشر ، وطلب إجراء تحقيق دقيق للتأكد من مسئولتهما .

لم يكن لدى يوسف أى شك فى عدم صحة هذا الاتهام إذ وصله خبر من مصدر موثوق بضياح أوراق الميجور لاينج ، ذلك الخبر الذى أيده العزوى ، الرجل الذى كان محل ثقة وارانجتون ووقف الباشا فى مبدأ الأمر متردداً ، ولكنه عاد فوافق على إجراء التحقيق خوفاً من أن تنفذ الحكومة البريطانية تهديداتها ، وأمر مثله فى « غدامس » بأن يرسل الحضر وغيره ممن رافقوا لاينج فى رحلته إلى طرابلس . واستدعى حسونه الدغيس أمامه ، وحقق معه بحضور القنصل الانجليزى ، واتبع معه طرق الشدة تارة واللين تارة أخرى لملح على الموافقة على صحة الاتهام ، ولكن حسونة قُصد كل ماوجه إليه من اتهام بمنتهى القوة وأبت عليه كرامته أن يدافع عن نفسه أمام قضاة مغرضين فانسحب وخرج من القلعة إلى قصبة الولايات المتحدة خوفاً على حياته وأبحر لبلا على سفينة حربية تابعة لتلك الدولة كانت مسافرة من طرابلس .

كان وارانجتون يريد بكافة الطرق أن يحصل على تصريح يدين قنصل فرنسا ، ولذلك جعل الباشا يستدعى « محمد الدغيس » شقيق حسونة الأصغر ، ويتزع منه بالتهديد تصريحاً بأن أوراق لاينج قد حملت فعلاً إلى حسونه الدغيس الذى سلمها إلى قنصل فرنسا . وحصل وارانجتون على هذا الإقرار وعلى إقرارين من الرجلين الغدامسين اللذين كانا يرافقان لاينج ، واللذين أكدا على خلاف الآخرين ، أنهما يعرفان أن الوثائق قد حملها الحضر إلى طرابلس وسلمها إلى حسونه الدغيس ثم طلب عقد المجلس الشرعى ، فاجتمع

(١) خطاب القنصل روسو بتاريخ ٢١ يونيو سنة ١٨٢٩

برئاسة الباشا وحضره وارنجتون وقنصل هولندا ، وأقر محمد الدغيس أمامه بأقواله السابقة وقد طلب روسو من الباشا ترحية عن هذه الإهانة الملتبة ، وعندما لم يحصل عليها ، أنزل في يوم ٥ سبتمبر علم بلاده عن القنصلية ، وأبحر إلى تونس بعد أن ترك رعاية مصالح الرعايا الفرنسيين إلى قنصل أسبانيا (١) .

وقد أدى هذا الحادث إلى خلاف دبلوماسي بين فرنسا وانجلترا ، وأجرى تحقيقان ، أجرت أحدهما وزارة خارجية فرنسا ، وأجرى الثاني المكتب الاستعماري ، وقد أثبتا استحالة هذا الإتهام ، وأثبتا أن كل الحق في جانب القنصل الفرنسي روسو .

لم يكن خوف يوسف من أن تسوء علاقته مع الحكومة البريطانية في الوقت الذي كان يهدده فيه محمد علي والى مصر بالعدوان على طرابلس ، هو السبب الوحيد الذي حمله على الخضوع لمطالب وارنجتون ، فمن المعروف أن فرنسا قد اتخذت منذ سنة ١٨٢٧ الاستعدادات التحضيرية للتأمر من الإهانة التي ألحقها حسين داي الجزائر ، بالقنصل الفرنسي ديفال Deval ، وكان دروقي قنصل فرنسا العام بالاسكندرية قد أشار على وزير الخارجية الفرنسية لا فيرونيه La ferronerie ، بالاستفادة من التعاون مع محمد علي الذي يستطيع إخضاع قبائل الغرب إذا تقدم بجيش قوى عن الطريق البرى ، ولكن لا فيرونيه أمل المشروع ، وعندما تولى بولنيك رئاسة الوزارة أعاد دروقي تقديم المشروع ، ولقى منه تأييدا وكان بولنيك يريد توجيه سياسة فرنسا في البحر المتوسط نحو مصر .

كان بولنيك ، يعتقد على أثر تصريحات دروقي ، أن الشروط الواجبة التي حددها والى مصر للقيام بهذا المشروع هي الحصول على موافقة

(١) خطاب قنصل أسبانيا دون ميغيل رويث سينز Don Miguel Ruiz Sainz إلى وزير خارجية فرنسا ورسائل القنصلية العامة لبرديا ق طرابلس مع وزير الخارجية ، المخطوب رقم ١٢٩ ، تاريخ ١٥ أغسطس سنة ١٨٢٩ ، راجع اسماعيل كمال ق • وثائق لم يندرس ... الخ • السالف الذكر ص ١٠ و ١١ .

مبدئية من السلطان ، وعلى مساعدة من الحكومة الفرنسية قيمتها عشر ملايين من الفرنكات ولذلك حصل على مصادقة مجلس الوزراء والملك على المشروع كما حصل على تصريح يبدء المفاوضات التي قام بها السفير الفرنسي الجنرال جويليمينو Guilliminot ، بالقسطنطينية ، « وميمو Mimaut » القنصل العام في الاسكندرية .

وقد أبدى السلطان استعداده في بادئ الامر للوافقة على تدخل محمد علي ، ولكنه نزل بعد ذلك على الحرج التي أبداها سفير انجلترا السير روبرت غوردون ، وصرح بأن يكون التدخل مباشرة بإرسال موظف آخر إلى الجزائر هو « طاهر باه » ، بينما صرح محمد علي والى مصر من جانبه بأنه مستعد للقيام بالمشروع إذا أعطيت له أربع بوارج بحرية . وقد عرض الوزير « بوليفيك » بدلا من البوارج مبلغا كبيرا من المال ، وتهددا من جانب فرنسا لحماية محمد علي بما قد يتعرض له من اعتماد من جانب دولة أخرى مثل تركيا أو انجلترا وأرسل إليه مشروع اتفاق بهذا المعنى ، وفي نفس الوقت أبلغ الدول الأخرى بهذه المفاوضات . فأعلنت روسيا وديا أنها ترى أن المشروع غير ممكن التنفيذ ، أما النمسا وانجلترا فقد صرحتا بمعارضتهما له ، وكان مفهوما جيدا أن إعطاء نيايات الغرب إلى محمد علي معناه بالنسبة لانجلترا تثبيت النفوذ الفرنسي ولو بطريق غير مباشر على تلك الأقاليم وهذا معناه الإضرار بمركز انجلترا الممتاز في البحر المتوسط ، ذلك المركز الذي ضمنه لها استقلالها على جبل طارق ومالطة وكورفو ، ونتيجة لهذه المعارضة قدم « بوليفيك » في مارس سنة ١٨٣٠ للوزارة والملك مشروعا جديدا طلب الموافقة عليه ، وهو مشروع قيام حملة مشتركة من فرنسا ضد الجزائر ، ومن محمد علي ضد تونس وطرابلس ، ولم ينفذ المشروع في هذه المرة أيضا بسبب معارضة انجلترا التي أبلغت والى مصر أنها لا تتنظر بعين الارتياح للحملة المشتركة مع فرنسا ، وكانت الدول الصغرى قد أظهرت موافقتها على هذا المشروع لأنها قد تأثرت كثيرا من أعمال الغزو التي كانت تقوم بها الدولة

المغرية، وكانت وزارة سردينيا هي الوحيدة التي أظهرت عدم موافقتها على المشروع، وقدمت مشروعا مخالفا مؤداه ضم طرابلس إلى مصر وإعطاء الجزائر بجاعة فرسان مالطة، والاعتراف باستقلال تونس كدولة صغيرة لا أهمية لها، وكان مفهوما أن من الطبيعي أن تحتل حكومة سردينيا ذلك الإقليم^(١) بعد ذلك.

واقتشرت الإشاعات الأولى عن استعداد محمد علي للقيام بعملية على طرابلس في أواخر سنة ١٨١٧ وبدأت تتحقق عندما وصلت في يناير سنة ١٨٢٩ أنباء عن وقوع إغارات مصرية على إقليم درنه وعندما قامت في شهر سبتمبر سفينة من بنغازي تحمل إلى طرابلس أخبارا عن استعدادات عسكرية مصرية على حدود برقه^(٢).

واندهش الباشا لذلك دهشة كبيرة استغلها وارنجنون لحمله على قبول طلباته.

وعندما وصل خبر المشروع الثاني الذي قدمه بولنيك إلى الدول، وتوقع يوسف قرب هجوم مصر، استدعى المجلس العام بناية طرابلس الغرب لبحث الإجراءات اللازمة لمواجهة الموقف، فأعلن جميع الأعضاء استعدادهم للتضحية بحياتهم وأموالهم، والابتعضوا لمحمد علي، وأصدر المجلس قراراً بمقاومة كل محاولة للتفريط بالقوة.

وبعد ذلك مباشرة في يوم ١٩ مارس سافر الوزير الحاج محمد شلبي بيت المال قاصداً إلى درنه مع حرس مكون من مائتي فارس لتجنيب قوات على طول الطريق وحشدتها على الحدود الشرقية.

(١) ج. سير Serres في « السياسة التركية في إفريقيا الشمالية » في معهد ملكية يولية - باريس - جيتز سنة ١٩٢٥ ص ١٧ وما يليها - ج. دارسي Darcy فرنسا - إنجلترا - مائة سنة في مناقشة استعمارية في أفريقيا - باريس - بيان سنة ١٩٠٤ ص ٦٨ وما يليها - ف. شارل روي « فرنسا وإفريقية الشمالية قبل سنة ١٨٣٠ - مواد الفتوحات » باريس سنة ١٩٣٢ ص ٣٦٤ وما يليها - الوثائق المتعلقة بالمفاوضات مع محمد علي نشرت في كتاب « ج. دوان : محمد علي وحلّة الجزائر » القاهرة ١٩٣٠.

(٢) مراسلات قسطنطينية مع حكومة سردينيا في طرابلس من وزير الخارجية - النضاب رقم ١٢٤، تاريخ ٣ يناير. والنضاب رقم ١٤٢، تاريخ ٢٧ سبتمبر سنة ١٨٢٩.

وفي نفس الوقت أرسلت إنجلترا بناء على طلب وارنجنون سفينة إلى مالطه للحصول على أخبار أكثر دقة بالنسبة لهذا الموضوع ، ولإبلاغ موقف الحكومة البريطانية^(١) - وسرعان ما وصلت سفينة حربية إلى طرابلس ، وذهب وارنجنون للحديث مع قائدها ، وعاد ليؤكد للبasha أن بريطانيا العظمى لن توافق قط على توسيع رقعة الأراضي المصرية ، وأن مصلحتها السياسية تجعلها حريصة على بقاء نيابات الغرب الثلاث على حالتها الراهنة .

وبالرغم من هذه التأكيدات استمر البasha في الاستعداد للمقاومة ، وأرسل جنوداً من المدفعية إلى الحدود الشرقية ، ووزع الأسلحة على سكان الساحل والمنشية ، وأخذ في تقوية وسائل الدفاع عن المدينة ، وحصل لهذا الغرض من مالطسة على مدفئ هاون وكيات كبيرة من الذخائر^(٢) .

ثم وصلت الفرقاعة الفرنسية ، أرميد Armide ، التي أرسلت للتأكد مما إذا كان يلزم اتخاذ إجراءات خاصة لتأمين سلامة الرعايا الفرنسيين ، وزاد وصولها مشغولية يوسف الذي استمر في أعمال التسليح فأمر بإصلاح كل السفن الحربية^(٣) .

وتضامن الباشا مع داي الجزائر وأرسل إليه في مايو سنة ١٨٣٠ خطاباً مطولاً اعتذرفيه عن عدم مقدرة على إرسال مساعدات ، ووعده بأن يعمل بكافة الوسائل على منع الحملة التي كان يقال بأن محمد علي سيرسلها عبر بلاده لمعاونة الفرنسيين وشجعه على المقاومة^(٤) .

(١) خطاب متصل أسبانيا إلى وزير خارجية فرنسا . رقم ١٠ ، تاريخ ٨ مارس سنة ١٨٣٠ - مذكرة التتعل وارنجنون في ١٩ مارس و ٣ أبريل سنة ١٨٣٠ .

(٢) خطاب لعم أسبانيا إلى وزير خارجية فرنسا ، رقم ١٨ ، في ٢٧ يوليو سنة ١٨٣٠

(٣) خطاباً لصل أسبانيا إلى وزير خارجية فرنسا ، رقم ١٢ ، في ١٤ أبريل سنة ١٨٣٠ .

(٤) تاريخ ٣ يونيو سنة ١٨٣٠ .

(٥) نشر هذا الخطاب في كتاب « فاندلا » المؤلف المذكور ، ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .

وأخيراً وصلت بعض الأنباء المطمئنة ، إذ كتب شلبي من بنغازي إلى الباشا بأن والي مصر يستمر في التسليح لمقاومة « باشا » سوريا وليس لمهاجمة طرابلس ^(١) ، ومرعان ما أيدت المصادر الإنجليزية هذه المعلومات ورفض محمد علي القيام بالحملة على طرابلس وتونس .

لم يمض وقت طويل على ذلك ، حتى شاع خبر في طرابلس في ٢٦ يوليو مؤداه أن الجنرال « بورمونت Bourmont » استولى على مدينة الجزائر فأثار ذلك دهشة الجميع ^(٢) .

أظهر يوسف شعوره كبقية المسلمين الصالحين ، وأبدى أسفه لسقوط مدينة الجزائر في أيدي الكفار ^(٣) ، ولكنه - في قرارة نفسه - شعر بالفرح ، إذ اعتقد بأن العاصفة ابتعدت عنه منذ ذلك الوقت ، وأنه سلم من الخطر ، ولكنه كان واحماً لأن فرنسا لم تنس قط الإهانة التي وجهها إلى عثليها ، ولكنها كانت قد أجلت عقابه إلى الوقت المناسب .

وبعد الاستيلاء على مدينة الجزائر (في ٥ يولييه سنة ١٨٣٠) ، أعطيت الأوامر اللازمة إلى الأميرال « دي روزاميل De Rosamel » بالذهاب بعد احتلال مدينة « بون ^(٤) » ، بأسطوله المكون من سبع قطع إلى طرابلس ، فوصل ميناءها في عصر يوم ٩ أغسطس ، وما أن ألقى الأسطول مراسيه حتى نزل منه ضابط ومترجم إلى المدينة ، وبعد أن استشارا قنصل أسبانيا والذي كان مكلفاً برعاية مصالح الفرنسيين ، ذهبوا إلى القلعة ليسلموا إلى الباشا الإنذار النهائي الذي كانا يحملانه .

(١) مراسلات القنصلية العامة لمملكة سردينيا مع وزير الخارجية . المصنّف برقم ٥٦٢
يخبر ١٨ مايو سنة ١٨٣٠ .

(٢) يوميات القنصل ولرنجتون في ٢٦ يوليو سنة ١٨٣٠ .

(٣) يوميات القنصل ولرنجتون في ٢٦ يوليو سنة ١٨٣٩ .

(٤) وهي عثابه الحالية (للراجع) .

وفي نفس الوقت أرسل قائد الأسطول إلى جميع القناصل منشوراً يخبرهم فيه بالفرض من مهمته ، ويقدم لهم سفنه كدليلاً في حالة بدء القتال (١) .

وعندئذ استدعى الباشا في الحال مجلسه العام وأبلغه مطالب الحكومة الفرنسية التي كانت تلخص (٢) في أنه يجب على الباشا أن يسلم للأميرال خطاباً موجهاً إلى ملك فرنسا يرجوه في خضوع قبول الاعتذار عن الأعمال التي أدت إلى مغادرة روسو ، طرابلس ، وإسحب الاتهامات الظالمة التي وجهت إلى القنصل المذكور .

ويقوم أحد أبناء الباشا أو أصهاره بتقديم اعتذار مماثل للقنصل روسو عند عودته .

ثم العدول عن أعمال الغزو بجميع أشكالها ، وإلغاء استرقاق المسيحيين ومنح حرية التجارة ، والسماح بتعيين قناصل لمختلف الدول في طرابلس بدون تقاضى مكافآت أو هبات ، ثم دفع تعويض عن مصاريف الحملة .

وفي جلسة صاخبة استمرت إلى ساعة متأخرة من الليل ، اعترف الجميع بعدم جدوى المفاوضة ، وأعطى الباشا لوزيره الحاج محمد شلبي بيت المال ، الذي كان قد عاد منذ عهد قريب إلى طرابلس جميع الصلاحيات والتفويض الكامل للقيام بمفاوضة الفرنسيين حتى يصل معهم إلى اتفاق نهائي ، وتوجه الوزير من فورهِ إلى الأميرال ، وحاول حله على تلطيف الشروط المذلة للباشا ، ولكن « دي روزامل De Rosamel » رفض رفضاً تاماً أن يجيد عن موقفه ، وكل حاسم به هو دفع التعويض على قسطين - قسط يدفع فوراً والقسط الآخر يدفع بعد أربعة أشهر .

وقد أبلغ شلبي نتيجة محادثاته إلى الباشا ، فوافق عليها ووقع في اليوم التالي على المعاهدة التي أعلنت بنصها العربي في يوم ١٢ من ذلك الشهر .

(١) خطاب قنصل أسبانيا إلى وزير خارجية فرنسا ، رقم ١٨ ، تاريخ ٢٧ يوليو سنة ١٨٣٠ .

(٢) يوميات القنصل والرنهتون في ٩ أغسطس ، ومراسلات قنصلية توسكانا في طرابلس الخطاب المؤرخ في ١٦ أغسطس سنة ١٨٣٠ .

وأصقت على الجدران بشوارع طرابلس عندما كانت حصون المدينة تؤدي النجدة للعلم الفرنسي بإطلاق ثلاثة وثلاثين طلقة من مدافعها (١)، وتطبيقاً لهذه المعاهدة قام يوسف في يوم ١١ أغسطس سنة ١٨٣٠، بتقديم الاتذارات الكافية عن الظروف التي أدت إلى سفر القنصل الفرنسي وأعرب في المادة الأولى من المعاهدة عن رغبته في أن يرى العلاقات الودية تعود بين الدولتين وفي المادة الثانية تعهد الباشا بالتنازل باسمه واسم خلفائه عن كل حق في ممارسة أعمال الغزو أو السماح بها في وقت الحرب ضد الدول التي تنازلت عن هذا الحق بالنسبة للسفن الطرابلسية، وعدم زيادة القوات البحرية عما كانت عليه وقت توقيع المعاهدة وفي المادة الثالثة تعهد الباشا بأن يلغى إلى الأبد استرقاق المسيحيين، وأن يقوم بفتح جميع الأسرى المسيحيين الموجودين ببلاد نيابة طرابلس الغرب ودفع التعويض لآسيادهم وفي المادة الرابعة تعهد الباشا بمنح المساعدة اللازمة لكل سفينة تبحر عند شواطئ بلاده وفي المادة الخامسة تعهد بالسماح للدول بتعيين قناصل ووكلاء تجاريين في أي مكان من البلاد، دون أن يلتزم بتقديم هدايا للسلطات المحلية، واعترف بإلغاء الجزية التي كانت تدفعها بعض الدول لإبرام معاهدة أو تعيين قنصل وفي (المادة السادسة) تعهد بمنح حرية التجارة الكاملة بين الأجانب والرعايا الطرابلسيين.

وحاء في المادة السابعة أن يوسف بعد أن دفع أربع مائة ألف فرنك نقداً التزم بدفع مبلغ مماثل بصك موثقه ٢٠ ديسمبر التالي، وتعهدت الحكومة الفرنسية بدورها بدفع ديون الرعايا الفرنسيين قبل حكومة طرابلس. وجاء في المادة الثامنة (٢) أن فرنسا لم تطلب لنفسها طلبات خاصة — ولكن الباشا يجب أن يمنحها جميع الامتيازات التي تعطى للدول الأخرى.

(١) مراسلات التبعية العامة لدولة سرديليا بطرابلس مسم وزارة الخارجية — الخطاب رقم ١٧١، للزوج في ١٢ أغسطس سنة ١٨٣٠.
(٢) أ. دواردي كاردي « معاهدات فرنسا... إلخ » المؤلف المذكور ص ٢٨٨ و١٠١ بها.

وهكذا غفنت نهائياً الرغبات التي أهدتها المؤتمرات الأوربية المختلفة ولم تنجح في تحقيقها .

رأى يوسف ، بعد هذه المعاهدة التي وقعها في فروع واستسلام (١) ، أن سلطته تلاشى ، وقد ما كان قد بقي لديه من همة وعزيمة .

وقد أدت وسائل العنف التي اتبعها يوسف مع السكان لجمع مبلغ التعويض الذي طلبه ، دى روزاميل ، إلى إثارة الشعب وسخطه حتى بدأ الخوف من قيام ثورة لخلق الباشا وتولية ، على يدك ، مكانه ، وأننا ، ذلك أنزل القنصل الانجليزي الذي غضب كثيراً لقبول يوسف تنفيذ المادة الأولى من المعاهدة - علم بلاده من مقر القنصلية وقطع كل علاقة مع الباشا (٢) .

حاول يوسف دون جدوى حل القنصل على المدلول عن مرقفه ، ورأى إزاء الطلب الذي تقدم به وارانجون لإلغاء المعاهدة أن يخبر الحكومة البريطانية بحقيقة الأمر ، وكتب بذلك إلى قائد الأسطول الانجليزي في البحر المتوسط ، ولكنه تسلم منه إجابة مبهمة مصحوبة بطلب دفع الديون الخاصة بالرعايا البريطانيين مما جعله يرسل مندوباً إلى لندن في يوم ٦ أكتوبر (٣) .

كان الباشا في تلك الأثناء في أزمة مالية لا تسمح له بدفع القسط الثاني في موعده المحدد وهو (٢٠ ديسمبر) ، وتدافع جميع الدائنين لتسليم قيمة ديونهم ، في الوقت الذي كان الباشا لا يملك فيه شيئاً من المال ، وقد تناقصت موارد إيراداته الرئيسية تناقصاً كبيراً نتيجة تطبيق شروط المعاهدة ، وحاول أن

(١) مراسلات القنصلية العامة لمملكة سردينيا في طرابلس مع وزلوة الحرية والبحرية ورئيس الأبرشية - المصتاب رقم ١٨٤ ، المؤرخ في ١٦ أغسطس سنة ١٨٣٠ .

(٢) مراسلات القنصلية العامة لمملكة سردينيا بطرابلس مع وزارة الحرية والبحرية ورئيس الأبرشية - الخطاب المؤرخ في ١٧ أغسطس سنة ١٨٣٠ - وخطاب فصل أسبانيا إلى وزير خارجية فرنسا رقم ٢٢ ، نفس التاريخ .

(٣) خطاب فصل أسبانيا إلى وزير خارجية فرنسا ، رقم ٢٤ ، بتاريخ ١٨ أكتوبر سنة ١٨٣٠ .

يحتفظ على الأقل بالاحتكارات التي كانت قد نفذت قبل يوم ١١ أغسطس، ولكن فنصل أسبانيا الذي كان لا يزال يتولى رعاية مصالح الفرنسيين، أسرع بنبهه إلى مراعاة نص المادة السادسة التي كانت تنص على الحرية الكاملة للتجارة.

وفي مثل هذه الظروف، فكر يوسف في الالتجاء مباشرة إلى الحكومة الفرنسية، فأرسل رئيس وزرائه إلى باريس في شهر أكتوبر (١)، واستطاع الوزير الحصول على تخفيض القسط الثاني من التعويض، وجعله قاصراً على ديون الرعايا الفرنسيين الفعلية وحدها، وتعمد باسم الباشا بدفعها في أسرع وقت من إبداءات برقه. وعلى كل حال فقد قبل الوزير أن يدفع أي دين آخر من ديون الحكومة، كما حصل أيضاً على وعد بتعيين فنصل آخر بدلاً من الفنصل دروسو، ثم عاد إلى طرابلس (٢) في يوم ٢٣ إبريل من السنة التالية.

ومع هذا فقد بقي الموقف حرجاً، لأن وارانجتون الذي توقع الموقف الذي ستفقه حكومته، رفع علم بلاده على القنصلية، واستأنف علاقاته مع يوسف (٣). ومع ذلك فقد بقي يوسف على عادته. ولم يد استعداده للاتفاق على دفع ديون الرعايا الإنجليز فوراً (٤).

كان من الممكن لإدارة حازمة وحكيمة، أن تسمع لدخل الحكومة وإيراداتها المتواضعة بقسديد جميع الديون التي كانت لا تزيد إلا قليلاً على مليون من الفرنكات في وقت قصير نسبياً، ولكن يوسف لم يكن يستطيع العدول عن عادته وشهراته التي كان يبدد في سبيلها المبالغ التي كان يجمعها بجهد بما كان يفرضه

(١) خطاب فنصل أسبانيا للوزير خارجية فرنسا، رقم ٢٦، بتاريخ ٢٤ أكتوبر سنة ١٨٣١ - مراسلات القنصلية العامة لمملكة سردينيا بطرابلس مع وزارة الخارجية - الخطاب رقم ١٨٠، بتاريخ ١٦ أكتوبر سنة ١٨٣٠.

(٢) خطاب فنصل أسبانيا إلى وزير خارجية فرنسا رقم ٤٠، بتاريخ ٢٧ أبريل سنة ١٨٣١.

(٣) خطاب فنصل أسبانيا إلى وزير خارجية فرنسا رقم ٢٩، بتاريخ ١٦ نوفمبر ١٨٣٠.

(٤) خطاب فنصل أسبانيا إلى وزير خارجية فرنسا رقم ٢٦، للوزير في ٢٤ أكتوبر ورقم ٢٣ للوزير في ٧ فبراير سنة ١٨٣١.

من ضرائب استثنائية^(١)، وعبثاً حاول مستشارو الإيجاء إليه باتخاذ إجراءات معينة للتغلب على الأزمة التي كانت تزداد تعاقفاً يوماً بعد يوم، ولكنه ترك الأمور تجري كما نشأ. وبقي ساكناً لا يتحرك ينتظر ما تأتى به المقادير.

وعندما طأبه قنصل فرنسا الجديد الميسو شويل Shouhel^(٢) بدفع القسط الثاني من التعويض، لم يجد الباشا بداً من استدراج كرمه، فطلب منه العمل على إلغاء هذا الدين، ولكن القنصل صرح له بقوله بأنه ليس من الممكن إلغاء نص متفق عليه من نصوص معاهدة محترمة، وأنه من جانبه يستطيع فقط عمل بعض التسهيلات فيما يتعلق بالدفع.

ثم ذهب «على يدك» وبعض الوزراء إلى القنصل للتفاوض معه، وحصلوا منه على وعد بالاكْتفاء بدفع مبلغ مائة ألف فرنك فوراً ومنحهم مهلة قدرها ثلاثة أشهر لدفع الباقي^(٣).

أتاحت هذه المهلة الفرصة للباشا لتحصيل الضرائب التي فرضت على أهالي برقة من أجل تسديد دين فرنسا، غير أن أهالي برقة أظهروا سطوهم وضيقهم من هذه الضريبة الجديدة، وصرح خليل بك القرمانلي حاكم بنغازي بأنه لا يستطيع استخدام القوة لتحصيل هذه الضريبة إذا لم ترسل إليه إمدادات، وعندئذ اقترح رئيس الوزراء الحاج محمد شلبي بيت المال أن يتوجه بنفسه إلى برقة، حيث يستطيع بماله من نفوذ شخصي، القيام بعمل ذي أثر لسرعة تحصيل الضريبة، وسريوسف من هذا الاقتراح وسافر شلبي فعلاً في شهر يوليو إلى بنغازي، بينما تولى رئيس السكرتارية

(١) في أوائل سنة ١٨٣١ حصل يوسف من ضريبة استثنائية على مبلغ ثمانين ألف قرش دفع منها عشرين ألف قرش دون غيرها لثلاثين الانجليز وأخى السنين ألف قرش الباقية في زواج إحدى بناته — خطاب رقم ٣٣ المذكور في الحاشية السابقة.

(٢) وصل شويل إلى طرابلس في يوم ٢٩ يونيو سنة ١٨٣١، وقد استقبله الباشا في أول يوليو باحتفال كبير.

(٣) خطاب قنصل فرنسا شويل، بتاريخ ١٣ يوليو سنة ١٨٣١.

« إبراهيم بومويس^(١) » ، منصب رئاسة الوزراء مؤقتاً ، وكان رجلاً ضعيف الهمة قليل الكفاية .

كان الموقف حرجاً للغاية ، فقد ثارت قبائل « أولاد سليمان » وهي قبائل من البدو عظيمة القوة ، بسبب كثرة عددها ونفوذها على أهالي طرابلس الغرب الشرقية والجنوبية ، واتسع نطاق نفوذها حتى شمل القبائل المجاورة لها — وكانت هذه الثورة تهدد بضم سكان الجبل إلى جانبها .

وفي شهر يونيو كان زعيمها عبد الجليل سيف النصر قد دخل في بني وايد وأورفلة عند « القداوة » ، و« المقارحة » ، الذين اعترفوا به زعيماً لمناطق « أورفلة » ، و« سرت » ، و« الشاطي » .

وقد أرسل يوسف باشا تجله عموره إلى مصراته ونجمله على بك إلى غريان حتى يحتفظ بهدوء السكان ومنعهم من الانضمام إلى الثوار ، واستطاع على بيك أن بعيد الهدوء إلى منطقة غريان دون الاتجاه إلى القرة ، وعاد بعد أيام قلائل إلى طرابلس وهرفته عدد كبير من الرهائن ، أما عموره فقد أثار بسبب عنفه وقسوته كثيراً من السخط حتى اضطر والده إلى استدعائه وإحلال محمد المكني بك فزان محله ، وكان المكني رغم تقدمه في السن رجلاً عالياً الهمة عظيم النشاط^(٢) . وقد عرض وارنجتون وساطته لحل عبد الجليل على الطاعة — ولكن الباشا رفض هذا العرض^(٣) لأنه كان يعتقد أن وساطة الأجنبي قد تضر بهيته ونفوذه .

ورغم أنه كان من الواجب الإسراع بالقيام بعمل حاسم لإخماد الثورة قبل أن يستفحل أمرها ويتسع نطاقها أكثر من ذلك ، فإنه لم تتخذ أية

(١) راجع اسماعيل كالي « وثائق لم تنشر ... الخ » السالف الذكر ص ١٥ وخطاب القنصل شويل بتاريخ ١٥ أغسطس سنة ١٨٣١ .

(٢) راجع عن كل ما يتعلق بثورة عبد الجليل سيف النصر اسماعيل كالي « وثائق لم تنشر ... الخ » السالف الذكر ص ١٥ وما يليها — وخطاب القنصل شويل بتاريخ ٢٢ يوليو سنة ١٨٣١ .

(٣) خطاب القنصل شويل ، بتاريخ ١٥ أغسطس ١٨٣١ .



قلعة مُمرزق سنة ١٨٢٢



جبل السودان قرب سوكنه بفران

لإجراءات حتى وصلت الأخبار بأن جيشاً مؤلفاً من ٨٠٠ رجل مسلح ، بقيادة عمر شقيق عبد الجليل سيف النصر ، احتل سوكة ثم توغل في فزان وأثار أهلها وحاصر قلعة « مرزق » التي كان يدافع عنها اليك محمد بن عبد الله شركس (١) .

عندئذ تقرر تسليح فرقين بقيادة نجلي الباشا - علي بك وسيدى إبراهيم ، وكانت الأولى تتألف من قولوغية الساحل والمنشبة والزاوية والثانية من قولوغية وأهالي مصراته وزليتن والخس . وقد سافر سيدى إبراهيم من مدينة طرابلس في اليوم العاشر من أكتوبر ، وتحرك على بك مع معظم القوات (١٢) في يوم ٢٩ من نفس الشهر ، واجتمعت الحلتان اللتان كانتا تضمان عشرين ألف رجل ومعهم خمسة عشر مدفعا ، في إقليم « ترهونه » وزحفا على « بنى وليد » ، وبعد أن قامتا بصد هجوم لبلى في « قليمات الخطابة » ، تحركتا ضد الثوار الذين كانوا قد أقاموا صفين من الحنادق وتحصنوا بهما في « محل بن قايد » و « محل سرار » ، واستوليا على صف الحنادق الأول بسرعة ، ولكن الصف الثاني قاوم مقاومة عنيفة وتم الاستيلاء عليه واسترداده ثلاث مرات .

وفي المساء بينما كان القتال يشتد ، توسط أولاد « يوسف » للصلح على أساس أن يقوم عبد الجليل بإخلاء فزان وبرد الغنائم ، ويسلم ألف رجل نظير الاعتراف به زعيما لمنطقة « أورفلة » والضمان احترام هذه الاتفاقات ، يقوم عبد الجليل بتقديم بعض الرهائن الذين يختارون من بين رؤساء قبيلة « ولكن يوسف رفض قبول ما حمله إليه إبنائه من هذه الاقتراحات وأمر بمواصلة القتال نظراً لثقتة بقواته العسكرية ، ونشبت معركة جديدة على مقربة من « قصر القائد » ، ورغم فرار كثير من قولوغية الساحل والمنشبة من ميدان القتال ، إلا أنه كان لشدة بأس قوات مصراته وحرس

(١) خطابا التصل شويل في ١٣ و ٢٠ سبتمبر سنة ١٨٣١ .

(٢) خطابا التصل شويل في يوم ٢٠ أكتوبر و ٤ نوفمبر سنة ١٨٣١ .

الباشا وبطولة الاميرين اللذين جرح أحدهما وهو سيدى إبراهيم ،
الفضل في التغلب على مقاومة الثوار .

توسط مرابطو بني سيف بعد المعركة في الصلح بين الطرفين ، وقبل
يوسف هذه المرة تلك الوساطة ، لأنه لم يعد في وسعه إرسال المؤن
والذخائر إلى جنوده رغم شكه في أن غرض هذه الوساطة كان كسب
الوقت ^(١) .

لم تحترم الشروط التي تم الاتفاق عليها كلها ، إذ سرعان ما بدأ
عبد الجليل في المراوغة ، وكان يؤجل تنفيذ باقى الشروط من يوم
إلى آخر .

ولكى يتخلص يوسف من هذا الموقف الذى كان يضطره إلى
الاحتفاظ بقوات كبيرة تكلفه كثيراً من النفقات ، وتجعله يحل الأمالى
وغضبهم الشديد ، لأنهم هم الذين كانوا يقدمون له القوات المحاربة ، فقد
صرح بأنه على استعداد لقبول وساطة القنصل البريطانى ، تلك الوساطة
التي سبق ليوسف أن رفضها .

وقد قام القنصل البريطانى بجهود كبيرة في هذا السبيل ، ليسترجع
ما كان له من نفوذ في الماضى على الباشا ووزرائه ، فانتقل إلى بني وليد ،
بنفسه لمفاوضة زعيم الثوار ، ولكنه لم ينجح فيما قصد إليه ، لأن الزعيم الثائر
رفض إخلاء فزان ^(٢) بأى حال .

وعندما فشلت المفاوضات وبدأت تظهر آثار الضعف
والخوار على الحملة لكثرة عدد الجنود اللذين كانوا يفرون من صفوفها
يوماً بعد يوم - رأى يوسف أنه من الأفضل أن يستجيب لنصائح محمد

(١) خطاب القنصل شوبل بتاريخ ٦ ديسمبر سنة ١٩٣١ .

(٢) خطاب القنصل شوبل في ١٨ و ٢٨ فبراير سنة ١٩٣٢ - « إن قصة الليثة
بالتفصيل ، والأخبار الخاصة ، التي تركها لنا شوبل عن وساطة وانجوتون هي بلا شك أصح
مكتسبة من الرواية التي كتبها يوسف في خطاب أرسله إلى وزيره شلى بتاريخ ٢٨ شباط
سنة ٢٤٧٠ » (الموافق ٢ فبراير ١٩٣٢) . اسماعيل كالى في « وثائق لم تنشر ... الخ »
المجلد الذكرى ٢١ و ٢٢ .

المكسي بترك القتال في منطقة أورقة ، ، والزحف للاستيلاء على فزان ، حيث كانت لازال قلعة مرزق تقاوم بقيادة أحمد بك جركس الذي توفي أثناء الحصار ، وحيث كان يدين كثير من السكان للباشا بالولاء . كلف الباشا يوسف المكسي بتنفيذ هذا المشروع ، فسافر في أوائل مارس من أورقة إلى فزان ومعه ألفان وخمسمائة مقاتل ، معظمهم من قولوغلية المناطق الشرقية ، نظراً لعداوتهم التقليدية لأسرة عبد الجليل ، وكان يتحتم على علي بك أن يتوغل بقواته إلى ماوراء ، بنى لبد ، لحماية الزحف الذي يقوده ، المكسي . ولكن نقص الأقوات منه من تنفيذ أوامر والده ، وبقي عدة أيام في مزيلين . ثم عاد إلى طرابلس ^(١) .

أما عبد الجليل فإنه استنجد برؤساء القبائل في الداخل ، ودعاهم إلى الإنضمام إليه ، وحصل على موافقة بعضهم ، ومن بينهم سالم بن عبد الصمد زعيم غريان ، وما كاد خبر ثورة أهالي هذه المناطق يذاع في طرابلس حتى تمكن الرهائن الذين كان علي بك قد أخذهم منذ عدة أشهر ، من الهروب من معتقلهم ، والانجاء إلى القنصلية البريطانية .

وعبأ طلب يوسف من القنصلية إرجاعهم ، إذ استطاعوا بمساعدة وارنجتون الخروج من المدينة ، واحداً إثر آخر ، وعادوا إلى بلادهم ^(٢) . وبينما كانت الثورة تمتد ، ويتسع نطاقها حتى بين الأهالي الذين كانوا قد ظلوا على ولائهم ، وعلى الأخص قولوغلية الساحل ، و ، المنتشية ، و ، الزاوية ، ، عم السخط في البلاد بسبب العقوبات القاسية التي عوقب بها كل من رفضوا القتال وفروا من الحملة ^(٣) . وبسبب ازدياد سوء الأحوال الاقتصادية لتفقات العمليات العسكرية التي زادت على مائة ألف قرش ، مما جعل اتخاذ أي إجراء حكومي لإصلاح الحالة ، ضرباً من الخيال .

(١) خطاب القنصل شوبل بتاريخ ٢٦ فبراير و ١٢ أبريل سنة ١٨٣٢ .

(٢) خطاب القنصل شوبل في ٢٦ فبراير و ١٥ أبريل سنة ١٨٣٢ ، وبومات القنصل وارنجتون في فبراير سنة ١٨٣٢ .

(٣) خطاب القنصل شوبل بتاريخ ٢ فبراير سنة ١٨٣٢ .

وفي مدى ستة أشهر تم سحب العملة الجارية أكثر من ست مرات ، وإحلال عملة جديدة من عيار أقل محلها . وهكذا هبطت قيمة النقد المحلي الذي لم يكن يوجد من يريد قبوله .

حاول القناصل عبثاً إقناع يوسف بأن يكلِّ حق سك النقود إلى شركة أوروبية تعتمد بالمحافظة على قيمة العملة بضمان أحد بنوك النقد .

ولكن يوسف رفض الاقتراح لعدم قناعته بفائدة العشرين في المائة التي كانت قد حددت له^(١) . واضطر إلى التنازل لدائنيه عن الأشياء الذهبية والفضية ، وإلى بيع مدافع الحصون حتى يدفع ما عليه من ديون للتجار الأوربيين ، ويؤدى التمريض الذي تطلبه الحكومة الفرنسية منه مما أدى إلى احتجاج المواطنين .

كان اتساع الثورة وسوء الحالة المالية ، وعبء الديون الثقيلة واضطراب الإدارة ، وقصر نظر الباشا ، وعجزه عن الحركة ، وجشع وكلاسه ، كان كل ذلك يحمل على الاعتقاد حتى عند أكثر الناس تفاؤلاً ، بقرب تدهور حكومة نيابة الغرب ونهاية الأسرة القرمانلية^(٢) .

وقد ساعد على التعجيل بوقوع هذه الكارثة ، كراهية وارانجتون لبوسف ومعاكسته له ، تلك المعاكسة التي اشتدت بعد فشل محاولة الوساطة التي كان يريد القيام بها بين يوسف وعبد الجليل سيف النصر ، وبعد حادث هرب رهائن غربان .

طلب وارانجتون بعد الإتفاق الذي أبرم لدفع ديون الدائنين الفرنسيين مباشرة - كما ذكرنا من قبل - العمل على إرضاء الدائنين الانجليز أيضاً وحصل على وعد بدفع مبلغ متواضع تحت الحساب .

وفي أوائل ديسمبر سنة ١٨٣١ انتهى وارانجتون وجود فرقاطة إنجليزية في ميناء طرابلس ، وأصر على طلب تسديد المبالغ التي استحققت الدفع منذ أكتوبر

(١) خطاب القنصل شوبيل في ٢٦ فبراير سنة ١٨٣٢ .

(٢) خطاب القنصل شوبيل بتاريخ ١٢ أبريل سنة ١٨٣٢ .

الماضي، ولكنه لم يحصل على شيء سوى ارتياحه الشخصي عندما رجاه الباشا التوسط لإخضاع الثائرين^(١).

وفي شهر يناير التالي، وقبل أن يعود وارنجتون من « بنى وليد»، وصلت سفينة حربية إنجليزية إلى مالطة لتعزيز طلبات الدائنين الانجليز ولكن الباشا اقتصر على إعطاء وعوده المعتادة^(٢)، وقد وصلت السفينة نفسها إلى طرابلس في شهر إبريل وتوجه قائدها بصحبة وارنجتون إلى القلعة وسلم إلى الباشا خطاباً من نائب الأميرال قائد القوات البريطانية في البحر المتوسط، يطلب فيه إحترام التعهدات التي أعطيت. وكان يوسف قد عرض أن يدفع مبلغ خمسة وعشرين ألف قرش من الديون المستحقة في ذلك الوقت من إيرادات فزان، ومبلغاً مائتاً من إيرادات برقة، وهي التي بقيت في يده بعد دفع ديون الدائنين الفرنسيين.

وكان الباشا قد تعهد أيضاً، بأن يدفع مبلغ ثمانية وثلاثين ألف قرش نقداً في مدى شهرين، ولذلك فرض على ملاك المنازل أن يدفعوا له ستة آلاف قرش وأرسل أمراً إلى قواد أقاليم الحدود بأن يحصلوا ضريبة استثنائية قدرها قرشان عن كل فرد بالغ^(٣). وأصر وارنجتون على طلب المدفع فوراً، ولكن السفينة أقلعت دون الحصول على شيء.

فإن النفود التي تم تحصيلها من هذه الضرائب الإستثنائية أنفقتها الباشا بمجرد تسلمها، حتى أنه عندما حل موعد استحقاق دفع الديون لم يستطع الوفاء بتعهداته، وعندئذ قررت الحكومة البريطانية اتخاذ إجراءات حازمة.

وفي منتصف شهر يوليو وصلت إلى مياه طرابلس فرقة بحرية إنجليزية بقيادة القائد « دنداس Dundas » تتكون من الفرقاطات « بلفيديرا Belvidera » و « اكتيون Acteon » و « السفينة شيلا Scylla »^(٤)، وقدم

(١) خطاب المنصل شويل تاريخ ٦ ديسمبر سنة ١٨٣١.

(٢) « » » » » ٢ فبراير سنة ١٨٣٢.

(٣) خطاب المنصل شويل تاريخ ٢٠ أبريل سنة ١٨٣٢.

(٤) مراسلات انصالية توسكانا بطرابلس — خطابات شهر يوليو سنة ١٨٣٢.

وارنجتون إلى يوسف لإنذار حكومته الأخير ، الذى طلبت منه دفع جميع ديون الرعايا الانجليز البالغ قدرها مائتى ألف قرش فى مسمى ثمان وأربعين ساعة .

ولكن يوسف كان يعارض فى قيمة كثير من هذه الديون ، وعرض أن يدفع فوراً الديون القديمة ، ويسدد عشرين ألف قرش من الديون الجديدة ، ولكن القائد دنداس ، صرح بأن جميع الديون حسب ما لديه من تعليقات يجب دفعها فى المهلة الواردة فى الإنذار .

وعبأ حاول يوسف بعروضه التى كان يزيدها باستمرار ، الحصول على مهلة جديدة وتأجيل الدفع ، ولكن القائد الانجليزى كان لا يبعد عن موقفه وقضى تسعة أيام فى مفاوضات غير مجدية ، ثم تسلم القنصل وارنجتون الأوامر بإزالة العلم من فوق دار القنصلية والإبحار^(١) .

خشي يوسف قيام الأسطول الانجليزى بمظاهرة بحرية ضده إذا لم يدفع المبلغ المطلوب ، ولم يجد أية وسيلة يلجأ إليها وفر بعد استشارة وزيره « ابراهيم بومويس » وشيخ البلد الحاج « ابراهيم الطائف » فرض ضريبة استثنائية على سواقى وآبار سكان المنشية والساحل الذين كانوا معفين من الضرائب منذ أقدم العصور نظير تأديتهم واجب الخدمة العسكرية .

وما أعلن هذا الأمر حتى احتج قولوغلبة الساحل والمنشية الذين كانوا ساخطين بسبب الحملة على عبد الجليل أشد الاحتجاج ، مما جعل يوسف يسرع بإلغاء هذه الضريبة الجديدة ، ويعلن أنه لن يطالب فى المستقبل بأية ضريبة أخرى ، ولكن ذلك الإعلان جاء متأخراً إذ أن قولوغلبة الذين شجعهم وارنجتون والذى لم يستطع السفر بسبب مرض ابنته ، رفضوا الاعتراف من الآن فصاعداً بسلطة يوسف ، ونادوا فى يوم ٢٨ يوليو أولاً بتعيين محمد شمس أحمد « نسى » محاسب يوسف البكر والذى تولى بمصر رئيساً للحكومة نيابة طرابلس^(٢)

(١) خطايا القنصل شوبل فى ١٢ و ٢٧ يوليو سنة ١٨٤٢ .

(٢) سانية بالهجة الطرابلسية منهاها مزرعة صغيرة .

مسجد الشعاب ويشرف على شرق ميناء ومدينة طرابلس الغرب



وقد قام يوسف بمحاولة أخيرة فأرسل القائد حسن بن عبد الله إلى المتحمرين ولكنه استُقبل أسوأ استقبال ، واضطر إلى الانسحاب دون أن يستطيع تأدية مهمته ، ثم انسحبت القوات الموالية للبasha داخل أسوار المدينة بعد معركة استمرت طيلة ليلة ٢٩ ولم تسفر عن شيء. ثم حاصر الثوار المدينة واحتلوا مواقع الشعاب و ، العوينة ، وهما من المواقع الهامة المسيطرة .

وفي مساء يوم ٣٠ عقد اجتماع بالقلعة حضره أبناء البasha ووزراء وأعيان المدينة ، شرح فيه يوسف الأسباب التي حملته على اتخاذ ذلك الإجراء الذي كان السبب في قيام الثورة وأعلن تنازله عنه ودعا الحاضرين للتعاون معه لإنقاذ البلاد .

ولكن معظم أنصاره ومؤيديه كانوا قد تخلوا عنه في ذلك الوقت وألقت عليه جماعات الوطنيين مسؤولية الكوارث التي وقعت فيها نيابة طرابلس الغرب وطلبوا منه أن يتنازل عن العرش ويعين على ييك مكانه ، وقد أشار عليه الوزير ، ابراهيم بومويس ، أحد القبولغلية القلائل الذين بقوا في المدينة ، وهو رجل كان يخلص كل الإخلاص ليوسف باستدعاء الوزير شلي من برقه وهو الرجل الذي يستطيع بماله من نفوذ شخصي على القبولغلية أن يعيد النظام ويعمل على أن يسود السلام .

وعندما أحس الوطنيون بذلك ، قرروا عدم التباطؤ وإضاعة الوقت ، وتوجه رؤسائهم من بينهم محمد الدغيس ، وقبطان الميناء ، مصطفى قورجي ، والقائد حسن بن عبد الله ، والقائد أحمد التوغار إلى البasha لكي يطلبوا منه التنازل لابنه عن العرش .

استدعى يوسف قناصل الدول المختلفة وسألهم عن آرائهم في مسألة تسيير رئيس الدولة فلم يخفوا خوفهم من أن يكون هذا الإجراء قد جاء.

(١) مراسلات قنصلية توسكانا بجزائرس — الخطاب للزورخ في ٢٢ يوليو سنة ١٨٣٢ وخطاب القنصل شويل بتاريخ ٢٧ يوليو سنة ١٨٣٢ .

متأخراً لإعادة السلام ، وصرحوا بأنهم بدون منازعة الباشا حقه في اختيار من يخلفه ، لا يستطيعون الاعتراف بمن يخلفه دون الرجوع إلى حكوماتهم ، وعندئذ قرر يوسف التنازل عن السلطة .

وفي اليوم التالي في ١٢ أغسطس عقد يوسف اجتماعاً خطيراً في جو الاجتماعات الكبير^(١) ، حضره إلى جانب أولاده ووزرائه ، الزعماء والأعيان والعلماء ، وقرر الباشا أمامهم أنه أصبح متعباً ويرغب في قضاء بقية أيامه في راحة وهدوء ، وأنه لذلك يتنازل عن العرش لمصلحة ابنه علي بك ، ويعين ابنه الآخر سيدى إبراهيم ولياً للمهد .

وأدى يوسف باشا بعد هذا التصريح بيمين الولاء بين تأثر الحاضرين لابنه علي رئيس الدولة الجديد .

وأقسم جميع الحاضرين من بعده ما عدا ابنه حموره الذي رفض الاعتراف بالأمر الواقع رغم طلب أبيه .

(١) مراسلات التتميلية العامة لمملكة سردينيا في طرابلس مع وزير البحرية والبحرية ورئيس الأدميرالية . الخطاب المؤرخ في ٢٠ أغسطس سنة ١٨٣٢ — ومراسلات قنصلية توسكانا بطرابلس — الخطاب المؤرخ بنفس التاريخ — وخطاب التتميل شوبيل بتاريخ ١٩ أغسطس . انظر اساميل كال في « وثائق لم ينشر » السالف الذكر — ص ١٨٢ وما يليها .

الفصل العاشر

حكم على الفرمانى وسقوط الأسرة

أعلنت تولى على بيك الفرمانى رئيساً للدولة ، بإطلاق المدافع وإذاعة إعلان على الشعب، ولكن يمكن القول بأنه إذا كان سكان المدينة قد استقبلوا تغيير رئيس الدولة بالإرتياح ، فإن الثوار بقوا معارضين له معارضة شديدة.

ورغم مقدرة على بيك وكفايته للعمل على استتباب النظام وتوفير الرخاء ، إلا أنه لم يكن فى يوم من الأيام يتمتع بحبة الشعب ، وكانت قسوته على جنوده أثناء الحملة على عبيد الجليل سيف النصر قد أثارت غضب القولوغلية وسخطهم الشديد عليه ، حتى أن تنازل يوسف عن العرش لم يحدث تغييراً محسوساً فى الموقف ، فيما عدا النظام والهدوء اللذين سادا المدينة ، والإجراءات الحازمة التى اتخذت للدفاع عنها .

أما قناصل الدول فقد وقفوا موقفاً متحفظاً طبقاً لما صرحوا به ليوسف قبل تنازله عن العرش ، وبقوا فى انتظار تعليمات حكوماتهم التى أبلغت بنياً ارتقاء البيك وتوليته السلطة ، وإذا كان بعضهم ، مثل قنصل فرنسا شوبيل ، لم ينف عطفه على من رأى الاعتراف به كأمر شرعى ، فإن الآخرين قد أظهروا عطفهم صراحة على المطالب بالعرش ، وكان أكثر هؤلاء تحمساً قنصل الولايات المتحدة ، الذى لم يتورع عن أن يقدم إلى على منشوراً صده موقفاً عليه من الثوار ، ذلك المنشور الذى كان قد أبلغه هذا القنصل من قبل إلى زملائه وإلى أعيان المدينة ^(١) .

ولكن الثوار فضلا عن موقف قنصل الولايات المتحدة إلى جانبهم قد شجعهم أيضا وارنجتون ، الذي عاد إلى طرابلس يوم ٢٢ أغسطس ، وكان قد ذهب للإقامة مع جميع أفراد أسرته في المنزل الذي كان يملكه في العوينة بشارع الشط وصرح علنا أنه سيقبض هذا المنزل طالما لم ترسل إليه حكومته التعليمات اللازمة ، وقد أدت معيشته وسط الثوار إلى سرعة ارتباطه بعلاقات المودة مع المطالب بالعرش محمد يك ، وجعله يأمل في اعتراف بريطانيا العظمى به ^(١) ، وفي الوقت نفسه لم يكن يتردد في إعطاء التوجيهات والنصائح إلى مشايخ المنطقة الذين كانت لهم سلطة كبيرة على الأهالي تزيد على سلطة المطالب بالعرش الذي كان شابا عديم الخبرة ضعيف الهمة ، ولذلك استمر الرجال المسلحون الذين كان يبلغ عددهم نحو أربعة آلاف رجل في المنشية ، وممثلة آلاف في الساحل في حصار المدينة برا ، معتمدين على مساعدة قبائل المنطقة الشرقية التي جعلها عثمان آغا الأدغم رئيس قولوغاية مصراته من أنصار محمد وضد علي ، كما انضم إلى الثوار غومة بن خليفة زعيم الحمديد الذي كان له أتباع كثيرون في المنطقة الغربية ^(٢) .

وسرعان ما أدرك علي بك ضرورة منع تكوين مثل هذا التحالف القوي ضده ، وبينما كان يعمل على ضمان الدفاع عن المدينة ، أرسل صهره محمد الدغيس الذي حل محل إبراهيم بومويس في الوزارة إلى مالطة لإبلاغ الحكومة البريطانية حقيقة الأمر في البلاد كما حاول ضمان تأييد غومه له والاحتفاظ بولاء الأهالي الذين لم يكونوا قد انضموا بعد إلى الثوار . ولم يذهب عمله هذا هباء - إذ أعلن غومه تأييده له ، وضم إليه جميع قبائل المنطقة الغربية ما عدا قبائل ورشقانة وززور والعجيلات التي بقيت معادية

(١) مراسلات قنصلية نوسكانا في طرابلس - المطالب رقم ١٤١ ، بتاريخ ١٠ أكتوبر سنة ١٨٣٢ .

(٢) خطاب القنصل شويل ، بتاريخ ١٢ سبتمبر سنة ١٨٣٢ - كان غومة بن خليفة من أسرة كانت دائما من أنصار الأسرة القرمانلية وتدعى بالولاء ، ولكنه تار صد يوسف بلغا إذ كان يعتقد أنه الوعر يقتل أبي القاسم بن خليفة شقيق غومه وابنه الحاج محمد .

(م ١٦ - طرابلس الغرب)

له ، وقبائل زواره التي أعلنت التزام الحياذ - أما أهالي برقة الذين أرسل إليهم أخاه عثمان بدلا من الحاج محمد شلبي بيت المال - الذي لم يكن يثق به فإنهم لم يشقوا عصا الطاعة عليه .

وبينا كان أنصار على يزدادون ، تمكن أيضا من أن يينر بذور الخلاف بين خصومه ، فأثار سكان مصراته ضد عثمان أغا الأدغم أكبر هؤلاء الخصوم وأقوامهم ، فقد كان على رأس سكان مصراته الإخوان عبد الله وأحمد المنتصر وقبائل المجاوية والقراصة التي كانت تحت حماية عبد الجليل سيف النصر ، وكان من المتوقع ألا ينضم هؤلاء إلى الثوار بسبب تنافسهم القديم مع أسرة الأدغم لمحاول الباشا ضمهم إلى جانبه بالتنازل لهم عن فزان . وأصدر أمره إلى محمد بك المكني الذي حرر مرزق ورفع الحصار عنها ، وأعاد سلطة القرماني إليها بالإنسحاب إلى الشاطيء ، وقد أطاع المكني هذا الأمر ، ولكنه اغتيل غدراً^(١) وهو يحترق أراضي مصراته . وقد أدى إخلاء فزان الغرض المطلوب إذ أن عبد الجليل لم يخرج عن حياته ولو مؤقتاً .

وقد أدت سياسة على الحكيمية إلى جعل قوة الثوار قاصرة على أهالي المنشية والساحل ، وكان من الممكن أن يجعلهم يفقدون حماسهم ، ولم يشجعهم قنصلا إنجلترا والولايات المتحدة ، إذ أن أولهما أي قنصل إنجلترا اتخذ من وجود الفرقاطين الإنجليزيين التابعتين لأسطول البحر المتوسط والذين كان ضباطهما ممنوعين من الاتصال بأهالي المدينة ، بينما كانتا تستطعيان التجول بحرية في الأماكن الثائرة حجة لإيهام التأثيرين أن حكومته منحازة إلى محمد بك (٢) - أما الثاني فإنه عندما قتل ترجمانه أنزل علم بلاده من فوق قنصليته ، واتخذ له مسكناً في المنشية ، وبق بها حتى وصلت فرقة بحرية

(١) خطاب التصل شوبيل بتاريخ أول أكتوبر سنة ١٨٣٢ .

(٢) مراسلات قنصلية توسكانا في طرابلس - المطالبان للورخان ق ٧ و ١٠ أكتوبر

سنة ١٨٣٢ *

(٣) خطابا التصل شوبيل بتاريخ ١٥ و ٢٧ نوفمبر سنة ١٨٣٢ .

أمريكية ، لم يوافق قائدها على مسلكه وأمره بالسفر معه ، وعهد إلى قنصل سردينيا ، نجرى Negri ، برعاية المصالح الأمريكية (١) .

وإزاء مسلك وارنجتون هذا ، لم يصدق أحد الحزب القائل بأن انجلترا ستراعى الحياد الكامل رغم تأييد محمد الدغيس له تأييداً رسمياً عقب عودته إلى طرابلس على ظهر الأسطول الأمريكي (٢) من مالطه وتأديته المهمة التي كان مكلفاً بها ، أما قنصل فرنسا فإنه رغم ظهوره بمظهر المناصر لعلليك ، إلا أنه كان يُفهم حكومته أن وضع حل تنفق عليه انجلترا وفرنسا وتقرضانه سيؤدي إلى حالة استقرار وسلام دائمين ، ولكن الحكومة الفرنسية لم تر من المناسب التدخل في هذا النزاع واكتفت بالتصريح لفنصلها شويل بأن يتوسط في الصلح ..

كان القنصل الفرنسي يفهم حق الفهم أن أية محاولة للصلح لا بد أن تبوء بالفشل إذا لم تتم بالاتفاق مع وارنجتون ، ولذلك اقترح على زميله الانجليزي أن يلتقي به على ظهر الفرقاطة الانجليزية التي كانت راسية في الميناء ، ولما كان سوء الحالة الجوية يجعل هذا اللقاء مستحيلاً فقد أرسل إليه خطاباً يخبره فيه بغرضه وبطلب منه التعاون معه ، ولكن وارنجتون رد عليه معترضاً بأن أوامر حكومته تمنعه منعاً باتاً من التدخل في الشئون الداخلية لحكومة نيابة طرابلس الغرب (٣) . كان على بك يعتقد أن النجاح الحربي وحده هو الذي يستطيع تقويته وتثبيتته على العرش فسكر في الاستعانة بأخصاره في طرابلس الغرب ، وخاصة بقوات « غومه بن خليفة » ، لضرب الثوار وقع فتفتهم ، وقد أعلن « غومه » تأييده لعلليك ثم أرسل بضع مئات من الرجال المسلحين لتقوية ومساعدة المدافعين عن المدينة ، ووعد بدخوله شخصياً في المعركة بعد أن يخضع بعض القبائل المداينة .

(١) خطاب القنصل شويل ببارج ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٣٢ .

(٢) خطاب القنصل شويل ببارج ٢٦ يناير سنة ١٨٣٣ .

وفي الأيام الأولى من سنة ١٨٣٣ أقطع إبراهيم بك بستائة رجل ، وماتى حصان وأربعة مدافع من طرابلس متجهاً إلى مرسى « زوارة » وبعد أن أبحر بسلام مع رجاله ، انضم غومه إليه^(١) ، وعند ما عرف الثوار ذلك أسرع محمد بك مع بعض الإمدادات إلى « الزاوية » واتجه منها غرباً لإخضاع أهالي « العجيلات » ، ولكنه انهزم واضطر إلى الانسحاب ، وكان من الممكن أن تسوء حالته أكثر من ذلك لو عرف كيف يستغل كل من غومه وإبراهيم ما أحرزاه من نجاح في البداية . ولكن عجزهما وعدم تحركهما جعل الثوار يحتلون « الزاوية » مرة أخرى ، ويقون بها حتى يوم ١٠ يونيه ولكن الثوار انهزموا مرة أخرى بعد معركة حامية الوطيس في « ززور » ، واحتلت جنود إبراهيم قلعة « الزاوية » ، وبعد النجاح الذي أحرزه إبراهيم وغومه على المطاط بالعرش ، عرض فنصل فرنسا وساطته وقدم إلى الثارين الشروط التي قبلها مقدماً على بك وهي كما يلي :

أولاً : العفو الشامل وضمان سلامة أشخاص وممتلكات جميع من ساءموا في الثورة .

ثانياً : يتعهد على بك بدفع معاش سنوى لأبناء أخيه محمد وأحمد القرماني ويضمن تمتعهما بأ ملاكهما الخاصة بشرط أن يتفلا ويقبلا في مصر أو تونس .

ثالثاً : يتعهد على بك بالإبقاء على الإمتيازات والإستقالات التي كان يتمتع بها أهالي المنقبة والساحل بشرط أن يقوموا بالواجبات التي كانوا ملزمين بأدائها .

رابعاً : اعتراف الثوار بشرعية رئاسة على بك للدولة نيابة طرابلس الغرب .

(١) مراسلات قسيلية توسكانا لى طرابلس . المطالب رقم ١٤٧ ، تاريخ ٢٧ يناير

سنة ١٨٣٣ .

(٢) خطاباً اتصل شوبل في ١٩ فبراير و « مارس سنة ١٨٣٣ .

وعبثاً طلب شويل أن يجتمع بجميع شيوخ الساحل والمنشية لإبلاغهم هذه الشروط ومناقشتها ، ولكن أحمد القرماني الذي عرضت عليه هذه المسألة^(١) أجاب بأنه لا يستطيع أن يصدر أى قرار فى هذه المسألة فى غيبة أخيه . ولم يكن وارانجتون بمنأى عن هذا القرار ، إذ كانت لديه أسباب كثيرة لبغض على بك والحقد على وزيره محمد الدغيس ، وكان لابد له فى تلك الأيام من الدفاع عن نفسه ضد الاتهامات التى وجهها إليه شقيق هذا الأخير وهو حرسونه الدغيس ، الذى كان فى فرنسا ، تلك الاتهامات التى دونها فى إحدى مذكراته الموجهة للحكومة الإنجليزية ، وفى بعض مقالات نشرت فى جريدة «الدستور» - Constitutionnel .

ومها كان الأمر فإن شويل أرجع عدم نجاحه فى مهمته إلى وارانجتون ، وأبلغ ذلك إلى حكومته فبدأت فى مفاوضات جديدة مع الوزارة الإنجليزية لحل هذه المسألة ، ولكن الرد الإنجليزى لم يكن مرضياً .

ولم تل الخطورة التى خطاها على بك حظاً أوفر من النجاح إذ كتب إلى ملك إنجلترا مباشرة فى يوليو سنة ١٨٢٣ يبلغه ارتقاءه عرش ليبيا ، ويشكو من مسلك القنصل وارانجتون ، فردت الوزارة البريطانية فى ديسمبر بأنها تسلمت رسالته وأضافت إلى ذلك أنها أصدرت الأوامر إلى قنصلها بالاحتفاظ بالحباد التام^(٢) .

ومع ذلك فإن موقف على بك كان يتحسن يوماً بعد يوم ، إذ أنه بعد الانتصار الذى أحرزه فى الزاوية ، تقابل غومه مع عبد الجليل سيف النصر وحمله على تأييد على بك الذى تمهد من جانبه بالاعتراف بعبد الجليل يكا على فران وبألا يطالب بضرائب أكثر من الضرائب التى كانت تدفع قبل حكم يوسف باشا ، وأن يعيد منح جميع القبائل اغفائها وأمتيازاتها القديمة^(٣) .

(١) خطاباً القنصل شويل فى ١٨ و ٢٨ أبريل سنة ١٨٢٣ .

(٢) « ١٨٢٣ » ١٥ ديسمبر سنة ١٨٢٣ .

(٣) « ١٨٢٣ » ١٦ أغسطس سنة ١٨٢٣ .

كذلك انفصل الحاج ، أحد المرضى ، زعيم ترهوه عن الثوار والذي كان على يـك قد أرسل إليه أخاه مصطفى ، وصرح المريض له بأنه يعترف بأن « على » هو الرئيس الشرعى للدولة .

لم يتردد يوسف فى إخطار السلطان بتنازله عن العرش وطلب منه تولية ابنه « على » . وقد أرسل على يـك بدوره خطابات لهذا الغرض إلى السلطان ، ورئيس الوزراء ، وقبودان باشا ، الذين كانت قد وكلت إليهم شئون وجاتى إفریقیة الشمالية . وقد اتجه الثوار أيضاً إلى قبطان باشا وطلبوا منه الاعتراف بالرئيس الذى اختاروه . فرأى أنه من المناسب أن يـسل سكرتيره « شاكر أفندى » لتحقيق فى هذا الأمر ، فوصل إلى طرابلس فى يوم ٢٨ أغسطس .

وبعد أن قام بزيارة يوسف باشا وتحدث طويلاً مع على يـك ومع محمد الدغيس جمع أعيان المدينة وزعماء القبولغية الثائرين فى سفينته ودعاهم إلى الاتحاد وطاعة الأمير الشرعى « على يـك » ، وعقد معهم اجتماعين ، دون أن يصل إلى نتيجة بسبب عنادهم وإصرارهم على عدم الاعتراف بعلى يـك ، ولم يخف شاكر أفندى فى حديثه مع قنصل فرنسا أن اللورد بونسوبى Ponsouby سفير إنجلترا بالقسطنطينية حاول أن يقدم مسألة على يـك إلى الحكومة التركية بطريقة لا تتفق مع مصالحه^(١) .

وأخيراً عندما اتضح استحالة التوفيق بين الطرفين ، أقبل شاكر أفندى من طرابلس فى يوم ٥ سبتمبر ، بعد أن صرح بأنه سوف يعود قريباً حاملاً فرماناً بتولية على ، وعندئذ قرر الثوار بذلك كل جهودهم لاحتلال المدينة قبل أن يتم هذا الأمر لوضع الحكومة التركية أمام الأمر الواقع ، واتجهوا إلى الحاج « محمد شلبي » الذى كان قد ترك مدينة درنه وغادرها إلى مالطة بعد تعيين عثمان القرماني فى منصب « يـك » برقة ، ورجو أن يعمل على مساعدتهم ،

بقى شلبي على تحفظه مدة طويلة فرفض الرد على خطابات على ييك ويوسف ، والخطابات التي وجهها إليه بعض الزعماء الثائرين ، ثم عاد فنزل على رجاء الوفد الذي توجه إليه ، وعلى إلحاح القنصل الإنجليزي وارنجتون .

وفي ٧ ديسمبر ، ظهر أمام ميناء طرابلس أسطول صغير سلحه شلبي يتكون من ثلاث سفن حربية يخفق فوقها علم المطالب بالعرش ^(١) ، وخرجت أربعة قوارب من حاملات المدافع للقائها ، فابتعد الأسطول ورسا على مقربة من رأس « تاجوراه » ، حيث نزل منه شلبي والزعماء الذين كانوا موافقين إليه إلى البر ، ولم تستطع قوات على ييك أن تمنع إزال الأسلحة والذخائر ، وكان كل ما استطاعت عمله هو الاستيلاء على إحدى السفن بعد أنزلت كل حوالتها ^(٢) إلى البر . وقد بدأ الثوار الذين كان تحت أيديهم مدفع هاون وكبة من القنابل في إطلاق النار على المدينة في يوم ٢٧ مارس ، وأحدثوا من الدعر أكثر مما أصابوا من أضرار ^(٣) ، ولم يبق من قناصل الدول في قنصلية سوى قناصل فرنسا وأسبانيا وسردينيا ونابلي . أما قنصل البرنغال فقد ذهب إلى مالطة ، وأقام قناصل توسكانا والسويد والدانمرك في المنشبة ^(٤) .

كان وجود شلبي يساعد الثائرين أكثر من مساعدة الأسلحة والذخائر لهم ، فقد كان للرجل أتباع كثيرون وسلطة واسعة ، كما كان ذا همة عالية أهله لأن يصبح الزعيم الحقيقي للثورة . ولما كان على ييك يستكر كل الاستنكار ذلك الموقف العدائي الذي وقفه شلبي منه ، وكان لا يستطيع ضربه مباشرة ، فإنه أخذ في اضطهاد أصدقائه وأنصاره الذين كانوا في المدينة وعلى الأخص « إبراهيم بومويس » .

(١) مراسلات قنصلية توسكانا إلى طرابلس . الخطاب رقم ١٦٠ ، المؤرخ في ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٣٣ - خطاب القنصل شوبيل في ١٥ ديسمبر سنة ١٨٣٣ .

(٢) خطاب القنصل شوبيل في ٣ فبراير سنة ١٨٣٤ .

(٣) ٣ ٣ ٣ ٣ ٣٠ مارس ١٨٣٤ .

(٤) مراسلات قنصلية توسكانا إلى طرابلس . الخطاب رقم ٦٤ المؤرخ في ٢٦ أبريل سنة ١٨٣٤ .

وقد اضطر على بيع ، لكي يحصل على الاموال اللازمة لدفع مرتبات الجنود النظاميين إلى بيع جزء من النفائس التي كانت تمتلكها زوجة أبيه . لالة زهرة ، في طرابلس كما باع جزءاً آخر في تونس ، واستصدر من القاضي أمراً بمنع يوسف باشا من إدارة أملاكه بطريق مباشر وبالحجر عليه . ويتعين على بيعك بصفة قيم عليه^(١) .

في هذه الأثناء كان الناس في طرابلس يعيشون بين الخوف والامل ، في انتظار تدخل الباب العالي في الأمر ، وعلى الاخص بسبب الاخبار التي كانت ترد من الخارج ، إذ راجت شائعات لعدة أشهر عن محاولة جديدة من قبل والي مصر للاستيلاء على طرابلس وتعهده بتهديتها وإقرار النظام فيها ، مما سبب انتشار الذعر في البلاد^(٢) .

وفي شهر فبراير من سنة ١٨٣٤ ، أكد ممثل حكومة نيابة طرابلس الغرب في القسطنطينية أن الاعتراف « بعلی بك » أصبح أمراً مقررأ ، وقد تأكد هذا الخبر من خطاب أرسله « قبودان باشا » ، ولكنه كان سابقاً لأوانه ، إذ عندما عاد شاكر أفندي إلى القسطنطينية لتقديم تقرير عن مهمته ، وصل إليها مندوب من قبل حسين بك رئيس حكومة نيابة تونس ليطالب من الباب العالي تولية وريث مصطفى القرمانلي لرئاسة طرابلس الغرب . وفي شهر فبراير وصل شاكر أفندي إلى تونس وأخبر حسين بك بالشروط التي يقبل بها السلطان لإجابة طلبه . وهي دفع مبلغ كبير في الحال ، وإعادة دفع الجزية السنوية التي كانت حكومة نيابة طرابلس الغرب تدفعها فيما مضى للباب العالي .

(١) راجع اسماعيل كاشي في « وثائق لم تذكر ... الخ » ، السالف الذكر ص ١٩٩ .
(٢) مراسلات قنصلية سردنيا العامة في طرابلس مع وزير الحربية والبحرية ورئيس الأبرالية المخطاب ولم ٢٢٤ ، المؤرخ في ٦ مارس ١٨٣٣ - خطاب للتصل شوييل في ٣ يونيو سنة ١٨٣٨ - انظر سير Serree الكتاب السالف الذكر ص ١٠٨ .

وقد بدت هذه الشروط مرهقة للغاية ، ولذلك لم يكن من المستطاع الوصول إلى الاتفاق^(١) .

وأثناء ذلك كان الصراع بين الطرفين مستمراً ، يشجع أحدهما ويؤيده فنصل إنجلترا ، ويشجع الطرف الآخر ويؤيده فنصل فرنسا ، اللذان كانا يشتركان في النزاع لتقرير أسبقية دولتهما رغم تصريحهما بالتزام الحياد التام ، وكان يسرهما وقوع أى حادث يؤدي إلى تدخل عسكري لمصلحة المرشح الذي كان يعمل كل منهما لصالحه^(٢) .

استمر القتال سجالاتاً بين الفريقين ، وكان وقف الثوار قد تحسن تحسناً ملحوظاً منذ أن تولى شابي قيادة حركتهم ، غير أن المفاوضات التي قام بهامع زعماء البلاد الداخلية وخاصة مع عبد الجليل سيف النصر لم تؤد إلى نتائج ملموسة ، إذ أنه لم يحصل من هذا الزعيم ولا من الزعماء الآخرين إلا على تصريحات عامة عما يكونونه من ودة ، وقد تمكن شابي من منع فرار الجنود وحمل المجندين من القبول لولاية على القيام بنشاط كبير ، غير أنه كان واضحاً أن هؤلاء القبول لولاية لا يستطيعون بقواتهم وحدها تهديد المدينة تهديداً جدياً ، أو منع وصول شحنات من القمح أو الماشية بطريق البحر إلى المدينة^(٣) ، ولذلك فإن قذف قنابلهم المنقطع ، والذي كان عديم الأثر ، لم يكن له من نتيجة إلا إغضاب سكان المدينة واستتارة انتقامهم .

وقد أمر على بك بأن تقوم بعض القوارب المسلحة بالمدافع بضرب موقع الجرك الذي أقامه الثوار ، فأنفجرت إحدى القنابل على مقربة من دار القنصل وأرنجتون الذي احتج بشدة ، وأبطل على الضرب نتيجة لذلك^(٤) .

(١) خطاب القنصل شوبل في ٣٠ مارس سنة ١٨٣٤ ، راجع « سير » الكتاب الثالث الذكر ص ١١٢ - ١١٣ .

(٢) مراسلات قنصلية سردينيا العامة في طرابلس مع وزير البحرية والبحرية ورئيس الأميرالية . الخطاب رقم ٢٢٠ ، المؤرخ في ٢٥ يناير سنة ١٨٣٣ - راجع « سير » الكتاب الثالث الذكر ص ١٠٧ .

(٣) خطاب القنصل شوبل بتاريخ ٢٥ يونيو سنة ١٨٣٤ .

(٤) « ١٣ يوليو سنة ١٨٣٤ » .



الباب الخالي لمسجد الدروج
ويوجد مثله صناعة محلية في مسكن أحمد باشا بالقاهرة

وأثناء ذلك رأى المكتب الاستعماري إجراء تحقيق مع وارينجتون إثر مقال نشرته جريدة التبس ، وكان له صدى في البرلمان ، بسبب حادث أناره شوبيل وأدى إلى الجدل بين فرنسا وإنجلترا حول مسألة طرابلس الغرب . فقد أبلغ القنصل الفرنسي - رغبة منه في إعادة السلام إلى البلاد - بعض زعماء الثوار كتابةً عرض « على » وعلق عليها بعزماته لها وختمها بنجائهم القنصلية (١) ، غير أن محمد القرماني تمكن من القبض على بعض هؤلاء الزعماء وأتهمهم بالتآمر لصالح على بك وسلم الخطابات التي وجدت لديهم إلى وارينجتون فأرسلها إلى حكومته ليثبت أن فرنسا تدخل بطريق مباشر لمصلحة أحد الطرفين المتخاصمين ، وتلا ذلك تبادل مذكرات بين كل من فرنسا وإنجلترا . وقد اقترح سفير فرنسا في لندن إبعاد القنصلين عن البلاد ، ولكن المكتب الاستعماري اكتفى بالنصریح بأن هناك تحقيقاً يجرى حول أعمال وارينجتون وأنه سوف يقوم بإبلاغ نتيجته إلى الحكومة الفرنسية وبدأ حينئذ أنه لا يوجد مخرج من هذا الموقف ، حتى عاد شاكر أندی إلى طرابلس يحمل فرماناً من السلطان محمود الثاني يؤيد تولية على القرماني كرئيس لدولة نيابة طرابلس الغرب ويمنحه رتبة الميرميران الذهبية مع لقب باشا (٢) .

وفي اليوم الخامس والعشرين أقيم احتفال التولية بمراسيمه المعتادة (٣) في هو القلعة الكبير بحضور القاضي والعلباء والأعيان وهيئة القناصل ، وصرعان ما أرسلت نسخة من فرمان إلى كل من « محمد بيك » ، زعيم الثوار و« عثمان آغا الأدغم » و« عثمان بيك القرماني » و« غومة بن خليفة » .

(١) مراسلات توسكانا في طرابلس — المصاحف رقم ١٦٥ ، للزوخ في ٢٩ مايو سنة ١٨٣٤ — خطاب القنصل شوبيل بتاريخ ٢٥ يونيو سنة ١٨٣٤ .

(٢) مراسلات قنصلية توسكانا في طرابلس — المصاحف رقم ١٦٥ ، للزوخ في ٢٩ صفر سنة ١٨٣٤ .

(٣) مراسلات قنصلية سردنيا العامة بطرابلس مع وزير البحرية والبحرية ورئيس الأميرية — المصاحف رقم ٣٥٨ ، للزوخ في ١٣ أكتوبر سنة ١٨٣٤ .

والحاج ، أحمد المريض ، ، وقد أرسلت هدية إلى الآخرين وهي « بورنسان فاخران » لما أبدياه من الإخلاص لقضية الأمير الشرعي^(١) .

وكان يتحتم على وارتجتون نظراً للتعليمات التي تلقاها من حكومته ، إعادة العلاقات الرسمية مع عليّ عندما يتم اعتراف السلطان به كرئيس لدولة نيابة طرابلس الغرب . ولهذا طلب أن يتوجه إليه بصحبة المندوب التركي ، وقد استقبل استقبالاً حافلاً في يوم ٢٧ ، وقدم تأكيدات على نوايا الحكومة البريطانية الطيبة نحو حكومة نيابة طرابلس الغرب ، ووعد باتخاذ مسكن له في المدينة ، وبأن يعيد إليها الرعايا البريطانيين الذين كانوا قد خرجوا منها ليقيموا في المنشية .

ولما كان من المتوقع أن يُظهِر كثيرون من الثوار استعدادهم لإطاعة أوامر السلطان ، فإن وارتجتون أراد انتهاز هذه الفرصة لاستعادة ما كان له من هبة ، ففرض وساطته بين الثوار والباشا ، ولكن شاكر أفندي صرح بعدم استطاعته قبول هذه الوساطة لأنه كان محظوراً قبول أية وساطة أجنبية^(٢) . فغضب وارتجتون لهذا الرفض ولم يف بوعده بالعودة إلى المدينة وبقى يقيم بين الثوار يشجعهم على المقاومة الأمر الذي أثار دهشة زملائه الذين لم يجدوا تفسيراً لمسلكه^(٣) .

أحدث حقاً اعتراف السلطان برئاسة عليّ للدولة شيئاً من الحذور في نفوس الثوار في بادئ الأمر . فطلب أهالي « تاجورا » و« زوزور » ، لإبلاغهم بالفرمان ، وأعلنوا إستعدادهم للدخول في طاعة الأمير الشرعي^(٤) .

ولما كان معنى هذا الطلب وما أحاط به من أخبار الاعتقاد بأن نص المرسوم السلطاني لم يصل إلى علم الأهالي ، فقد كتب شاكر أفندي في

(١) واجه اسماعيل كالي في « وثائق لم تنشر ... الخ » السالف الذكر ص ٢٥٤ .

(٢) خطاب القنصل شويل بتاريخ ٣٠ سبتمبر سنة ١٨٣٤ .

(٣) مراسلات قنصلية مملكة سردينيا المأداة في طرابلس مع وزير الحربية والبحرية ورئيس الأمبرالية - الخطاب رقم ٢٥٣ السالف الذكر .

(٤) خطاب القنصل شويل بتاريخ ١٣ أكتوبر سنة ١٨٣٤ .



شارع في المدينة القديمة بطرابلس زينة الفرنسيين
وفي آخره يوجد قوس ماركو أورليو



شارع كوشة الصفار بالمدينة القديمة بطرابلس



مسجد خليل باشا على الغضيرة بمدينة طرابلس

١ أكتوبر إلى كبار مشايخ المشيخة والساحل بدعوم إلى التوجه مع رجالهم إلى الأصدرية ، على مقربة من أسوار المدينة ليقوم بإبلاغهم علانية بما منحوا من كرم وتسامح .

وتوجه فعلا في اليوم التالي برفقة حرس من الجنود النظاميين من الأتراك إلى ميدان سوق الثلاثاء ، حيث أقام معسكره ، ولكن لم يحضر أحد ، وبعد انتظار دام ساعتين دون جدوى ، وصله خطاب يرجوه فيه رؤساء الثوار أن يتوجه إليهم في مسجد خليل باشا ، في الضهرة .

فعاد إلى المدينة حيث وصله خطاب موقع عليه من حوالي مائة وعشرين من الزعماء والأعيان ، الذين رغم ما أظهره من ولاء للباب العالي ، قد صرحوا بعدم رغبتهم في الإعراف بعلي القرمانلي كحاكم عليهم ، ورجوا شاكر أفندي في تأييد الأمير الذي يختارونه ، فرد عليهم بأنه يعطيهم مهلة مدتها ستة أيام لإعلان الخضوع والاستسلام ، فإذا مضت هذه المدة سوف يعتبرون متمردين على السلطان .

وقد انتهز جميع القناصل الأوروبيين المقيمين في المدينة هذه الفرصة لكي يطلبوا إلى الثوار الخضوع للباب العالي ، وقبول شروط الصلح التي عرضت عليهم^(١) .

وعندما انتهت المهلة التي حددها شاكر أفندي دون أن يصله أي رد ، أعلن حصار الشاطئ الشرقي لطرابلس حتى رأس « ناجوراء » ووافق القناصل على ذلك فور إعلانهم به ، ماعدا وارجنتون الذي طالب بأن يكون الحصار قاصراً على مسافة فرسخ من المدينة حتى تستطيع السفن الإنجليزية القيام بعمليات الشحن والتفريغ فيها وراء تلك المسافة في هدوء وطمأنينة^(٢) .

(١) خطاب القنصل شويل بتاريخ ١٣ أكتوبر سنة ١٨٣٤ .

(٢) مراسلات القنصلية العامة لسردينيا بطرابلس مع وزير البحرية والبحرية والأميرالية — الخطاب رقم ٢٥٣ المؤرخ في ١٣ أكتوبر سنة ١٨٣٤ خطاب القنصل شويل بتاريخ ٩ نوفمبر سنة ١٨٣٤ .

(٣) مراسلات قنصلية مملكة سردينيا العامة بطرابلس مع وزير البحرية والبحريين والأميرالية — الخطاب رقم ٢٣٥ المؤرخ في ٤ نوفمبر سنة ١٨٣٤ .

وفد رد الثوار على إعلان حصار الشاطئ ، الساحل ، بالتهديد بإطلاق النار على السفن التجارية التي تصبح عند مدخل الميناء تحت رحمة بطارياتهم ، وقد أطلقت هذه البطاريات نيرانها فعلا على بعض السفن التركية وعلى سفينة نابوليتانية كان القنصل الإنجليزي قد وعدّها بحمايته على شرط ألا تفرغ شيئاً من حولها في المدينة ^(١) .

وهكذا ظهر أن كل الإجراءات التي اتخذها مندوب الباب العالي كانت عبثاً ، وأصبح لافائدة من إقامته بعد ذلك في طرابلس ، ومع هذا وافق على إطالة مدة إقامته نزولاً على رجاء ، على باشا ، الذي كان في حاجة إلى بعض الوقت لإعداد الهدية التي كان من المعتاد تقديمها إلى مندوب الباب العالي الذين يحملون فرمانات التولية أو التثبيت على العرش ، ثم أفلح في يوم ٣١ ديسمبر منجها إلى القسطنطينية ^(٢) .

وفي أوائل ذلك الشهر كان وارنجتون قد عاد نهائياً إلى المدينة وترك ابنه في المنصب . وفي يوم ١٤ رفع العلم البريطاني من جديد فوق القنصلية الانجليزية ^(٣) بعد أن صدر أمر حكومته بذلك ، ومع كل هذا فقد استمر يحتفظ بعلاقات متينة وقوية مع زعماء الثوار ^(٤) .

وقد قررت الحكومة الفرنسية وضع حد لهذه الحالة فنقلت شويل إلى تونس ، وأخطرت الحكومة البريطانية بذلك أملاً في أن تقوم هذه الحكومة بنقل قنصلها حتى يستقر السلام ، ولكن هذا لم يحدث .

وقد انتهت المفاوضات التي قام بها الباب العالي في القسطنطينية مع السفير الانجليزي والتي أجراها في لندن بواسطة سفيره نامق باشا الذي

(١) مراسلات قنصلية مركسة سمرقيا العامة بطرابلس مع وزير البحرية والبحرية وودروس

الأمرالية — العصاب رقم ٢٣٥ ، المؤرخ في ٤ نوفمبر سنة ١٨٣٤ .

(٢) خطاب القنصل شويل بتاريخ ١٦ يناير سنة ١٨٣٥ .

(٣) خطاب القنصل شويل بتاريخ ١٥ ديسمبر سنة ١٨٣٤ .

(٤) مراسلات قنصلية سمرقيا العامة بطرابلس مع وزير البحرية والبحرية ورئيس

الأمرالية — العصاب المؤرخ في ٣٠ يناير سنة ١٨٣٥ .

تفاوض مع مكتب العلاقات الخارجية من أجل استدعاء وارنجتون من طرابلس — انتهت دون نتيجة ، وأصبح لا مناص من استمرار النزاع بين قنصل فرنسا وبريطانيا العظمى حتى بعد إبعاد شويل .

وفي الواقع سرعان ما دخل القنصل الجديد الفارس دي بوربولون De Bourboulon الذي خلف شويل والذي وصل إلى طرابلس يوم ١٩ يناير في نزاع مع زميله الانجليزي بسبب استمرار الأخير في وضع المراقيل والصعوبات لإبقاء الحصار وبسبب إدعائه بحقه في أن يستقبل الباشا قبل غيره من القناصل الذين يذهبون لزيارته بمناسبة عيد الفطر (١) .

وعندما لم تجد فرنسا طريقة أخرى لحسم النزاع ، ضغطت على الحكومة العثمانية بواسطة سفيرها في القسطنطينية الأميرال روسان Roussin لكي ترسل إلى طرابلس فرقة بحرية وقوة من جيشها ، وأحاطت بمثلها في طرابلس علماً بما اتخذته من إجراءات ودعته إلى الاستمرار في أعمال التوفيق التي يقوم بها وقد استقبل الباشا بأوصول الفرقة البحرية التركية بالبهجة والسرور كما ابتهج لهذا الخبر كل من أصابهم ضرر من استمرار الأعمال الحربية في البلاد (٢) ، بينما كان لهذا النبأ أسوأ الأثر في نفوس الثوار ، الذين تخلى قسم منهم عن محمد القرماني ، وانضم إلى غومه الذي استولى على « ززور » .

رأى قنصل فرنسا أن الوقت ملائم لمحاولة القيام بالتوفيق بين الطرفين المتخاصمين مرة أخرى ، فأترح على وارنجتون أن ينضم إليه لمفاوضة الثوار بطريقة غير رسمية فإذا قوبلت هذه المحاولة المبدئية بالاستحسان ، يرمضان وساطتها رسمياً ، وقد وافق وارنجتون على هذا الاقتراح ، ولكنه لم يشأ أن يذهب بنفسه إلى محمد القرماني وأتاب قنصل توسكانا ، روسوني Rosoni ، للقيام بهذه المهمة فتوجه هذا القنصل مع مترجم القنصلية الفرنسية

(١) خطاب قنصل فرنسا « دي بوربولون » بتاريخ ٧ فبراير سنة ١٨٤٥ .

(٢) مرسلات قنصلية مملكة سردينيا العامة في طرابلس مع وزير الحربية ورئيس الأميرالية — الخطاب رقم ٢٦٦ بتاريخ ١٥ مايو سنة ١٨٤٥ .

(١٧٢ — طرابلس الغرب)

في يوم ١٢ إبريل بموافقة الباشا إلى المنشبة واستقبلهم زعماء النوار استقبالا حسنا ، وبعد أن عبروا عن شكرهم وعرفانهم بالجميل ، طالبوا باستفتاء الشعب قبل كل شيء .

غير أنه سرعان ما تبددت الآمال التي علفت على هذا الاجتماع الأول ، إذ عندما ذهب وارنجتون في اليوم التالي إلى النوار ، اتضح له عدم استعدادهم لقبول أية تسوية ^(١) .

وأثناء ذلك كانت تجري استعدادات كبيرة في القسطنطينية لإعداد إحدى عشرة سفينة حربية ونقلات تكفي لخل سبعة آلاف جندي بمد أن أهل ذلك المشروع الأول الذي كان يقضى بإرسال حملة صغيرة لتأييد الباشا تأييداً أدبياً .

وعندما طلب سفير فرنسا تفسيراً لتغير المشروع الأول أجيب بأنه لا يمكن التصريح بأي شيء في الوقت الحاضر يتعلق بهذا الأمر .

أقلع الأسطول التركي في آخر مارس وفي مقدمته طراداة كانت تحمل شاكر أفندي ^(٢) الذي كان مكلفاً بإبلاغ الباشا بوصول الحملة .

وفي يوم ٢٦ مايو رسا الأسطول المؤلف من اثنتين وعشرين سفينة في ميناء طرابلس ، وأدى النجدة للديانة بإطلاق ست طلقات من مدافعه وردت بطاريات المدينة النجدة بمثلها طلقة بطلقة ، وسرعان ما ذهب علي باشا بصفة رسمية إلى ظهر سفينة القيادة لزيارة قائد الأسطول مصطفى نجيب باشا الذي استقبله استقبالا وديا للغاية وصرح له بأنه مرفد لمساعدته ، ورجاه في العمل على إيجاد مساكن للجنود . وعندما عاد علي باشا إلى البر ، أسرع بإعطاء تعليماته في هذا الشأن ، وبدأ إزال الجنود في مساء يوم ٢٦ ، واستمر في

(١) مراسلات قسطنطينة في طرابلس — الخطاب رقم ١٨٩ بتاريخ ١٨ إبريل سنة ١٨٣٥ ، وخطاب التصلب « بوربولون » بتاريخ ٢٠ إبريل سنة ١٨٣٥ .

(٢) مراسلات قسطنطينة في طرابلس — الخطاب رقم ١٩٣ ، للورخ في ٢٣ مايو سنة ١٨٣٥ .

اليوم التالي، واحتل أربعة آلاف جندي من جنود المدفعية الحصون والمواقع الإستراتيجية في المدينة.

وفي يوم ٢٨، دعا شاكر أفندي على باشا للحضور إلى سفينة القيادة للنزول منها باحتفال في صحبة القائد، وعندما صعد إلى السفينة أبلغه القائد بعزله من منصبه بأمر السلطان وبوجوب ذهابه إلى القسطنطينية هو وأسرته وكل من يريد السفر معه ثم نزل القائد نجيب باشا بعد ذلك مباشرة إلى البر حيث حينه المدفعية وهتف له الجنود، واتجه إلى القلعة حيث كان في انتظاره في هو الاجتماعات القاضي والعلما وكبار المواطنين وتلا فرمان السلطان الذي نص على سقوط أسرة القرماني عن العرش وتعيين القائد مصطفى نجيب باشا والياً على نية طرابلس الغرب.

وبعد تلك الحفلة أمر نجيب باشا بفتح الأبواب، ودعا أهالي المنشية والساحل لدخول المدينة بدون سلاح، وقد استجاب له الكثيرون في نفس الليلة واستجاب عدد أكثر في اليوم التالي.

أما محمد القرماني فإنه انتحر بعد أن تخلى عنه الجميع وفر أخوه أحمد ولجأ إلى جزيرة مالطة، وحاول شابي وإخوته الانجاء إلى سفينة إنجليزية، ولكن شابي عاد بعد أيام قليلة إلى المدينة وتمتع بعطف الحكومة الجديدة مدة من الزمن.

وفي يوم أول يونيه سافرت فرقاطة تركية إلى القسطنطينية تحمل الباشا المعزول وصهره محمد الدغيس وعدداً قليلاً من أنصاره الذين بقوا على إخلاصهم له^(١).

(١) مراسلات قسطنية مملكة سردينيا التابعة مع وزارة الخارجية — الخطاب رقم ٣٠١ المؤرخ ٥ يونية سنة ١٨٣٥ — ومراسلات قسطنية توسكانا في طرابلس — الخطاب المؤرخ في ٢٦ مايو سنة ١٨٣٥.

(٢) خطاباً الفصل دي بوربولون في ٢٢ يونيو و ٢٤ أكتوبر سنة ١٨٣٥.

أما القرمانيون الآخرون ، فقد عين منهم عثمان بك في منصب
بك ، برقه وهو المنصب الذى كان يشغله من قبل ولكنه ترك البلاد
في شهر أكتوبر الذى هو وخبيل الذى كان بىكاً لبغدادى وبى مصطفى بك
في ترهونه ، لدى الحاج أحمد المريض حتى شهر أغسطس من السنة التالية
ثم عاد إلى طرابلس حيث توفى بعد قليل بالطاعون^(١) ، أما يوسف باشا
الذى كان شيخاً هرماً لا يقدر على شيء ، فقد تركت له الحرية في البقاء في
المدينة دون أن يجمع أحد هو وأولاده إبراهيم وعموره اللذان أرادت
الحكومة الجديدة الاستفادة منها لحل زعماء البلاد الداخلية من أنصار
الأسرة القرمانية على الخضوع والاستسلام .

ونشرت جريدة «المشير العثماني» في مقال لها خبر هذا الحادث ، بعد
أن تلخصت الأحداث الأخيرة التي وقعت في طرابلس الغرب وأشارت
إلى المحاولات التي تمت لتهديم البلاد قائلة : إنه لما كانت نيابات الغرب
جميعاً جزءاً من الإمبراطورية العثمانية ، ولما كان صاحب الجلالة يرغب
في رخاء كل ولاية ، فقد رأى أنه من الضروري تعيين رجل حكيم وكفء
في طرابلس لإدارتها على أحسن وجه .

أما السبب الذي استندت إليه الحكومة العثمانية لعزل علي باشا
القرماني وإسقاطه عن العرش وإعادة حكمها المباشر إلى طرابلس فلا يبدو
مستغافراً ، إذ أن الالتماس الذي كان قد أرسله زعماء القولوجية في شهر
يناير سنة ١٨٣٥ إلى السلطان بواسطة بك تونس والذي يرجونه فيه
ليرسل والياً من قبله إذا لم يكن من الممكن تعيين الرئيس الذي يختارونه
ويذكرون أنهم على استعداد للخضوع له ، هذا الالتماس لم يقابل

(١) خطاباً اتصل دى بوربون في ١٧ أغسطس و ١٥ سبتمبر سنة ١٨٣٦ .

(٢) راجع اسماعيل كالي في «وثائق لم ننشر... الخ» الكتاب السابق اذكر مر

٢١٣ — وقد توفى يوسف القرماني بمدينة طرابلس في يوم ٤ أغسطس سنة ١٨٣٨ . وكان
قد وصل إلى حالة يرثى لها حتى أن أهله لم يجدوا دفناً له . فقامت الحكومة بدفنه على
حلقها — مراسلات قسطنطينية في طرابلس الخطاب المؤرخ في أغسطس سنة ١٨٣٨ .

بالاستحسان ، وخاصة بسبب المسلك الذى سلكه هؤلاء إزاء شاكر أفندى ، ومن جهة أخرى فإن الفرض الذى افترضه سير Serres^(١) لم يكن مقبولا وهو رغبة الحكومة العثمانية فى أن تكون لها قاعدة للعمليات الحربية قريبة من الجزائر حتى تستطيع أن تمد يد المساعدة بسهولة إلى أولئك الذين كانوا يقاومون الغزو الفرنسى بقوة السلاح ، وعلى الأخص عبد القادر وييك قسطنطينة — إذ مما لا شك فيه أنه إذا سيطر الباب العالى على طرابلس فإنه يستطيع الإفادة من وجوده بها لمناغضة فرنسا فى استيلائها على الجزائر ، ومحاربة نفوذها القوى فى تونس ، ولكن لم يكن يبدو أن الدولة العثمانية تستند إلى هذه الحجج بأية حال عند إعادة احتلالها لطرابلس الغرب .

وإن الأهداف التى ذكرناها اعتيادا على وثائق تؤيد وتكمل للمستندات التى بحثها واعتمد عليها « سير » فى كتابه ، تثبت أن الباب العالى كان ينوى التدخل فى طرابلس الغرب فى الأشهر الأولى من سنة ١٨٣٥ لا لشيء سوى تأييد على باشا القرمانلى وحمل الإمدادات اللازمة إليه لإخضاع الثوار .

ولذلك كان تغيير القرارات التى اتخذتها الدولة العثمانية أمراً مفاجئاً ، ولم يعرف أحد سبباً مقبولا له .

ومع هذا فإن من يحسن التأمل ، ويدقق النظر ، يستطيع أن يدرك بسهولة السبب فى تغيير اتجاه الباب العالى ، حتى ولو لم تكن هناك أية إشارة إليه فى الوثائق . إذ أن الروابط التى كانت تربط دول المغرب بالامبراطورية العثمانية كانت ضعيفة للدرجة أن هذه الدول لم تنته أول الأمر بقيام النزاع بين داي الجزائر وفرنسا ، وإذا كانت الدولة العثمانية قد عملت على إحباط المشروع الفرنسى الذى كان يرمى إلى منح والى مصر حكم

نيابات الغرب ، فإن ذلك العمل الذى يتعارض مع التصريحات السابقة قد تم تحت ضغط سفير بريطانيا العظمى فى القسطنطينية .

وأثار سقوط مدينة الجزائر وإعادة إرسال الجنود الأتراك إلى طرابلس دهشة عظيمة فى القسطنطينية ، وخيبة أمل أكثر مما أحدثا من توتر ، ومن جهة أخرى أدت تصريحات السفير الفرنسى إلى بعث الأمل فى وضع الجزائر تحت الحكم المباشر للباب العالى .

وهكذا يمكن القول بأن استيلاء فرنسا على الجزائر قد أثار استياء الحكومة البريطانية أكثر مما أثار غضب الحكومة العثمانية ، ولم يكن هذا هو آخر سبب للقطعية بين إنجلترا وشارل العاشر ملك فرنسا .

فقد غيرت ثورة يوليو العلاقات بين الدولتين الكبيرتين تغييراً أساسياً ، وكانت الأسباب التى دعت إلى إعادة التقارب الفرنسى الانجليزى معلومة للجميع ولا ينسج المجال هنا لذكرها .

ويكفى أن نشير إلى أن الملك لوى فيليب ما كاد يرتقى العرش حتى أسرع لإفهام الجميع رغبة منه فى تجنب كل خلاف - بأنه إذا كان لا يستطيع تحدى رأى العام الفرنسى بإصدار أمره بالجلء عن الجزائر ، فإنه من جهة أخرى لا يرى إلى التوسع فى فتوحاته ، ولكى يثبت صدق نواياه سحب جانباً كبيراً من جنود الاحتلال ، واتخذ ، الاتفاق الودى ، مع بريطانيا أساساً لسياسته .

ومنذ تلك اللحظة بدأت الوزارة البريطانية تتبع نحو المسألة الجزائرية السياسة التى أسماها ه سير ، سياسة الصمت وتجنب إصدار أى تصريح بشأنها ، وأرسلت بريطانيا تعليمات إلى سفيرها بالقسطنطينية وقناصلها بمدن إفريقيا الشمالية ، بالامتناع عن أى عمل قد تعتبره فرنسا معادياً لسياستها الإفريقية . غير أن الصمت لم يكن مناه عدم الاهتمام ، إذ أن إنجلترا قد تبعت بانتباه زائد ، ويقظة كبيرة ، تطورات هذه السياسة وحاولت أن تمنع

بطريق مباشر وغير مباشر توسع فرنسا في فتوحاتها وبسط نفوذها على شمال إفريقيا .

ولهذا الغرض اقترحت على محمد علي ، بسط حكمه على الجزائر إذا أخلتها فرنسا ، واحتلال طرابلس الغرب أيضاً وبحيث أمر بسط حمايتها عليها . ولا يجب أن يغيب عن بالنا ، أن إنجلترا رغم أنها فرضت على نفسها هذه السياسة فإنها كانت لا تتدخل عند ما كان وكلاؤها في طرابلس يصطدمون مع قناصل فرنسا ، كما أنها لم تكن تتخلي عنهم ، بل كانت ترمي إلى كسب الوقت فقط .

وعند ما قررت فرنسا أن تخضع بلاد الجزائر بأكملها لآثر المناقشة المشهورة التي دلت في البرلمان الفرنسي في شهرى أبريل ومايو من سنة ١٨٣٤ ، لم تكف إنجلترا فقط بتشجيع عبد القادر على المقاومة ، وتقديم الوسائل اللازمة للاستمرار في الحرب ، بل حلت الباب العالي أيضاً على الاحتجاج ضد نشاط فرنسا المتجدد ، وميولها الاستعمارية والتوسع في أراضي خاضعة لحكم السلطان ، وقد ظهر هذا الاتجاه الجديد الذى كان غامضاً وغير واضح أثناء سنة ١٨٣٤ بعد أن عاد بالمرستون Palmerstone إلى السلطة كوزير للخارجية في سنة ١٨٣٥ .

ومنذ ذلك الوقت فصاعداً ، بدأ التحالف الودى ، يتلاشى ، إذ أن فرنسا التي كانت لا تقبل من حليفة لها أن تدير دفة سياستها ، وتمرقل مشروعاتها السياسية بدلا من تأييدها - قد حاولت التقرب ثانية من دول القارة الأوروبية . وأثناء ذلك بدأ بالمرستون الذى كانت سياسته لا ترمى إلى شئ سوى العمل على رعاية مصالح بلاده بمنتهى الحرص والدقة - بدأ القيام من جانبه بمعارضة خفية لسياسة الملك لوى فيليب في جميع الميادين معارضة دائمة منظمة .

وقد نشب بين السفيرين البريطانى والفرنسى في القسطنطينية ، وهما اللورد الفيكونت « بونسونى » والأميرال « روسان Roussin » ، خلاف

لا يقل عنفاً عن الخلاف الذي كان قائماً بين قنصل الدولتين في طرابلس ولكنه كان من أجل المصالح السياسية لكلتا الدولتين ، وكانت بريطانيا العظمى تنظاهر بحماية السلطان ، وتظهر أنها لا ترى من وراء ذلك إلى أية مصلحة ولذلك ثبت مركزها في القسطنطينية ، وقام سفيرها بدور هام في هذا السبيل إذ أوعز إلى السلطان بأن الصداقة التي تدعيها فرنسا للامبراطورية العثمانية ، يناقضها ذلك العمل الذي تقوم به هذه الدولة لإضعاف الامبراطورية العثمانية وتجريدها من أملاكها .

وكان العمل الذي قامت به بريطانيا العظمى في طرابلس يدخل في نطاق السياسة التي ترمي إلى منع التوسع الفرنسي في إفريقيا الشمالية إذ أن تثبيت على باشا القرماني الذي كانت تعضده الحكومة الفرنسية ويدين بالولاء لها ، كان معناه بسط النفوذ الفرنسي أيضاً على طرابلس الغرب ، ذلك النفوذ الذي كان قد توغل في تونس ، وكان لانهلثوا كل المصلحة لمنع هذا التوسع ، ولكنها لم تكن ترى من الملائم أن تتدخل بطريقة سافرة ، ولذلك أوعزت إلى الامبراطورية العثمانية بضرورة العمل بنفسها .

هذا وليس من الصعب أن تؤكد أن السبب الرئيسي في إرسال تلك الحملة التي أعادت حكم السلطان المباشر إلى طرابلس في مايو سنة ١٨٣٥ يرجع إلى إحماءات بريطانيا وضغطها .

المراجع^(١)

أولاً : الوثائق الغير مطبوعة

في مدينة طرابلس

دار المحفوظات التاريخية

- ١ - مراسلات قناصل مملكة سردينيا في طرابلس إلى وزارة الحرية والبحرية وإلى قائد البحرية من نوفمبر سنة ١٨١٦ إلى يناير سنة ١٨٥٢ .
- ٢ - مراسلات قناصل مملكة سردينيا إلى وزارة الخارجية من يونيو سنة ١٨٢٣ إلى أغسطس سنة ١٨٣١ ومن يناير سنة ١٨٢٥ إلى سبتمبر سنة ١٨٣٧^(٢) .
- ٣ - مراسلات متنوعة لقناصل مملكة سردينيا في طرابلس - عدا المرسلة إلى وزارة الحرية والبحرية ووزارة الخارجية - من ديسمبر سنة ١٨٠٧ إلى أغسطس سنة ١٨٣٤ .
- ٤ - سجل يشمل تقارير متنوعة لقناصل مملكة سردينيا في طرابلس من سبتمبر سنة ١٨٣٤ إلى سبتمبر سنة ١٨٣٥ ،
- ٥ - مراسلات قناصل توسكانا في طرابلس من سبتمبر سنة ١٨٢٦ إلى نوفمبر سنة ١٨٣٨ .

مخفوظات قنصلية فرنسا

- ١ - مراسلات قائد الفرقاطة L. A. d'Allois d'Herculais إلى وزارة الخارجية الفرنسية عن رحلته إلى الدول المغربية من ٦ إبريل من السنة الثالثة إلى ٢٤ جرمينال من السنة الرابعة - المجلد I O - ويضم هذا المجلد أيضاً الوثائق الآتية :

(١) ترجمة كمال الدين المروملي .

(٢) المجلد الخامس بالمراسلات من شهر أغسطس سنة ١٨٣١ إلى ديسمبر سنة ١٨٣٤

- (١) تعليقات اللوامن Herculsis خاصة برحلته إلى طرابلس الغرب
(ب) أخبار مملكة طرابلس سنة ١٧٥١ لقنصل فرنسا .
(ج) مشروع النزول في يوميا .

٢ - مراسلات B . Besussier قنصل فرنسا في طرابلس من يونيو سنة ١١٩٨ إلى يوليو سنة ١٨١٣ .

٣ - أصول الخطابات المرسلة من Severio Neudi مبعوث الجمهورية الفرنسية الرسمية إلى طرابلس أثناء غياب Beussier من ٤ مايو إلى ١٦ أغسطس سنة ١٨٠٢ .

٤ - مراسلات Delaporte القائم بأعمال القنصل الفرنسي في طرابلس من إبريل سنة ١٨١٤ إلى أغسطس سنة ١٨١٥ .

٥ - مراسلات E. Mure قنصل فرنسا في طرابلس إلى وزارة الخارجية الفرنسية من سبتمبر سنة ١٨١٥ إلى أغسطس سنة ١٨٢٥ .

٦ - مراسلات البارون روسو قنصل فرنسا في طرابلس إلى وزارة الخارجية الفرنسية من أغسطس سنة ١٨٢٥ إلى أغسطس سنة ١٨٢٩ .

٧ - أصول الخطابات المرسلة من الدورن M. Ruiz Sainz قنصل أسبانيا في طرابلس والنائب عن القنصل الفرنسي في الإشراف على شئون الرغايا الفرنسيين إلى وزارة الخارجية الفرنسية من سبتمبر سنة ١٨٢٩ إلى مايو سنة ١٨٣١

٨ - مراسلات Schwebel قنصل فرنسا في طرابلس إلى وزارة الخارجية الفرنسية من مايو سنة ١٨٣١ إلى يناير سنة ١٨٣٥ .

٩ - مراسلات Bourbonlon قنصل فرنسا في طرابلس إلى وزارة الخارجية الفرنسية ووزارة البحرية من يناير سنة ١٨٠٥ إلى يونيو سنة ١٨١٣ .

١٠ - مراسلات وزارة الخارجية الفرنسية إلى قناصل فرنسا في طرابلس من سنة ١٧٦٢ إلى سنة ١٨٣٩ .

١١ - مراسلات حكومة طرابلس إلى قناصل فرنسا في طرابلس من سنة ١٧٩٥ إلى سنة ١٨٥١ .

١٢ - تقارير عن تجارة طرابلس من سنة ١٧٨٠ إلى سنة ١٨٧٥ .

١٣ - وثائق خاصة بعلاقات قناصل فرنسا في طرابلس مع القرمانيين

محفوظات قنصلية بريطانيا :

١ - معاهدات السلام والتجارة بين مملكة بريطانيا العظمى ونيابة طرابلس الغرب .

٢ - مراسلات A. C. Fraser قنصل بريطانيا في طرابلس وأصول خطابات مرسله منه إلى المكتب الاستعماري بلندن من ديسمبر سنة ١٧٦٤ إلى أغسطس سنة ١٧٦٦ .

٣ - مراسلات S. Lucas قنصل بريطانيا في طرابلس من أغسطس سنة ١٧٦٣ إلى مارس سنة ١٨٠١ .

٤ - مراسلات P. Wilkie قنصل بريطانيا في طرابلس من فبراير إلى يوليو سنة ١٨١٢ ولـ J. Sommerville الذي خلفه من يوليو سنة ١٨١٢ إلى يناير سنة ١٨١٣ .

٥ - مراسلات Honmer Warrington قنصل بريطانيا في طرابلس من ديسمبر سنة ١٨١٤ إلى ديسمبر سنة ١٨١٥ ومراسلاته إلى المكتب الاستعماري سنة ١٨١٨ والسنوات من ١٨٢٣ إلى سنة ١٨٢٧ ومراسلاته مع حكومة مالطة في عامي ١٨١٨ و ١٨١٩ ولنايب القنصل الإنجليزي في بنغازي سنة ١٨٢٦ .

٦ - مذكرات هانمر وارنجتون قنصل بريطانيا العظمى في طرابلس من ٥ يناير سنة ١٨٣٠ إلى ٣ أبريل سنة ١٨٣٢ .

٧ - خطابات علي القرماني الثاني وعبد القرماني وشاكر أفندي إلى قنصل بريطانيا في طرابلس في سنة ١٨٣٤ .

٨ - مجلدات المحفوظات من سنة ١٧٤٢ إلى سنة ١٩١٨ .

٩ - مراسلات قنصل الدنمرك في طرابلس^(١) إلى الكونت Bernatorff
وأعضاء غرفة الاقتصاد والتجارة في كوبنهاجن من سنة ١٧٥٢ إلى سنة ١٨٠٠
وتضم مراسلات القنصل G. Smith من سنة ١٧٥٢ إلى سنة ١٧٧٠
والقنصل Cristoforo Corrado Lochner من سنة ١٧٧٠ إلى سنة ١٧٧٩
ومراسلات القنصل Giovanni Frederico Lochner من سنة ١٧٧٩ إلى
سنة ١٨٠٠ .

محكمة طرابلس الشرعية :

سجلات المحكمة الشرعية في الفترة من سنة ١٧١١ إلى سنة ١٨٣٥ .

مكتبة الأوقاف :

نسخة خطية لتاريخ ابن غلبون بعنوان التذكار فيمن ملك طرابلس
وما كان بها من الأخبار^(٢) .

مالطه :

مكتبة مالطه :

موجز تاريخ طرابلس الغرب مستخلص من وثائق تلك النيابة قام بترجمتها
A. C. Froment de Champ Lagarde
قنصل فرنسا بالنيابة في طرابلس ويعقب ذلك للموجز التاريخي حكم
على القرمانلي سنة ١٧٩٢ .

باريس :

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية :

المراسلات القنصلية - طرابلس الغرب - الأجزاء من ٣ - ١٨ وتضم
خطابات قنصل فرنسا ونوابهم في طرابلس الغرب من سنة ١٧٠٧ إلى سنة
١٧٨١ مع وثائق متنوعة ترجع إلى نفس الفترة .

(١) توجد مخطوطات قنصلية الدنمرك في طرابلس في قنصلية بريطانيا .

(٢) ترجم هذا المجلد إلى الإيطالية Rossi Ettore بعنوان

La Cronaca araba tripolina Di Ibn Galhun (Sex xviii)

بولونيا كابلي سنة ١٩٣٦ .

- 1—Aurigemma, Salvatore : Il castello di Tripoli di barbaria in la Renscitta della Tripolitania. Milano, Mondadori. 1926.
- 2—La Moschea di Ahmed al-Qarāmanli in Tripoli in "Dedalo", VII, 8.
- 3—Le fortificazioni della città di Tripoli in " Notiziario archeologico del Ministero delle colonie", Vol. 11, pagg 219e segg.
- 4—Le fortificazioni di Tripoli in antiche vedute del 600e, 700, in "Rivista delle Colonie italiane", III (1929-VII) n.11e 12.
- 5—Per la Storia delle fortificazioni di Tripoli in " Rivista delle Colonie Italiane", III (1929—VII) n.5.
- 5—Beechey, F. W.-Beechey, H. W: Proceedings of the expedition to explore the Northern coast of Africa, from Tripoly eastward in MDCCCXXI and MDCCCXXII, London, Murray, 1828, in 4°.
- 7—Bergna Padre Costanzo : La Missione francescana in Libia, Tripoli, Nuove arti grafiche, 1924, in 8°.
- 8—Tripoli del 1510 al 1850, Tripoli, Arti grafiche, 1825, in 8°.
- 9—Charles-Roux, F. : Bonaparte et la Tripolitaine, Paris, Société d'editions géographiques, Maritimes et coloniales, 1929, in 80.
- 10—France et Afrique du Nord avant 1830. Les précurseurs de la conquête, Paris, Alcan, 1932, in 8°.
- 11—Les travaux d'Herculaia ou une extraordinaire mission en Barbarie, Paris, Société de l'Histoire des colonies Françaises, in 80.
- 12—Cimino, Guido : La Zecca di Tripoli d'Occidente sotto il dominio dei Caramāni, in "Rivista italiana di numismatica", anno XXIX 1916, IV.
- 13—La Zecca di Tripoli d'Occidente sotto il dominio degli Ottomani, in "Notiziario archeologico del Ministero delle Colonie", Vol III pagg. 115e segg.
- 14—Corò, Francesco : Una relazione veneta su Tripoli nel settecento in " Rivista delle Colonie italiane", IV (1930-VIII), n. 12.
- 15—Darcy, J. : France et Angleterre. Cent années de rivalité coloniale, l'Afrique, paris, Geuthner, 1825, in 8°.
- 16—De Agostini, Enrico : La Popolazioni della Cirenaica, notizie etniche éstorcihe, Governo delle Cirenaica, 1921 — 23, in 80, con XII tavole.

- 17—Le Popolazioni della Tripolitania, notizie etniche storiche, Parte I, Testo; Parte II, Tavole; Governo della Tripolitania, ufficio Politico militare, 1919, in 80. Tripolitania, Afficiopo litico militare, 1919, in 80.
- 18—Una Spedizione americana in Cirenaica nel 1805, in "Rivista delle Colonie italiane". II, (1928—VII), n. 5, e III (1829, VII) n. 1.
- 19—Un documento inedito sull'episodio di Ali Burgul (1793—95), in "Bollettino geografico del Governo della Tripolitania", nn. 5e-6 (luglio — dicembre 1933, XII—gennaio—giugno 1934, XII).
- ✓ 20—Della Cella, Paolo : Viaggio da Tripoli di Barberia alle frontiere dell'Egitto.
Terza ristampa condotta sulla prima edizione del 1819. Comando del corpo di Stato Maggiore — Ufficio storico, città di Castello, 1912, in 80.
- ✓ 21—Denham—Clapperton : Narrative of travels and discoveries in northern and central Africa in the Years 1822, 1823 and 1824, London, Murray, 1826 in 80.
- 22—Douin, G. : Mohamed Ali et l'expédition d'Alger, le Caire, 1830 in 80.
- 23—Feraud, L. Ch. : Annales Tripolitaines publiées avec une introduction et des notes par Augustin Bernard, Tunis, Tournier, Paris, Vuibert, 1927, in 80.
- 24—Ferrari, G. : La Spedizione della marina sarda a Tripoli nel 1825. Comando del corpo di Stato Maggiore, Ufficio Storico, Roma, officina poligrafica editrice, 1920, in 80
- 25—Graberg De Hemsö, I. : Prospetto del commercio di Tripoli d'Africa e delle sue relazioni con quello d'Italia, in "Antologia", 1827, n. 31.
- ✓ 26—Kemali, Ismail : Documenti inediti sulla caduta dei Carmanli, in "Rivista delle Colonie Italiane" (IV, 1930, VII), nn. 1 e 2-3.
- 27—Lacour Gayet, G. : La marine militaire de France sous le Règne de Louis XV, Paris, Champion, 1910. in 80.
- 28—Lyon, G. F. : Voyage dans l'intérieur de l'Afrique septentrionale en 1818, 1819 e 1820. Traduit de l'anglais, Paris, Gide fils, 1822, in 16°.
- 29—Masson, Paul : Histoire des établissements et du Commerce français dans l'Afrique barbaresque, Paris, Hachette, 1903, in 80.

- 30—Medina, G. : Les Karamaolis de la Tripolitaine et l'occupation temporaire de Tripoli per Ali Bourguor, in "Revue Tunisienne", XIV, 1907.
- 31—Micacchi Rodolfo : I rapporti tra il Regno di Fianca e la Reggenza di Tripoli di Barberia nella prima metà del secolo XVIII, in "Rivista delle Colonie Italiane", VIII (1934, XII) nn. 2,3 e 4.
- 32—Le straordinarie avventure di Domingo Bad a y Lebrich e il suo soggiorno a Tripoli di Barberia nell'inverno 1805-1806, in "Rivista delle Colonie Italiane", VII (1933, XI), nn. 8 e 9.
- 33—Le ultime gesta dei corsari Tripolini et la reazione degli Stati italiani in "Rivista delle Colonie Italiane", VII (1933, X), n. 3.
- 34—Mori Attilio : L'esplorazione geografica della Libia. Governo della Cirenaica, ufficio Studi, Rapporti e monografie, Serie 2, n. 5, 1926, in 80.
- 35—Nallino, Carlo Alfonsio : Venezia e Sfax nel secolo XVIII, in "Centenario della nascita di Michele Amari", I, Palermo, Vizz. 1910.
- 36—Nani Mocenigo, Conte F. : Tripoli e i Veneziani (1764-66), in "comando del corpo di Stato Maggiore, Ufficio Storico, Memorie storiche Militari" X, 1914. Città di Castello, Unione Arti Grafiche.
- 37—Paladino, G. : La Spedizione della Marina napoletana a Tripoli nel 1828, in "Rivista delle Colonie Italiane", III, (1929) VII, nn. 9 e 10.
- 38—Plantet, Eugène : Correspondance des Beye de Tunis et de consuls de France avec la cour, 1577—1830, Paris, Alcan, 1893, in 40.
- 39—Relations inédites de la Cyrénaïque, in "Recueil de Voyages et Mémoires publiés par la Société de Géographie", Paris, D'Ereval, 1825.
- 40—Romanin, S. : Storia documentata di Venezia, Vol VIII, Venezia, Naratovich, 1859.
- 41—Rossi, Ettore : Corrispondenza tra i Gran Maestri dell'Ordine di San Giovanni a Malta e i Bey di Tripoli dal 1714 al 1768, in "Rivista di studi orientali", X, Pagg. 115e segg.
- 42—La cronaca in araba tripolina di Ibn Galbun (Sec. XVIII), tradotta e annotata. Studi storici e filologici a cura del Ministero della Colonie, Bologna, Cappelli, (1936), in 80.

43—Rouard De Card. E. : *Traité de la France avec Les pays de l'Afrique du Nord (Algérie, Tunisie, Tripolitaine, Maroc)*, Paris, Pedone, 1906, in 8o.

44—Roussieu, Alphonse : *Annales tunisiennes ou aperçu historique sur la Régence de Tunis, Alger, Bastide*, 1864, in 8o.

45—Roy, B. : *Documents sur l'expédition de Tripoli en 1209 de l'hégire (1795)* in "Revue Tunisienne" XII, 1906.

46—Serres, Jean : *La politique turque en Afrique du Nord sous la Monarchie de juillet*, Paris, Geuthner, 1925, in 8o.

47—Slouch, N. : *La Tripolitaine sous la domination des Karamanli* in "Revue du Monde Musulman", VI (1908) nn. 9, 10 e 11.

48—Toschi, Paolo : *Fonti inedite di Storia della Tripolitania* II, in "Annali del R. Istituto orientale di Napoli", Vol. III, 1930.

49—*Le Fonti inedite della Storia della Tripolitania*, Intra, Airoldi, 1934, XIII, io 16°.

50—Tully, Richard : *Narrative of a ten years residence of Tripoli in Africa, from the original correspondence of the late Richard Tully esq. the British Consul, London 1817*, nella traduzione del Mac Carthy, dal titolo *Voyage à Tripoli, ou relation d'un séjour de dix années en Afrique*, Paris, Moitte aîné, 1819, Vols. 2, io 8o.

51—Vadala, R. : *Essai sur l'histoire des Karamanlis, Pachas de Tripolitaine de 1714 à 1835*, in "Revue de l'Histoire des Colonies Françaises" VII, 1919.

52—Vandal, Albert : *Une ambassade française en Orient sous Louis XV. La mission du marquis de Villeneuve 1728—1741*. Paris, Plon, 1887, in 8o.

53—Veccia Vaglieri, Laura : *Una Controversia a Tripoli di Barberia nel 1825 fra i consoli inglese e francese in "Rivista delle colonie italiane"*, VI (1932—X) n. 5.

54—*Santa Sede e Barbareachi dal 1814 al 1819*, in "Oriente Moderno", XII (1932—X), n. 10.

55—*Viaggi di Ali bey-el-Ahpassi in Africa ed in Asia dall'anno 1803 a tutto il 1807*, tradotti dal dottore Stefano Ticozzi, Milano, Sonzogno, 1816.

56—*Voyage au Ouaday par le chek Mahammed ibn Omar el Tounay*, Paris, Duprat, 1851 in 8o.

ملحق
بوثائق تاريخية
عن تاريخ طرابلس الغرب
في العهد القرمانلي

جمع وتحقيق
كمال الدين عبد العزيز الحريزوطلي

وثائق عن العهد القرمانلي

مقدمة

عندما أكرمت للتدريس بمدارس ولاية طرابلس الغرب في الفترة من سنة ١٩٥٤ إلى سنة ١٩٥٨ عكفت في أوقات فراغي على البحث في تاريخ هذه البلاد الشقيقة ، وترددت كثيراً على دار المحفوظات التاريخية بمدينة طرابلس ومكتبة الأوقاف والمكتبة الحكومية ، حيث وجدت كل معونة من القومة عليها . وقد تفضل الأستاذ بهجت القرمانلي مدير دار المحفوظات في ذلك الوقت بإعارة نسخته الخاصة عن تاريخ طرابلس الغرب في العهد القرمانلي الذي ألفه بالإيطالية الأستاذ رودولفو ميكافيتي معتمداً على الوثائق المعاصرة ، ونظراً لندرة وجود هذا الكتاب وأهميته في تاريخ هذه الفترة فقد عرضته على أستاذي الكبير محمد شفيق غربال عميد معهد الدراسات العربية العالية فتنفصل بعد دراسة الموضوع بالمواقة على أن ينسب للمعهد ترجمته ونشره ، وقد رأيت إتماماً للفائدة أن ألتحق بالترجمة فضلاً عن وثائق هذا العهد اخترته من بين ما نقلته عن دار المحفوظات التاريخية بمدينة طرابلس وقد قام الأستاذ محمد الأسطى بترجمة ما كان مكتوباً هنا باللغة التركية ، كما نقلت بعضها عن الأصول الموجودة لدى الأستاذ علي الفقيه حسن - وإذا كان لي أن أشكرهم جميعاً على حسن معونتهم ، فإن الشكر أوجب للأستاذ الكبير شفيق غربال ومعهد الدراسات العربية العالية الذي شجع هذه الجهود لترى النور .

حقق الله لامتنا العربية ما تنبئ به من آمال ؟

كمال البرين عبد العزيز الخربوطلي

وثيقة - ١

صورة عقد نكاح وطلاق الأمير العلم^(١) الشهير أحمد باي القره مانلي
بالسيدة حواء العلجية بتاريخ أوائل جمادى الأولى سنة ١١٢٤ هـ .
وطاقتها بتاريخ أول ربيع الأول سنة ١١٣٥ هـ .

الحمد لله هذه نسخة رسم نقل هذا لمن له فيه حق خيفة ضياع أصله .
قصه بعد سطر الافتتاح الحمد لله الذي أحل النكاح وحرّم السفاح والصلاة
والسلام على رسول الله ما غاب كوكب ولاح .

أما بعد فقد تزوج بحول الله تعالى وقوته وعلى منهج شرع الاسلام
موسى المكرم الأجل المحترم الأشمل السيد الأمير العلم الشهير مولانا أحمد
باي صاحب كرسي مدينة طرابلس في التاريخ أجرى الله الصالحات على يديه
وأعانه عليه بل على الخير ووفقه إليه مخطوبته المرأة النبيب معتقة حواء
العلجية ابنت عبد الله العلجية بصدائق مبارك سماها لها وبه ملك عصمتها
فخره اربع مائة ريال فراميل سكة^(٢) الوقت وخمسة أرطال لجرة^(٣) ، وأربعون
حفة لا ذهبا ، وثلاث أواق جوهر ، وخادم سودانية حيا برأسها ، الجيم
باق لها بمال الزوج المذكور وذمته على حكم الحلول الشرعى وسيله ،
اتكحه اياما بذلك المكرم الأجل المرعى المحترم سيدى شعبان رئيس
مينا طرابلس في التاريخ ابن المكرم الأجل صاحب العز والإحترام
مولانا يوسف ضاى بحكم توكيله إياه على ذلك ورضاهما به ، فحضر الزوج
المذكور وقبل النكاح المذكور عن العاقد المذكور قبولاً تاماً ألف
الله بينهما إيلافاً بمحمدان مآله ، ويبلغ كل منهما من المال والبنين آماله ، شهد

(١) متولة من الأصل بدار المخطوطات التاريخية طرابلس الغرب وصورته في الصفحة
الثالثة ، ومُظهر أنواع المجوهرات التي كانت تتحلل بها سيدات الطبقة الحاكمة في ذلك العصر .

عليهم بذلك عارفاً بالزوج والوكيل معرفاً بالمرأة وكل بحال جابر بتاريخ
أوائل جمادى الأولى عام أربعة وعشرين ومائة والف عبده أحمد بن
عبد الرحمن الموسوس وفقه الله آمين وعبد الله سبحانه وتعالى محمد بن الحاج
حسين القضاوى وفقه الله آمين وبأعلاء طابع القاضى ونحريره انتهى .

وبطرقته مانصه الحمد لله اعترفت الحرة الأصلية حواء الزوجة المذكورة
أمامه أنها قبضت من قبل من المقيد أمامه زوج دبالج ذهاباً ، مصدومتين زنته
تسعة وعشرون مثقالاً وستة عشر خروبة قوم بمائة واحدة ريالاً وثمانية
وسبعين ريالاً ، مع خلخال باللوحة ذهاباً ، زينت ثمانية مثقال قوم بأربعين
ريالاً مع تكليبة ذهاباً ، زنتها أحد عشر مثقالاً وأربعة أخرب قومت
بسبعين ريالاً مع زوج نبائل ذهاباً مطلقات زنته ثمانية وعشرون
مثقالاً وثمان خروبات قوم بمائة واحدة ريالاً وخمسة وسبعون ريالاً مع
خنار ذهاباً بالجامن زنته ثمانية عشر مثقالاً قوم بثمانين ريالاً ، مع خلخال
بالضبر زنته عشر مثقال وثمان خروبات قوم بستين ريالاً ، مع زوج عنابر
ذهاباً ، زنته سبعة مثقال قوم بثلاثين ريالاً ، مع صدره ذهاباً وجوهرها ،
زنتها اثنان وعشرون مثقالاً قومت بمائة واحدة ريالاً وأربعين ريالاً ،
مع خلخال فضة ، زنته ثلاثة أرطال وسبعة أواق بمائة ريال وسبعين ريالاً ،
مع زوجين نواصى قوم بمائة واحدة ريالاً فكانت جملة قيمة المصوغ
المذكور ألف واحد ريالاً وثلاثة وأربعون ريالاً ، وكانت جملة الصداق
المقيد أمامه باضتمام بعضه لبعض ألف واحد ريالاً حاوية لقيمة ما قبضته
الزوجة المذكورة باعترافها وأبرأت ذمت زوجها المذكور من الصداق
المذكور الإبراء التام وخلّصت جميع الصباغة المذكورة للزوجة المذكورة
فصارت حقاً من حقوقها ومالاً من مالها لا لأحد فيها حق ولا شبهة مطلب
البتة ، شهد على الزوجة باعترافها لما ذكر وعلى الزوج المذكور
أعلاء فى وثيقة الصداق باعترافه بالدفع ومصادقته على القيمة عارفاً به معرفاً
بغيره بحال جابر بتاريخ أواخر صفر الحيد عام خمسة وثلاثين ومائة والف

وبه مصلح القيمة أحمد بن عبد الرحمن الموسس وفقه الله آمين، وعبد الله سبحانه وتعالى محمد بن أحمد تكست وفقه الله آمين وبأعلاء طابع القاضى انتهى .

وأسفل ذلك ما نصه الحمد لله طلق الزوج المذكور أعلاه زوجته أعلاه باقرار انه كمل لها شهد على إقراره بذلك دام عره وعلاه وكان له حافظاً وتولاه بحال كمال الحال بتاريخ فاتح ربيع الأول الشريف المبارك عام خمسة وثلاثين ومائة وألف أحمد بن عبد الرحمن الموسس وفقه الله آمين انتهى .

وأسفل ذلك ما نصه، الحمد لله، وشهد على اعتراف الأمير بطلاق زوجته المذكورة بقوله هي طالق بالكل عارفاً به كما وصف بتاريخه كاتبه الفقير إلى الله الشريف عبد العزيز بن عبد العزيز بن أحمد مروان . وبه إصلاح أمر زوجته صح - كاتبه عبد العزيز وانتهى فهذه نسخة ذلك - كذلك من غير زيادة ولا نقصان شهير بالمقابلة وصحتها وبمعرفة خطوط كل المتسخ منه هذا بتاريخ الثامن عشر من ربيع الثاني عام خمسة وثلاثين ومائة وألف وبه ملحق بالسطر الأول وهو بينه مصلح^(١) خيفة وآخر جوهر . وآخر وصف وضرب على س^(٢) آخره - ذمة كل من كاتبه .

محمد بن عبد الله الصوق و أحمد عبد الرحمن الموسس
وفقه الله آمين وفقه الله

وثيقة — ٢

معاهدة محمد القرماني مع إنجلترا^(١)

بتاريخ ٢٩ شوال سنة ١١٦٤ هـ

الحمد لله وصلى الله على مولانا سيدنا محمد وصحبه وسلم . بين إمالة
طرابلس المنصورة ودولة إنجلترا لتأكيد الحب والولاء والصفاء من قديم
الآزمان بينها بحضور والى محروسة طرابلس المؤيد محمد باشا قرماني وسر
العسكر ابنه على بك وأغا الانكشارية والأمراء وجناب قنصل الدولة المشار
إليها - وبتراضى الطرفين وموافقة الجانبين حررت المعاهدة المباركة الآتية
في سجل خاص من المواد الآتية :

مادة ١ : يؤذن للسفن الحكومية الإنجليزية بشراء الحنطة والشمع وغيرها
من المؤن المتنوعة بأثمانها المقررة وحملها إلى جزيرة مامون .

مادة ٢ : إذا صادفت سفن بحارة طرابلس السفن الإنجليزية في عرض
البحار فلها حق التفتيش على جوازات المرور والسماح لها بالسير عند التحقق
من صحتها مع التسليم على بعضهم سلام الأصدقاء وتحتهم . وإذا صدر من بحارة
طرابلس ما يخالف ذلك رغم صحة تلك الجوازات فتتعهد حكومة طرابلس
بتأديب الربان المعتدى وكذلك الحال بالنسبة للبحارة الإنجليز إذا اعتدوا
فيكاتب الوالى ملك إنجلترا لعقاب المعتدى .

مادة ٣ : عند رسو السفن الإنجليزية في ميناء طرابلس تحتفظ

الحكومة على الأسرى خوفا من هروبهم إلى السفن الإنجليزية - وفي حالة فرار أحدهم ولجؤه إلى تلك السفن فليس من حق حكومة طرابلس طلب إرجاعه .

مادة ٤ : للتجار رعايا انجلترا في طرابلس حق بيع البضاعة الواردة من الخارج في دار القنصلية ويحصل القنصل الضرائب منهم .

مادة ٥ : عند دخول سفينة انجليزية إلى ميناء طرابلس - تضرب لها إحدى وعشرون طلقة مدفع من القلعة كتمحية وترد عليها السفن الإنجليزية بالمثل .

مادة ٦ : يسمح لترجمان وسمسار القنصل الإنجليزي بمرافقته إذا سافر برا أو بحرا وله حق عزلهم وتعيين غيرهم - وله حق رفع العلم البريطاني على الزورق الذي يركبه إلى السفن الإنجليزية .

مادة ٧ . في حالة وقوع حرب بين انجلترا وطرابلس تتمتع حكومة طرابلس بعدم التعدي على القنصل وزملائه ورعايا انجلترا ولا تمنع في سفرهم إلى المكان الذي يريدونه خارج البلاد .

مادة ٨ : يتعهد بحارة الطرفين بعدم الاعتداء على رعايا الطرف الآخر أو أموالهم إذا وجدوا في سفن الأعداء بل تؤمن حياتهم ويوصلون إلى المكان الذي يرغبونه أو إلى أي مكان مأمون ، أما إذا وجدوا يعملون كبجارة في تلك السفن المعادية فيعاملون معاملة الأسرى .

مادة ٩ : عند إفلاس أحد التجار الإنجليز في طرابلس وفراره لا يضمن القنصل دفع ما عليه من ديون وكذلك التجار الإنجليز بالبلاد .

مادة ١٠ : عندما تخرج إحدى السفن الليبية أو عدة سفن من ميناء

طرابلس لجولة بحرية لا يسمح لأى سفينة فى الميناء من جنسية أخرى بالخروج إلا بعد ثمانية أيام .

مادة ١١ : إذا حدث نزاع فى عرض البحرين -من الجانبين عند تلاقيها وتبادلها الإشارات يصير التحقيق فى ذلك بمعرفة هيئة تحكيم من الطرفين بعد إبلاغ ذلك إلى الجهات المختصة .

مادة ١٢ : لما كانت إنجلترا هى البادئة بطلب الصلاح من إمالة طرابلس فإن تفصلها ورعاياها يقدمون على غيرهم فى المعاملة .

مادة ١٣ : لا تحصل رسوم جمركية عن البضائع التى يحضرها التجار الانجليز لبيعها فى طرابلس والتى يكون لها منفعة عامة للبلاد مثل المدافع والبنادق والمسدسات والحرايب والسيوف والبارود والقنابل والرصاص والحديد وحبال السفن والكبريت وأخشاب السفن وأعمدها وأقشة الشراع والكوريك والقمح والشعير والمسكت^(١) والبنادق الصغيرة .

مادة ١٤ : الغنائم التى تأخذها سفن الانجليز من أعدائها وتأتى لبيعها فى طرابلس لا تأخذ الحكومة عليها عوائد .

مادة ١٥ : يكون لفنصل إنجلترا حق الدخول قبل غيره من القناصل لتهنئة اوالى فى الأعياد والمواسم الإسلامية .

مادة ١٦ : تعامل سفن طرابلس سفن جزيرة ميناء ماهون الحاملة للعلم البريطانى والتى تحمل جواز مرور إنجليزى نفس معاملة السفن الانجليزية وإظهارا للاحترام الخاص لهذه الجزيرة لا تعندى سفن طرابلس على سفن الأعداء فى المياه الإقليمية لهذه الجزيرة .

مادة ١٧ : إذا أراد أحد الرعايا الانجليز اعتناق الدين الاسلامى يرسل إلى الفنصل الانجليزى بصحبة مندوب خاص ويبقى ثلاثة أيام عند الفنصل

(١) نوع من القنابل .

ليستع إلى نصائحه ونصائح راحبه وبعد الثلاثة أيام إذا أصر 'يقبل إسلامه
ويبدأ تلقينه مبادئ الدين الإسلامى سواء أ كان أسيرا أم غير أسير.

مادة ١٨ : إذا حدث نزاع بين إثنين من رعايا انجلترا يبالغ القنصل ليفصل
بينها وعندما يكون أحد المتنازعين مسلحا فتكون المحاكمة أمام محاكم الإيالة

مادة ١٩ : إذا قتل أحد رعايا الانجليز مسلحا عمدا يصير القصاص شرعا
بمعرفة الوالى دون مراجعة القنصل وفى حالة فرار المجرم لا يكون القنصل
مستولا — وتبحث عنه السلطات المحلية ويعدم بحضور القنصل .

مادة ٢٠ : فى حالة وقوع حرب بين انجلترا والجزائر أو تونس تبقى
طرابلس على الحياد ولا تقدم لآى منها مساعدة .

مادة ٢١ : يحظر على طرابلس شراء أموال الغنائم والأسرى الإنجليز
الذين تأسروهم تونس والجزائر ويأتون لبيعها فى طرابلس

مادة ٢٢ : فى حالة وفاة أحد رعايا انجلترا لا تتدخل حكومة طرابلس
فى تركته ويقوم القنصل بحصر التركة وبيعها

مادة ٢٣ : لا تعرض سفن انجلترا وطرابلس لبعضها إذا تلاقوا فى
البحر بل يودعون بعضهم بمحبة

مادة ٢٤ : إذا غرقت إحدى السفن الانجليزية أو تحطمت قضاء وقدر
فى موانئ إيالة طرابلس أو بالقرب من سواحلها تحفظ حمولتها من الضياع
وتتعهد حكومة طرابلس بالمحافظة على بحارتها وتسليمهم وتسليم البحارة
والضاعة إلى القنصل ورد الأموال التى ينصحبها الناس — وبوضع البحارة
والضاعة فى مكان مأمون حتى يسافروا إلى بلادهم

مادة ٢٥ : إذا صادف بحارة طرابلس سفنا تحمل العلم البريطانى فى البحر
يوقفونها وينزل شخصان من أصحاب الدراية (الرئيس و ترجمانه) فى قارب
ويصعدان إلى السفينة ويجريان تفتيشا ثم يسمحان لها بالسير أو يصادرانها

مادة ٣٦ : لجميع السفن الانجليزية حق المتاجرة والدخول إلى موانئ
طرابلس كلها سواء أكانت تلك السفن ملكا للحكومة أو الشركات وتحصل
السلطات الطرابلسية ٣ ٪ رسوما جمركية من قيمة حمولة تلك السفن

مادة ٣٧ : الأشياء التي تأتي بها السفن الإنجليزية ولا يتم بيعها وتحملها
السفن لارجاعها لا تحصل عليها ضريبة

مادة ٣٨ : إذا تلاقى سفن الطرفين في بعض الموانئ ، فعليهم تبادل
التحية وإقامة حفلات لتقوية المحبة وتجديد الألفة وحسن الضيافة
واظهار الولاء ..

غاية : وبمحسن احترام الطرفين وسدق اخلاص الجانبين ختمت هذه
المعاهدة القوية ويتمتع الطرفان برعايتها واحترامها وعدم الإخلال بها وصيانتها
مع تبادل الوثائق في الحال .

وثيقة — ٣

معاهدة على الأول القرماني مع البندقية سنة ١٧٦٣م^(١)

الحد لله وحده — ثم عقد هذه المعاهدة لحسم الشقاق بين إمالة طرابلس وجمهورية البندقية وإبداله بحسن الوفاق. وبناء على الرغبة التي أظهرها الطرفان وبموافقة والي طرابلس وعسكرها وشيوخ الانكشارية وأمرائهم ومجموع العساكر وقائد الأسطول وقصل الجمهورية المذكورة في طرابلس الكونت زريب بالوديك وذلك في أوائل جمادى الثانية سنة ١١٧٧هـ. ووافق الجميع عليها تفصيلاً وصدقوا عليها. وتشمل المواد الآتية :

مادة ١ : يراعى الطرفان أحكام هذا المصالحاة بحال المحبة والصفاء وتعامل سفن الطرفين بعضها كأصدقاء أينما تلاقوا في الموانئ أو في عرض البحر ولا يتدخلون في شئون بعضهم وتتعهد الجمهورية المذكورة بالألا تعطى جوازات سفر لغير رعاياها وإذا أعطت تلك الجمهورية جواز مرور باسمها لسفينة تعمل تحت علم دولة أخرى لا يكون ذلك سبباً من أسباب فسخ المعاهدة بل تصادر تلك السفينة فقط .

مادة ٢ : تدفع سفن الجمهورية المذكورة $\frac{3}{4}$ من قيمة حمولتها التي يتم بيعها في موانئ طرابلس كرسوم جمركية — أما الأشياء التي لا تباع فتعفى من ذلك الرسم بشرط رجوعها .

مادة ٣ : لا يتعرض قرصان طرابلس للسفن الحربية والتجارية لجمهورية البندقية حتى ولو كانت تحمل أشياء لدولة معادية لطرابلس .

مادة ٤ : لا يبعد أحد لسفينة الأخر للتفتيش على جوازات المرور ولكن ينزل اثنان من كل سفينة في قارب ويتقابلون في عرض البحر وذلك ابتداء من اليوم الخامس عشر من هذا الشهر .

مادة ٥ : إذا تلاقى سفينتان في الطريق فلا يصعد أحد من الضباط أو الجنود إلى إحداهما بقصد التحدث أو التفتيش أو السؤال .

مادة ٦ : إذا أصاب إحدى سفن الجمهورية تلف في مياه طرابلس الاقليمية فلا تنهب كما كان يحدث قلا ولكن يحافظ عليها وتقدم المساعدات، لأصحابها مع إكرامهم .

مادة ٧ : إذا أريد اصلاح سفينة طرابلسية في عرض البحر لا تصلح عند دولة معادية لجمهورية البندقية بل تجدد في ترسانات موانئ البندقية أو أحد أصدقاتها .

مادة ٨ : الأموال والغنائم والسفن التي تباع لجمهورية البندقية يعطى بها سند يبرزه قائد السفينة التي تحمل تلك الأشياء حتى لا يعتدى عليها أحد .

مادة ٩ : يمنع شراء الغنائم التي تأخذها تونس والجزائر وسائر الممالك المعادية من جمهورية البندقية وذلك تأكيداً للصدقة والمحبة .

مادة ١٠ : الغنائم التي يحصل عليها أسطول جمهورية البندقية تباع في طرابلس ولا تحصل عليها رسوم جمركية وللسفن المذكورة حق شراء ما يلزمها من مؤن وزاد بالتمن المقرر في البلاد .

مادة ١١ : في حالة فرار أحد الأسرى إلى سفن الجمهورية المذكورة وهي راسية في ميناء طرابلس برد الأسير في الحال .

مادة ١٢ : ابتداء من تاريخ هذه المعاهدة الخيرية لا يؤخذ بصفة أسير أى أحد من رعايا هذه الجمهورية وإذا أخذ أحدهم خطأ يسلم إلى القنصل ولا يعامل معاملة الأسرى .

مادة ١٣ : إذا توفي أحد من رعايا الجمهورية المذكورة لا تتدخل حكومة طرابلس في شئون تركته وإذا لم يوجد للمتوفى وكيل أو وريث في البلاد فيسجل القنصل مفردات تركته وللقنصل الحق في الاحتفاظ بهذه الأموال أو بيعها .

مادة ١٤ : لتجار الجمهورية المذكورة في إيالة طرابلس حق بيع تجارتهم حسب رضائهم وبمقرتهم وعند إفلاس أحد التجار الباندة فإن القنصل يكون غير مسئول عنه إلا إذا وجد ضامنون له .

مادة ١٥ : عند وقوع نزاع قضائي بين أحد رعايا الجمهورية وسكان طرابلس من أى جنس تتم محاكمة المتنازعين أمام محكمة الولاية إلا إذا كان المتنازعون جميعاً من البندقية فيفصل القنصل بينهم .

مادة ١٦ : إذا حدث نزاع بين سكان طرابلس وتلك الجمهورية وأدى إلى جرح أو قتل وأعمال خطيرة يحاكم من تسبب في ذلك حسب قوانين الشريعة الإسلامية وقانون طرابلس وإذا هرب القاتل فإن القنصل يكون غير مسئول .

مادة ١٧ : للقنصل حق اختبار ترجمان وراغب وسمسار من أى جنس كان وله حق السفر في السفينة التي يريد بها متى أراد .

مادة ١٨ : في حالة وقوع حرب بين الطرفين 'يعصرح' للقنصل ورعاياه وأبنائهم المولودين في طرابلس بالعودة إلى بلادهم مع معاملتهم معاملة حسنة .

مادة ١٩ : إذا صادر بحارة سفن أحد الطرفين المتعاقدين سفينة من سفن الأعداء ووجدوا عليها رعايا للطرف الآخر فلا يعاملونهم معاملة الأعداء .

مادة ٢٠ : عندما ترسو سفينة حكومية للجمهورية تحيها مدافع القلعة بإحدى وعشرين طلقة وترد السفينة بثلاثها ويهدى الوالى لفائدتها هدية مناسبة .

مادة ٢١ : تعنى جميع الأشياء الضرورية التي ترد إلى القنصل خاصة بمعايشه من الضرورية الجبركية .

مادة ٢٢ : إذا وقع ما يخل بهذه المعاهدة فإن ذلك لا يؤثر على صداقة الدولتين وللطرف المعتدى عليه الحق في أن يطالب بحقوقه بالطرق القانونية ويؤدب المعتدى .

مادة ٢٣ : لا يسمح لسفن طرابلس بالاعتداء على سفينة معادية في المكان من سان مارينو إلى سواحل الجمهورية وهي مسافة قدرها ٣٠ ميل وإذا اعتدت إحدى السفن داخل تلك المسافة فإن الغنائم التي تأخذها ترد ويجازى ربان السفينة المعنية .

تمت هذه المعاهدة بموافقة الطرفين - وود وإخلاص الجانبين - وتبذلت الوثائق في الحال بين المتدوين .

والى الولاية	ولى العهد	أغا الانكشارية	وكيل الوالى	خازندار الوالى
على	أحمد	أحمد	مصطفى	
شيخ البلد	دقتر ديوان إيالة	طرابلس	كبير مشايخ الإيالة	
عحمود	أحمد خوجه		الحاج يوسف	

وثيقة — ٤

المعاهدة الثانية^(١) على الأول القرماني مع البندقية سنة ١٧٦٦ م

مادة ١ : التصديق على مواد المعاهدة الأولى وإضافة ذيل لها لتأكيد المحبة والولاء .

مادة ٢ : تعاد السفن والأسرى والأموال التي أخذت في المنازعات الأخيرة بين الطرفين إلى أصحابها .

مادة ٣ : تدفع طرابلس تموينات لجمهورية البندقية مقابل السفينة التي غرقت وتموضها بسفينة مثلهـا ومبلغ مائتي دوكية ذهب وإرجاع السفينة المملوكة بملح زواره والتي كان مقدار ما بها عشرة آلاف كنتال والتي كان القنصل قد اشتراها وصودرت .

مادة ٤ : تعاد السفينتان المصادرتان بعد المعاهدة الأولى إلى الجمهورية

مادة ٥ : يتعهد الباشا بمعاقة الرؤساء الذين تسببوا في المنازعات الأخيرة وأدخلوا بأحكام المعاهدة حسب نتيجة تقرير القنصل وتحقيقه

مادة ٦ : تتمتع حكومة طرابلس بمراعاة مواد المعاهدة السابقة خاصة المادة ٢٣ وتعاقب فيها بعد كل من يتجاسر على الإخلال بالمواد المذكورة وتعد تأديبهم واجبا من واجباتها ويصرح لسفن طرابلس بالدخول والخروج إلى موانئ الجمهورية المذكورة مع مراعاة حدود الصداقة والشرف ويجب أن يكون لدى كل قبطان جواز المرور ونسخة من كل من المعاهدتين وتهد من الرئيس بأنه مسئول عن تطبيق ما جاء بها .

مادة ٧ : إذا حدثت أعمال تؤدي إلى قيام الحرب بين الدولتين لا يجوز الإسراع في بدء العمليات الحربية إلا بعد إعلان القنصل بذلك وإبلاغه

(١) مترجمة عن التركية .

بالمطالب فإذا لم تجب في مدى ثمانية أشهر يمكن البدء في العمليات الحربية .

مادة ٨ : تعامل حكومة طرابلس قنصل جمهورية البندقية على قدم المساواة مع قناصل الدول الأخرى .

مادة ٩ : الرؤساء الذين يخالفون ما جاء في البند السادس ويحاولون القيام بعمليات حربية من تلقاء أنفسهم فلجمهورية حق تأديبهم بموافقة الوالى .

وثيقة - ٥

معاهدة على القرماني الأول^(١) مع أسبانيا سنة ١٧٨٤م

هذه شروط الصلح والحجة الواقع فيه وكلتسابقة مع الأسعد الارشد ،
المهام الابد ، الطاهر الظاهر صاحب المفاخر المتوكل على الملك ، القفال
لما يشاء سيدنا ومولانا على باشا بن المرحوم مولانا محمد باشا بن المرحوم
مولانا أحمد باشا القرماني صاحب ولاية دار الجهاد طرابلس المحمية المربية
وسائر عماله وبين دون جوان سليسترو صليبي وأخيه دون بترو صليرو
صليبي وذلك من أطراف عظيم الروم يرتجى دون كارلوس الثالث بفضل
مولاه عليه رى^(٢) أسبانيه والمهند وغيره وغيره بالوكالة التي يديهما من
أطراف الرى المذكور التي منشأ تاريخها في أيام من نوفمبر سنة ١٧٨٣ وذلك
بموافقة الدون جوان دى سلسرا كوتى دى شو الفشتو ماركينى وغيره
نير الجنود .

الشرط الأول

حتى يتم هذا الصلح المبارك المتعقد بين السيد على باشا قزمانلى والرى
الاسبينولى كارلو الثالث وبين علامته ينى أهل وجاق طرابلس مع الصنبول
في صلح دائم الأجل .

الشرط الثانى

الصلح الذى جعله حضرت السلطان الأعظم والحاقان الأكرم مولانا
السلطان عبد الحميد خان مع الرى كارلو الصنبول هنا منته وهو يصلح
لوجاق طرابلس عمرها المولى بمنته .

(١) متواترة من النص الأصل بالتركية الموجود لدى الأستاذ على الفقيه حسن بطرابلس .
ويلاحظ أنها مكتوبة باللهجة الدامية المحلية التي تتداخل فيها مفردات إيطالية
(٢) ملك

الشرط الثالث

قرصان طرابلس إذا تلاقى مع مراكب الصبنيول واستحق في شيء يمينه ويخليه يسافر إلى حال سيده في طريقه وقرصان الصبنيول إذا تلاقى مع قرصان طرابلس يفعل مثل ذلك يعينهم على ما يلزمهم وما يحتاجون إليه .

الشرط الرابع

قرصان طرابلس حين يتلاقى مع مراكب كيروانت الصبنيول تمسك فلوكت القرصان بجوز السبال من غير الذي يجبدوا المجداف ولا يركب لمركب الصبنيول إلى الجوز نسيال يطلعوا على الباصورت وغيره وقرصان الصبنيول يفعل في مراكب الوجاق مثل ذلك .

الشرط الخامس

قرصان طرابلس يحتاج يسافر بفرمان السيد الباشا أيده المولى ويأصبرته من عند القنصل فإن كان لم يكن عنده ذلك يحبسوه جمهور الصبنيول مثل ما يحبسوا الزنبطوط^(١) .

الشرط السادس

قرصان طرابلس لا باخذ عدوه إلا بعد عشرة إيجات على البر الأصبنيول وكوشطتها^(٢) والذي يخاف ذلك يحبسوا مثل الزنبطوط .

الشرط السابع

فإن كان قرصان عمل شئ مخالف للطريق مع بعض مراكب كيروانت الصبنيول أو أخذ منهم شيئاً السيد الباشا حفظه المولى يعاقب راس القرصان ويخلف ما أخذه منهم من صاحب القرصان والصبنيول يفعل مثل ذلك .

(١) المغلوب من الدالة .

(٢) ساحاتها

الشرط الثامن

البيولوجية والركاب الذين يركبوا في مراكب الصنبول سوا عدو أو غيره لم يأسوا^(١) عليهم قرصان طرابلس وإن وجدوا في بعض غنائم صنبول ركاب أو تجار كذلك لم يأخذوهم يكونوا في شكر ، هم ورزقهم ، وكذلك أناس وفاق طرابلس لا يتيسروا^(٢) في أسبانيا لا هم ولا رزقهم .

الشرط التاسع

السيد الباشا دامت معاليه يمنع كل من يريد يعمر^(٣) على مراكب الصنبول ويخرج عليهم قرصان من مرست طرابلس ولا من عمالتها ولا يكون معين لعدو الصنبول عليهم .

الشرط العاشر

اليسير يتابع الصبانيول إذا حط رجله بوجاق طرابلس يبق فرنك^(٤) وكذلك يسير الوجاق المنصور إذا حطوا رجله في تراب الصنبول يكون فرانكو .

الشرط الحادي عشر

فإذا كان جاء بعض زنبوط إلى طرابلس السيد الباشا دامت معاليه وأدام أيامه بمسك ذلك الزنبوط على كامل ويوم واحد وإن وجد عند الزنبوط شيء من الصنبول يتسلبه فنصل الصنبول .

الشرط الثاني عشر

مراكب وفاق طرابلس يقدروا يمشوا إلى جميع مراسي الصنبول ومراكب الصنبول يقدروا يمشوا لجميع مراسي طرابلس ويأخذوا جميع ما يحتاجونه ويعطوا^(٥) حقه .

(١) يمشى (٢) لا يؤسرون (٣) يمشى (٤) حر (٥) يدفعون ثمنه

الشرط الثالث عشر

مدافع القلعة امتناع وحق طرابلس ومآلتها بمنعوا جميع ما يأتي من العدو للصبيول بحيث لا يضرهم أحد تحت رمت المدفع وان تعدى أحد السيد الباشا دامت معاليه بمنه وفضله وجوده يعاقب الرابض القرصان وكذلك الصبيول عليهم مثل ذلك.

الشرط الرابع عشر

فإن كان قرصان الجزائر أو تونس أو قرصان سبدي يأخذ بعض من مراكب الصبيول من بعض المراسي الذين يكون بها قلعة السيد الباشا أدام اللول وجوده وأيامه يرجعهم السيد الباشا منهم مثل ما كانوا عليه وإن أخذوا القرصان المزبور من مراسي الذين لم بهم قلعة السيد الباشا يكاتب تلك السلطنة التي فعل قرصانهم ذلك ويسمى في حبه مثل ما يكون هو امتناعه ولا عليه لزوم في ذلك بوجه من الوجوه.

الشرط الخامس عشر

إن كان مراكب الصبيول في المرسى وعدوهم حاضر بمسك عدوهم يومين إلى أن يباعدوا مراكب الصبيول.

الشرط السادس عشر

ومراكب الصبيول فإن بعضهم قدّر اللول عليه وتبؤوا^(١) أو شحطوا^(٢) في نواحي بر طرابلس فيموتونهم أهل الوجاق ويدفونهم لم يأخذوا كرام من المتبوزين وأن فيهم وسق يزلوا وسقمم والذي جلع منهم لم يدفع منهم جرك لأنه إلى غير وطن بلاد طرابلس.

(١) جنحوا

(٢) تطلوا عن أصل.

الشرط السابع عشر

القبطان الصبنيول الذي يأتي إلى وجاق طرابلس ينزل قبالة^(١) إلى حوش
قتل الصبنيول .

الشرط الثامن عشر

مراكب الصبنيول لا يعطو انقراج^(٢) إلا سبعة وعشرين ريال قرامل
ورئيس المرسى يعطى قطبته لأجل الفلوكه لا يهربوا .

الشرط التاسع عشر

رئيس المرسى يبعث فلوكة لأجل الأخبار وإن رئيس المركب نادام
تطلع الفلوكه تدخلهم ويعطو لهم عوايد .

الشرط للتمم للعشرون

المركبات^(٣) الصبنيول يجب كل ما يريده من السلعة وكذلك يجب
الشراب والبراق ولم يعط جمر ك إلا ثلاثة بالمائة ويأخذ ما يريده من سلعة
طرابلس ويعطى ما يلزمه الجمر ك $\frac{3}{4}$ لا غير جمر ك وأهل طرابلس مثل
ذلك إذا مضوا لبلاد الصبنيول يعطو الجمر ك وغيره مثل للمصالحين معهم من
كل الأجناس من أحبابهم .

الشرط الحادى والعشرون

البارود والرصاص والقلوع وكلما هو دالت الحرب إذا أتوا به الصبنيول
لم يعط جمر ك .

الشرط الثانى والعشرون

التجار الصبنيول إذا أتوا يعضاعة لبلاد وجاق طرابلس ولم تباع في
البلاد وأرادوا إخراجها إلى بلاد أخرى لم يعطوا عليها جمر ك وتجار وجاق
طرابلس كذلك في بلاد الصبنيول .

الشرط الثالث والعشرون

الفنصل الصببول لم ينزلوا من مركبه قلاع ولا دومان في البر .

الشرط الرابع والعشرون

إذا قرصان طرابلس أراد أن يشكى لم ي نصب مراكب الصببول لأجل
يشكى مركبه عليهم إلا بطية خاطر قبطان المركب الصببول .

الشرط الخامس والعشرون

القبطان الصببول لم يقدر ينصبه أحد في كرا^(١) مركبه أو في سفر
بالنصب إلا أن يكون بطية خاطر .

الشرط السادس والعشرون

فإن كان في المرسى مراكب كبير وانهم يصرفهم^(٢) القرصان إلا ثمانية أيام
وذلك بعد أن يرسل السيد الباشا دامت معاليه يرسل للفنصل ويعلمه بذلك،
وأما القرامط التي بالمجذاف لا يتصرفوا لأجلهم وإذا السيد الباشا مسك
مركب لأجل مصلحة من المصالح يعلم الفنصل بذلك .

الشرط السابع والعشرون

السيد الباشا دامت معاليه ما يزيد في الجرك ولا مثلها ما يدفع الصببول
إلا على العادة السابقة ومراكب الصببول إذا شحطوا ما يعطوا شيئاً وإن
أخذوا مونه للجبارك لا يعطو جرك .

الشرط الثامن والعشرون

فإن كان المسلمين أهل وفاق طرابلس عاملوا^(٣) واحد أصاببول من غير
إذن الفنصل ومشورته أو بضمانه الفنصل لا يعطى عليه شيئاً إلا أن يكون
يأذنه أو بضمانه .

(١) تأخير . (٢) يحجزم . (٣) يقصد المعاملات الآتية

الشرط التاسع والعشرون

فإن كان بعض بحرية الأصبنيول اشترى خمر من الطبارم^(١) ولم يدفعوا حقه - انفصل الصبنيول لا يضمن ولا يطالبوه ولا يمكوه في ذلك ولا يمسك البحرية إذا أرادوا السفر .

الشرط الموفى للثلاثين

فإن أحد من النصارى الاصبانيول يهلك بأوجاق طرابلس وعمالها انفصل الاصبانيول يضبط ماله وما يخلفه ومثل ذلك أهل وجاق طرابلس إذا هلك في اصابانيا وعمالها لا يضمن له رزق مثل ذلك .

الشرط الأحد والثلاثين

السيد الباشا دامت معاليه يعمل الشرع بين أهل الوجاق المنصور والاصبانيول وذلك بحضرة القنصل وكذلك في عمالة وطن طرابلس يكون خصامهم على أيدي المتولى للبلاد من العمال .

الشرط الثاني والثلاثين

الاصبانيول إذا حصلت لهم منازعة أو مضاربة بينهم وبين بعض المسلمين وهرب الاصبانيول فالقنصل لا يكون ضامنا وإن أحد الاصبانيول عاب في رجل مسلم ومكوه لا يجرى عليه حكم إلا بحضرة السيد الباشا دامت معاليه وحضور القنصل .

الشرط الثالث والثلاثين

إذا أراد أحد الاصبانيول أن يولى^(٢) مسلماً بحضرة في حوش القنصل ثلاث أيام وبعد مضي ثلاث أيام يسأل فإن اختار الإسلام يسلم ويكون مسلماً .

الشرط الرابع والثلاثون

الحب لجناينا رى الاصابيول يقدر يعمل قنصل والقنصل الصبنيول
 إن أراد أن يصلى في داره له الإذن والقنصل الصبنيول يعاون نفسه في الذي
 يحتاجون إليه وله الحرية والقدر مثل القناصل الآخرين والقنصل
 الاصابيول يجعل الشرع بين جنسهم سواء كانوا رياس أو تجار ولا يتعرض
 له أحد من أرباب الدولة ولا من أهل الوجاق المنصور وله الإذن بحمل
 السجق^(١) في الحوش وكذلك في القلوكة إذا ركب في المرسى وبأخذ
 ترجمان وسمار ياذن السيد الباشا دام المولى عزه، وإن أراد أن يدلهم
 وله الاذن يمشى للراكب في المرسى من غير مانع له في ذلك ومونت^(٢)
 حوشه لا يعطى عليه جرك وله الإذن يقدر يعمل قنصل في بنغازى، ودرنه
 فينتى^(٣) قنصل يجرى بجرى تلك الشروط وإن أراد الرى يعمل فينتى
 قنصل له ذلك.

الشرط الخامس والثلاثون

فإن أتت مركب جيرا^(٤) بتاع رى أسبانيا القنصل الصبنيول يعلم السيد
 الباشا دامت معاليه وبعد ذلك الحصار^(٥) والقلمة يسلبوا عليه بالمدافع مثل
 تسليمه على غيرهم من الأجناس الرياس وإذا تلاقى مع قرصان طرابلس
 مراكب البلبك في البحر وسلبوا عليهم يردوا لهم سلامهم مثلهم.

الشرط السادس والثلاثون

يحتاج قنصل الصبنيول حين يأتي مركب أو مراكب بالبلبك يعلم السيد
 الباشا آدم المولى وجوده وكبت حسوده لأجل يأمر بحفظ يسير^(٦)،

(٢) تموين منزله .

(٤) حرب .

(٦) الأسير .

(١) العلم .

(٣) نائب قنصل .

(٥) الأسوار .

الوجاق المنصور من المروب لأنه إن هرب يسير للراكب المزبوره يكون فرنك .

الشرط السابع والثلاثون

فإن كان عند الآخرين من النصارى المصالحين مع الوجاق المصور بعض شروط غير ماسطر يكون مثلهم جمهور الصببول وإن حدث لهم شيء يكونوا نالهم .

الشرط الثامن والثلاثين

إن وقع خلاف الصلح من إحدى الدولتين لا يجعل الفيرا (١) إلا أن يبحثوا على السبب وتوضع المخاطبة بينهم .

الشرط التاسع والثلاثين

فإن كان وقع فساد في الصلح القنصل وجميع أجناس الصببول الذين في وطن طرابلس وعمالها لهم أجل ستة أشهر لأجل يخرجوا بما عندهم ولا يمكن .

وعلى الاتفاق المسطور ببناء وأعلاء جعلنا ثلاثة دفاتر صورت شروط الصلح بيننا وبين المحب لجناينا الداي رى كارلو الصببول مرسوم بخط فلم التربة وخط الوكلاء المذكورين ونزلنا به طابعا (٢) الشريف وطواج عمالها ونزلوا الوكيلين بخطوط أيديهم من أطراف الداي المزبور وهم دون يروا صليبي وأخيه دون جوان صليبي الذين بأيديهم التوكيل من المحب إلينا رى صباية وقع ذلك في ٤ من شوال سنة ١١٩٨ هـ وفي سنة ١١٩٨ ثمان وتسعة ومائة وألف وقع الاتفاق والرضا بين الدولتين وهو عظيم الروم راي أصباية وبين الأسعد الأرشيد السيد على باشا فرمانلى صاحب ولاية وجاق

طرابلس ورجال الدولة والرباط وتابعهم منبأ ومؤكداً على جملة أهل الدولة
يكون محافظاً على مقتضى الشروط المستورة من غير خلاف ولا مخالفة
قبولاً تاماً وهذا الرعية الفولتين - وقع ذلك على تسعة وثلاثين شرط
المقيدين يسراه وبه نزل الخط أيدي كاملين العقل بالتوكيل المفوض لسيهما
وذلك بلسان الطليان ومهترهم (٢) المقام الاربع الارشد الاسعد مولانا
السيد على باشا باي داي وطابع السيد الباي باي الوطن وكاهية القلعة وأغة
الديوان وأغة العسكر وريس المرسى وخازندار وشيخ البلاد ودقردار -
الكل راضين رضاه تاماً على انعقاد الصلح المستور في ٢٩ شرط ونزل طابع
السيد الباشا ما ذكر بعده في ٣ دقاتر وسلم لنا دلمم والعلاحة بالفصلاته بيد
القنصل نكتبو المولى جل جلاله أن يكون مباركاً على الرجاقي وسائر الإسلام
بجاه من ظلته النعام بتاريخ ٢٢ خلت من شوال سنة ١١٩٨ .

وامرسوم يئناه هو ما يكتبه القنصل في الباسبورت وبعد كسب
الشروط المرسومة تسعة وثلاثين شرط والتمت لأجل هذا التوكيل الذي
يبدى دون بترو وسليرو وأخيه دون جوان سليرو باسم الرى دون سلسريه
نمكو هذا الصلح باسم المحب لجنابنا داي نايلى وكل الشروط التي تصلح
لنا وله ولداً وباسم الرى نجعلو هذا الشئ وهو بمسك في حالة الصلح والشروط
هو وكافة أهل نايلى من غير فساد بشئ منها والاسعد الارشد السيد الباشا
حامت معاليه يعطيه مكتوب في ذلك يصلح به ولأجل ذلك وافق الوكلاء
المذكورين ونزلوا مهرهم في ذلك بتاريخ ٢٢ شوال سنة ١١٩٩ هـ .

حسن باي القرماني علي القرماني
صاحب إيالة دار الجماد طرابلس المحمية

الفقير الحقير عبد ربه الكنجيا
الفقير الحقير
الحاج حسونة أفا الانكشارية
الفقير الحقير
الكاتب مصطفى بن خوجه
طرابلس الغرب
الفقير الحقير
محمد بن أحمد بن عبد الرحمن
شيخ البلاد مدير البلدية
محروسة طرابلس الغرب

الفقير الحقير
محمد بن أحمد كاهية مالي
عسكر طرابلس الغرب
الفقير الحقير
محمد بن الحاج رمضان
خازن دار السعادة
الفقير الحقير
أحمد بن مصطفى
كاهية رئيس المرسى
محروسة طرابلس الغرب



حسن بك القرماني الابن الأكبر لعلی القرماني
وقد قتله أخوه يوسف وهما بصافيان بين يدي أمهما لالا* حلومه
في يوم الجمعة ٢٠ يوليو سنة ١٧٩٠*
يا حدى حجرات الصحن الأسباني بالقلعة

وثيقة رقم - ٦

خطاب^(١) بوناپرت إلى القنصل الفرنسي في طرابلس

المؤرخ في ٢٢ يناير سنة ١٧٩٨^(٢)

Au quartier Général du Caire, 5 Fructidor an VI
(22 Janvier 1798).

Bonaparte, général en chef, au consul de la République
Française à Tripoli.

J'ai reçu, citoyen consul, votre lettre du 13-messidor. Depuis la prise de Malte, nous avons pris Alexandrie, battu les Mameluks, pris le Caire, et nous sommes emparés de toute l'Egypte. Les Anglais, ayant battu notre escadre, ont dans ce moment la supériorité dans nos mers, ce qui m'engage à vous prier d'expédier un courrier de Tripoli pour se rendre, soit à Malte, soit à Civita-Vecchia, soit à Cagliari, d'où il gagnera facilement Toulon, soit même par une galiote en droiture à Toulon. Vous enverrez une copie de cette lettre vous direz que l'armée de terre est victorieuse et bien établie en Egypte, sans maladies et sans perte de monde, que je me porte bien, et de ne pas ajouter foi aux faux bruits que l'on fera courir dans cette circonstance. Expédiez-moi de Tripoli un courrier pour me faire parvenir les nouvelles que vous avez de France et écrivez à Malte pour qu'on vous envoie toutes les gazettes

(١) J. Charles Ferard : *Annales Tripolitaines* p. 310-n. 311

(٢) يذكر بوناپرت في هذا الخطاب استيلائه على مصر ونهضم أسطولها واستعادة املاكه برسا وحلب من القنصل أن يكون واسطة في تبادل الأخبار ، كما يطلب منه أن يحث البابا على إرسال مواد تموينية كثيرة إلى مالطة ومال إلى الإسكندرية .

que l'on y reçoit et vous nous les enverrez. Ecrivez à notre consul à Tunia pour qu'il vous fasse passer toutes les gazettes et nouvelles qu'il pourrait recevoir. Il est indispensable que vous nous expédiez au moins une fois toutes les décades un courrier qui ira par mer jusqu'à Derne, et le traversera le désert. Je vous ferai rembourser tous les frais que cela vous occasionnera. Je n'ose pas aventurer de l'argent à travers le désert, mais tirez sur moi une traite de six mille francs. D'ailleurs, je payerai bien les courriers qui m'apporteront des nouvelles intéressantes. Faites connaître au Pacha que demain nous célébrons la fête du Prophète avec la plus grande pompe. La caravane de Tripoli part également demain, je l'ai protégée et elle a dû se louer de nous. Engagez le Pacha à expédier beaucoup de vivres à Melte et à nous envoyer des moutons à Alexandrie. Faites savoir aux fidèles que les caravanes sont protégées par nous et que l'émir-agma est nommé.

وثيقة — ٧

تقرير^(١) Beausaier قنصل فرنسا في طرابلس إلى تاليران
وزير خارجية^(٢) فرنسا في ٢٤ ديسمبر سنة ١٧٩٩

Genes, le 6 messidor an VII (24 décembre 1799).

Au citoyen Tallayrand, Ministre des relations extérieures.

Vous avez jugé, par ma dernière lettre de Tripoli de Barbarie de floréal dernier, que tous les Français en résidence ou de passage dans la dite échelle ne tarderaient pas d'en être chassés par le Pacha, qui a dû céder à la violence qui lui était faite. Sur son refus constant de nous livrer aux Anglais, le commodore Donat Campbell, commandant du vaisseau de ligne portugais l'Alphonse d'Albuquerque, commença à effectuer ses menaces en brûlant à la côte le corsaire vices-amiral de la Régence et arrêtant le corsaire-amiral avec deux riches prises l'un et l'autre, de retour de leurs croisières, et se disposa à canonner les forts et à incendier les autres corsaires ancrés dans la rade. Le Pacha hésitait encore, quand les clameurs des parents et amis des équipages des deux corsaires et de tous les habitants, alarmés et indignés des ménagements de ce prince, le forcèrent à devancer le moment de notre expulsion sans réfléchir à la manière brusque et ignominieuse dont elle serait opérée. Le même jour 23 floréal, à quatre heures après midi, le rais de la marine vint m'intimer l'ordre de sortir sur le champ des États de la Régence. Il était accompagné d'une vingtaine de gardes qui se disposaient à accélérer ma sortie de la maison consulaire. Je représentai de nouveau que les traités accordaient un délai de six mois en cas de rupture, mais il me fut répondu de me hâter et

(1) Charles Féraud, Annales Tripolitaines Paris, 1927 pp. 313—314.

(٢) يذكر بوسيه كيف اضطر يوسف القرمانلي لإزاء تهديدات القائد الإنجليزي كبلر وطلب سكان طرابلس إلى تسليم الرعايا الفرنسيين الذين نقلوا إلى بالرم حيث أمر نلسن بتخليصهم إلى جنوة .

que je serais conduit au Château, où le pourrais faire telle observation que je voudrais au Pacha.

Il fallut donc se mettre en marche dans le plus absolu négligé, avec les seuls vêtements que nous avions sur le corps, abandonnant tous les meubles et effets à la discrétion des Maures. J'étais accompagné des citoyens Xavier Naudi, vice-consul et interprète provisoire depuis plus de cinq ans; Antoine Conseil, de Paris, négociant, agent nommé par le général Vaubois pour les approvisionnements de Malte et Pierre-François-Fabre, de Marseille, lieutenant de vaisseau venu d'Alexandrie. Nous arrivâmes sous cette escorte au Château, où il ne me fut pas permis d'entrer. L'on nous contraignit de nous embarquer sur un bateau qui nous attendait et qui nous porta à bord du vaisseau portugais. Les autres Français, au nombre de 38, furent traités avec moins d'égards encore et conduits au milieu d'une populace fanatique au quai de la Marine, où ils furent jetés sans hardes dans une embarcation qui les transporta également à bord du vaisseau. Je fus présenté au commodore Camphell, et lui demandai si le contre-amiral Nelson avait entendu que nous fussions entièrement privés de nos propriétés. Il me dit que non, qu'il allait réclamer au Pacha l'envoi de tout ce qu'il n'aurait pas jugé à propos de confisquer lui-même et que nous nous en aurions pas à nous plaindre du traitement qu'il nous destinait à son bord. Ce prince, qui avait fait saisir et transporter dans son Château toutes les hardes de nos marins, inventoria tous mes meubles et effets, ainsi que ceux des trois officiers logés chez moi, et transporter également au Château tout ce qui était amovible, prit en considération la demande du commandant et envoya à bord à mes frais ce qui n'avait pas été pillé par les gens employés au rassemblement de tout ce qui appartenait aux Français. Je ne recus en mon particulier qu'environ la demie de mon argenterie, et encore est-elle dépareillée, et une très légère portion de mon linge de corps et de table, et de mes vêtements. Tous les meubles sont demeurés à la maison consulaire et ont été inventoriés par M. Pierre Ortiz de Zugasti, chancelier et chargé des affaires du consulat général d'Espagne. Il en a gardé la clé, qu'il confia à Abraham Serouzi, sujet tripolin chancelier provisoire du consulat de France, lequel m'a marqué qu'on m'avait enlevé ma montre et chaîne d'or et autres bijoux.

toutes les provisions de ma maison, la faïence, les cristaux et enfin tout ce qui était à la convenance des Maures qui y ont pénétré. M. Ortiz a retiré et déposé à ma prière en sa chancellerie toutes les archives du consulat et de la chancellerie, ainsi que mes papiers particuliers. Le jour même de notre embarquement, au matin, quoique détreuvé et ayant une garde à la porte, je m'empressai de faire passer à la chancellerie d'Espagne la tabatière d'or ciselé enrichie de brillants et les deux montres et chaînes d'argent appartenant au gouvernement et laissés à Tripoli par le citoyen Herculaïs.

Le commodore Campbell ne quitta point la rade de Tripoli sans avoir arrêté et signé un armistice avec le Pacha jusqu'à l'arrivée du traité avec le Portugal, dont M. Souza, consul général de S. M. C., attendu incessamment de retour de Madrid, sera porteur, et ne licencia le cressier amiral et les deux prises de la Régence qu'après être convenu de leur valeur et avoir reçu du trésor même du Pacha 11.000 piastres fortes à compte.

Le vaisseau l'Alphonse mit sous voile de Tripoli le 1^{er} prairial, allant à Malte et Palerme, mais, le 5, le capitaine d'un bâtiment Ragusaïn sorti du premier port ayant rapporté que, dans la nuit du 2 au 3 du dit mois, le blocus avait été levé, on se hâta de singler directement pour Palerme. Dans les parages de la Sicile, nous reconnûmes les vaisseaux anglais l'Alexandre, l'Audacieux et le Goliath, qui n'y rendaient de Malte et avant d'y entrer, le 12, une frégate détachée par le Contre-amiral Nelson fit retourner à Malte le premier et le dernier vaisseau pour en reprendre le blocus.

وثيقة - ٨

رسالة يوسف القرماني إلى ملك أسبانيا^(١) والهند

٢٩ محرم سنة ١٢١١ هـ -

الحمد لله الحمد - الواحد الأحد - الفرد الصمد - الذي لم يلد ولم يولد ولم
يتخذ صاحبه ولا ولد .

من عبد ربه سبحانه أمير المؤمنين - المجاهد في سبيل رب العالمين - جامع
ثغر المسلمين عبده - يوسف باشا بن علي باشا بن محمد باشا بن أحمد باشا
قره مانى - متصرف محروسة طرابلس غرب إلى المحب إلينا والمقرب لدينا دوى
أسبانيا والهند . قد ورد علينا كتابكم وقرأناه - وفهمنا لفظه ومعناه - وما
أظهرتم فيه من زيادة الحب وبواعث القرب .

قد ثبت عندنا وتأكد لدينا زيادة حُبكم فينا - وقدم علينا الكومندنت
المعين في خدمتكم - والعشرة آلاف ريال الذى وجهتم إلينا صحتة اتصلا بهم
وكذلك الالفين ريال التى بيد القنصل بلنهم إلينا مع عوائد القنصلاته من
ملف وغيره - كل ذلك اتصلا به - جزيتهم خيراً وكفيتهم شراً .

ثم ما طلبتموه منا بالتوصية على قنصلكم ، صولى ، وأنا نودعوه بالبشارة
لإعلم أن كل من هو من أطرافكم فاله منا إلا المراجعة الكاملة - ثم ذكرتم لنا
من جانب أنكم أمرتم قنصلكم المقيم بإفليمنا أن يسعى في زيادة المحبة ونحوها
بين الدولتين جعلنا ذلك ونحققناه - وفي ذهنا أثبتناه - ولم يلحقنا شك في
عحبكم من بين سائر الناس إذ أنتم عندنا أقرب من سائر الأجناس وما تعرض
لكم من حاجة قبلنا نقضوها لكم وهو أسهل ما عندنا إذ نحن وأتم في قضاء المصالح
لبعضنا حال واحد والمولى مطلق وشاهد والسلام . يوسف قرماني

(١) منقول عن الأصل بدار المحفوظات التاريخية بمدينة طرابلس الغرب .

وثيقة - ٩

رسالة يوسف باشا القرماني إلى ملك السويد (١)

في ٢ رجب سنة ١٢٢٣ هـ

كتب هذه الرسالة من دار الجهاد طرابلس الغرب حيث من كل شدة وكرب - من وإلى هذه الإمالة عبد ربه سبحانه أمير المؤمنين وناصر الدين المجاهد الرب العالمين يوسف بن علي باشا بن أحمد باشا قرمانلي صاحب الخيرات الكثيرة المعروف بالفظانة - ورئيس الطريقة المسيحية والأمة العيساوية وأفضل من انبع الإنجيل في عصره - وحامي الانفاقيات العامة - ملك السويد لازال محمود المواقب . وبعد :

لاحتاج إلى ذكر ما ييننا من شدة المحبة والموالاة الصانبة الثابتة التي نشكركم عليها - والموروثة من آباءنا وأجدادنا - والعهود والمواثيق التي ييننا لتجديدها وتأكيدها ولذلك أرسلتم القومندان لتحقيق ذلك - وقد وصل إلينا - وقابلنا الهدية التي أرسلت من طرفكم بكل ممنونية - ومن جهة القائد قد دعا ملناه المعاملة اللاتقة به وأعجبنا بفضائله . والأموال التي طلبنا تعجيل دفعها من طرفكم فأت وقتها - ورأيت من مندوبكم عدم الموافقة على الزيادة التي طلبتها ولكن خطاتني أو افق على عدم الزيادة - واتفقنا على دفع ٧٧ ألف فرنك في الحال إلينا - وأخبرني بأنكم وافقتم على ذلك حتى تقرر بموجب معاهدة العوائد السنوية التي تدفعونها - وقد دفع المبلغ المذكور فاستحق منا التبجيل والتقدير . أما فصلكم الموجود بطرابلس وهو شيخ أقرب إلى الثمر منه إلى الخير - فقد طلبت من مندوبكم التحقيق في أمره لأنه كان دائماً سياً في تكثير محبتنا وإفساد علاقانا فصار عزله من طرف وكيلكم وأقام مكانه أندرياس كوستا وهو رجل عاقل وعارف أصول البلاد فتطلب منكم إعتماده والسلام .

إمضاء : يوسف قرماني

(١) منقول من الأصل بدار المخطوطات التاريخية بمدينة طرابلس الغرب .

وثيقة - ١٠

مرسوم ولأى من يوسف القره مانلى^(١)

في ٦ ذى القعدة سنة ١٢٢٩ هـ

بتعيين خليل بن عبد الله باى منصرفا على بنغازى

الحمد لله وصلى الله على خير الأنام ، ونبراس الظلام - ومن هو للرسول
خاتم سيدنا ومولانا محمد عليه وعلى آله وأصحابه الكرام .

نحمدك اللهم بأجل ما أمرك الذى بدى بها القرآن وختم بها دعاء أهل
الجنة ، ونشكرك على ما أوليتنا من مواهب الفضل والإحسان ،
وأعطيت من طرائف الامتنان ، وأيدت دولتنا المحكمة الأساس ،
ونصرتها بأهل النجدة والباس ، ونصلى ونسلم على سيد ولد عدنان ، الذى
أرغم بسيفه أف الظفیان ، ونسخ برسالة الشرائع والأديان وكشف
له عن مخبرات الأكوان ، فرأى ملك أمته قد بلغ متغاصى البلدان ،
وكان الخبر وفق العيان ، وعلى آله الحكمة الشجعان وأصحابه الذين هشموا
الصلبان ، وكسروا فى نصرته عوامل المران والسمر اللدان ،
وسلم وعظائم وشرف وكثرتم وبعد فهنا تهدد على المقدار ، وظهير ظهير
فضله فى الاقطار ، كالشمس فى واسطة النهار مقترنا بطالع السمود ،
مبشرا ببيل الامانى ويلوغ المقصود ، أوجب للعتد عليه شمائل البر
والتكريم وأضفى به عن نفسك بالعهد والتفخيم ، صدر عن إذن الهام
الأرفع - والطود الشاخ الآمنع - المأوئد بالنصر من أول عمره - الذى
ابتدأ بالجهاد صحيفة أجره ، واقتنع بالرباط والخيرات ديوان نبيه وأمره -
والى طرابلس ثغر الجهاد ، القامع لأصل الجور والفساد ، أبو المحاسن

(١) مقول من الأمل للوجود لدى الأستاذ على الفقيه حسن بطرابلس الغرب .

والمعال عبدہ يوسف باشا قره مانلى - ولا زال فى عز وارتفاع مؤيداً منصوراً
فى جميع البقاع آمين .

إلى كافة من يقف عليه من الكبراء والصدور وطوائف الخاصة
والجمهور ، والرعايا الذين هم عمار الأرض ، والفقهاء القائمون بالمسنون
والفرض ، والعسكر الذين هم حماة دين الإسلام ، وخاصة أهل البلاد
والموالم ، والعربان البوادي النازلين بكل كهف ووادى ، ومن احتاط بحمل
الجوازى ، وعامة رعيتنا أهل بنغازى ، سدد الله أحوالهم ، وبلغهم من طاعته
ومرضاتنا آمالهم ، السلام الأتم ، الأطيب الأعم عليكم ورحمة
الله وبركاته وأزكى تحياته ولا زائد بحمد الله جل جلاله وعم نواله سوى
الحير والعافية ، والنعم الضافية ، يليه إعلامكم وتنبيهكم وإلزامكم أن الأجل
الأرضى ، والاكمل الأخطى — ولدنا خليل بن عبد الله باى يسر الله أموره
حتى لا يعسر عليه شئ ، قد اخترناه إليكم ، وجددنا له فى الولاية عليكم
وأقناه بلجميع المطالب المفررة ، وجبى اللوازم المحررة ، والوظائف
المسطرة ، على حسب عادة الأقدمين ، وسبيل المساهمين ، فيما كتبه
بالعقار ، وجمعه كابر أعز كابر ، وقرروه فى الدواوين ، وقامت عليه
الحجج والبراهين ، ونصناه لاستخلاص القوانين ، والوفاء بحق الطامعين
وإمانة العاصين .

وأمرناه أن يسوسكم بأحسن سياسة ، ويسير فيكم سيرة عدل ورياسة ،
فحبته محبتنا ، ومصلحته مصلحتنا ، فعليكم بطاعته كل أوان ، وأذعنوا له
غاية الإذعان ، وأسعفوه فى أموره كل الإسعاف ، واحذروا أن يقع بينكم
شقاق أو خلاف ، لأن طاعتكم للأمير أولى بالجليل منكم والحقير ، ومن
ارتكب فساداً وأراد له عناداً ، أذقناه مرارة مكروه ، وأخذنا نار نصره ،
وأثرنا ربح قبره ، فلا يلومن إلا نفسه ، ولا يعاتب إلا رايه وحده ،
وقد أطلقنا يده فيمن أساء بالانتقام ، على حسب الحال والمقام ، وفوضنا له
فى ذلك ، وأنبأناه على ما هنالك : مله بطاعتنا وتقوى الله يفوز بمرنا ورضاه ،

وبالجد فيما كلف بخدمته ، لأن كل راع مسئول عن رعيته ثم إنى أوصى
الأمير بالعدل فى الكبير ، والرافة على الصغير ، ليسلم من الفصاح يوم
الآنخذ بالنواص ، لما روى صاحب الصحيح فى الخبر الصحيح - إنما برحم
الله من عباده الرحماء - وروى الإمام أحمد فى كتابه المسند ما من أمير
عشيرة إلا ويؤتى به يوم القيامة مغلولاً حتى يفكه العدل أو يوبقه الجور
أو كما قال عليه الصلاة والسلام إلى يوم النشور والسلام .

ختم الوالى

يوسف بن على

وثيقة - ١١

معاهدة (١) بين يوسف القرهماني وملك سردينيا

٢٩ أبريل سنة ١٨١٦ م

وقمها النيابة عن ملك سردينيا اللورد اكسموث القائد البحري الإنجليزي والمستر هانتر وارانجتون قنصل إنجلترا في طرابلس .

معاهدة السلام بين جلالة خوربوعمانويل ملك سردينيا وقرصم والقديس دوق سافوي وجنوه وأمير يدمنت ويوسف القرهماني والي طرابلس وملحقاتها . وقمها بالنيابة ادوارد بارون اكسموث فارس الصليب الأعظم المختص بالتنظيم الحربي للسرور وأميرال الفرقة الزرقاء من الأسطول الإنجليزي وقائد الأسطول الإنجليزي في البحر المتوسط ممثلا لملك إنجلترا وأيرلندا وملك سردينيا .

المادة الأولى : رغبة في السلام تبدأ الصداقة الوطيدة والسلام منذ الآن بين ملك سردينيا ووالي طرابلس ورعاياهم وتأمين أملاكهم وأراضيهم - ومنذ الآن يحترم الباشا ورعاياه علم ورعايا وتجارة سردينيا على قدم المساواة مثل بريطانيا وتمتع سردينيا بجميع الامتيازات التي نالتها إنجلترا في المعاهدات السابقة .

المادة الثانية : تصبح التجارة حرة بين الدولتين منذ التوقيع على هذه المعاهدة طبقا لشروط خاصة ولكن على السفن التي تريد السفر من شاطئ الشمال الإفريقي إلى أية ميناء في سردينيا أن تمر بالحجر الصحي قبل دخول الموانئ - ويوجد حجر صحي للسفن القادمة من طرابلس في جنوه و spezia وفي جزيرة سردينيا في Maddalena و Alghero و S. Pietro و Cagliari

(١) مترجمة من الأصل بالإنجليزية بناءا على المخطوطات التاريخية بطرابلس الغرب .

و يطبق ذلك أيضاً على السفن الداخلة إلى طرابلس ويتم التبادل القنصلى بين الدولتين ويكون تقدير قنصل سردينيا مثل قنصل إنجلترا من حيث تسهيل تنظيم شؤنه التجارية ويسمح له برفع العلم الوطنى على دار القنصلية وممارسة عبادته الدينية مع خدمه وغيرهم من الرعايا الراغبين فى ذلك .

المادة الثالثة : ولتح أى احتكاك أو إساءة استخدام المزايا التى تنص عليها هذه المعاهدة فإن ملك سردينيا سيتخذ الوسائل الفعالة لمنع ذلك بإعطاء رعاياه جوازات مرور بحتم وإمضاء سكرتير الدولة وسوف لا تستخدم تلك الجوازات وسيلة لإعطاء حماية لرعايا دولة أخرى وكل سفينة أو قارب تابع لسردينيا سيزود بإحدى هذه الجوازات .

المادة الرابعة : لا يسمح لأية سفينة حرية من الطرفين بالعمل فى إحدى الموانئ التابعة لهما بقصد الاستيلاء على سفينة معادية داخل المياه الإقليمية للدولتين أو الهجوم على سفينة ترسو فى أحد الخلجان داخل حدود المرسى حتى ولو لم توجد بطارية أو بندقى لحمايتها .

حررت فى سراى طرابلس بإرادة الله فى ٢٩ أبريل سنة ١٨١٦ - ٣٠ من جمادى الأولى سنة ١٢٣١ هـ

مادة إضافية :

تمهد اللورد أكسموث بالنيابة عن ملك سردينيا بدفع ٤ آلاف دولار أسبائى كهدية قنصلية إلى باشا طرابلس عند تعيين القنصل ويدفع نفس المبلغ عند تعيين كل قنصل جديد .

حرر فى سراى طرابلس فى ٢٩ أبريل سنة ١٨١٦ - ٣٠ جمادى الأولى سنة ١٢٣١ هـ امضاء

Hanmer Warrington Exmouth

نائب قائد الأسطول البريطانى فى البحر المتوسط

والمفوض من جلالة ملك إنجلترا و جلالة ملك سردينيا

امضاء ختم البلى يوسف

قرار بای طرابلس

قرار سعادة سيدى يوسف القرماني باشا و بای ولاية طرابلس و ملحقاته
اتفق مع ادوارد بارون اكسموث فارس الصليب الاكبر ، وقائد الاسطول
البريطاني الأزرق و نائب قائد الاسطول البريطاني في المتوسط .

طبقا للفوائد الكثيرة التي يؤكدها عظمة ملك انجلترا لانها استرقاق
المسيحيين ، فإن بای طرابلس بدافع من رغبته المخلصة للإبقاء على العلاقات
الودية مع بريطانيا العظمى ولنا كبد صداقته واحترامه الكبير تجاه الدول
الأوربية التي ترغب في أن يسود بينه وبينها جميعا السلام يعلن ويوافق على
أنه في حالة حدوث حرب في المستقبل مع أية دولة أوروبية والتي يدعو الله
أن يمنعها - فإن الأسرى لا يسترقون بل يعاملون معاملة إنسانية كأمرى
حرب حتى يتم تبادلهم طبقا للعرف الأوروبي - وأنهم سوف يعادون إلى
أقطارهم المحترمة دون فدية

حرر بسرای طرابلس بإرادة الله في ٢٩ إبريل سنة ١٨١٦ - ٣٠
جمادى الأول سنة ١٢٣١ هـ

ختم البای

توقيع

Exmouth (L. s)

Hammer Warrington (L. s)

وثيقة - ١٢

للمعاهد المبرمة^(١) بين يوسف القرماني

والولايات المتحدة الأمريكية

٦ ربيع الأول سنة ١٢٢٠ هـ - ٤ يونيو سنة ١٨٠٥ م

المدقة .

يعلم الجميع دون حاجة إلى برهان رغبة الحكومتين الأكيدة في توطيد الأمن والسعى لتأمين السلام وتنمية التجارة ، وإيضاحاً للوسائل المؤدية لذلك ، وللوصول إلى الهدف المطلوب ، والمحافظة والعمل على إزالة الأسباب التي من شأنها أن تؤدي إلى الخلاف والنزاع ، قرر الطرفان عقد مصالحة جديدة تضمن المصالح الخيرية العامة بين والي طرابلس يوسف باشا القرماني وقائد الجند على بك وجميع الأمراء والأعيان وبين قنصل الجمهورية الأمريكية المكلف والمفوض تفويضاً شاملاً لتثيل حكومته بموجب التفويض المؤرخ في ١٨ نوفمبر سنة ١٨٠٣ - وقد اتفق الطرفان على تنفيذ ما نصت عليه هذه المعاهدة حرفياً .

البند الأول : يتمتع الرعايا الأمريكيون بالأفضلية على رعايا الدول التي تربطها بحكومة طرابلس علاقات ودية ، وإذا منحت إحدى الدولتين المتعاقبتين امتيازات أو تسهيلات في التجارة للدولة أخرى فيجب أن يشمل ذلك الطرف الآخر في هذه المعاهدة إلا إذا كان ذلك يؤدي إلى ضرر .

البند الثاني : الأمريكيون الذين أسرم الطرابلسيون أثناء الحرب والبالغ عددهم ثلاثمائة ، والأسرى الطرابلسيون الذين أسرم الأمريكيون والبالغ

(١) مترجمة من التركية .

عدد مائة يتم تبادلهم - وتدفع حكومة الولايات المتحدة ستين ألف فرنك تمويضاً للحكومة طرابلس مقابل إطلاق سراح الماتى أسير أمريكى الزاندين عن نصاب المبادلة .

البند الثالث : تجلو فى الحال جميع القوات البحرية الأمريكية الموجودة فى طرابلس ودرنة وغيرها من الأقاليم - وتتمتع الجمهورية المذكورة بالآلا تتعاون بطريق مباشر أو غير مباشر مع سكان طرابلس أو الأجانب عند قيامهم بحركات معادية ضد حكومة طرابلس أو ضد الباشا ما دامت هذه المعاهدة سارية المفعول ، وتساعد الجمهورية المذكورة الباشا فى إخضاع ثورة أخيه أحمد بك بفضاء درنة وإذا وقعت فى إخراجهم من درنة تتعهد بإبصاله وتسليمه إلى أسرته بطرابلس .

البند الرابع : ليس من حق الحكومتين الاحتجاج أو التعرض للبضائع التى تحملها سفن أحد الجانبين لتجار من دولة معادية للجانب الآخر .

البند الخامس : إذا صودرت سفن للعدو اعتباراً من اليوم وبها بضائع أو ودائع لرعايا أحد الطرفين فإنها ترد لأصحابها دون تمويض .

البند السادس : إذا صادفت سفن وبحارة أحد المتعاقدين سفناً فى عرض البحر تابعة للطرف الآخر فىكون لها حق النظر فى وثائقها والتحقق منها ثم يسمح لها بمواصلة السفر ، ويتمتع الطرفان ألا يمنحا وثائق مزورة لسفن تابعة لدولة أخرى .

البند السابع : إذا غنمت إحدى الحكومتين سفناً معادية وباعتها للآخرى يعطى لها سند مقابل ذلك ونظراً لبعد أمريكا فلا يطلب من أصحاب هذه السفن الوثائق الرسمية المسجلة مادامت سندات البيع موجودة لديهم إلا بعد مرور عامين .

البند الثامن : إذا دخلت سفينة أحد الطرفين إلى موانئ الطرف الآخر لطلب المؤن والزاد أو غيره من الأوائم يسمح لها بشراء ذلك بالأثمان المقررة

وإذا اضطرت إلى الرسو لإصلاحها فيجب تقديم المساعدة اللازمة لها وإذا أُنزلت حمولتها على الرصيف أثناء الإصلاح فلا يؤخذ منها مقابل ذلك رسوم ولا يجبر أصحابها على بيع البضائع المشحونة عليها .

البند التاسع - إذا غرقت سفينة لأحد الطرفين في موانئ الطرف الآخر أو في مباحه الإقليمية يحافظ على أرواح ربابها وبحارتها وأموالهم وتتخذ التسهيلات والمساعدات اللازمة لإرجاعهم لأوطانهم سالمين .

البند العاشر - إذا وقعت إحدى سفن الطرفين في يد العدو وكانت على مسافة من مرمى مدافع سفن الطرف الآخر فيجب عليها أن تتجدها حالاً بكل حماس وأن تعمل على تخليصها وإذا وجدت سفينة لأحد الطرفين في جنباء الطرف الآخر وبه سفينة معادية لها فلا يسمح لسفينة العدو المذكورة بترك الميناء لمطاردتها بعد سفرها إلا بعد مرور أربعة وعشرين ساعة من إفلاعها .

البند الحادى عشر - يتعهد كل من الطرفين باحترامهما الفائق لرعايا وقصليات الطرف الآخر ويسمح للجمهورية الأمريكية بتعيين قناصل لها في ملحقات إيالة طرابلس التي توجد بها قناصل للدول الأخرى .

البند الثانى عشر - إذا شجن أحد الطرفين بضائع في سفن الطرف الآخر وغرقت بسبب العوارض الطبيعية أو نتيجة اعتداء العدو فليس من حقه المطالبة بالتعويض عن تلك البضائع . ولا يتدخل أحد المتعاقدين في الخلافات الواقعة بين رعايا الطرف الآخر ، ولا يستخدم سفنه في أغراض تجارية أو غيرها إلا برضاء أصحابها ، وإذا وقعت عقود بين رعايا الحكومتين فإنها تسجل وتصدق عليها الحكومة التي وقع في بلادها العقد ، وعليها اتخاذ الإجراءات اللازمة لتنفيذ ما جاء فيها ، وإذا كان بذمة أحد رعايا الجمهورية

المذكورة دين لأحد فلا يطالب به القنصل إذا لم تكن هناك كفالة سابقة منه .

البند الثالث عشر - عندما يعلم القنصل بوصول سفن حربية أمريكية إلى ميناء طرابلس تطلق مدافع قلعة طرابلس إحدى وعشرين طلقة وتجاوبها السفن المذكورة بإحدى وعشرين طلقة مثلها .

البند الرابع عشر - يحترم الطرفان الطقوس الدينية والتقاليد القومية بروح من الإخلاص والحب المتبادل ولا يمانعان في مزاوله رعايا الطرفين لطقوسهما في دور القناصل ، ولقناصل الطرفين ومترجميهم وموظفيهم كامل الحرية في التنقل بطريق البر أو البحر .

البند الخامس عشر - إذا وقع خلاف أو مخالفة لما جاء في هذه المعاهدة فلا يلتجئ أحد الطرفين إلى استعمال القوة بل يبادر بمثل الدولتين لحل الخلاف بالطرق السلية وإذا لم يصلوا إلى نتيجة فتحول المشكلة إلى المسؤولين في الحكومتين وينتظر الجواب عليها مدة لا تتجاوز شهرين شمسين وإذا مرت المدة المذكورة ولم يصل الطرفان إلى اتفاق وتفاهم وتقرر الحرب بينهما يسمح الجانبان المتماقدان للقناصل والرعايا التابعين لهما بالسفر معززين مكرمين إلى حيث شاؤوا .

البند السادس عشر - في حالة وقوع الحرب يعمل الطرفان على إعادة الأسرى وتبادلهم بواسطة دول أخرى في مدة سنة أو دون ذلك إذا أمكن . وإذا كان لدى إحدى الطرفين عدد من الأسرى يزيد على مائة الطرف الآخر ، فيقوم بدفع خمسمائة فرنك عن كل رُبَّان ، وثلاثمائة فرنك عن كل قائد ومائة فرنك عن كل بحار - ليحررهم من الأسر .

البند السابع عشر - يمنع بيع الأسرى والغنائم الذين تستولى عليهم أية دولة أخرى من الجمهورية المذكورة في موافق ولاية طرابلس منعاً

تماماً ولا يسمح لثل هذه السفن الحاملة لما ذكر بالرسو في موانئ طرابلس إلا مدة تسمح بإمداها بالمواد الضرورية اللازمة ، ولا تطالب حكومة طرابلس السفن الأمريكية المحتملة بالغنائم بدفع شيء باسم العوائد .

البند الثامن عشر - القضايا التي يكون كلا الطرفين المتنازعين فيها من رعايا الجمهورية المذكورة يفصل بينهم قناصلهم وعلى حكومة طرابلس تقديم المساعدة لتنفيذ الأحكام الصادرة واتخاذ الإجراءات اللازمة إذا طلب منها ذلك .

أما إذا كان النزاع بين أحد رعايا الجمهورية وبين أحد رعايا دولة أجنبية أخرى فإن الفصل فيه يكون بحضور وكيلين من طرف قنصليتهما .

البند التاسع عشر - إذا قُتِل أو جرح أحد رعايا الطرفين شخصاً من رعايا الطرف الآخر تفصل محاكم البلاد التي وقع فيها الحادث في الأمر حسب شرعها وقانونها لا فرق بين المدعى والمدعى عليه وإذا فر الجاني فلا مسؤولية على القنصل .

البند العشرون - إذا توفي أحد رعايا الجمهورية المذكورة فلا يتدخل أحد في تركته وتبقى تحت تصرف القنصلية إلا إذا أوصى قبل وفاته بماله كله أو بعضه لأحد . فيكون لحكومة طرابلس في هذه الحالة حق تنفيذ ما جاء في الوصية وليس للقنصل حق التدخل في ذلك . وإذا توفي أحد رعايا الجمهورية المذكورة في مكان لا توجد به قنصلية ، فعلى موظفي إدارة بيت المال ضبط وحفظ أمواله وعند وصول ورثته تسلم لهم تركته كاملة حسب القيود المضبوطة .

بموجب الترخيص الذي يمدى أوقع وأضع ختمى على هذه المعاهدة التي تضم عشرين مادة والتي تم تبادلها في الحال وأتمد بتطبيق أحكامها تطبيقاً كاملاً وألا يجرؤ أحد من طرفنا على مخالفة ما جاء بها ما دامت حكومة طرابلس مراعية لأحكامها وموادها .

تحريراً في ٦ ربيع الأول سنة ١٢٢٠هـ - ٤ حزيران (يونيو) سنة ١٨٠٥ م .
القنصل طوياس لير

الوثيقة - ١٣

« معاهدة^(١) يوسف القرماتلي مع تسكانيا »

سنة ١٨٢١ أواسط رجب ١٢٣٦

كان هنر وارنجتون قنصل انجلترا نائبا عن دولة تسكانيا .

الحمد لله - تم الاتفاق بين صاحب السعادة السفيرة المعظم لربه والى طرابلس الغرب السيد يوسف باشا قرماتلي وأعيان امراء دولته وبين دوقيه تسكانيا لتوثيق عرى الصداقة القديمة وتأكيدها بواسطة وارنجتون قنصل انجلترا المقيم في طرابلس تم برضاء الطرفين التصديق على المعاهدة الآتية :

المادة ١ : يتعهد الطرفان بالتراضي لتجار البلدين بدخول بلاد الدولتين المتعاقبتين ماداما يحملان جوازاً معترفاً به .

المادة ٢ : يدفع تجار الطرفين الرسوم الجركية حسب قوانين البلاد ويخضعون لقوانين الحجر الصحي وإجراءاته ويسمح لقنصل تسكانيا برفع علم دولته فوق منزله كما يسمح لرعايا تسكانيا بأداء شعائرهم الدينية .

المادة ٣ : تخضع السفن التجارية للطرفين لنظم البيع والشراء المتبعة في الدولتين .

المادة ٤ : لا تتعرض السفن الحربية للدولتين لسفن الاعداء إذا وجدت في إحدى مرافئ الدولتين أو في مياههما الإقليمية « مسافة مرمى المدفع » .

المادة ٥ : إذا تلاقى سفينة طرابلسية مع سفينة تجارية لتوسكانيا يجري التفتيش على الجوازات بمقر قنصلين من أصحاب الدراية والمعرفة لتحقيق جنسية السفينة .

(١) مترجمة عن التركية .

المادة ٦ : يراعى الطرفان حقوق رعايا وتجار الدولتين وإذا وجد أحدهم في سفينة معادية تصان أمواله وتؤمن حياته ويسمح له بالسفر إلى بلاده مع أمواله .

المادة ٧ : إذا حدثت حرب بين إحدى الدولتين المتعاقبتين وعدوها ولجأت إحدى سفنها إلى ميناء من موانئ الدولة الأخرى، يحافظ عليها ولا تمكن سفن الأعداء من متابعتها أو الاعتداء عليها ، وإذا أبحرت هذه السفينة نحو بلادها أو لتلاحق بجماعتها فلا يسمح لسفن العدو بمتابعتها إلا بعد مضي ٢٤ ساعة من إبحارها .

المادة ٨ : إذا طلبت إحدى سفن الطرفين نجدة من السواحل القريبة للطرف الآخر بسبب إصابتها بعطب تسعف وتنجد ويحافظ على ركبها وأموالها .

المادة ٩ : إذا حدث نزاع بين مسلم وتسكاني فتكون محاکمتها أمام المحاكم الوطنية وبحضور القنصل ، أما إذا كان المتنازعان من تسكانيا فيفصل القنصل بينهما وفي حالة إفلاس أحد رعايا تسكانيا لا يدفع القنصل أو أحد رعايا تسكانيا تعويضاً إلا إذا كان يوجد ضامنون له .

المادة ١٠ : إذا توفي أحد رعايا تسكانيا في إالة طرابلس تسلم كل تركته إلى القنصل ولو لم يكن له وريث .

المادة ١١ : عند حدوث ما يخل بهذه المعاهدة يجتمع الطرفان للنظر في بنودها ويسعون لإصلاح ذات البين وحل الإشكال سلباً .

المادة ١٢ : لا تخرج أية سفينة تسكانية دون جواز من دولتها ولا بد أن يكون الجواز موقعا عليه من اللوق نفسه وممهور بتوقيع وزير الدولة لمنع الشبهات .

خاتمة : وقعت هذه المصالحة الحيرية من ١٢ بندا برضاء وموافقة الطرفين وتم تبادل الوثائق في الحال .

وثيقة - ١٤

رسالة^(١) يوسف باشا القرمانلى

إلى جناب القنصل نيقرى قنصل سردينيا بطرابلس
يخبره فيها بإصدار أمره إلى القنصل جوفانى روسونى قنصل تسكانية
بإزالة علم بلاده وذلك فى أول رمضان المعظم سنة ١٢٤٣ هـ - سنة ١٨٢٧ م

الحمد لمن له الحد، والصلاة على المبعوث للحر والعبد، الأجل الأفاضل،
المرعى المبجل محب جنابنا القنصل نيقرى - قنصل سردينيا بطرابلس المحمية :

السلام التام اللائق بالمقام وبعد : فالوجوب لتسطير هذا الكتاب وتحديد
ما فيه من الخطاب، أولاً تأكيد المحبة وتحديد الصبغة، والثانى تريفكم
فى شأن قضيه القرند دوكا امتع التوسكاته - وأتانا كما طالبناهم أن يرسلوا
قنصلا عن طرفهم على حسب العادة ومن لوازم القنصل الهدية كما هو معلوم.

وقد حضر القنصل وطلبناه فى الهدية فأجاب بشئ يخل بالمقام -
فامتعضنا من ذلك وجعلنا له أجلا خمسين يوم حتى يعلم القرند دوكا ويرد
لنا الجواب فبعد انقضاء المدة المذكورة أتت مركب ولم يرد لنا الجواب
فأتانا ثانياً وطلب منا المهلة إلى حضور مركب فرلارى، فأجبناه لذلك
طلباً للمحبة والمساعدة الجالبة للصحة وقدمت المركب المذكورة ولم نستفد
نهم رد الجواب ولا مراسلة ولا خطاب، فلتعلم أيها المحب أن هذا
للقاء يدل على عدم الالتفات الذى لا يليق بالملك والدايات،
فحينئذ الواجب علينا أن نعامله بمقتضى ما أراد من القطعية والبعاد،
أمرنا بتنزيل البندرية^(٢) وجعلنا لهم بعد تنزيلها أجلا ثلاثين يوماً ليحصل
لجميع بذلك الخبر اليقين، ويكون مضمونه فى عليكم أجمعين، ودمتم
خير والسلام.

يوسف القرمانلى

(١) متعولة عن الأصل يدور المحفوظات التاريخية بمدينة طرابلس الغرب . (٢) العلم

وثيقة - ١٥

معاهدة^(١) يوسف القرماني مع نابلي

صفر سنة ١٢٤٤ هـ - سنة ١٨٢٩ م

الحمد لله - تم التصديق على هذه المعاهدة بواسطة وارنجتون قنصل
انجلترا بين يوسف القرماني والي طرابلس ودولة نابلي لإزالة ما حدث
بينهما من خلاف .

مادة ١ : نسيان ما حدث من أعمال تعكر العلاقات بين الدولتين، وتسود
بين الدولتين منذ الآن علاقات الصداقة والمحبة .

مادة ٢ : ارجاع أسرى نابلي بدون تعويض

مادة ٣ : تدفع نابلي إلى طرابلس تعويضاً حريماً قدره ٣٣ ألف فرنك .

مادة ٤ : لا تلزم نابلي بدفع عوائد سنوية معينة أو هدايا سنوية ولكنها
تدفع هبات كلما سمحت ظروفها .

وثيقة - ١٦

معاهدة يوسف القرماتلى مع فرنسا^(١)

١١ أغسطس سنة ١٨٣٠

لإزالة الأحوال التى اضطرت فنصل فرنسا إلى مفادرة البلاد لسوء التفاهم الذى حدث بينه وبين يوسف باشا والى طرابلس ولإنهاء تلك الحالة وللمنع الحالات التى توجب دائماً سوء التفاهم بين إيالة طرابلس والدول الأخرى ولحفظ الأمن فى البحر المتوسط إلى الأبد - تم الإتفاق بين المسيو بارون روزامل - الأميرال الثانى لبحرية فرنسا ، الحامل لنيشان سان لوى العسكرى، والحامل لرتبة كوماندوز فرقة الشرف، والحائز لنيشان فارس من فردناذملك أسبانيا - مندوبا عن ملك فرنسا - وبين سيدى الحاج محمد بيت المال ناظر أمور خارجية دولة يوسف باشا مندوبا عن طرابلس - ونظرا لما لهما من المندوبين من دراية وتمتع بثقة دولهم فهما ينوبان عن دولهم فى توقيع المعاهدات ويطلبون من الله التوفيق فى وضع هذه المعاهدة وتطبيقها .

مادة ١: يعترف والى طرابلس لفنصل فرنسا وأيا سلف للأراجيف والمغتربات التى قبلت فى حقها ويوجه رسالة إلى ملك فرنسا يذكر فيها المحبة الصافية التى توجد بين الدولتين ويعطى صورة منها إلى الأميرال المذكور وعندما يتسلم الفنصل عمله من جديد يرسل الباشا أحد أولاده أو أصحابه إليه ليطلب العفو عما صدر منه وبوفى بالترضية اللازمة .

مادة ٢: لا تعطى حكومة طرابلس رخصة لسفنها أو لسفن رعاياها للقرصنة وكل سفينة تتجاسر على القرصنة عند السفن التجارية فإن جميع دول أوروبا قد اتفقت على ضبطها ومصادرتها .

مادة ٣ : تلتفى بعد اليوم مسألة الأسرى ويعتق جميع الأسرى الموجودين الآن وإذا كان يوجد أسرى لتنى الوالى يحرمهم ويرسلهم إلى بلادهم - وعند وقوع حرب بين طرابلس ودولة أجنبية فإن الأسرى الذين يؤسرون فى البر والبحر لا يعاملون معاملة سيئة وإنما يعاملون حسب قوانين أوروبا ويوضعون فى أماكن مناسبة ويتم تبادلهم عقب انتهاء الحرب ويطلق سراحهم .

مادة ٤ : لا يسمح للحكومة طرابلس أن تزيد أسطولها الحالى أو تضيف إليه أية قطعة حرية أخرى وتشكل لجنة لحصر عدد السفن الحالية وتوضع قائمة تبين عدد السفن وحالاتها ومقدار تسليحها أما السفينة التى يصيبها تلف أو تلبى فيمكن تجديدها ولكن بنفس الحجم والمواصفات - ولا يجوز تسليح السفن التجارية الحالية وتحويلها إلى سفن حرية .

مادة ٥ : تساعد الحكومة السفن التى تلجأ إلى السواحل نتيجة الرياح وتعمل على رفعها من رمال الشاطئ - إذا كانت قد اصطدمت بها وتعرض ركابها وتحافظ على بضائعها - وإذا غرقت إحدى السفن يحافظ عليها من النهب والسلب وإذا نهبت تمتد الحكومة بدفع كل ما نهب منها - كذلك يجازى كل من يقتل أحد هؤلاء الركاب طبقاً لقوانين البلاد وتدفع تعويضات لأهل هذا القتل .

مادة ٦ : إذا حدث النهب من ثأرن على الأمير فلا يجبر الأمير بد ما نهب أو القبض على القاتل أو دفع تعويضات .

مادة ٧ : للدول الأجنبية الحق فى تعيين ممثلين تجاريين فى أية بقعة من الإيالة وتلتفى عادة الهدايا التى نصت عليها المعاهدات ولو كانت تحت أى اسم من الأسماء ولا يمكن تجديد هذه المعاهدات دون دفع الرسوم الجركية .

مادة ٨ : إذا دفع الرعايا الأجانب الرسوم اللازمة فهم أحرار فى التجارة الداخلية والخارجية ولا تطلب فرنسا امتيازاً زائداً عن الأجانب الآخرين - ولكنها تتمتع بكل الامتيازات والتسهيلات التى تتمتع بها الدول الأخرى .

مادة ٩ : يحرم الوالى تعهداً بدفع ٨٠٠ ألف فرنك كصاريى عسكرية لفرنسا إزاء إرسالها أسطولها لتسهيل تسوية دين الرعايا الفرنسيين بدفع نصف الدين فى ١٦ أغسطس ونصفه الباقى فى ديسمبر سنة ١٨٣٠ .

مادة ١٠: تبقى المعاهدات والاتفاقات التي تمت قبل ذلك بين فرنسا والدولة العلية أو بينها وبين إيطاليا دون تغيير عدا ما نصت عليه هذه المعاهدة.

مادة ١١: تنشر هذه المعاهدة في يوم الخميس ١٢ أغسطس في طرابلس وفي يوم ١٧ في المدن القريبة وفي يوم ٢٢ في المقاطعات وفي مدة لا تتعدى ١٢ سبتمبر في أبعد مكان من الولاية

خاتمة: نسخت هذه المعاهدة من نسختين على ظهر السفينة الملكية الراسية في ميناء طرابلس وأجرى في الحال تبادل الوثائق وتعهد الطرفان بتنفيذ أحكامها.

تحريراً في ١١ أغسطس سنة ١٨٣٠ - سنة ١٢٤٦ هـ.

ملحق لمعاهدة فرنسا

تكونت لجنة من مسيو كوسى قائد سفينة tré d'ane ورئيسها وضباطها الملازم رو ولتر وقامت بمجرد السفن وتسجيلها في القائمة الملحقة بالمعاهدة.

أنواع السفن	العدد	مدافعها	حالتها
لعة كرويت ثلاث ساريات	١	٢٢ مدفع هاون + ١٨ قواعد مدافع جديدة	
فينة إبريق	١	١٨ مدفع هاون + ١٢ قاعدة	•
•	١	١٨ مدفع كبير + ١٢ قاعدة	•
•	١	١٦ مدفع + ٨ ماكينات مدافع	تصنع
•	١	١٢ مدفع + ٨ قواعد مدافع	في الترسانة
•	١	١٤ مدفع + ٨ قواعد مدافع	قديمة
فينة إبريق جولنا	١	٨ قواعد مدافع	قديمة نوحا

أنواع السفن	العدد	مدافعها	حالتها
سفينة أبريق جولتا	١	١٢ مدفع هاون + ٦ قواعد مدافع	قديمة
سفينة ملكية صغيرة	١	٨ مدفع + ٦ قواعد مدافع	"
غليون	٢	٤ مدافع + ٦ قواعد مدافع	"
غليون صغيرة	١	مدفع واحد + ٤ قواعد	"
حاملات مدافع	٤	٤ مدافع + ١٨ قاعدة مدفع	"

السفن الغائبة

أبريق جولتا	١	١٢ مدفع + ٨ قواعد مدافع موجودة على شرق البحر للوسط
"	١	١٢ مدفع + ٦ قواعد مدافع " " "
"	١	٨ مدافع + ٨ قواعد بنغازي
سفينة سكونو	١	ليس بها مدافع تمر بالسواحل

أغسطس سنة ١٨٣٠ في طرابلس الغرب

لمتر - رو - كوس - روزامل

وثيقة - ١٧

شهادة شرعية بتاريخ ٢١ صفر سنة ١٢٤٥ ينكر فيها محمد الدغيس

أقواله الأولى بشأن قضية الماجور لك

هذه نظيرة بالمجلس الشرعى المنور المرعى بين بدى أمير الأمراء الكرام
ورئيس الوزراء الفخام وحامى بيضة الإسلام سيد أفرانه وفريد عصره
وأوانه أبو المحاسن والعدالة سيدنا يوسف باشا القره مانلى صاحب كرسي
محروسة طرابلس فى التاريخ أيدى الله وأعانه على ما أولاه آمين.

وبمحضر العالم العلامة والبحر الفهامة شيخ الإسلام ونظر قضاء الانام المهام
المدرارك قاضى الجماعة بالمحروسة المذكورة ، سيدى أحمد بن المرحوم المنعم
الشيخ سيدى الحاج حسين التوغار وبمحضر الشيخ الفقيه العالم التحرير سيدى
عبد الكريم بن المرحوم المنعم سيدى محمد الموسى نائب محكمة المحروسة
المذكور فى التاريخ وبمحضر شيخ الطريقة وهمام الشريعة الشيخ الفقيه المدرس
العالم العلامة سيدى محمد بن المرحوم المنعم الشيخ سيدى محمد الموسى
وبمحضر الشيخ الفقيه العالم المدرس المفتى الناسك الأبر سيدى الحاج مفتاح
ابن هنيدى وبمحضر الشيخ الفقيه العالم المدرس المفتى الناسك الأبر سيدى
الحاج محمد بن محمد المحجوب وبمحضر شاهدين الآتى اسمهما عقب التاريخ
شهد سيدى محمد الدغيس أن جميع ما عنده من الأخبار من جانب أخيه
سيدى حسونة فى شأن كواعظ^(١) ، ماجور لك ، كل ذلك أخبرت به سيدنا
الأمير المذكور دامت أعماله وإن صدر منى ما يَشَقُّض هذا حال حلولى بمحوش
الفرنسيس فهو باطل لكوفى متهم به فى ذلك الوقت ، وأن الورقة التى أتوفى
بها بعض القناصل بخط يدى وأنا بمحوش الفرنسيس المذكور ، وأنكرتها ،
إنما هو حياء من قنصل الفرنسيس ، والحق فى هذه القضية ، ما أخبرت به

سبدي الباشا المذكور وكتبت له بخط يدي ، وعرفت به الأرشد الأسعد
المهام الأواحد سبدي على باي وغيره يشهد عنه عارفه بكال بتاريخ ٢١ صفر
الحير ١٢٤٥ ، أحمد بن الحاج عبد الرحمن القلال أحد عدول محكمة محروسة
طرابلس غرب في التاريخ وعبد ربه محمد الشتيوي بن الحاج محمود الأيضي
أحد عدول محكمة طرابلس غرب في التاريخ .

الحمد والمستحق ما نسب عني من	الحمد والحمد والثناء المجيد وبعد
الحضور يسراه صحيح قاله عبد ربه	مانسب عني أسفله صحيح قاله عبد ربه
عبد الكريم بن محمد العسوي نائب	أحمد بن حسين التوغار قاضي الجماعة
بمحكمة طرابلس غرب في التاريخ	بمحكمة طرابلس غرب .
وفقه الله آمين .	

الحمد والمستحق ما نسب عني من	الحمد المستحق ما نسب عني من
الحضور يسراه صحيح وكتبه مفتاح	الحضور يسراه صحيح حسباً رقم
ابن الهندي .	بمثله قاله وكتبه أقرر العبيد لرحمة
	ربه ولطفه محمد بن محمد العسوي
	وفقه الله بمنه آمين .

الحمد المستحق ما نسب عني من
الحضور كما ذكر يسراه وكتبه الفقير
إليه محمد المحجوب .

وثيقة - ١٨

رسالة يوسف باشا إلى قنصل سردينيا^(١)

١٨ رمضان المعظم سنة ١٢٤٧ هـ - سنة ١٨٣١ م

الحمد لمن يستحقه - إلى محب جنابنا قنصليز السردينيز وبعد :

إن الموجب لكتابنا هذا هو أن السكة التي نضربها فيها حين يتم أمرها وتمشى بين الناس يقع فيها الفساد عاجلا المرة بعد المرة كما هو على عليك وظهر لنا أن فسادها لم يقع إلا من أهل الدكاكين من كافة الأجناس . ومردانا أنك تحكم في جميع السودتو^(٢) منعك وتنبه عليهم وتتهم وتأمرم بالاتباع فيما تأمر به كافة الناس والذي يخالف ولم يمتثل أخرجه من البلاد لأن هذا أمر لحق تبعه جميع الناس كما لا يخفاك وهي أؤكد الحوائج عندكم والسلام

عبدربه

يوسف باشا قرمانلي نصره مولاه بمنه آمين

(١) منقولة من الأصل ، بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب .

(٢) الرعايا

وثيقة - ١٩

رسالة يوسف باشا إلى فيليب الأول^(١) امبراطور فرنسا

من حاكم ووالي إيالة طرابلس الغرب - أمنها المولى من كل شدة وكرب -
من عبده به أمير المؤمنين والناصر الصحيح لمصالح المسلمين يوسف بن علي
باشا بن محمد باشا قزمانلي إلى مدير أمور المملكة برأيه العائب وراعي حمى
دولته بفكره الثاقب - مؤسس قواعد إيالته أحسن تأسيس - أعز أحبابي
وعجبي - ملك دولة فرنسا البية فيليب الأول سدد المولى أحواله ونعم باله ،
بعد عرض النجدة ومزيد السلام والإكرام - حسب معلومك أنه توجد
بيننا من القديم مودة - ونطلب نموها على الدوام - ونأملوا أنه بمرور الزمان
تبقى ثابتة - وبهذه المناسبة علينا أنكم جلستم على عرش أسلافكم فرأينا
واجبا علينا وإظهارا لفرحنا ولإزدياد الولاء المعقود بينكم وبين أجدادنا العظام
أن نبارك لكم حتى يحضر في مراسم الاحتفال بأفراحكم نيابة عنا أحد مقربي
دائرتنا المتصف بالفضل والكمال وزيرى الحاج محمد شابي بيت المال - أرسل
هذا المندوب الخاص إلى جانبكم لأنى أنا أعد نفسى من أحبابكم وكما أتى
أكرم وأعظم كل الممثلين من طرفكم أرجو أن تكون معاملتكم لنا بمى هذا
بالمثل - كما نرجو أن تصغوا إلى ما يحدثكم به شفاها وتساعدوه على إنجاز
ما يطلبه - حفظكم الله من الكدر - وأبعد عنكم سوء - ورزقكم الصحة
والعافية آمين .

٣ رجب سنة ١٢٤٦ هـ - سنة ١٨٣٠ م

(١) متول عن الأصل بدار المخطوطات التاريخية بمدينة طرابلس الغرب .

وثيقة - ٢٠

رسالة المسبودى جرانج ترجمان لوى فيليب ملك فرنسا
إلى محمد بيت المال^(١) المؤرخة في ٢٧ مارس سنة ١٨٣١

السيد محمد بيت المال المحترم أدام الله بقاءه
إلى جناب حضرة السيد الأجد

بعد إهداء السلام ومزيد الإكرام بوفور الاشتياق إلى مشاهدة أنوار
طلعتكم البية بكل خير وعافية وأن الباعث لتحرير هذه الحروف هو افتقاد
كريم خاطركم ثم لم أقدر أوصف لحضرتكم الوحشة التي تركتموها لنا وإنشاء
الله بسلطاننا عن قريب أعلم وصولكم بالسلامة إلى الأوطان العامرة وتطمنوننا
على سلامتكم العزيزة.

ونخبركم أنه قبل تاريخه كتب لكم الجنرال سباستيان وعرف حضرتكم
بأن وزير الأمور البحرية أمر بحافظ طولون بأن يدبر أمر وصولكم إلى
طرابلس وإنشاء الله وصل لكم مكثوب الجنرال المذكور والآن حضر اعتدنا

(١) وقد عهد بيت المال بطرابلس في أواخر القرن الثامن عشر المهجري وحفظ التركمان ونقل
مبادئ العلوم الإنسانية والدينية على علوم عصره وعين كاتباً في ديوان الرسائل بولاية طرابلس وأخذ
يترقى حتى أصبح رئيساً لذلك الديوان ، ثم اختير ليكون رئيساً للوزارة على عهد يوسف
الفرمانلي ، وسافر أثناء ذلك في مهام سياسية إلى إيطاليا وفرنسا ولقد انشغل في مهماتها واجتمع
أثناء وجوده في باريس بصفاء فرنسا وأشهرهم السلفي سولستري ساسي شارح المقالات
الحريرية المطبوعة بباريس وأهداه نسخة من شرحه العربي على تلك المقالات مصحوبة برسالة
عربية رفيعة بخط ذلك السلفي ، وقد أعدت له فرنسا مركباً حريباً لرجوعه إلى طرابلس ،
وقد حدثت بينه وبين يوسف الفرمانلي في أواخر أيامه جنوة ، فكانا مع محمد بك علي علي الفرمانلي
ابن يوسف ، وعندما عادت طرابلس لحكم العثمانيين الباشا أرسل إلى الوالي معطاني نجيب باشا
يطلب الأمان وعمل مستشاراً له وكاتب زعماء القبائل بينهم على المضوع وكلف أنصارهم عن
الإحلال بالأمن فأطاعوا ، ول سنة ١٢٥٥ هـ أرسله الوالي التركي علي معمر إلى استانبول
حيث أكرمته الدولة وخصمت له منزلاً وراتباً ثم أعدم بصورة خفية لانتهاكه بالعمل على تولي
لمهارة الصلح الطرابلسي .

السيد بارون الطيب فهو يترجا حضرتكم بتجملوا امة في تدبير مصلحته
المعروفة منكم ومأمول من فضلكم إذا رضى به سعادة الباشا المفخم يكون الجواب
بوجه السرعة حتى يمكنه يسافر مع القنصل وكل غرض يلزم حضرتكم في هذا
الطرف شرفونا بقضاه نقوم به على الرأس والعين والسيور قوسين يهدى
جنايبكم أوفر النجاة والسلام واقفه يحفظكم ودعمهم .

تحريرا في ٢٧ من شهر مارس سنة ١٨٣١ ده فرائج
ترجمان سلطان فرانسه

وثيقة - ٢١

رسالة يوسف باشا القرماني إلى محمد شلي بيت المال
يصف فيها وقافته مع سكان بن وليد وأنصارهم
٦ رجب سنة ١٢٤٧ هـ الموافق ١٢ ديسمبر سنة ١٨٣١

الحمد لله وصل الله على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

إلى الأجل الأفضل الوجه الأقبل المحترم المبجل ولدنا الحاج محمد بيت
المال أصلح الله له الحال والمال بمنه آمين السلام الاتم، الأطيب الأعم عليكم
ورحمة الله وبركاته ولا زايد سوى الخير يليه لإعلامكم موجب الكتب إليكم
هو أننا كنا عرفناكم سابقاً على تجهيز الأعمال "١" للمنصوبات وفيهم الأسعدين
الأرشدتين أنجاننا سيدي على باي وسيدى ابراهيم باي وبيننا لكم عدد العساكر
والخيل والرجال والآن نمر فوكم بما حل بأهل وادي بن وليد ومن في حوزهم من
أولاد سليمان والقدافة وغيرهم أول واقعة وقعت عليهم لما نزلت المحلة بقلبيعات
الخطابة في أسفل الوادي قبل لا تبلغ لهم سولت لهم أنفسهم الخيثة وجردوا
عشرة فيهم سيب وتريس وهجموا على المحلة في الليل فوجدوا الناس على
أهبة والمدافع في كل نزعة وفي البارود والمدافع بنوضوا "٢" مقدار ثلاثة ساعات
وانهزموا مقبوضين ومات منهم بالنزول والرصاص ما يزيد على مائة وخمسين
رقة وسلبت المحلة ولم يمت منها حتى رجل واحد وقه الحمد على ذلك وصبيحة
اليوم رحلت المحلة ونزلت بقرب ظهرت الشيخ السوداني لأن ورقفه كلهم
عقلوا في سرار الفرقين والأوطيين وادمنهم العساكر في معقل سرار وبن
قايد أما معقل بن قايد وما يليه أخذوه في أسرع مدة وقتلوا من فيه وركت
الركة في معقل سرار وحمل الوطيس وطلعمهم منه ثلاث مرات وبرجهم له
حتى أن أنجاننا باسروا القتال بأنفسهم وجرح حصان سيدي على وانجرح

سیدی ابراهیم جرح خفیف وهدوا اولاد ابی سیف وطلبوا من انجانا العفو
واحترت العرکه مات منهم فی ذلك الیوم مائتین وخمسن رقبه وأما المجاریح
بلا حساب والحبل كذلك وبقوا یتشفعوا وشرعوا العسا کر فی ققطیع الأشجار
وتعمیدم الآبار من الفنادن إلى دفع الداوی لاقعدت زیتونه ولا موش قائم البناء
ثم رحلت المحله نزلت فی ظهیر التربه وعارکهم عرکه أخرى فی وسط الوادی
وانقبضوا ورفله إلى أن رقوا إلى سرار ومات منهم مائتین واثنی عشر رقبه
وثلاثه مائه مجاریح وزاد فی التشفیع فقدموا علينا المرابطین اولاد ابی سیف
اولاد بن مریم وروی غریان وطاحوا علينا وطلبوا منا العفو والصصح ورفع القتال
وحقن دماء المسلمین فأسمعفوا بما طلبوه منا وعفونا وراعینا الضعفا والمساکین
بعد أن التزم لنا عبد الجلیل ومشایخ ورفله علی یدی اولاد ابی سیف بألف
وخمسه مائه ناقه ومائه وخمسن رأس عبد وجابوا لنا عشرين رهینه من خیار
اولاد المشایخ وعبد الجلیل أعطی الساعدی وابنه وأخیه عمر لولا أنه مجروح
عاطیه والرهائن الآن فی قبطن البای ویغفوا یسرعوا فی إخلاص والتزموا
برجوع جمیع ما أخفوا من فزان بشمامه وطمعنونا اولاد ابی سیف فی إتمام
هذه الشروط وأما البای محمد شرکر فانه مات مریضاً وولده أحمد ومن معه
باقی فی القصر وعن قریب یقدم إن شاء الله علی أسرحال بجمیع ما عنده ولا
یغیر أحد علیه شی یكون ذلك فی علمکم وإن شاء الله بعدما یرحلوا الأعمال
المنصورات من وادی بن ولید نبغوا نجهزوا واحد من انجانا الوطن الشرقی
فی محله عظیمه تمهد الوطن وتواطی بعض أنوف شمخت کأفی علمکم وأنت لا بد
تعرفتنا علی أحوال أهل الوطن وما هم علیه جمله وتفصیلاً لنکونوا علی
بصره وأما المحله لم یمت منها الا مائه وخمسن رقبه من کل نسبة اثنین ثلاثه
مالهم بال ولا فیهم متسمین الا احمد ولد الشیخ بلقاسم بن منتصر وولد منصور
ابن ابراهیم من عیلت الأدغم والحاج أحمد بن سلطان وجنوا أهل المحله من
ورفله مائتین فرس منهم ثمانین عند أهل الشرق وتعلم أننا کنا کتبنا لك علی
عشرين والا ثلاثین قنطار سمن قبی تنهم لنا منهم وترسلهم لنا عاجلاً فی

أول مركب، وما أنت الا ولدنا وأقرب مالدينا، وربنا يجب تصرفات الجميع في الصواب والسلام، بتاريخ ٦ من رجب الأصم سنة ١٢٤٧ الحاصل هذه نفزة نقروها ورقلته، ومن في حزبهم، وجت على رؤسهم تكسروا تكسيرة كبيرة راحوا نحائيرهم، وسعيم كلدراح، أما الغنم ما قعد عندهم منها حتى شاة واحدة سلموا فيها إقباله وأخذوها العساكر بتمامها والإبل كذلك راحت، شئ أخذوه السبعة والغنايمة، غير نوفل أبروحه أخذ ثلاثة مائة ناقة، وشئ ضاع في العقلة، وشئ طاح عند المحلة ولا قعد عندهم شئ، والد فدفوا تدفيدة كبيرة، وجميع رجائهم الذي تعرفهم الذي ما مات هو مات ولده، وماتت فرسه، والله غير من الطبول خاصة سبعة وعشرين راجل خيار الذي ماتوا، ولا تأسل لكن في الحقيقة ماتم أعداء للسلطنة وللعماله الا المراجطين لما اضيقوا ورقلة وشرقوا، وكثرت فيهم الموت ويدهم يشفعوا والقتل فيهم، وقريب يتأخذ العفو لهدوا المراجطين أولاد أبي سيف وأولاد أبو لموشة والسواعدية والمثامن بن حيدان وخوته وأولاد الشيخ العالم وأولاد بن مريم كلهم ويد يترىطوا على البيات ويطلبوا في العفو حتى ساعدوهم وأخذوا يخواطهم، وألا لو المراجطين كانت حاجة وقضاها الله لكن إرادة الله غلبت وما يزداد علينا بعد هذا الجواب نعرفكم مع قاربناش، وتعلوك على القدادقة راحوا مال ورجال وكاوها وكلة طيبة، والسلام بتاريخ يمناه.

المرعى بالله عبده يوسف باشا قرمانلى أيدى الله آمين

رسالة من يوسف باشا القرماني

إلى محمد شلي بيت المال بتاريخ ٢٨ من شعبان سنة ١٢٤٧ هـ

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الاجل الافضل، الوجهه الاقبل، المحترم المبجل ولدنا الحاج محمد بيت المال
أصلح الله له الحال والمال بك بمنه وكرمه آمين، السلام الاتم الاطيب الاعم
عليكم ورحمة الله وبركاته ولا زايد سوى الخير، يليه اعلامكم انه ورد علينا
جوابكم وقريناه من مبتداه الى اقصى غايته ومنتهاه وفهمنا ما افاده خطابكم
على تفصيله، وجميع ما شرحت صار في علينا وعرفنا بما أنت عليه من الخدمة
والوقوف على ساق الجد، ولم تمسك فترة ولا رخوة في جميع ما يرد من
المصالح الى آخر ما ذكرت، بارك الله فيك وهذا المؤمل منك والمقطوع به
عليك مثلك من يصلح لهذا المقام ويهتئ منه ويمشي الامور على ما هي، غير
انك اختصرت الكلام في الجواب، ولم تبين لنا احوال الناس وما هم عليه في
الحال، وما نظن يقع منهم في الاستقبال، فالقريب هو مثلك وفي منزلتك للزوم
تعرفنا بالحقيقة الدخالية، وتبين لنا كل شيء على التفصيل لنكونوا على بصيرة
من الامر. نحن كنا عرفناك من جانب، أهل وادي بنو ليد وما آل إليه أمرهم
وان المراجطين طاحروا علينا وعملنا الصلح على أيديهم، ووقع الدفع في البعض
منه ووقعت المراخاة وطال الامر وبطت المحلة وتعرف حال المراجطين اليوم
وغدوة ونحن فاتة بنا وأعطيناكم الكلمة، ثم لما طال الامر كتب عبد الجليل
لفنصل الانجليز، وطلب منه أن يقدم عليه، فتكلم معنا الفنصل وطلب منا
أن يترجه للراوى، ويجب عبد الجليل والا أخيه، ويتم الامر بمساعدته على
ذلك، ونعبدوه يقضى حاجة ويحصل المقصود، وتارى روح الفنصل طوى

الحصيرة من جانب عبد الجليل ، ولا حصل منه على طائل غير الجوابات
 الفارقات ، وفزان لا هو مخلصها ولا بنى يسلم فيها ، ونحن جزمنا على تجهيز
 الأجل المحترم ولدنا الباي محمد المكنى في قوم غلبة من المحلة يتوجه بها
 لفزان ، وتمكث المحلة بقرب الوادي ، حتى يبلغ المكنى لطرف فزان وحتى
 السبعة والزنتان والرجبان ومن في معانهم ناشطين ومستوبين ، ويغفوا يمشوا
 لفزان ويلاقوا المكنى في الشاطىء ، لأن القصر قاعد فيه ولد الباي محمد
 والحاج إبراهيم المكنى ومن منهم من الطرابلسية وممراطه وغيرهم وكاشين
 على أرواحهم ، وكذلك ساعد بن ضو والحطبان ومن في عرفهم كاشين على
 أرواحهم حتى يجيهم المدد ، وأما غزى ورفقة وأولاد سليمان الذين كانوا
 محاصرين القصر امشوا السبه ، وأما ورفقة والقداقة راحوا للوادي ، وأما
 أولاد سليمان باقين في سبه واقه أعلم ان خدمتنا على أخذ فزان ونحومروها
 أولى وأحسن من مساطرات أهل الوادي ، غير عاقلين في سيطرة لا عندم
 كسب لا حرث له غيره ، ونبؤك تدبير معنا وتفسير علينا وتخبّرنا على أحوال
 الشرق بالتفصيل والتطويل ، حتى كاتنا نشاهدوا فيام عليه وكيف نذبوا
 واخبرونا على أن محمد على فسد أمره مع السلطان ، وسابر على الشام من غير
 إذن السلطان ، ولم تتحققوا صحة الخبر ، نبئنا إذا ورد عليكم خبر على هذا
 المعنى عرفونا به فوراً من غير مزاحمة ، والمركب هو بيتا عندكم الخبر الذي يرد
 عليكم من كل جانب اعلنا به في البحر والا في البر ، وانت ما تحتاجوا
 نكثرولك كلام الذي يرد عليك وتعرفه يصلح عرفنا به ، وما أنت إلا ولدنا
 وأقرب ما لدينا ، وربنا يجيب تصرفات الجميع في الصواب والسلام بتاريخ
 ٢٨ من شعبان سنة ١٢٤٧ .

المرعى بالله عبده

يوسف باشا قرمانلى أيدى الله

وثيقة - ٢٣

رسالة^(١) يوسف القرماني إلى محمد بيت المال

في ١٧ رمضان سنة ١٢٤٧ هـ

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .
إلى الأجل الأفضل الوجه الأمل المحترم المبجل ولدنا الحاج محمد بيت
المال - أكرمهم الله آمين .

السلام الآتم والأطيب الأعم عليكم ورحمة الله وبركاته ورضوانه
وأزكى تحياته - يليه إعلامكم بعد السؤال عن كلية أحوالكم أنه بلغنا
جوابكم وقربناه وفهمنا ما فيه وجميع ما ذكرت صار في علمنا - عرفنا
بما أنت عليه من الوقوف والاجتهاد فيما كلفناك به ، ولم نمسك فترة
ولا رخرة في جميع المصالح ، وراد بالك من كل جهة وجانب ، وأنت فرقت
حق المراجع على أهل بنغازي وباديتها ، ومتوجه لغيره إلى آخر ما ذكرت
علمنا ذلك - ما فعلت إلا ما هو في المراد مثلك من يكون ويصلح لمباشرة
الأمور المهمة وههنا ويفرغ السر : غير اشبح^(٢) كيف تحبيل في أمر
الخلاص بالأقبل إلا الشيء الذي تعرفه ينفعنا وههنا من باب دور^(٣)
وفجره^(٤) ونعمه^(٥) وسمن مثل ما عرفناك في الجواب الأول ، وأما الإبل
لا تقبلها ولأننا فيها مصلحة ، ولا نحصل لنا منها منفعة ، كما لا يخفاك تمشى
قروش وعروش ولا نوقفوا بها شيء - وخيارك الإنسان ما يساعد إلا في
الشيء الذي يعرف فيه ثمرته وصلاحه ، والناس يقولوا من جبر فيما ضره
الشیطان غره ، وغيرك يحتاج زيادة التأکید من هذا الجانب .

وأما قضية التجربة وأحوالها حتى وإن كان ظفرت بمظلمها وروحها ،
ما زال الغربي يولد لنا في المشاور ورقاقيصه ماشين جابين بهذا المعنى
وبدعواه أنه يتعرض فيسكلم علمنا ويكتب لنا في جوابات وأقنه العظيم
ما يخالطوا بينهم حتى اليهود ، والتوبيخ والعتاب والتهديد ، ولملك اطلعت

على جواباته لبأى بنغازى - لكن المقدر كآين ورد الواقع محال . قد رربنا
علينا بخلطه حتى سمعنا مانكرهه .

ولا يفصل بيننا وبينه شيء إلا خلاص دراهمه الذين بطرفنا تبقى تعمل
همه فى سلاكم بأن نعرش فى البأى وتؤكد عليه بأن يدافعه ويخلصه فى
تساكره قبل كل أحد لأجل تقطعوا المادة معه - وأما بقية التساكر بتاع
النصارى يدفعهم على السواء بحيث ما يخص أحد دون غيره لأن الغرض
والتخصيص يجب لنا النشاف ودواخ الرأس ، كما لا يخفك أمر النصارى
وأنت أعجل روحك فى الخلاص والتأخير له آفات ، والناس يقولوا غرامه
عجولة ولا فائدة بطيئة ، ومرادنا تتم خلاصك بسرعة وتقدم علينا ، لأننا
والله استحسنك وقد ناك ، ونغوك تعاوناً - ربنا يجيب شغلكم رأس ،
ويجمعنا بكم على أحسن حال ، وإن تسأل عنى فإنى ترأس ولا وجدت
مركوب إلى الآن ، لأن جميع ما جابوا لنا من خيل كلهم جرادر ، ولا فهم
ما يصلح ، تبقى ترد بالك وبحث لنا ولا تتزاهد فى ذلك لأنه من أهم اللوازم
عندنا ، وما نحن أكثرنا طربا فلوا ووجهنا لكم بقو توسقوه لنا بالشعير
والذى توسقوه وافره بنا ولونه عندكم .

ويوم كنه قدم الرئيس خليل ، وحينما يفرغ بوشيه وسفته نسقده
لكم وتبقوا تعجلوا له بوسقه لأننا فى غاية الاحتياج بالنعمة والبلاد فارغة
وأنا جواب من البأى وعرفنا فيه على أن بنى غازى ودورته قبلهم بالسوم
الذى أعلنناكم به سابقاً وإن شاء الله بالبركة عليه تبقى تبارك له فيها وتكلم
معه على أننى ما نعرف الخلاص إلا فلوس . وحتى التذاكر بتاع النصارى
الذى يأتوه ما نكتبوم إلا دراهم وهو يعرف خلاص نفسه ، وإن شاء الله
تأتبه التجربة وجوابات لأهل الوطن مع بوشيه وأنت اجتهد فى الخلاص
واق روحك موربنا يكون فى عونك ويجمعنا بكم فى أرك الأوقات وأشرف
الساعات وعرفنا بما يزداد عليكم من الأخبار ودعم بخير وعافية .

١٧ رمضان سنة ١٢٤٧ هـ

المرعى بالله عبده

يوسف باشا قرمانلى

وثيقة - ٢٤

خطاب يوسف القرماني إلى محمد بيت المال

٢٠ ذى القعدة سنة ١٢٤٧ هـ

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وسلم
إلى الأجل الأفضل الوجه الأمل ولدنا الحاج محمد بيت المال أصلح الله
له الحال والمآل بمنه آمين . السلام الأتم الأطيب الأعم عليكم ورحمة الله
وبركاته ولازايد بعد حمد الله جل وصفه وتقديس اسمه سوى الخير ، يليه
إعلامكم موجب الكتب إليكم هو أن القادم عليكم راحمين الطيار ويده
تذكرة مكتوبة عليكم باسم غليوبى بها ثمانية آلاف ريال دورو تبقى تخلصه فيها
من غير تراخ ولا بد . وكذلك يده كثراته مكتوبة بينا وبين النصارى الفرنسيس
والانبريال^(١) وغيرهم ومضمونها أنهم رضوا بأن تدفعوا لهم ٤٠ ٪ تبقى
حين تروح لبنى غازى توقف لهذا الأمر وتقبض من الباي وتدفع لأهل
التذاكر على نحو ما فى الكثراته من غير أن يأخذ أحد شيئاً زائداً على الآخر
نادي بينهم وسلكهم وارغبنا من نشافهم^(٢) وغيرك يحتاج زيادة التأكيد ،
الحاصل لا بد إنك تخلص راحمين الطيار فى تذاكر القنصل المكتوبين فى
الكثراته وصنى هذا الأمر وفكنا من النشاف ودواخ الرأس ، وما أنت
إلا ولدنا وربنا يجب تصرفناك فى الصواب ولا زيادة سوى الخير والسلام

٢٠ ذى القعدة سنة ١٢٤٧ هـ

من للرعى بالله عبده

يوسف باشا القرماني أيده الله بمنه

وثيقة - ٢٥

رسالة من علي باشا القرمانلي إلى محمد شلي بيت المال
مؤرخة في ٢٧ من ربيع الأول سنة ١٢٤٨ هـ

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم -
حفظه الله بمنه ورعاه بيمينه - حضرة أقرب ما عندنا من العمال ، وأخص
وأعز مالدينا من الرجال وزبرنا وولدتنا الحاج محمد بيت المال أكرمه
المولى آمين .

السلام الآتم الاطبيب الاعم عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته - يليه
إعلامكم أننا عرفناكم بكتب منا صحة الشيشكو مضمونهم ولايتنا بطيب
نفس والدنا واختيار أهل إياتنا يكونوا إن شاء الله وصلوكم واطلعتهم عليهم ،
وهنيئوتنا على وطن بنغازي ودرنه ، وذلك بأن تحلفوا المشايخ وأعيان
الوطنيين وتأخذوا طهم عهداً ومواثيقاً ، وتفعلوا جميع جهدكم فيما ترونه
صالحاً بنا ، وتتوكلوا على الله وتقدموا علينا تنهائونا على ماته الأمور ، وقد
ظهرت علامات الفتح والنصر إن شاء الله وذلك صدق غومه وسائر أهل
القرب وورشفانه ، وكف الذين كانوا محاريين مثل غريان وورقله وميل
جانب من أهل الساحل والمنشية ، وربنا يتم المقاصد بخير ، ويسهل قروح على
يدينا ، ولا نقبلوا لك يا ولدنا ويا محنا عذرا في التخلف وما ترى منا إنشاء الله
إلا ما يرضيك وزياده ، ولك عندنا الرتبة العليا ، وفي مثل هذه الحالات
وأمانها تظهر علامات الخدمة والمحبة والنصيحة وبالله الذي لا إله إلا هو
لا نشكوا في خدمتك ونصحتك وميلك إلينا ظاهراً وباطناً والقلوب يوحى
بعضها إلى بعض وفي هذا كفاية نعم . وقد كاتبنا الأغا عصمان وأهل الشرق
وعرفناهم بولايتنا وطعنهم وإلى الآن لم يرجع الصندل والرسول ، إنما المتواتر
بأنهم لما سمعوا بولايتنا تبدل ما كان في أنفسهم .

عبد
علي باشا قرمانلي
أبده الله عنه آمين

٢٧ ربيع الأول سنة ١٢٤٨ هـ

وثيقة — ٢٦

رسالة على باشا القرماني

إلى محمد شلبي بيت المال بتاريخ ٢٢ ربيع الثاني سنة ١٢٤٨ هـ

الحمد لله وحلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
إلى الأجل الأفاضل المحترم والمبجل ولدنا الحاج محمد بيت المال أكرمته
الله بمنه آمين ، السلام الأتم ، الأطيب الأعم عليكم ورحمة الله وبركاته
ولازايد بحمد الله جل وعلى سوى الخير، يليه إعلامكم أن موجب الكتب
إليكم من شأن ساعة الكتب القرب من قرقارش وغرب كله صح لنا، وهدموا
علينا السعدة وفرسان من العلاوة والبعض من المذنية، وكل يوم الناس نجى
وتفرست على أولاد الباي، والناس كانت مزليحة وارم في الناقص ولاعندم
ثمرة، وقدموا علينا مركبين من طرفكم، ولا رأينا منكم جواب ولا خطاب
وكنا منتظرين في قدومكم علينا بالعجل، والناس يقولوا لا حيا بعد الأصحاب
ترجو في قدومك علينا وقاطعين وفاصلين ولا لاحقنا فيك شك، وحاسبينك
أقرب الناس وأحبهم إلينا، وتنفر بنفرتنا ولا نبيعنا بقریب ولا بعيد، ورفعت
مقلوب، وخديت كلام أخيك الحاج على حتى كان أنت تعرف حقيقته وخفته،
صنيت لقوله وقول غيره والله العظيم ونبيه الكريم نجوك وراغبين فيك
ولا نحسابوك تبعنا بأرخص السوم، وتغيب على فزعتنا، وترك حتى مجاوبتنا
والذى هو مثلك وفي منزلتك ما يحتاج زيادة التأكيد من هذا الجانب وغيره
لأنك جزء منا ونعرفوك رافع الحمل أكثر من الناس كلها، ولا نخدم إلا على
ثمرتنا، وما يزيد في معنانا، وإن شاء الله عن قريب تصفا هذه الغيامة، ويجمعنا
ربنا بك في أبرك الساعات، وأشرف الأوقات، وما أنت إلا ولدنا ومنا وإلينا
ولا زايد إلا خيرا، والسلام بتاريخ ٢٢ من ربيع الثاني سنة ١٢٤٨ هـ
من المرعى بالله عبده على باشا قرماني وفقه الله آمين

ملحق خير

ونبنى جميع البحرية والعظام والطبجية وجميع من هو مناسب إلى خدمة
هذه المصالح المذكورة نجمعهم وترسلهم لنا مع الأول ولو تحسنوا لهم
من جنابكم على حسب أقدارهم واعلموهم بحزيل احساننا الكامل
لكل من هو الآن منتصب لخدمتنا وكل من يرد عامة يعمه ذلك ولا يحتاج
زيادة تأكيده والسلام بتاريخ يناء عن اذنه حفظه الله .

وثيقة - ٢٧

رسالة بوسف باشا القرمانلى إلى محمد شلى

بيت المال بتاريخ ١٠ ذى الحجة ١٢٤٨

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم .
إلى الأجل الأفاضل الوجهة الأقبل المحترم ولدنا الحاج محمد بيت المال
أصلح الله أحواله بمنه آمين، السلام الأتم عليكم ورحمة الله وبركاته ولا زايد
بمحمد الله تعالى سوى الخير ، وبليك اعلامك أن موجب الكتب إليك من
شأن أنت راجل خديمى وولدى ومنسوب على ، وغرسى وريتك وأملت
فيك وفروضت لك الأمور ، وأفردت لك الكلمة على عين الخاص والعام
والبوم متذشرة أشهر من وقت وقوع هذه الكاتنة، جواباتك ماشيات جايات
على يمينتنا ويسارنا للغير، وأنت متعدينا بالنظر ولا رأيتنا منك جوابا، ولا اعلتنا
لا يأسر ولا شوى ، ولا عرفنا موجب ذلك منكم ، يا هل هو تعصى منك
والا باعدك الغير من خدمتنا ، وأنت صدقته، ولا كنا نظنوك بمثل هذا وانت
عارف وعافل، وشأن الخديم والولد الذى هو منك ما يفى نعمة سيده عليه
وربانيه ، ولو يفى ما يفى ، ولا كنت نحسبك تخلفنى فى مثل هذا الرقت
والناس يقولوا لا حياة بعد الأصحاب فضلا عن الأسياد ، وفى الحقيقة
واقه العظيم ونبيه الكريم ماك هابن على لا بكثير ولا بقليل ، ونمضى فيك
بكل وجه ممكن ، والحمد لله هاهى ما زالت قرية ، ولا صدر منك موجب
ياعدك علينا، حاصله حين وصول الجواب إليك تبقى تتوكل على الله وأقدم
علينا ولا لك منا إلا الهناء والتفويض ، ولا ينصك قدر ولا مراعاة كيف
قبل وزيادة ، ولا يلحقك منا توحيش ، وعليك أمان الله ورسوله وأماننا
الأمان التام ما تخشى من شئ ، وخليك من أقاويل الناس ورفضها وحطها

راحم ما يخلوا من هو متهى ، وهذا شيء تعرفه أنت بنفسك ما تحتاج يوروه
لك ، حاصله إن كنت معترفا بنعمتى عليك وأمل فيك وإحسانى عليك نبغيك
تقدم علينا فى أسرع مدة ، وتعاوننا وتشامل معنا هذه الحملة فإن كنا فى خير
فنحن فيه سواء ، وإن أيدت وتراخيت والامقييت والإخابت الرباية والأمل
فيك نحن ماعلينا لوم ، وربنا يعمل لنا طريق وفى هذا كفاية ولكن ظننا فيك
جبل والسلام بتاريخ ١٠ من ذى الحجة سنة ١٢٤٨ .

عبدہ يوسف باشا قرمانلى ايده الله آمين

وثيقة - ٢٨

رسالة محمد باشا القرماني إلى الحاج محمد شلبي بيت المال
المؤرخة في ١٩ ذى الحجة سنة ١٢٤٨

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وسلم .

الأجل الأفضل الوجهه الأقبل المحترم المبجل عوض والدنا سيدي
الحاج محمد بيت المال أصلح الله حاله آمين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
يليه اعلامكم خير، موجب الكتب إليكم من شأن أننا على محبتكم لا يبدل
الزمن ولا يغيره المكان، ونحن العمالة كله من فضل الله وحسن نيتنا تحت
الطاعة، ولا نخلف منا أحد، إلا المدينة خاصة، والناس كلهم في الخدمة من
فضل الله ورسوله، وأخيك الحاج على بيت المال والحاج محمد أخيك واقفين
بين أيدينا ومجتهدين غاية الاجتهاد ولا عندم تقصير، وربنا يلفنا المقصود
وتنظروا معنا الأيام الذي مارآهم أحد، وأنت يا عجبنا نبغوك في عرفنا وطوعنا
وتدهتنا، ونعرفوا قدرك أكثر من الناس الكل، وأنت عوض ولدي
ولا عنده أقرب منك وتبقى أنت أقرب ما يكون من الناس الذي بين يدي
وجميع ما تطلبه تلقاه عندنا بحول الله وقوته لا نخعم ولا نتك، والذي
تبغيه نحن نوفره عليك ولا بد تكون في عوننا وهذا ما عندنا علينا كم به
والسلام بتاريخ ١٩ من ذى الحجة ١٢٤٨ .

المرعى بالله عبده
محمد باشا قرماني

وثيقة - ٢٩

رسالة من محمد ييزان إلى محمد بيت المال

المؤرخة في ٢٥ جمادى الثانية سنة ١٢٤٩ هـ

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

أشهد الله أوقاتكم وأدام مسراتكم الأجل الفاضل ، والهيام الكامل ،
عحبنا حقاسيدى الحاج بيت المال حفظه الله ورعاه ، ومن كل مكروه وقاه
بمنه وكرمه آمين .

أما بعد سلام تام ، مبرور عام مع الرحمة عليكم كثرة الأشواق إليكم
وبإيه بعد السؤال عن أنفاسكم الزكية ، وأحوالكم الرضية أصحبكم الله بالآمانى
بكرة وعشبة ، هو أنه إن تفضلتم علينا بالسؤال فنحن على حالة تسركم وترضيكم
صحة وسلامة ر سبب تسطيره وموجب تحريره هو أنه قبل كتبه أانا مكتوب
من محكم أخونا العزيز سيدى على ييزان ، وأخبرنا فيه أن العملة غرب وشرق
بحاميد وبكاغره وعلافة ونوايل وجولازى وعرب الزاوية كوارغلية وغيرهم
ومجريس وترهونة بنهماها وجفارة وأكثرت مسلاته والساحل وزليتن
وكافة مصراته ما عدا عجلة عصمان الأدغم وعبد الجليل وتبعه دخلوا تحت
طاعة المعظم بالله سيدى على باشا دامت معاليه ، وفى خدمته وعند أمره
ونيه ورجعوا على ما كانوا عليه ، وعن قريب عجلة الغرب والآنجد سيدى
إبراهيم قادمين إلى جنزور ، والمريض وترهونة والشرق قادمين إلى تاجوراء
ولاقرب إلا الفتحة والولاية إلى حضرتك - يسرنا من غير شك ولا يأخذك
درب ولا قول قاتل ، وأمرت أخونا المذكور بأن نعرفوك بذلك لتكون
على بصيرة ، وبذكر فى جوابه بأن مشايخ بره الذى بنرفهم يلقبوا لك الموضوع
ويجعلوا الباطل حق وأنت تزعم ذلك صحيح ، والبعيد الذى يسمعه يحد عليه

وما على الرسول إلا البلاغ ولا أتوك المشايخ حتى ضاقت عليهم الأرض
وغابت عنهم الحيلة والميلة ، وأنت تبرون نفسك ولك نظر في ذلك بلغ سلامنا
لمحبنا سيدي الحاج إبراهيم القرمانلي وسيدي بالقاسم بوجهية و غلامكم خير و جملة
جمعكم من غير تخصيص منا لإجمالاً ومنكم أفراداً و دعمتم بخير و عافية و السلام .

٢٥ جمادى الثانية سنة ١٢٤٩ هـ

ملحق خير وكذلك و يذكر أخينا أن الطائف و الحاج محمد نديشة جددوا
أيديهم لما شاهدوا أمر أولاد الباي مضمحل ، و ما شاهدوا من ضيق الحال
و إقبال المهوم و الأوحال ، و تعرف أخينا و محبته فيك و ما بينكم من العقيدة
و المودة الصافية و السلام .

وثيقة — ٣٠

منشور^(١) محمد باشا القرماني إلى جميع قناصل الدول

ورؤساء المراكب البحرية الحربية في ٣٠ في رجب سنة ١٢٤٩

الموافق ١١ ديسمبر سنة ١٨٢٣

حضرة سعادة ولي النعم محمد باشا قرماني يخبر جميع أحبابنا القناصل
مع جميع الأجناس وكافة الرياس منع مراكبهم الحربية أن هؤلاء
المراكب متعنا الذين هم يوجدون فوق مرصعة طرابلس معتمدين من طرفنا
ومن طرف جميع ناسنا بشذقنا^(٢) المنصور، لأجل أن يوقف في مصالحهم
القوية^(٣) الحاصل يتنا وبين أهل المدينة على حسب القانون الجاري بين كافة
الأجناس وحماية لانفراد كلتنا وعموم دولتنا فهذا نخبركم ويكون في علمكم
ونحن على حجة جميعكم ومرامات جنابكم لازيادة ولا تقصير وليس غرضنا
أنا نقصد أو نمرقل الكتمرشو^(٤) منع الجنوس الذي مهم نحن على الصلح
والتمام في ٣٠ رجب سنة ١٢٤٩ بيد المبجل من أحبابنا قنصل جنرال
السردينين شروني^(٥) الحال في الوقت في طرابلس الغرب .

(١) منشور عن الأمل بهاء المحفوظات التاريخية بدار الكتب .

(٢) سنجلنا (٣) الحرب (٤) التجارة (٥) اسم قنصل سردينيا

وثيقة - ٣١

احتجاج "قنصل الدول الأوروبية أثناء الحرب الأهلية في طرابلس

نحن الموقعون على هذا أدناه قنصل الدول الأوروبية بإبالة طرابلس
القرب - قد قررنا بعد دراسة الأحوال الراهنة الأسف من أعماق قلوبنا
للحرب الأهلية التي اجتاحت البلاد منذ ثلاث سنوات وقد كانوا يأملون
أن يؤدي حياهم التام إزاء الأطراف المتنازعة إلى احترام الموائيق
والمعاهدات والمصالح التجارية ، ولكن حدث ما يخالف ذلك ، إذ أصابت
القنابل التي أطلقها أهالي المنشية أماكن يسكنها أوروبيون ، وأصاب بعضها
ديار القنصليات رغم وجود الأعلام مرفوعة عليها .

إن إطلاق النار في هذا الحى وإصابة الأماكن المذكورة يؤكد عدم
احترام الأجانب والتعدى على حرمتهم وأعلامهم مما يجعل حياة المسيحيين في
خطر وهم البعيدون كل البعد عن المنازعات والتحرشات .

من أجل ذلك يطلب الموقعون على هذا من سكان المنشية ضرورة احترام
القنصليات وتجنب انتهاك امتيازاتها المقدسة منذ عدة قرون .

والموقعون على هذا أدناه ، طبقاً لخبرتهم الواسعة ، لا يتدخلون في
هذه الحرب إلا بقدر حماية حقوق ومصالح رعاياهم والحرص على سلامتهم
خاصة وأن مسئوليتنا عن مصالح رعايانا تدعونا إلى عدم الصمت عن
هذه الحالة .

فباسم الحكومات التي نشرف بتمثيلها ننذر الذين يقومون بأعمال

العنف في المدينة والذين يسببون في هذا الوضع ، بالكف عن أعمالهم التي كان لها أسوأ الوقع في نفوس الأوربيين كما يجب على المتنازعين وقادة الحرب أن يماونوا لتنفيذ مطالبنا ، وإلا سترسل الدول أساطيلها لتوقف هذه الحرب بالقوة .

لأن جميع الرعايا الطرابلسيين الذين يقعون قرب القنصليات حتى الآن يمكنهم البقاء ، ولكتنا سنتدخل إذا وصل آخرون واقترحوا منا ؟
طرابلس في ١٤ مارس سنة ١٨٣٥ .

Warrington — De castelani — Bianic — Cav. Geov. Ressonni

وثيقة - ٣٢

رسالة "١" من أعيان المنسوبة إلى السلطان عبد المجيد

في ١٨ شعبان سنة ١٢٥٠ هـ

يملنون شكواهم من يوسف باشا وابنه على

وصلتنا التحريرات المتضمنة لبعض وصايا وفصائح عبدكم شاكر أفندي
ورسالة مع الأمر السامى بقبول ولاية على بك بن يوسف باشا على طرابلس
الغرب ، وتحريرات القبطان باشا وقد قرأت في مواجهة من يلزم حضورهم
وأعلنت وأشيعت فحواها على جملة أهالى البلاد وسكان الولاية ، وأنهم
أفادوا وأوضحوا بأنهم لا زالوا عبيدا مملوكين لذات المنتصف بالهية حضرة
ظل الله مطيعين منقادين في كافة أقرامهم وأفعالهم وجميع أحوالهم لأوامر
أول الأمر ، وحريصين على تجنب الأوضاع التى تخالف رضا المقام العالى
وأن عبدكم المشار "١" إليه كان قد ألم في السنة الماضية ببعض تصرفات عبدكم
يوسف باشا في ظلة الفقر الموضع ، وأنواع اعتسافاته على غيرهم وخصوصا
الديون التى تفوق الحد المستدانه من طائفة النصارى ، لهذه الأسباب قد
انسلبت ثقتهم منه وإن قيامهم عليه ليس إلا لوقاية أنفسهم من الهلاك وحفظ
بلادهم التى هى من الممالك المحروسة المسالك السلطانية حفظها الله من شوائب
الاعداء ولوقايتها من الفساد ، لهذا اضطروا إلى نصب محمد القرماني رئيسا
عليهم ، وثاروا على الباشا المشار إليه ، وكان ألمهم بأن شاكر أفندي الذى
اطلع على الأسباب أن يعرضها على السلطنة السنية وإذا بهم يفاجئون بمخبر
وصوله إلى تونس في مهمة إصلاح ذات البين ، إن أمرا كهذا يستوجب السرور

(١) صورة من محفوظات رئاسة الوزارة التركية تحت رقم ٢٢٤٦٨ بدار المحفوظات

التاريخية بطرابلس الغرب .

(٢) شاكر أفندي مبعوث السلطان .

غير أنه بعد وقوع حرب دامت ثلاث سنوات يتتناوب بين يوسف باشا وابنه على بك أزمقت فيها الأرواح وأتلفت فيها الأموال ، نكف بآن قبل ولاية على بك كان خلاف مأمولنا ، وليس يخاف أن أمرا كهنا لا يقبله النساء والصبيان فبالكم بالرجال وحاشاكم حاشا أن ينهم من رأينا هذا أن معناه عدم الطاعة لأوامر أولى الأمر فهو ليس إلا للأسباب التي سردناها أعلاه والتي لا توافق رضائكم العالي وما فعلناه من قبيل الدفاع لحفظ البلاد والأرواح من الهلاك ورغبة منا في اظهار حقيقة الكيفية وصحتها ، نعرف ونشعر دأر المراحم ، وأملنا أن ينظر إلينا بعين الرحمة والعطف .

توقعات وأختام

وثيقة - ٣٣

رسالة^(١) من عثمان الأدهم إلى محمد الفرمانلي

في ٢٣ من محرم سنة ١٢٥١ هـ

الحمد لله صلى الله على سيدى محمد وآله وسلم
إلى من حفظه الله ورعاه ، وبلغه فى الوادى مناه ، الأسعد الأرشد الهمام
ولا غير سيدى محمد باشا قرمانلى دامت معاليه .

السلام الأتم الأطيب الأعم عليكم ورحمة الله وبركاته ولا زيادة سوى
الحير . ونعرفك بعد تقبيل أيديكم وأرجلكم الكرام وما تستحقه السيادة
من الإجلال والإعظام هذا وأنه حين الكتب أنانا جواب من مصراته
وذكروا لنا أنها قدمت مركب من مالطة وأخبرت على أن أشقوف^(٢) مولانا
السلطان وصلوا إلى بلد قريب ويستقوا فى شقوف الإنجليز يقدموا عليهم
وحين بلغ الخبر لماطة مشوا أشقوف الإنكليز منها للاقاتهم - هذا الخبر
الذى بلغنا من مالطة وتعلم من أجل أحوال زهونة ومن هو فى غرضهم ، إنما
المرئض ومن معه عامل مجبودة وبيننا غل مبيت من جهة قاطة ، وأما عبد المولى
وجارته عامل مجبودة كذلك فى الظاهر وبقروا فى الصفوف من ورفلة وغيرهم
ولا تمت لهم جلوه إلا جلوتنا ، ونحن ما لنا خدمة إلا عليكم نجرو فى مصالحكم
وأىضا تنادى هاتوا الفزع بنفوسكم والثالثة أتم قاضين من جميع المشاغل ونحن
مانا طالين منكم حركة ولا قدوم علينا إلا بقصد أنكم تتعقبونم بالنيرة عليهم
وهم جوا فى طرف العمالة وكثرة الجبل مشرق - والناس كيف ما تعرف
واحد يغره بالخدمة ويوعدوا فيه بالحصة ، وواحد يخوفه تخوف ونحن
جينا إبعاد عليهم - ان قعدنا معهم ضرينا بالחסارة وباعد شائم ، وإن
سينام ما يقيموا أرواحهم وأتم ما تعجبكم راحتكم وتعلموا بها وتقولوا

(١) متروكة عن الأصل للوجود لدى الأستاذ على الفقيه حسن بطرابلس .

(٢) سفن

افسكيننا من القيرة^(١) - هذا ما هو زمان راحة لأنه مرجوع الكيد كله عليكم
ونحن لولا محبتكم والخدمة على مصالحكم وطلب الحصنة فيكم، واحنا مرتاحين
في أوطاننا وتاركين الأوطان الذي من يالاهم وهذا شيء دوم ما هو يوم، لأن
معقدنا في الأوطان الغريات يفلقوا الناس منا أهل البلاد وأهل السيب
لأن عندنا يرسلاته يسقى ألف فارس . الحاصل إذا ما تبغرش الناس
ثمل وتفضي لهم البلاد ، ضيقوا عليهم بالفارات والغزيان على الفور باش
يضموا أطرافهم وتقصر خطوفهم ونحن علينا وأتم تعرفوا ما يصلح بكم
ودعتم بخير وعافية وسلام .

بنارنج ١٣ في محرم سنة ١٢٥١ هـ

خدمكم
عصمان الأدغم

وثيقة - ٣٤

خطاب (١) محمد بيت المال إلى القائد التركي مصطفى نجيب
بطلب الأمان

الحمد لله
صلى الله على سيدنا محمد وصحبه وسلم
حضرة سعادة مولانا الهمام الأعظم والستور المقصم سيدى مصطفى
باشا دام عزه وعلاه، بعد تقبيل يديه والدعاء بالبقاء والعز والنصر إليه
السلام الأسنى والتحيات المباركات المظمية تتم حضرتكم السنية وطلعتكم
البيهة المعروض على مسامعكم الشريفة، وأخلاقكم المنبغة أنه بما في علم السيادة
من منذ أيام فارطه الحرب حایل بيننا وبين أهالى المدينة، كتبنا عرض حال
لسعادة الدولة العلية والمملكة الخاقانية مولانا السلطان دام نصره وعزه
وعلاه، وعرفنا بتفصيل الأمور وطلبنا من حضرة سعادته أن ينظر إلينا
بعين الرأفة والحنان، ويرفع عنا يد سيدى على ويتفضل علينا بولاية سيدى
محمد أو غيره لتطمين البلاد وترتاح العباد، ولما أن قمتم سعادتكم
تحققنا إجابة دعائنا، وحصل لنا بقدركم فرح وسرور، وسعينا في تهديد
الفتنة، وإلقاء السلاح وعرفنا حضرة سعادتكم مع المشايخ الذى قابلوا
السيادة ان اعيان البلاد حاصل لهم بعض خوف، ومرادهم أن تتفضل عليهم
برأسطة القنصل لتطمين قلوبهم، ولم يكن لهم غرض سوى ذلك
وكتبنا للقنصل الانقليز ورغبناه بأن يعرض ذلك على حضرة السيادة فلم
يحصل قبول، فلما سمعت الناس ذلك ازدادت خوفاً، وتفرقت، أما البلى
أخبرونا توجه للبر، وبقيت الناس كل وغرمنه من الخوف، ولو أجيبت
دعوتهم لما فر أحد وتراء الطمأنات الناس ولكن كل شئ بإرادة الله، وأما
خدمكم وأخويه توجهن للكر ويطه الانقليز، الذى بالمرسى خوفاً على

(١) منقول عن الأصل بدار المحفوظات بمدينة طرابلس الغرب.

أنفسنا ونحن خدام تحت الطاعة ودعم، والله يقبلكم ومن طوارق الحدثنان
يعفيكم والسلام . في أوائل صفر الحير سنة ١٢٥١ .

خديمكم الحاج محمد شلي

بيت المال

من الأجل الأعظم حضرة السيد مصطفى نجيب باشا بلغنا جوابك إلينا
حصل لنا السرور منه وأنت طلبت الأمان فيه أعطيتك أمان الله وأمان
الرسول وأمان الدولة العلية وأمانى عليك وعلى كل من يتقرب إليك من
ذوى الأرحام وعلى مالك وأرقابك تفضل إلينا .

٣ من الصفر



عثمان بك بن يوسف باشا

عينه أخوه علي باشا ييكا لينغازى بدلا من محمد شلي بيت المال ، وقد
غادر بنغازى إلى مالطه في أكتوبر سنة ١٨٣٥ عندما علم بمطالبة الدولة
العثمانية بإرسال البقية من أفراد الأسيرة القرمانيّة .

الوثيقة - ٣٥

رسالة محمد رائف^(١) باشا والى طرابلس الغرب
إلى الصدر الأعظم ردًا على رسالة إليه بطلب إرسال
الباقى من أفراد الأسرة القرماتية
بتاريخ ٢٧ رمضان سنة ١٢٥١ هـ

بمرض عبدكم الآتى :

من المعروف أن عطوفة الوالى نجيب باشا قد أبعد على باشا وأسرته
إلى استانبول، وأن باقى السكان متألمون لإقامة بقية أفراد الأسرة بينهم
لسوء أعمالهم ومظالمهم السابقة وسوء إدارتهم، وأنه أشار بإرسال جميع
أفراد الأسرة على سفينة أخرى إلى استانبول، ولكنى أرى عدم الموافقة
على ذلك لأن أخوة على باشا فى درنه وبنغازى مستسلمون ومقيمون بها،
وتقلهم إلى مكان آخر لا داعى له، ويكفى أن نأخذ التعهدات اللازمة عليهم
وأن يقفوا فى مناصبهم حتى ننظر فى أمرهم، أما يوسف باشا فهو مقيم فى
طرابلس وهو شيخ هرم ومريض وبصره ضعيف يكاد يكون كفيفا
ولا يستطيع السفر، ولا ينتظر استطاعته القيام بحركات مناوئة، ونظرا
لحالته وتقدم سنه ومرضه صرفنا النظر عن إرساله، وعثمان بك أخ على
باشا يقيم اليوم فى بنغازى خاضع يلهو بالشراب وليس له قدرة على الحل
والضبط والربط وسنرسل من طرفنا إلى درنه من نتمتع عليهم من الموظفين
مع ٥٠٠ جندى وسنمضى التعليمات اللازمة لمن ترسلهم إلى هناك - أما

(١) سورة من وثائق رئاسة الوزارة التركية - محفوظة بدارالمحفوظات بمدينةطرابلس
تحت رقم ٢٢٥٠٠ - تولى محمد رائف باشا ولاية طرابلس خلفاً لنجيب باشا فى ٧ سبتمبر
سنة ١٨٢٥ .

أخوه إبراهيم فوجود بالزاوية وقد ضمنه الشيخ غومه ، وحاولنا أن نقر به
لنا وأحضرناه إلى طرابلس ، والشيخ غومه هو كبير مشايخ العرب ومحترم
وأتباعه كثيرون ويؤمل منه قضاء المصالح ، ويجب أن نعامله معاملة
حسنة - ولذلك صرفنا النظر عن إرسال إبراهيم بك إلى استانبول .
وبما أن علي باشا وجميع أفراد أسرته وخدمته ورفقائه وعددهم ٦٢ شخصا
قد أرسلوا إلى استانبول ، فإننا أخذنا نثبت أملاكهم ونواصل الليل
بالنهار في ضبط أموالهم وحصرها ، المنقولة وغير المنقولة ، أما الأملاك
الغير منقولة فهي مرهونة عند فرنسيين وإنجليز ونحن نعمل حصرها لها
وقد تكلف نقل ومؤونة علي بك وأسرته ١٥ ألف قرش ، وسنرسل
لكم بكل ما يمد وما يجب إحاطتكم علما به وفي انتظار تلبيةكم العالية في
هذا الشأن وفي كل الأمر والفرمان لحضرة من له الأمر

محمد السيد

الكاتب

رائف

عزى

وثيقة - ٣٦

رسالة عبد الجليل سيف النصر إلى محمد بيت المال

المترجمة في ٢٦ جمادى الأولى سنة ١٢٢٨ هـ

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الأجل الأفضل الوجه الأمثل المحترم المبجل بمنية الله ورسوله سيدي
الحاج محمد بيت المال وفقه آمين - السلام عليكم ورحمة مع البركة
ولا زيادة - بعد حمد الله سرا الخير وبله لإعلامكم موجب الكتب إليكم
بما شئت أن تسأل عنا طيبون ما نسأل إلا عنكم وعن كلبة أحوالكم كونها
الله على أحسن حال وأتم منوال بحرمة النبي - والآن نعرفكم عما شئت -
بلغنا بلد الجفرة صهوة الثلاث لسبعة والعشرون خلت من ثاني الربيعين، وقنا
بها عدة أيام حتى تريحنا وتريحنا خيلنا وقضينا منها بعض مآرب وساعة إلى
تسعدنا منها متوكلين على الله لناحية جفران ورفله يبلغنا وإياكم المقاصد،
ووصلح لنا ولكم الأحوال ظاهرأ وباطناً وبوقفتنا وإياكم لما يحبه ويرضاه،
وتعلم يا محبنا أن ما بعد إلا في القلوب والصحة التي بيننا لم يغيرها زمان
ولا يدها بعد مكان ولا زلنا في حبك وفي عرضك وفي عداوة عدوك ومحب
حبيبك وجميع ما يتبين لك وتبنيه - أهو أخينا الساعدي وعرفه بما في
مرادك ترانا ما عايناه إلا لأجل ونسك، ووسيلة بيننا وبينك، وإن باتت
لك حاجة بطرفنا عرفنا بها ترانا رزق واحد ومال واحد، ولا بينا إلا ما حرم
الله - وإن سألت عن أخبار من القبلة وكأنه ققول "برنو والسودان بلغت
مرزق ما تخلف أحد عنها، وفزان والحمد لله عمرت عمار تام، نطلبوا من الله
مزيد النعم وحصول المقصود لنا ولكم، وأما أخبار بيربرا الشرق، من

تراب برقاً وينغازى أتونا مراسيلهم وجواباتهم وراق الماء عندهم وأخذوا
بما جاور بنام به ولا عندهم تقصير ، وإن أخبار تراب مصر يطول ، ولكن
أمر يأتيك به تذكيرة لطيفة بباطن الجواب ستطلع عليها إن شاء الله ونحن
غلى زائد العلم منا ومنكم والسلام الأمام . ٩٠

٢٦ جمادى الأولى سنة ١٢٣٨ هـ

عبدكم

عبد الجليل سيف النصر

وثيقة - ٣٧

محضر وفاة^(١) يوسف باشا

في ٢ ربيع الثاني سنة ١٢٥٦ (٢ أغسطس سنة ١٨٣٨)

الحمد لله مات المرحوم سيدى يوسف باشا فرمانلى ، عن زوجه الست مريومه بنت حسن داي بنغازى ، وعن أولاده من غيرها على باشا وعويشه الغاية الآن بمحبة اسلامبول ، وعثمان باى الغايب الآن باسكندرية ، وإبراهيم باى ، وعموره باى ، وقيره وعيشه الحاضرين الآن - وكان من خلف يوسف باشا المذكور كامل الحوش^(٢) الكائن بداخل محروسة طرابلس بقرب الشيخ الخطاب المتلقيه بالإرث عن إبنه مصطفى باى مع كامل السانية^(٣) المتلقيه بالإرث عن إبنه مصطفى باى المذكور الكاتبة بإحل منشية المحروسة المنصورة بقرب سوق^(٤) الجمعه وقد ظهرت ديون على مصطفى باى المذكور بيع في الدين المذكور الحوش المذكور لأحد كافاله بخمسة آلاف قرش تركى كما بيعت السانية المذكورة لأخيه العلوانى بخمسة آلاف وخمسمائة قرش . جملة اثمن المذكور عشرة آلاف و ٥٠٠ قرش - يخرج من ذلك دين لحوا^(٥) عليجه وجهاز صداق ابنتها زينوبه زوجة مصطفى باى المذكور خمسة آلاف وثمانماية وأربعين قرشا - ويخرج دين لورثة بن حريز على سبيل الصلح المرتب بدمه مصطفى المذكور ١٢٠٠ قرشا يخرج جمر^(٦) الحوش المذكور ٢٢٥ قرش ويخرج جمر^(٦) السانية المذكورة ٢٤٧,٥ قرشا ويخرج كدين^(٧) للسيد محمد الشريف الحاجبى ٣٣٠ قرشا ،

(١) صورة من الأصل المحفوظ بدار المحفوظات بمدينة طرابلس الغرب .

(٢) أى المنزل .

(٣) أى القرعة .

(٤) إحدى ضواحي مدينة طرابلس .

(٥) ضريبة المنزل .

ويخرج للدلال عشرين قرش - صح الباقي بعد إخراج ما ذكر
٢٦٣٧,٥ قرشاً .

وقسم ما ذكر على الورثة الموجودين الآن بطرابلس المذكورين ليكون
ذلك تحت أيديهم على وجه الأمانة حتى يقع الفصل في خلف يوسف باشا
المذكور .

وتحت يد إبراهيم باي المذكور
فروش تركي

٧٧٠

وتحت يد قديره المذكور

٢٨٥

الزوجه مريومه المذكوره
فروش تركي

٢٢٥

وتحت يد عموره باي المذكور

٧٧٠

وتحت يد عائشة المذكورة

٢٨٥

استدراك

نستصح القارىء عذراً لوجود بعض حروف وأرقام غير واضحة
رجاء إيضاحها وتصحيحها .

الصفحة	السطر	الكلمة	الصواب
٦	٢	بنشاط بعد	بنشاط كبير
—	١٩	الأميرات	الأميرات
٨	١٩	وق	في
٩	الأول (عاش)	موللارد	موللارد
١٠	٩	صلاً	مابقاً
١٧	١٣	أنصار	أنصار
١٨	١٣	إبرام كويرن دي	إبرام دي
٢٤	٦	القرماني	القرماني
٢٢	٣		١٧٢١
—	—		١٥٠٠
٣٧	٢	الاستلام	الاستلام
٤٥	١٥	عن	عن
٤٧	٥	جديد	لجديد
٥٤	١٣	منهم	منهم
٥٥	٢٩	الرعب	الرعب
٥٦	٤	أوقت	الوقت
٥٧	٧	صد	ضد
٦٤	٨	لأنه	لأنه
٦٥	٢٣	بولني	بولني
٦٦	١٧	بنيون	بنيون
٨١	١١	٧٤٣	١٧٤٣
—	٢٠	٧٤٤	١٧٤٤
٨٥	٩		١٧٤٥
٨٦	٦	الثاني	الثاني
٨٧	٢	٧ يناير	٢٧ يناير
—	٣	٢ ألف	٣٠ ألف

المصنف	المطبع	السنة	الصفحة
١٧٤٣	٣	١٧٥٣	٨٩
٢٤	١٣	٢٤	—
(٢)	١٢	(١١)	٩١
مُجَمَّع	١٩	مُجَمَّع	—
إرسال	٢	إرسال	٩٢
تقد	٩	تقد	—
١٧٦٢	١	١٧١٢	٩٢
تجدد	٩	تجدد	—
تم	٢١	تم	٩٧
أعيد	١	أعيد	٩٨
الهندية	٨	الهندية	١٠٠
له	١٨	لها	١٠٧
قار	٥	بنار	١٠٣
شبح	١٠	طبيع	—
١٧٨٥	—	٧٨٥	١٠٦
ترع	٩	ترع	١٠٩
وذاك	١٣	وذاك	—
الربع	٣	الربع	١١١
يهم	١١	يهم	—
يك	١٥	بك	—
أثله	١٧	أثله	—
منهم	٧٠	منهم	—
لثقل	٢١	لثقل	—
التوفيق	٣	التوفيق	١١٢
بعد	٤	مد	—
نحوها	٧ (عاش)	نحوها	١١٣
الروايات	٩	الروايات	١٢٢
يسكن	١٦	يسكن	—
عليها	١٩	عليها	—
أخيه	١	أخيه	١٣٠
به	٥	فيه	—
لو حذر	٢ (عاش)	لو حذر	١٣٦
٧٧٠٠٠	١١	٧٧٠٠	١٣٧
١٧٩٦	٧		١٣٨

العدد	النصر	الكلمة	المواضع
١٣٨	١٤	١٧٩٤	
١٤١	١٢	Bona Ventura	Bona Ventura
١٤٢	٢	Beaussier	Bousseaux
—	١٨	٢٤	٣٤
١٤٣	١	٢٦	
١٥٧	١٢	الفاطمة	الثامن
١٦٠	١٧	تخلف	ضرب
١٦١	١٢	يدعو	يدعو
—	١٨	انفا	انفا
١٦٤	٩	٢٠٠	٣٠٠
١٦٦	٦	١٨١١	١٨١١
١٧١	٩	١٨١٤	١٨١٤
١٧٦	١٠	الأوتار	جزر الأوتار
١٧٨	٣	ومناع	ومناع
—	١٢	٤	٤
١٨٢	١٧	كل	كان
١٩١	١١	١٨٢٦	١٨٢٦
١٩٢	—	أني	ألين
٢٠٢	١٧	الدوية	الدوية
—	٧ (عامش)	سنة ١٨٥١	سنة ١٨٥١
٢٠٤	٦	١٨٥٥	٨٥٥
—	٨	المروعة	مصنوعة
٢٠٤	٤ (عامش)	الزور	الزور
٢٠٥	٦	طرابلس الغرب (١)	طرابلس الغرب
—	٨	ملك سريدي (٢)	ملك سريديا (١)
—	١٦	١٨٣١	١٨٣١
٢٠٦	٢٢	إذ	إذ
٢١٠	١٣	٤	٧
٢١٨	١٧	عبر	عن
٢٢٠	٧	١٨٣٧	١٨٣٧
٢٢٦	١٦	وايراداتها	وايراداتها
٢٤٥	١٤	١٨٢٢	١٨٢٢

الصفحة	العدد	المختار	العواب
٢٤٥	٢١	لأغذائها	اعفاءاتها
٢٥٤	أسفل الصورة	كوشة الصنار	كوشة الصنار
٢٦٥	١٢	١٨١٢	١٨١٢
٢٦٦	٢١	١٨٢٥	١٨٢٥
٢٦٧	٢	١٨٥٩	١٨٥٩
٢٦٨	١٧	١٧٩٣	١٧٩٣
	الوثائق		
١٣	٢	سنة ١٧٩٣	سنة ١٧٩٤
٦٢	٦	ده فراخ	ده جراج
٨٢	٢	السلطان عبد الحميد	السلطان محمود الثاني